البحر المحيط

تصنيف

أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان

الغرناطي الأندلسي

٦٥٤هـ/٧٤٥هـ

حققه هذا الجزء

فادي المغربي عمار ريحاوي

الجزء السابع عشر

دار الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

٢٠١٥م / ١٤٣٦هـ

الرسالة العالمية

دار الرسالة العالمية

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بجميع طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها إلا بإذن خطي من:

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah LTD.
Publishers

الإدارة العامة
Head Office

دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي و صلاحي

2625
(963)11-2212773
(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460

بسم الله الرحمن الرحيم

مفرداتُ سورة القصص*(1)

الوَكْزُ: الضَّربُ باليدِ مجموعاً، كعقد ثلاثة وسبعين. وقيل: بجُمْعِ كفِّه. وقيل: الوكزُ والنَّكزُ واللَّهزُ واللَّكْزُ: الدفع بأطرافِ الأصابع(2). وقيل: الوكزُ على القلبِ واللكزُ على اللَّحى(3). وقيل: الوكزُ بأطراف الأصابع.

ذاد: طردَ ودفع. وقال الفراء: حبس(4).

جَذَوتُ الشيءَ جَذْواً: قطعتُه، والجَذْوةُ عودٌ فيه نارٌ بلا لهب، قال ابنُ مقبل:

باتتْ حَوَاطِبُ ليلى يَلْتَمِسْنَ لها جَزْلَ الجِذَا غيرَ خَوَّارٍ ولا دَعِرِ(5)

الخوَّارُ: الذي يتقصَّفُ. والدعِرُ: الذي فيه تعبٌ(6). وقال آخر:

* تفسير سورة القصص من تحقيق فادي المغربي، وباقي الجزء من تحقيق عمار ريحاوي.

(1) في (ح): المفردات. وليست في (ت) و(ع). والمثبت من (يه).

(2) تفسير القرطبي ١٦/ ٢٤٦.

(3) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٠.

(4) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٠٥. وخصه الفراء بحبس الغنم، فقال: ولا يجوز أن تقول: ذُدْتُ الرجل: حبسته، وإنما كان الذياد حبساً للغنم لأن الغنم والإبل إذا أراد شيءٌ منها أن يشذّ ويذهب فرددته فذلك ذود، وهو الحبس.

(5) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٦، والبيت في ديوان تميم بن أبي بن مقبل ص٩١. الحواطب جمع حاطبة، وهي الجارية التي تجمعُ الحطب. والجَزْلُ: الحطبُ اليابس. والجِذَا - بكسر الجيم -: جمع جذوة. حاشية الشهاب ٧/ ٧٢.

(6) وفسر شارح ديوان تميم الدَّعِر بأنه الحطب البالي النخر الذي إذا وضع على النار لم يستوقد، ودخن كثيراً. وفسَّره الشهاب في حاشيته على تفسير البيضاوي ٧/ ٧٢ بأنه الرديء الكثيرُ الدخان.

وألقى على قيسٍ من النارِ جِذْوةً شديدٌ[١] عليه حَمْيُها[٢] والتهابُها[٣]

وقيل: الجذوة مثلَّثُ الجيم: العودُ الغليظُ، كانتْ في رأسِه نارٌ أو لم تكن[٤].

وقال السلميُّ[٥] يصفُ الصَّلَى:

حمى حبُّ هذي النارِ حبُّ خليلتي وحبُّ الغواني فهو دونَ الحبائب
وبُدِّلتُ بعد البانِ والمِسْكِ شِقْوةً دخان الجِذا في رأسِ أشمطَ شاحبِ[٦]

الشاطئ والشطُّ: ضفَّةُ[٧] الوادي.

الفصاحةُ: بسطُ اللِّسان في إيضاحِ المعنى المقصود، ومقابلُه اللَّكَنُ.

الرِّدْء: المُعِينُ الذي يُسْنَدُ به في الأمر، فِعْلٌ بمعنى مفعول، فهو اسمٌ لما يُعَان به، كما أن الدِّفءَ اسمٌ لما يُدَفَّأ به، قال سلامةُ بن جندل:

ورِدْئي كلُّ أبيضَ مَشْرَفيٍّ شحيذِ الحدِّ عَضْبٍ ذي فُلُولِ[٨]

ويقال: ردأت الحائطَ أردؤه، إذا دعمتَه بخشبةٍ لئلَّا يسقط[٩]. وقال أبو عبيدة[١٠]: العون، ويقال: ردأتُه على عدوِّه: أعَنْتُه.

---

(١) كذا في النسخ، وفي الكشاف ٣/ ١٧٥، وتفسير القرطبي ١٦/ ٢٧٤، وروح المعاني ٢٠/ ١٧٢: شديداً.

(٢) في الكشاف وروح المعاني: حرها.

(٣) قال الشهاب الخفاجي في حاشيته ٧/ ٧٢: قيس فيه اسم قبيلة، ولذا قال: عليها، وهو استعارة لما لحقها من الفتنة التي كأنها نارٌ متوقدة.

(٤) الكشاف ٣/ ١٧٤.

(٥) هو أشجع بن عمرو السلمي، أبو الوليد الشاعر، من أهل الرقة، قدم البصرة فتأدب بها، ثم ورد بغداد، ومدح الرشيد، فتمكنت حاله عنده، وعاش إلى ما بعد وفاة الرشيد ورثاه. انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٧/ ٥١١-٥١٢، والأعلام ١/ ٣٣١.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٦.

(٧) في (ح) والمطبوع: حفة. وفي (ع): حافة. والمثبت من (ت) و(يه) والمحرر الوجيز ٤/ ٢٨٦-٢٨٧.

(٨) الكشاف ٣/ ١٧٦، ولم أقف عليه في ديوان سلامة بن جندل.

(٩) تفسير الرازي ٢٤/ ٢٤٩.

(١٠) في مجاز القرآن ٢/ ١٠٤.

المَقْبوح: المَطْرود، وقال الشاعر:

ألا قبَّحَ اللهُ البَراجِمَ كلَّها وجَدَّعَ يربوعاً وعفَّر دارِما[(١)]

ثَوَى يَثْوِي ثَوَاءً: أقام، قال الشاعر:

لقد كانَ في حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثَوَيْتُهُ تَقضِّي لُباناتٍ ويَسْأَمُ سائِمُ[(٢)]

وقال العجَّاج:

فباتَ حيث يَدخُلُ الثَّوِيُّ

أي: الضَّيفُ المُقيم.

البَطَر: الطُّغيان.

السَّرْمَد: الدائمُ الذي لا ينقطع.

* * *

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ۝٦﴾.

التفسير هذه السورةُ مكيَّة كلُّها، قاله الحسن وعطاء وعكرمة[(٣)]. وقال مقاتل: فيها من المدني: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ﴾ [الآية: ٥٢] إلى قوله: ﴿لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[(٤)] [الآية: ٥٥]. وقيل: نزلت بين مكَّة والجحفة. وقال ابن عباس:

(١) هو لامرئ القيس، ديوانه ص١٣٠. قال شارحه: البراجم ويربوع ودارم: قبائل من تميم.
(٢) هو للأعشى، ديوانه ص٧٧، وسلف عند تفسير الآية (١٨٥) من سورة البقرة.
(٣) النكت والعيون ٤/ ٢٣٣، وتفسير القرطبي ١٦/ ٢٢٨.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٥.

بالجُحْفَة في خروجه عليه الصلاة والسلام للهجرة[١]. وقال ابنُ سلام: نزل ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ بالجُحْفَة وقتَ الهجرة إلى المدينة[٢].

ومناسبةُ أول هذه السورة لآخر السورة قبلها أنَّه أمرَهُ تعالى بحمدِه، ثمَّ قال: ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [النمل: ٩٣]. وكان مما فُسِّر به آياتُه تعالى: معجزاتُ الرسول ﷺ، وأنَّه أضافَها تعالى إليه، إذ كان هو المجريها[٣] على يديه[٤]، فقال: «تلك آياتُ الكتاب المبين»، فأضافها إلى «الكتاب»[٥]، إذ كان الكتابُ هو أعظم المعجزات[٦] وأكبرَ الآياتِ البيِّنات.

والظاهرُ أنَّ الكتابَ هو القرآن. وقيل: اللوحُ المحفوظ.

«نتلو» أي: نقرأُ عليكَ بقراءة جبريل، أو نقصُّ، ومفعولُ «نتلو»: «من نبأ»، أي: بعضَ نبأ[٧]، و«بالحق» متعلِّقٌ بـ «نتلو» أي: محقِّين، أو في موضع الحال من «نبأ»، أي: متلبساً بالحقِّ. وخَصَّ المؤمنين لأنَّهم هم المنتفعون بالتلاوة.

---

(١) قول ابن عباس هذا هو في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [الآية: ٨٥]، النكت والعيون ٤/ ٢٣٣، وزاد المسير ٦/ ٢٠٠، وتفسير القرطبي ١٦/ ٢٢٨، ونسبه الماوردي والقرطبي أيضاً لقتادة. وأخرج الطبراني في الأوسط (٧٦٦٢) عن ابن عباس أنها نزلت في أصحاب النجاشي الذين قدموا وشهدوا أحداً. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٢١: فيه من لم أعرفهم.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٥.

(٣) كذا في (ت) و(يه)، وفي (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: المخبر بها. وانظر ما سلف في آخر سورة النمل.

(٤) في (ح) والمطبوع: على قدمه. وفي (ت): على قدرته. والمثبت من (يه).

(٥) قوله: المبين فأضافها إلى الكتاب. من (ت) و(يه).

(٦) من قوله: على يديه... إلى هنا ساقط من (ع).

(٧) هو قول الزمخشري في الكشاف ٣/ ١٦٤، ونقله عنه البيضاوي. قال الشهاب في حاشيته على البيضاوي ٧/ ٦٢: جَعْلُ الحرف مفعولاً لا يوافق القواعد النحوية، فإما أن يكون هذا ميلاً مع المعنى، أو يكون المراد أن مفعول «نتلو» محذوف وهو: شيئاً، ولما كان الجار والمجرور صفة له قائمة مقامه سماه مفعولاً تسمُّحاً، كما جعلوا الظرف حالاً، والحال في الحقيقة متعلَّقه.

«علا في الأرض» أي: تجبَّر واستكبرَ حتى ادَّعى الربوبيَّة والإلهيَّة. و«الأرض» أرضُ مصر، والشيعُ: الفرقُ، مَلَكَ القبط، واستعبدَ بني إسرائيل، أو[1] يشيعونه على ما يريد، أو يُشَيِّعُ بعضُهم بعضاً في طاعته، أو ناساً في بناءٍ وناساً في حَفْرٍ، وغيرِ ذلك من الحرفِ المُمْتَهَنة، ومَنْ لم يستخدمْهُ ضَرَبَ عليه الجزيةَ، أو أغرى بعضَهم ببعضٍ؛ ليكونوا له أطوعَ. والطائفةُ المستضعفةُ بنو إسرائيل[2].

والظاهر أنَّ «يَسْتَضْعِفُ» استئنافٌ يبيِّنُ حالَ بعضِ الشِّيَع، ويجوزُ أن يكونَ حالاً من ضمير «وجَعَلَ»، وأن يكون صفة لـ «شيعاً».

و«يذبِّحُ» تبيينٌ للاستضعاف وتفسير، أو في موضع الحال من ضمير «يَسْتَضْعِف»، أو في موضع الصفة لـ «طائفة».

وقرأ الجمهور: «يُذَبِّحُ» مضعَّفاً، وأبو حيوة وابنُ محيصن بفتح الياء والباء وسكون الذال[3].

«إنَّه كان من المفسدين» علَّةٌ لتجبُّره ولتذبيحِ[4] الأبناء، إذ ليس في ذلك إلَّا مجرَّد الفساد.

«ونريدُ» حكايةُ حالٍ ماضية، والجملةُ معطوفةٌ على قوله: «إنَّ فرعون» لأنَّ كلتيهما تفسيرٌ للنَّبأ، ويضعفُ أن يكون حالاً من الضمير في «يَسْتَضْعِفُ»؛ لاحتياجه إلى إضمار مبتدأ، أي: ونحن نريد. وهو ضعيفٌ، وإذا كانت حالاً فكيف يجتمعُ استضعافُ فرعونَ وإرادةُ المنَّةِ من الله، ولا يمكنُ الاقتران؟! فقيل: لمَّا كانت المنَّةُ بخلاصِهم من فرعونَ قريبةَ[5] الوقوعِ، جُعِلت إرادةُ وقوعِها كأنَّها مقارِنَةٌ لاستضعافهم.

(١) في (ح) و(ع): أن، وفي المطبوع: أي. والمثبت من (ت) و(يه).
(٢) انظر الكشاف ٣/ ١٦٥.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٦.
(٤) في (ت) و(يه): وتذبيح.
(٥) في (ع) والمطبوع ومطبوع الكشاف ٣/ ١٦٥: قرينة والمثبت من (ت) و(ح) و(يه) ومخطوط الكشاف ٢/ ورقة (١٤٤).

«وأنْ نَمُنَّ» أي: بخلاصِهم من فرعون وإغراقه. «ونجعلهم أئمَّةً» أي: مقتدًى بهم في الدين والدنيا. وقال مجاهد: دعاةً إلى الخير. وقال قتادة: ولاة، كقوله: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠][(١)]. وقال الضحَّاك: أنبياء[(٢)].

«ونَجْعَلَهم الوارثين» أي: يرثونَ فرعونَ وقومَه مِلكَهُم وما كان لهم. وعن عليّ: الوارثون: هم يوسفَ عليه السلام وولده[(٣)]. وعن قتادةَ أيضاً: ورثوا أرضَ مصر والشام[(٤)].

وقرأ الجمهور: «ونمكِّنَ» عطفاً على «نمنَّ». وقرأ الأعمش: «ولنمكِّن»[(٥)] بلام كي، أي: وأردنا ذلكَ لنمكّن، أو: ولنمكِّنَ فعلنا ذلك.

والتَّمكين: التَّوطئةُ في الأرض - هي أرضُ مصر والشام - بحيث ينفذُ أمرُهم ويتَسلَّطون على مَنْ سواهم.

وقرأ الجمهور: «ونُري» مضارع: أَرَيْنا، ونصب ما بعده، وعبد الله وحمزةُ والكسائيُّ: «ويرى» مضارع رأى ورفع ما بعده[(٦)].

وهامان وزيرُ فرعون وأحدُ رجاله، وذُكر لنباهتِه[(٧)] في قومه ومحلِّه من الكفر، ألا ترى إلى قوله له: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ [غافر: ٣٦].

(١) قولا مجاهد وقتادة في تفسير الثعلبي ٤/ ٥٢٠، والكشاف ٣/ ١٦٥. وقول قتادة أخرجه الطبري ١٨/ ١٥٣.
(٢) النكت والعيون ٤/ ٢٣٤.
(٣) بعدها في (يه): ما مل. ولم أتبينها.
وأخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٤١ (١٦٦٧٨) عن علي في تفسير ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال: يوسف وولده.
(٤) نسبة هذا القول لقتادة انتقال بصرٍ من المؤلف رحمه الله وهو ينقل عن المحرر الوجيز. وهذا نصُّ الكلام في المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٦ قال ابن عطية: والأئمة: ولاة الأمور. قاله قتادة. «ونجعلهم الوارثين» يريد أرض مصر والشام.
فقول قتادة في تفسير الأئمة بولاة الأمور، وما بعده من كلام ابن عطية.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٦.
(٦) قراءة حمزة والكسائي وبقية السبعة في السبعة ص٤٩٢، والتيسير ص١٧٠.
(٧) في (ت) و(يه): لتناهيه.

ومَحْذورُهم[١]: زَوالُ ملكهم وإهلاكُهم على يدي مولودٍ من بني إسرائيل[٢].

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

إيحاءُ الله إلى أمِّ موسى إلهامٌ وقَذْفٌ في القلب، قاله ابن عباس وقتادة، أو منامٌ، قاله قوم، أو إرسالُ مَلَكٍ، قاله قطرب وقوم[٣]. وهذا هو الظاهر لقوله: «إنَّا رادوه إليك وجاعلوه من المُرْسَلين».

وأجمعوا على أنَّها لم تكن نبيَّةً، فإن كان الوحيُ بإرسالِ مَلَكٍ ـ كما هو الظاهر ـ فهو كإرساله للأقرع والأبرص والأعمى[٤]، وكما رُويَ من تكليم الملائكة للناس[٥].

والظاهرُ أنَّ هذا الإيحاءَ هو بعد الولادة، فيكون ثَمَّ جملةٌ محذوفةٌ، أي: ووضعتْ موسى أمُّه في زَمن الذَّبْحِ وخافت عليه وأوحينا، و«أنْ» تفسيريَّةٌ أو مصدريَّةٌ. وقيل: كان الوحيُ قبل الولادة[٦].

---

(١) في المطبوع: ويحذرون. بدل: ومحذورهم.
(٢) انظر الكشاف ٣/ ١٦٥.
(٣) النكت والعيون ٤/ ٢٣٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٧٦.
(٤) أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٣).
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٦. كما في تسليم الملائكة على عمران بن حصين، قال القرطبي في تفسيره ١٦/ ٢٣٢: فلم يكن بذلك نبيًّا. انتهى. وخبر تسليم الملائكة على عمران أخرجه أبو داود (٣٨٦٥).
(٦) هو قول مجاهد كما في النكت والعيون ٤/ ٢٣٥.

وقرأ عمرو بن عبد الواحد وعمرُ بن عبد العزيز: «أنِ ارْضِعيه» بكسر النون بعد حذف الهمزة[١] على غير قياس؛ لأنَّ القياسَ فيه نقلُ حركة الهمزة وهي الفتحةُ إلى النون، كقراءة ورش[٢].

«فإذا خِفْتِ عليه» من جواسيس فرعون ونقبائه الذين يَقْتلونَ الأولاد «فألقيه في اليمِّ». قال الجنيد: إذا خفتِ حفظَه بواسطةٍ، فسلِّميه إلينا بإلقائه في البحر، واقطعي عنه[٣] شفقتَك وتدبيرَك. وزمانُ إرضاعِه ثلاثةُ أشهر أو أربعة أو ثمانية. أقوال.

واليَمُّ هنا: نيلُ مصر.

«ولا تخافي» أي: مِن غَرَقِه وضياعه، ومن التقاطِه فيقتل «ولا تحزني» لمفارقتك إيَّاه «إنَّا رادُّوه إليك» وعدٌ صادقٌ يُسَكِّنُ قلبَها، ويبشِّرُها بحياته وجعله رسولاً.

وقد تقدَّم في سورة «طه» طرفٌ من حديث التابوت ورميِه في اليَمِّ وكيفيَّةِ التقاطه، فأغنى عن إعادته. واستفصحَ الأصمعيُّ امرأةً من العرب أنشدَتْ شعراً، فقالت: أبعدَ قوله تعالى: «وأوحينا إلى أمِّ موسى» الآية فصاحةٌ، وقد جَمع بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين[٤]؟!

«فالتقطَهُ آلُ فرعونَ» في الكلام حذفٌ تقديرُه: ففَعَلَتْ ما أُمِرَت به من إرضاعه ومن إلقائه في اليَمِّ.

واللام في «ليكونَ» للتعليل المجازيِّ، لمَّا كان مآل التقاطه وتربيتِه إلى كونِهِ عدوًّا لهم وحزناً وإن كانوا لم يلتقطوهُ إلَّا للتبنِّي، وكونِهِ يكونُ حبيباً لهم، ويعبَّرُ عن هذه اللام بلام العاقبة وبلام الصيرورة.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٧، ونسبها ابن جني في المحتسب ٢/ ١٤٧ لعمرو بن عبد الواحد فقط. وعمرو بن عبد الواحد لم أعرفه.
(٢) التيسير ص٣٥.
(٣) في (ت) و(ع) والمطبوع: عنك.
(٤) انظر خبر الأصمعي والأعرابية والشعر الذي قالته في النكت والعيون ٤/ ٢٣٦، وتفسير القرطبي ١٦/ ٢٣٤.

وقرأ الجمهور: «وحَزَناً» بفتح الحاء والزاي، وهي لغة قريش، وقرأ ابنُ وثّاب وطلحةُ والأعمشُ وحمزةُ والكسائيُّ وابنُ سعدان بضمِّ الحاء وإسكان الزاي[١].

والخاطئُ: المتعمِّد الخطأ، والمخطئ: الذي لا يتعمَّده. واحتملَ أن يكون في الكلام حذفٌ، وهو الظاهر، أي: فكان لهم عدوًّا وحزناً، أي: لأنَّهم كانوا خاطئين لم يرجعُوا إلى دينه وتعمَّدوا الجرائمَ والكفرَ بالله.

وقال المبرِّد: خاطئين على أنفسهم بالتقاطه. وقيل: بقتل أولاد بني إسرائيل. وقيل: في تربية عَدوِّهم[٢].

وأضيف الجندُ هنا وفيما قبل إلى فرعون وهامان وإن كان هامان لا جنودَ له؛ لأنَّ أمرَ الجنود لا يستقيمُ إلَّا بالمَلِكِ والوزير، إذ بالوزير تُحَصَّلُ الأموال، وبالمَلِكِ وقهره يُتوصَّلُ إلى تحصيلِها، ولا يكونُ قِوَامُ الجند إلَّا بالأموال.

وقرئ: «خاطين»[٣] بغير همز، فاحتمل أنْ يكونَ أصلُه الهمز، وحُذِفت، وهو الظاهر. وقيل: من خطا يخطو، أي: خاطين الصوابَ.

ولمَّا التقطُوه هَمُّوا بقتلِه، وخافوا أنْ يكونَ المولودَ الذي يَحْذَرون زوالَ مُلْكِهم على يديه، فألقى الله محبَّتَه في قلب آسية امرأة فرعون، ونقلوا أنَّها رأت نوراً في التابوت، وتسهَّل عليها فتحُه بعد تعسُّر فتحه على يدَي غيرها، وأنَّ بنتَ فرعون أحبَّته أيضاً؛ لِبُرْئها من دائها الذي كان بها، وهو البَرَص، بإخبار مَنْ أخبر أنَّه لا يبرئُها إلَّا ريقُ إنسانٍ يوجد في تابوتٍ في البحر.

و«قُرَّةُ» خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أي: هو قرَّة، ويبعدُ أنْ يكونَ مبتدأً والخبر «لا تقتلوه».

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٧ دون ذكر ابن سعدان، وقراءة حمزة والكسائي في السبعة ص٤٩٢، والتيسير ص١٧١، وهي قراءة خلف من العشرة. النشر ٢/ ٣٤١.

(٢) في (ت): في تربيته وهو عدوهم. بدل: في تربية عدوهم.

(٣) في (ح) و(ع) و(يه) والمطبوع: خاطيين والمثبت من (ت) والكشاف ٣/ ١٦٦، وهي قراءة أبي جعفر، وقرأ حمزة وقفاً بالحذف والتسهيل. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص٢٣٩.

وتقدَّم شرحُ «قُرَّةُ» في آخر الفرقان[١]. وذُكِر أنَّها لمَّا قالت لفرعون: «قُرَّةُ عينٍ لي ولك» قال: لك لا لي[٢]. ورويَ أنَّها قالت له: لعلَّه من قومٍ آخرين ليسَ من بني إسرائيل[٣]، وأتبَعَت النهيَ عن قتله برجائها أنْ ينفعَهم؛ لظهور مخايل الخيرِ فيه من النور الذي رأتهُ، ومن بُرْء البرص، أو يتخذوه ولداً فإنَّه أهلٌ لذلك.

«وهم لا يشعرون» جملةٌ حاليَّةٌ، أي: لا يشعرونَ أنَّه الذي يَفْسُدُ ملكُهم على يديه، قاله قتادة[٤]، أو أنَّه عدوٌّ لهم، قاله مجاهد[٥]، أو أنِّي أفعلُ ما أريدُ لا ما يريدون، قاله محمدُ بن إسحاق[٦].

والظاهر أنَّه من كلام الله تعالى، وقيل: هو من كلام امرأةِ فرعون، أي قالت ذلك لفرعون، والذينَ[٧] أشاروا بقتلِهِ لا يشعرونَ بمقالتها له واستعطافِ قلبه عليه؛ لئلَّا يُغْروهُ بقتله.

وقال الزمخشريُّ: تقدير الكلام: فالتقطَهُ آلُ فرعون ليكونَ لهم عدوًّا وحَزَناً، وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنَّهم على خطأ عظيمٍ في التقاطه ورجاء النَّفْع منه وتَبَنِّيه، وقوله: «إن فرعون» الآية جملةٌ اعتراضيَّةٌ واقعةٌ بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكِّدةٌ لمعنى خطئهم. انتهى[٨].

ومتى أمكنَ حملُ الكلامِ على ظاهره من غير فَصْلٍ كان أحسن.

---

(١) عند تفسير الآية (٧٤) منها.

(٢) قطعة من حديث طويل أخرجه النسائي في الكبرى (١١٢٦٣)، وأبو يعلى (٢٦١٨) عن ابن عباس موقوفاً. وذكره ابن كثير عند تفسير الآية (٤٠) من سورة طه، ثم قال: وهو موقوف من كلام ابن عباس ﷺ، وليس فيه مرفوع إلا قليل، وكأنه تلقاه ابن عباس مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره. انتهى.

(٣) الكشاف ٣/ ١٦٦.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٨، وقول قتادة أخرجه الطبري ١٨/ ١٦٥.

(٥) أخرجه الطبري ١٨/ ١٦٥.

(٦) زاد المسير ٦/ ٢٠٤.

(٧) في (ح) و(ع) و(يه): والذي. بدل: والذين.

(٨) الكشاف ٣/ ١٦٧.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾.

«وأصبح» أي: صارَ فارغاً من العقل، وذلك حين بلغَها أنَّه وقعَ في يد فرعون، فدهمَها أمرٌ مثلُه لا يثبتُ معه عقلٌ، لاسيما عقلُ امرأةٍ خافَتْ على ولدِها حتَّى طرحتهُ في اليمِّ رجاءَ نجاتِهِ من الذَّبحِ، هذا مع الوحي إليها أنَّ الله يردُّه إليها ويجعلُه رسولاً، ومع ذلك فطاشَ لبُّها وغلبَ عليها ما يغلبُ على البشرِ عند مفاجأة الخطبِ العظيم، ثمَّ استكانَت بعد ذلك لموعود الله.

وقرأ أحمد بن موسى عن أبي عمرو: «فواد» بالواو[(١)].

وقال ابن عباس: فارغاً من كلِّ شيءٍ إلا من ذِكْرِ موسى. وقال مالك: هو ذهاب العقل. وقالت فرقةٌ: فارغاً من الصبر[(٢)]. وقال ابنُ زيد: فارغاً مِنْ وعدِ الله ووَحْيِهِ إليها، تناسَتْهُ من الهمِّ[(٣)]. وقال أبو عبيدة: فارغاً مِنَ الحُزْنِ إذ لم يَغْرَقْ[(٤)]. وهذا فيه بعدٌ[(٥)]، وتبعدُه القراءات الشواذ التي في هذه اللفظة.

وقرأ فضالةُ بن عبيد[(٦)] والحسنُ ويزيد بن قُطَيب وأبو زُرعة بن عمرو بن جرير:

---

(١) مختصر في شواذ القرآن ص١١١. وهي قراءة ورش من طريق الأصبهاني، وبها قرأ حمزة وقفاً، والمشهور القراءة بالهمز. النشر ١/ ٣٩٥، والبدور الزاهرة ص٢٣٩.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٨. وقول ابن عباس أخرجه الطبري ١٨/ ١٦٧.

(٣) أخرجه الطبري ١٨/ ١٦٩.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٨، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٩٨ بنحوه.

(٥) واستبعده أيضاً ابن قتيبة في غريب القرآن ص٣٢٨ فقال: وهذا من أعجب التفسير، كيف يكون فؤادها من الحزن فارغاً في وقتها ذاك والله يقول: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾؟! وهل يُرْبَطُ إلا على قلب الجازع والمحزون؟ والعرب تقول للخائف والجبان: فؤاده هواء؛ لأنه لا يعي عزماً ولا صبراً، قال الله تعالى: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣].

(٦) هو أبو محمد الأنصاري الأوسي الصحابي، من أهل بيعة الرضوان، ولي الغزو لمعاوية، ثم ⇐

«فَزِعاً» بالزاي والعين المُهْمَلة من الفَزَع[١]، وهو الخوفُ والقلق.

وابنُ عباس «قرِعاً» بالقاف وكسر الراء وإسكانها[٢]، من قَرِعَ رأسُه، إذا انحسرَ شعرُه، كأنَّه خلا من كلِّ شيءٍ إلَّا من ذكر موسى. وقيل: «قَرْعاً» بالسكون مصدرٌ، أي: يُقْرَعُ قَرْعاً من القارعة، وهي الهمُّ العظيم.

وقرأ بعض الصحابة: «فرغاً» بالفاء مكسورة وسكون الراء[٣] والغين المنقوطة[٤]، ومعناهُ ذاهباً هدراً تالفاً[٥] من الهمِّ والحزن، ومنه قولُ طليحة الأسديّ في أخيه حبال:

فإنْ يكُ قتلى قد أصيبتْ نفوسُهم فلن يذهبوا فِرْغاً[٦] بقتلِ حبالِ[٧]

أي: بقتل حبالٍ فِرْغاً، أي: هَدَراً لا يُطْلَبُ له بثأرٍ ولا يُؤْخَذ.

وقرأ الخليلُ بن أحمد: «فُرُغاً» بضمِّ الفاء والراء[٨].

«إنْ كادت لتُبدِيَ به» هي «إن» المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة. وقيل: «إن» نافية، واللام بمعنى «إلّا»، وهذا قولٌ كوفيٌّ.

= ولي له قضاء الشام، توفي سنة (٥١) أو (٥٣) أو (٥٩). سير أعلام النبلاء ٣/١١٣-١١٧.

(١) القراءة في مختصر في شواذ القرآن ص١١١ عن فضالة ويزيد وأبي زرعة، وفي المحتسب ١٤٧/٢ عن فضالة والحسن وأبي الهذيل ويزيد بن قطيب. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٢٠٤/٦ لأبي رزين وأبي العالية والضحاك وقتادة وعاصم الجحدري، ونسبها القرطبي ٢٣٩/١٦ لفضالة وابن السميفع وأبي العالية وابن محيصن.

(٢) هي في المحتسب ١٤٨/٢، والمحرر الوجيز ٢٧٨/٤ بالكسر فقط، وذكرها ابن خالويه في مختصره ص١١١ بالكسر والسكون لكن دون نسبة.

(٣) في (ح) و(ع) والمطبوع، وروح المعاني ١٢٠/٢٠ تبعاً لبعض نسخ البحر: الزاي. والمثبت من (ت) و(يه) والمصادر.

(٤) المحتسب ١٤١/٢، والمحرر الوجيز ٢٧٨/٤، وتفسير القرطبي ٢٣٩/١٦.

(٥) في (ت) و(ع) و(يه): بالغاً.

(٦) في (ح) و(ع): فزعاً في هذا الموضع والذي بعده. والمثبت من (ت) و(يه) والمصادر.

(٧) كذا أورده ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٧٨/٤. وهو في العين ٤٠٩/٤، وتهذيب اللغة ١١٠/١٨، والمحتسب ١٤٨/٢، ولسان العرب (فرغ) برواية:

فإن تك أذواد أصبن ونسوةٌ

(٨) انظر العين ٤٠٨/٤، والمحرر الوجيز ٢٧٨/٤.

والإبداء: إظهارُ الشيء.

والظاهرُ أنَّ الضميرَ في «به» عائدٌ على موسى عليه السلام، فقيل: الباءُ زائدةٌ، أي: لتظهره. وقيل: مفعولُ «تبدي» محذوفٌ، أي: لتبدي القولَ به، أي: بسببه وأنَّه ولدها.

وقيل: الضمير في «به» للوحي، أي: لتبدي بالوحي[١].

وقال ابن عباس: كادتْ تصيحُ عند إلقائهِ في البحر: وا ابناه[٢].

وقيل: عند رؤيتها تلاطمَ الأمواج به.

«لولا أنْ ربَطْنَا على قلبها» قال قتادة: بالإيمان. وقال السُّدِّيُّ: بالعصمة[٣]. وقال الصادق: باليقين. وقال ابنُ عطاء: بالوحي.

«ولتكون من المؤمنين» فعلنا ذلك، أي: المصدِّقين بوعد الله وأنَّه كائنٌ لا محالة. والربط على القلب كنايةٌ عن قرارِه واطمئنانه، شُبِّهَ بما يُرْبَطُ مخافةَ الانفلات.

وقال الزمخشريُّ: ويجوزُ وأصبح فؤادُها فارغاً من الهمِّ حين سمعتْ أنَّ فرعونَ عطفَ عليه وتبنَّاه، «إن كادت لتبدي» بأنَّه ولدُها؛ لأنَّها لَم تملك نفسَها فرحاً وسروراً بما سمعت، لولا أنَّا طأمنَّا قلبَها، وسكَّنا قلقَهُ الذي حدث به من شدَّة الفرح والابتهاج، «لتكون من المؤمنين» الواثقين بوعدِ الله، لا بتبنِّي فرعونَ وتعطُّفه. انتهى[٤].

وما ذهبَ إليه الزمخشريُّ من تجويز كونهِ فارغاً من الهمِّ إلى آخرِه خلافُ ما فهمَه المفسِّرون من الآية.

وجواب «لولا» محذوفٌ تقديره: لكادت تُبدي به، ودلَّ عليه قولُه: «إن كادت لتُبْدِي به»، وهذا شبيهٌ[٥] بقوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤].

---

(١) النكت والعيون ٤/ ٢٣٨، وزاد المسير ٦/ ٢٠٥، وتفسير القرطبي ١٦/ ٢٤٠.
(٢) النكت والعيون ٤/ ٢٣٨، وزاد المسير ٦/ ٢٠٥، وأخرجه الطبري ١٨/ ١٧١.
(٣) النكت والعيون ٤/ ٢٣٨، وقولا قتادة والسدي أخرجهما الطبري ١٨/ ١٧٢-١٧٣.
(٤) الكشاف ٣/ ١٦٧.
(٥) في (ع) والمطبوع: تشبيه.

«وقالت لأخته» طمعاً منها في التعرُّف بحاله: «قُصِّيه» أي: اتَّبعي أثَرَهُ وتتبَّعي خبرَه، فروي أنَّها خرجَتْ في سكك المدينة مختفيةً، فرأتهُ عندَ قومٍ من حاشية امرأة فرعون يتطلَّبونَ له امرأةً ترضعُهُ حين لم يقبل المراضع[١]. واسمُ أخته مريم، وقيل: كلثمة، وقيل: كلثوم[٢]. وفي الكلام حذفٌ، أي: فقصَّت أثرَه.

«فبصُرَت به» أي: أبصرتهُ «عن جُنُبٍ» أي: عن بُعْدٍ «وهم لا يشعرون» بتطلُّبها له ولا بإبصارها.

وقيل: معنى «عن جُنُب» عن شوقٍ إليه. حكاهُ أبو عمرو بن العلاء، وقال: هي لغةُ جُذَام، يقولون: جَنُبتُ إليك، أي: اشتقت[٣].

وقال الكرمانيّ: «جُنُب» صفةٌ لموصوفٍ محذوف، أي: عن مكان جُنُب، يريد بعيد.

وقيل: عن جانب؛ لأنَّها كانت تمشي على الشطِّ وهم لا يشعرون أنَّها تقصُّ. وقيل: لا يشعرون أنَّها أختُه. وقيل: لا يشعرون أنَّه عدوٌّ لهم، قاله مجاهد[٤].

وقرأ الجمهور: «عن جُنُب» بضمَّتين. وقرأ قتادةُ: «فبَصَرت» بفتح الصاد، وعيسى بكسرها[٥]. وقرأ قتادةُ والحسن والأعرج وزيدُ بن عليّ: «عن جَنْبٍ» بفتح الجيم وسكون النون[٦]، وعن قتادة بفتحهما أيضاً، وعن الحسن بضمِّ الجيم وإسكان النون، وقرأ النعمانُ بن سالم: «عن جانب»[٧].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٨.

(٢) انظر التعريف والإعلام للسهيلي ص١٣٠، والنكت والعيون ٤/ ٢٣٨، وتفسير القرطبي ١٦/ ٢٤١.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٥/ ١٦٢، والنكت والعيون ٤/ ٢٣٩، وتفسير القرطبي ١٦/ ٢٤٢.

(٤) زاد المسير ٨/ ٢٠٦.

(٥) ذكر قراءة عيسى ابن خالويه في مختصره ص١١٢.

(٦) المحتسب ٢/ ١٤٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٧٩ عن قتادة والحسن والأعرج، وهي في مختصر في شواذ القرآن ص١١٢ عن ابن عباس وقتادة والأعرج، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٢٠٦ لقتادة وأبي العالية وعاصم الجحدري.

(٧) قراءة النعمان في مختصر في شواذ القرآن ص١١٢، والمحتسب ٢/ ١٤٩. وانظر ترجمة النعمان بن سالم في التهذيب وفروعه.

والجَنْب والجانبُ والجنابةُ والجَنَابُ[١] بمعنًى واحد.

وقال قتادة: معنى «عن جنب» أنَّها تنظرُ إليه كأنَّها لا تريدُه[٢].

والتحريمُ هنا بمعنى المنع، أي: منعناهُ أن يرضعَ ثديَ امرأةٍ. والمَراضعُ جمع مُرْضِع، وهي المرأةُ التي تُرْضِعُ، أو جمع مَرْضَع، وهو موضعُ الرَّضاع، وهو الثديُ، أو الإرضاع[٣].

«من قبلُ» أي: من أوَّل أمره. وقيل: من قبل قصِّها أثرَه وإتيانه[٤] على مَنْ هو عندَه.

«فقالت هل أدلُّكم» أي: أرشدُكم إلى «أهل بيتٍ يكفلُونَهُ لكم وهم له ناصحون» لكونِهم فيهم شفقةٌ ورحمةٌ لمن يكفلونَه وحسنُ تربيةٍ، ودلَّ قولُه: «وحرَّمنا عليه المراضع» أنَّه عُرِض عليه جملةٌ من المُرْضِعات.

والظاهرُ أنَّ الضميرَ في «له» عائدٌ على موسى، قيل: ويحتملُ أنْ يعودَ على المَلِك الذي كان الطفلُ في ظاهر أمرِه مِنْ جملته. وقال ابن جريج: تأوَّلَ القومُ أنَّ الضميرَ للطفل، فقالوا لها: إنَّك قد عرفتيه، فأخبرينا مَنْ هو؟ فقالت: ما أردت إلَّا أنَّهم ناصحون للملك، فتخلَّصت منهم بهذا التأويل[٥].

وفي الكلام حذفٌ تقديرُه: فمرَّت بهم إلى أمِّه، فكلَّموها في إرضاعه، أو فجاءت بأمِّه إليهم فكلَّموها في شأنه، فأرضعتهُ، فالتقمَ ثديَها. ويُروى أنَّ فرعونَ قال لها: ما سببُ قَبول هذا الطفلِ ثديَك وقد أَبى كلَّ ثديٍ، فقالت: إنِّي امرأةٌ طيبةُ الريح، طيِّبةُ اللبن، لا أوتى بصبيٍّ إلَّا قبلَني، فدفعَه إليها، وذهبت به إلى بيتها، وأجرى لها كلَّ يومٍ ديناراً. وجاز لها أخذُه؛ لأنَّه مالُ حربيٍّ، فهو مباحٌ، وليس ذلك أجرةَ رضاعٍ[٦].

(١) وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٢٠٦ أن أبياً وأبا مجلز قرأا: «عن جَنَابٍ».
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٩، وأخرجه الطبري ١٨/ ١٧٦.
(٣) في الكشاف ٣/ ١٦٧: أو الرضاع.
(٤) في (ت): وإتيانها.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٩، وقول ابن جريج أخرجه الطبري ١٨/ ١٧٩.
(٦) الكشاف ٣/ ١٦٨.

«فرددناه إلى أمِّه»، كما قال تعالى: «إنَّا رادُّوه إليك».

ودمعُ الفرحِ باردٌ، وعينُ المهمومِ حرَّى سُخْنةٌ[(١)]، وقال أبو تمام:

فأمَّا عيونُ العاشقين فأُسْخِنَتْ وأمَّا عيونُ الشامتينَ فقرَّتِ[(٢)]

ولمَّا أنجزَ تعالى وعدَه في الردِّ ثبتَ عندها أنَّه سيكونُ نبيًّا رسولاً[(٣)].

«ولتعلمَ أنَّ وعدَ الله حقٌّ» فعلنا ذلك و«لا يعلمون» أي: أنَّ وعدَ الله حقٌّ، فهم مرتابون فيه، أو لا يعلمون أنَّ الردَّ إنَّما كان لعلمِها بصدقِ وعد الله، «ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون» بأنَّ الردَّ كان لذلك.

وفي قوله: «ولتعلم أنَّ وعدَ الله حقٌّ» دلالةٌ على ضعف مَنْ ذهبَ إلى أنَّ الإيحاءَ إليها كان إلهاماً أو مناماً؛ لأنَّ ذلك يبعدُ أن يقالَ فيه وعدٌ[(٤)]، وقوله: «ولتعلمَ» وقوعَ ذلك فهو علمُ مشاهدةٍ، إذ كانت عالمةً أنَّ ذلك سيكونُ.

و«أكثرهم» هم القبط، و«لا يعلمونَ» سرَّ القضاء. وقال الضحاك: لا يعلمونَ مصالحَهم وصلاحَ عواقبِهم. وقال الضحَّاك أيضاً ومقاتل: لا يعلمونَ أنَّ الله وعدَها ردَّهُ إليها.

وتقدَّم تفسيرُ «ولما بلغ أشدَّه» إلى «المحسنين» في سورة يوسفَ عليه السلام [الآية: ٢٢].

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٩.
(٢) سلف عند تفسير الآية (٧٤) من سورة الفرقان.
(٣) الكشاف ٣/ ١٦٨.
(٤) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٩.

أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾.

المدينةُ قال ابن عباس: هي مُنْف[1]، ركبَ فرعونُ يوماً وسار إليها، فعلمَ موسى عليه السلام بركوبه، فلحقَ بتلكَ المدينة في وقت القائلة[2]، وعنه: بينَ العشاء والعتمة[3].

وقال ابن إسحاق: المدينةُ: مصر بنفسها، وكان موسى قد بدتْ منه مجاهرةٌ لفرعون وقومِه بما يكرهون، فاختفى وخافَ، فدخلها متنكِّراً حذراً متغفِّلاً للناس[4].

وقال ابنُ زيد: كان فرعون قد أخرجَهُ من المدينة، فغابَ عنها سنين فنُسِيَ، فجاء والناسُ في غفلةٍ بنسيانهم له وبُعْدِ عهدهم به[5].

وقيل: كان يوم عيدٍ، وهم مشغولون[6] بلهوهم.

وقيل: خرجَ من قصرِ فرعون ودخل مصرَ.

وقيل: المدينةُ عين شمس[7].

---

(١) كذا ضبطت في (ح)، وقال الشهاب في حاشيته على تفسير البيضاوي ٧/ ٦٧: هي بضم الميم، وفتحُها ـ وإن ذكره بعضهم ـ لا يوثقُ به، والنون ساكنة، وهي ممنوعة من الصرف، والمعروف فيها منوف بالواو. انتهى. قلت: والفتح هو قول ياقوت في معجم البلدان ٥/ ٢١٣، قال: بالفتح ثم السكون وفاء، بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ، وبينها وبين عين شمس ستة فراسخ.

(٢) هذا الذي ذكره عن ابن عباس هو قول السدي، كما في المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٠، وتفسير الطبري ١٨/ ١٨٣، وفي آخر قول السدي عند ابن عطية قولُ ابن عباس وهو في تحديد وقت دخول موسى المدينة بوقت القائلة. فتوهم المصنف أن القول من أوله منسوب لابن عباس. وأخرج الطبري ١٨/ ١٨٥ عن ابن عباس ﷺ قوله: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ قال: نصف النهار.

(٣) أخرجه الطبري ١٨/ ١٨٥.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٠، وأخرجه الطبري ١٨/ ١٨٤.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٠، وأخرجه الطبري ١٨/ ١٨٤-١٨٥.

(٦) في (ت) والكشاف ٣/ ١٦٨: مشتغلون.

(٧) هو قول الضحاك، كما في النكت والعيون ٤/ ٢٤١.

وقيل: قريةٌ على فرسخَين من مصر، يقال لها: حابين[١].

وقيل: الإسكندرية.

وقرأ أبو طالب القارئ: «على حينَ غفلةٍ»[٢] بنصب نون «حين»، ووجهُه أنَّه أجريَ المصدرُ مُجْرَى الفعل، كأنَّه قال: على حينَ غفل أهلُها، فبناهُ كما بناهُ حين أضيفَ إلى الجملة المصدَّرَةِ بفعلٍ ماضٍ، كقوله:

على حينَ عاتبتُ المشيبَ على الصِّبا[٣]

وهذا توجيهُ شذوذ.

وقرأ نعيمُ بن ميسرة: «يَقَتِّلان» بإدغام التاء في التاء، ونقل فتحتها إلى القاف[٤].

قيل: كانا يقتتلان في الدِّين، إذ أحدُهما إسرائيليٌّ مؤمنٌ والآخرُ قبطيٌّ كافر[٥]. وقيل: يقتتلان في أنْ كُلِّفَ القبطيُّ حملَ الحطبِ إلى مطبخ فرعون على ظهر الإسرائيليّ[٦].

و«يقتتلان» صفةٌ لـ «رجلين». وقال ابنُ عطية: «يقتتلان» في موضع الحال. انتهى[٧].

---

(١) في (ت): جابين. وفي تفسير الثعلبي ٤/ ٥٢٧: خانين. ونسبه الثعلبي لمقاتل. وقال الشهاب الخفاجي في حاشيته ٧/ ٦٧: وحابين، بحاءٍ مهملة وباء موحدة في النسخ، (يعني نسخ البيضاوي) وهي وعين شمس أسماء بلدتين من نواحي مصر.

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص١١٢.

(٣) صدر بيت للنابغة الذبياني، وعجزه:

فقلت ألمَّا تَصْحُ والشيبُ وازعُ

وهو في ديوان النابغة ص٣٢ (طبعة دار المعارف)، والكتاب ٢/ ٣٣٠. وسلف الشطر الأول منه عند تفسير الآية (٦) من سورة البقرة، وسلف بتمامه عند تفسير الآية (٥) من سورة هود.

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص١١٢ من رواية نعيم بن ميسرة عن أبي عمرو.

(٥) أخرجه الطبري ١٨/ ١٨٨ عن ابن إسحاق.

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٢٤٢ من حكاية ابن سلام.

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٠.

والحال من النكرة أجازَهُ سيبويهِ من غيرِ شرطٍ[١].

«هذا من شيعته» أي: ممَّن شايعَهُ على دينِه، وهو الإسرائيليّ. قيل: وهو السامري «وهذا من عدوِّه» أي: من القبط. وقيل: اسمه قانون[٢].

«وهذا» حكايةُ حالٍ، وقد كانا حاضرَين حالةَ وجدان موسى لهما، ولحكاية الحال عبَّر عن غائبٍ ماضٍ[٣] باسم الإشارة الذي هو موضوعٌ للحاضر. وقال المبرد: العربُ تشيرُ بـ «هذا» إلى الغائب، قال جرير:

هذا ابنُ عمِّي في دمشقَ خليفةً لو شئتُ ساقَكُم إليَّ قَطِينا[٤]

وقرأ الجمهور: «فاستغاثه» أي: طلب غَوْثَه ونَصْرَه على القبطيِّ. وقرأ سيبويه وابنُ مقسم والزعفرانيُّ بالعين المهملة والنون بدل الثاء[٥]، أي: طلب منه الإعانةَ على القبطيِّ. قال أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة: والاختيارُ قراءةُ ابنِ مقسم؛ لأنَّ الإعانةَ أولى في هذا الباب. وقال ابنُ عطيَّة: ذكرَها الأخفشُ، وهي تصحيفٌ لا قراءة. انتهى[٦].

وليست تصحيفاً، فقد نقلَها ابنُ خالويه عن سيبويه، وابنُ جبارة عن ابنِ مقسم والزعفرانيّ[٧].

ورويَ أنَّه لمَّا اشتدَّ التناكرُ بينهما، قال القبطيُّ لموسى: لقد هممتُ أنْ أحملَه عليك ـ يعني الحطب ـ فاشتدَّ غضبُ موسى، وكان قد أوتيَ قوَّةً، فوكزَه فمات[٨].

---

(١) الكتاب ٢/ ٥٢ و١١٢.
(٢) كذا في النسخ الخطية، وتفسير الثعلبي ٤/ ٥٢٨، وفي المطبوع والكشاف ٣/ ١٦٨: فاتون.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٠.
(٤) ديوان جرير ١/ ٣٨٨. قال شارحه: القطين: الرقيق، والقطين: الحشم، والقطين: أهل الدار، والقطين: السكان.
(٥) ذكرها ابن خالويه في مختصره ص١١٢، والزمخشري في الكشاف ٣/ ١٦٨ عن سيبويه.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٠.
(٧) قال السمين في الدر المصون ٨/ ٦٥٧: نسبة التصحيف إلى هؤلاء غير محمودة، كما أن تعاليَ الهذليّ (يعني ابن جبارة) في اختيار الشاذ غيرُ محمود.
(٨) انظر تفسير الثعلبي ٤/ ٥٢٨.

وقرأ عبد الله: «فلكزه» باللام[١]، وعنه: «فنكزه» بالنون[٢].

قال قتادة: وكزَه بعصاه[٣]. وغيرُه قال: بجُمْعِ كفِّه[٤].

والظاهرُ أنَّ فاعل «فقضى» ضميرٌ عائدٌ على «موسى»، وقيل: يعودُ على الله، أي: فقضى اللهُ عليه بالموت، ويحتملُ أنْ يعودَ على المصدرِ المفهوم من «وكزه» أي: فقضى الوكزُ عليه.

وكان موسى لم يتعمَّد قتله، ولكن وافقَتْ وكزتُه الأجلَ، فندمَ موسى[٥]. ورويَ أنَّه دفنَه في الرمل، و«قال: هذا من عملِ الشيطان» وهو ما لحقَه من الغضب حتَّى أدَّى إلى الوكزة التي قَضَتْ على القبطيِّ، وجعلَهُ من عمل الشيطان وسمَّاه ظلماً لنفسه واستغفرَ منه؛ لأنَّه أدَّى إلى قتلِ مَنْ لم يُؤذَنْ له في قتله. وعن ابن جريج: ليسَ لنبيٍّ أنْ يقتلَ ما لم يُؤمر[٦].

وقال كعب: كان موسى إذ ذاك ابن اثنتي عشرةَ سنةً، وكان قتلُه خطأً، فإنَّ الوَكْزةَ في الغالب لا تقتلُ. وقال النقَّاش: كان هذا قبلَ النبوَّة[٧].

وقد انتهجَ موسى عليه السلام نهجَ آدم عليه السلام، إذ قال: ﴿ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣].

والباءُ في «بما أنْعَمْتَ» للقَسَم، والتقدير: أُقْسِمُ بما أنعمتَ به عليَّ من المغفرةِ، والجوابُ محذوفٌ، أي: لأتوبنَّ فلن أكون، أو متعلِّقةٌ بمحذوفٍ تقديره: اعصمني بحقِّ ما أنعمتَ عليَّ من المغفرة، فلن أكون إنْ عصمتني ظهيراً للمجرمين[٨].

(١) مختصر في شواذ القرآن ص١١٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٨٠، والكشاف ٣/ ١٦٨.
(٢) تفسير الثعلبي ٤/ ٥٢٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٨٠.
(٣) النكت والعيون ٤/ ٢٤٢.
(٤) هو قول مجاهد، أخرجه الطبري ١٨/ ١٨٩.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٠.
(٦) الكشاف ٣/ ١٦٩، وأخرجه الطبري ١٨/ ١٩١.
(٧) قولا كعب والنقاش في تفسير القرطبي ١٦/ ٢٤٨.
(٨) الكشاف ٣/ ١٦٩.

وقيل: «فلن أكون» دعاءٌ لا خبر، و«لن» بمعنى «لا» في الدعاء. والصحيح أنَّ «لن» لا تكونُ في الدعاء، وقد اسْتُدِلَّ على أنَّ «لن» تكون في الدعاء بهذه الآية، وبقول الشاعر:

لَـنْ تَـزالـوا كَـذاكُـم ثـمَّ لا زِلْـ ـتَ لـهـم خـالـداً خـلـودَ الـجـبـالِ[(١)]

والمظاهرةُ إمَّا بصحبتِه لفرعون وانتظامِه في جملته وتكثيرِ سوادِه، حيث كان يركبُ بركوبه، كالولد مع الوالد، وكان يسمَّى ابنَ فرعون، وإما أنَّه أدَّت المظاهرةُ إلى القتل الذي جَرى على يده[(٢)]. وقيل: «بما أنعمتَ» عليَّ من القوَّة[(٣)] فلن أستعملَها إلَّا في مظاهرةِ أوليائك، ولا أدعُ قبطيًّا يغلبُ إسرائيليًّا.

واحتجَّ أهلُ العلم بهذه الآية على منعِ معونةِ أهلِ الظُّلم وخدمتهم، نصَّ على ذلك عطاءُ بن أبي رباح وغيرُه. وقال رجلٌ لعطاء: إنَّ أخي يضربُ[(٤)] بقلمِه، ولا يعدو رزقَه، قال: فمَنِ الرأسُ؟ يعني: مَنْ يكتب له؟ قال: خالد بن عبد الله القَسْريّ. قال: فأين قولُ موسى؟ وتلا الآية[(٥)].

«فأصبح في المدينة خائفاً» أي: من قتل[(٦)] القبطيِّ أن يُؤخَذَ به «يترقَّبُ» وقوعَ المكروه به، أو الإخبارَ، هل وَقفوا على ما كانَ منه. وقيل: خائفاً من الله، يترقَّبُ المغفرةَ. وقيل: «خائفاً يترقَّبُ» نُصْرَةَ ربِّه، أويترقَّبُ هدايةَ قومِه، أو ينتظرُ أنْ يُسْلِمَهُ قومُه.

«فإذا الذي استنصرَهُ بالأمس» أي: الإسرائيليُّ الذي كانَ قتلَ القبطيَّ بسببه.

---

(١) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص١٣.
وقال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٦٥٨: وليس فيهما (يعني الآية وبيت الشعر) دلالةٌ ظاهرةٌ لظهور النفي فيهما من غير تقدير دعاء، وإن كان في البيت أقوى.

(٢) الكشاف ٣/ ١٦٩.

(٣) في (ح) و(ع) والمطبوع: النبوة. والمثبت موافق لما في الكشاف ٣/ ١٦٩.

(٤) في (به): يكتب. وموضعها في (ت) بياض.

(٥) الكشاف ٣/ ١٦٩. والخبر أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٥٦ (١٦٧٧٦). وخالد بن عبد الله القسري هو الأمير أبو الهيثم، أمير العراقين لهشام، وولي قبل ذلك مكة للوليد، توفي سنة (١٢٦هـ). انظر أخباره في سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٢٥-٤٣٢.

(٦) في المطبوع: قبل. وليست في (ع) و(به) والمثبت من (ت) و(ح).

و«إذا» هنا للمفاجأة، و«بالأمس» يعني اليومَ الذي قبلَ يوم الاستصراخ، وهو مُعْرَبٌ، فحركةُ سينِه حركةُ إعراب؛ لأنَّهُ دخلتهُ «أل» بخلاف حاله إذا عريَ منها، فالحجاز تبنيهِ إذا كانَ معرفةً، وتميمٌ تمنعُهُ الصرفَ حالةَ الرفع فقط، ومنهم من يمنعُه الصرفَ مطلقاً، وقد يُبْنَى مع «ال» على سبيل الندور، قال الشاعر[١]:

وإنِّي حُبِسْتُ اليومَ والأمسِ قبلَهُ إلى الشمس[٢] حتَّى كادتِ الشمسُ تَغْرُبُ[٣]

«يستصرخُه» يَصيحُ به مستغيثاً مِنْ قبطيٍّ آخر، ومنه قول الشاعر:

كُنَّا إذا ما أتانا صارخٌ فَزِعٌ كانَ الصُّراخُ لهُ قرعَ الظَّنابيبِ[٤]

«قال له موسى» الظاهرُ أنَّ الضميرَ في «له» عائدٌ على «الذي».

«إنَّك لغويٌّ مبين» لكونِكَ كنتَ سبباً في قتل القبطيّ بالأمس، قال له ذلك على سبيل العتاب والتأنيب. وقيل: الضميرُ في «له» والخطابُ للقبطيِّ، ودلَّ عليه قولهُ: «يَستصرِخُهُ»، ولم يفهمِ الإسرائيليُّ أنَّ الخطابَ للقبطيِّ[٥].

«فلمَّا أن أرادَ أن يَبْطِشَ» الظاهرُ أنَّ الضميرَ في «أرادَ» و«يَبْطِشَ» هو لموسى. «بالذي هو عدوٌّ لهما» أي: للمستصرِخ وموسى، وهو القبطيُّ، تَوهَّمَ الإسرائيليُّ أنَّ قولَه: «إنَّك لغويٌّ مبينٌ» هو على سبيل إرادة السوء به، وظنَّ أنَّه يسطو عليه «قال» أي: الإسرائيليُّ: «يا موسى أتريدُ أنْ تقتلَني كما قتلتَ نفساً بالأمس» دفعاً لمَا ظنَّه من سَطْوِ موسى عليه، وكان تعيين القاتلِ[٦] للقبطيِّ قد خفيَ على الناس، فانتشرَ في

(١) في (ت): في قول. بدل: قال الشاعر.
(٢) في (يه) والمطبوع: الليل. بدل: الشمس.
(٣) البيت لنصيب بن رباح، وهو في ديوانه ص٦٢، وفي الخصائص ١/ ٣٩٤ و٣/ ٥٧، والإنصاف ١/ ٣٢٠. وعجزه في الخصائص والإنصاف:
ببابك حتى كادت الشمس تغرب
(٤) هو لسلامة بن جندل، ديوانه ص١٢٥. قال شارحه: قال الأصمعي: ضرب لهذا الأمر ظنبوبه، إذا هو جدَّ فيه. فأراد أن يقول: ساقاً، فقال: ظنبوباً. والظنبوب: الساق. ويقال: عظم الساق.
(٥) هو قول ابن عباس، كما في النكت والعيون ٤/ ٢٤٣، ونسبه القرطبي ١٦/ ٢٥٢ للحسن.
(٦) في (ع) والمطبوع: القائل.

المدينةِ أنَّ قاتلَ القبطيِّ هو موسى[١]، ونُميَ ذلك إلى فرعون، فأمرَ بقتلِ موسى.

وقيل: الضميرُ في «أراد» و«يبطشَ» للإسرائيليّ، فنهاهُ موسى عن ذلك بعد أن قال له: «إنَّك لغويٌّ مبين» ففزع الإسرائيليُّ[٢] عند ذلك من موسى، وخاطبَه بما يَقْبُح.

و«أنْ» بعد «لمَّا» يطَّردُ زيادتُها، وقبلَ[٣] «لو» إذا سبقَ قسمٌ، كقوله:

فأُقْسِمُ أنْ لو التقينا وأنتُمُ   لكانَ لَكُم يومٌ من الشرِّ مُظْلِمُ[٤]

وقرأ الجمهور: «يَبْطِشَ» بكسر الطاء، والحسن وأبو جعفر بضمِّها[٥].

«إن تريدُ إلَّا أن تكونَ جَبَّاراً في الأرض» وشأنُ الجبَّار أنْ يقتلَ بغيرِ حقٍّ. وقال الشعبيُّ: مَنْ قتلَ رجلين فهو جبَّارٌ[٦]، يعني بغيرِ حقٍّ. ولمَّا أثبتَ له الجبروتيَّة نَفى عنه الصَّلاح.

«وجاء رجلٌ من أقصى المدينة» قيل: هو مؤمنُ آل فرعون، وكان ابنَ عمِّ فرعون[٧]. قال الكلبيُّ: واسمُه جبريل بن شمعون[٨]. وقال الضحَّاك: شمعون بن إسحاق. وقيل: هو غيرُ مؤمنِ آل فرعون. «يَسْعى» يشتدُّ في مشيهِ.

---

(١) في هذا السياق اختصار مخل، وسياق الخبر في زاد المسير ٦/ ٢١٠ أنهم لم يعلموا من قاتل القبطي، إلَّا أنهم أتوا إلى فرعون فقالوا: إن بني إسرائيل قتلوا رجلاً منَّا، فخذ لنا بحقنا، فقال: أبغوني قاتله ومَن يشهد عليه لآخذ لكم حقكم، فبينما هم يطوفون ولا يدرون مَن القاتل، وقعت هذه الخصومة بين الإسرائيلي والقبطي في اليوم الثاني، فلما قال الإسرائيلي لموسى: «أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس»، انطلق القبطي إلى فرعون فأخبره أن موسى هو الذي قتل الرجل، فأمر بقتل موسى.

(٢) من قوله: فنهاه موسى... إلى هنا. من (ت) و(يه).

(٣) في (ت) و(ع) والمطبوع: قيل. بدل: قبل. وهو تحريف.

(٤) سلف عند تفسير الآية (٣١) من سورة الرعد.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨١، وقراءة أبي جعفر ـ من العشرة ـ في النشر ٢/ ٢٧٤.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨١. وقول الشعبي أخرجه الطبري ١٨/ ١٩٧.

(٧) الكشاف ٣/ ١٦٩.

(٨) في النكت والعيون ٤/ ٢٤٤: حزقيل بن شمعون.

ولـمَّا أمرَ فرعونُ بقتلِه، خرج الجلاوزةُ من الشارع الأعظم لطلبه، فسلك هذا الرجلُ طريقاً أقربَ إلى موسى[(١)].

و«مِنْ أقصى المدينة» و«يسعى» صفتان، ويجوزُ أن يكونَ «يسعى» حالاً، ويجوز أنْ يتعلَّق «مِنْ أقصى» بـ «جاء».

قال الزمخشريُّ: وإذا جعل - يعني «من أقصى» - صلةً[(٢)] لـ «جاء»، لم يجز في «يسعى» إلَّا الوصفُ. انتهى.

يعني أنَّ «رجلاً» يكونُ نكرةً لم توصف، فلا يجوز منها الحالُ، وقد أجازَ ذلك سيبويه في «كتابه» من غيرِ وصفٍ[(٣)].

«قال إنَّ الملأ» وهم وجوهُ أهل دولةِ فرعون «يأتمرون» يتشاورونَ، قال الشاعر، وهو النَّمِرُ بن تَوْلب:

أرى الناسَ قد أحدثُوا شيمةً ... وفي كلِّ حادثةٍ يُؤْتَمَرْ[(٤)]

وقال ابنُ قتيبة: يأمرُ بعضُهم بعضاً بقوله، من قوله تعالى: ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾[(٥)] [الطلاق: ٦].

«فاخرج إنِّي لك من الناصحين» و«لك» متعلِّقٌ إمَّا بمحذوفٍ، أي: ناصحٌ لك من الناصحين، أو بمحذوفٍ على جهة البيان، أي: لك أعني، أو بـ «الناصحين»،

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٢.

(٢) في (ح) و(ع) والمطبوع: حالاً. والمثبت من (ت) و(يه) والكشاف ٣/ ١٦٩.

(٣) الكتاب ٢/ ٥٢ و١١٢، وسلف عند تفسير الآية (١٥) من هذه السورة.

(٤) ديوان النمر بن تولب ص٦٤ (طبعة دار صادر)، ومجاز القرآن ٢/ ١٠٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٨٢.

(٥) كذا ذكره المصنف عن ابن قتيبة، وتابعه السمين في الدر المصون ٨/ ٦٦١، والصواب أنه قول الزجاج، كما في معاني القرآن له ٤/ ١٣٨، وقولا ابن قتيبة والزجاج في زاد المسير ٦/ ٢١١، في ثلاثة أقوال. وهذا نص زاد المسير: «يأتمرون بك» ثلاثة أقوال: أحدها: يتشاورون فيك ليقتلوك، قاله أبو عبيدة. والثاني: يهمون بك، قاله ابن قتيبة. والثالث: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك، قاله الزجاج. انتهى، فنسب المصنف قول الزجاج لابن قتيبة؟! وانظر قول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص٣٣١.

وإن كان في صلة «ال»؛ لأنَّه يُتَسامحُ في الظرف والمجرورِ مالا يُتَسامَحُ في غيرهما، وهي ثلاثةُ أقوالٍ للنحويين فيما أشبه هذا.

فامتثلَ موسى ما أمرَهُ به ذلك الرجلُ وعلمَ صدقَهُ ونصحَهُ، وخرجَ وقد أفلت[١] طالبيهِ فلم يجدوهُ، وكان موسى لا يعرفُ ذلك الطريقَ، ولم يصحبْ أحداً، فسلكَ مَجْهَلاً واثقاً بالله تعالى، داعياً راغباً إلى ربِّه في تنجيته من الظالمين.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًاۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

«تَوجَّهَ» ردَّ وَجْهَهُ و«تلقاء» تقدَّمَ الكلامُ عليه في «يونس»[٢]، أي: ناحية وَجْهِه، استعملَ المصدرَ استعمال الظرف، وكان هناك ثلاثُ طرقٍ، فأخذَ موسى في أوسطها، وأخذَ طالبوه في الآخرَين، وقالوا: المريبُ لا يأخذُ في أعظم الطُّرُق، ولا يسلكُ إلَّا بُنَيَّاتِها، فبقي في الطريق ثماني ليالٍ، وهو حافٍ لا يَطْعَمُ إلَّا ورقَ الشجر.

والظاهرُ من قوله: «عسى ربي أن يهديني سواءَ السبيل» أنَّه كان لا يعرفُ

(١) في (ح): فات: بدل: أفلت.
(٢) عند تفسير الآية (١٥) منها.

الطريقَ، فسأل ربَّه أنْ يهديَه أقصدَ الطُّرقِ، بحيثُ إنَّه لا يضلُّ، إذ لو سلكَ ما لا يوصلُه إلى المقصود لتاهَ. وعن ابن عباس: قصدَ مدينَ وأخذَ يمشي من غير معرفةٍ، فأوصَلَه اللهُ إلى مدين[١]. وقيل: هداه جبريل عليه السلام إلى مدين. وقيل: مَلَكٌ غيره. وقيل: أخذ طريقاً يأمنُ فيه، فاتفقَ ذهابُه إلى مدين.

والظاهرُ أنَّ «سواءَ السبيل» وسطُ الطريق الذي يسلكُه إلى مكان مأمنِه. وقال مجاهد: «سواء السبيل» طريق مدين. وقال الحسن: هو سبيلُ الهدى[٢].

فمشى موسى عليه السلام إلى أنْ وصلَ إلى مدين، ولم تكن في طاعة فرعون.

«ولما وردَ ماء مدين» أي وصلَ إليه، والورود يكونُ بمعنى الوصول إلى الشيء وبمعنى الدخول فيه. قيل: وكان هذا الماء بئراً. والأمَّةُ: الجمعُ الكثيرُ، ومعنى «عليه» أي: على شفيره وحاشيته. «يسقون» يعني مواشيهم.

«ووجد من دونهم» أي: من الجهة التي وصلَ إليها قبل أن يصل إلى الأُمَّة، فهما من دونهم بالإضافة إليه. قاله ابن عطية[٣]. وقال الزمخشريُّ: في مكان أسفلَ من مكانهم[٤].

«تذودان» قال ابنُ عباس وغيره: تذودان غنمَهما عن الماء خوفاً من السُّقاةِ الأقوياء. وقال قتادة: تذودان الناسَ عن غنمهما[٥]. قال الزجَّاج: وكأنَّهما تكرهانِ المزاحمةَ على الماء[٦]. وقيل: لئلَّا تختلطَ غنمُهما بأغنامهم. وقيل: تذودان عن وجوهِما نظرَ الناظر لتستُّرِهما[٧].

(١) الكشاف ٣/ ١٧٠، وأخرج نحوه الطبري ١٨/ ٢٠٣.
(٢) قولا مجاهد والحسن أخرجهما الطبري ١٨/ ٢٠٥.
(٣) في المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٣.
(٤) الكشاف ٣/ ١٧٠.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٣، وقولا ابن عباس وقتادة أخرجهما الطبري ١٨/ ٢٠٨-٢٠٩.
(٦) ذكره الزمخشريُّ في الكشاف ٣/ ١٧٠ دون نسبة، ولم أقف على هذا النص في معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٣٩، ونص كلامه فيه: أي تذودان غنمهما عن أن يقرب الماء، لأنها يطردها عن الماء من هو على السقي أقوى منهما.
(٧) الكشاف ٣/ ١٧٠.

وقال الفرَّاء: تحبسانها عن أن تتفرَّق[١].

واسمُ الصغرى: عبرا، واسمُ الكبرى: صبورا[٢].

ولمَّا رآهما موسى عليه السلام واقفتين[٣] لا تتقدَّمان للسقي، سألَهُما فقال: «ما خطبُكما»؟ قال ابن عطية: والسؤال بالخَطْبِ إنَّما هو في مصابٍ أو مضطهد، أو مَنْ يُشْفَقُ عليه، أو يأتي بمنكرٍ من الأمر[٤]. قال الزمخشريُّ: وحقيقته: ما مخطُوبُكما، أي: ما مطلوبكما مِن الذياد؟ سُمِّيَ المخطوبُ خطباً، كما سُمِّي المَشْؤون[٥] شأناً في قولك: ما شأنك؟ يقال: شأنْتُ شأنه، أي: قَصَدْتُ قصده. انتهى.

وفي سؤاله عليه الصلاة والسلام دليلٌ على جواز مكالمةِ الأجنبيَّة فيما يَعِنُّ.

ولم يكن لأبيهما أجيرٌ، فكانتا تسوقان الغنم إلى الماء، ولم تكن لهما قوَّةُ الاستقاءِ، وكان الرعاةُ يستقونَ من البئر، فيسقونَ مواشيهم، فإذا صدروا، فإن بقيَ في الحوض شيءٌ سقتا، فوافى موسى عليه السلام ذلك اليوم، وهما يمنعانِ غنمهما عن الماء، فرقَّ عليهما، وقال: «ما خطبكما».

وقرأ شمر بكسر الخاء، أي: من زوجكما، ولم لا يستقي[٦] هو؟ وهذه قراءةٌ شاذَّةٌ نادرةٌ.

«قالتا لا نسقي» وقرأ ابنُ مصرِّف: «لا نُسْقَى» بضم النون[٧].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٠٥.

(٢) وقيل في اسميهما غير ذلك، وفيه خلاف لا طائل من ذكره، فانظره إن شئت في تفسير الثعلبي ٤/ ٥٣٤، والنكت والعيون ٤/ ٢٤٧-٢٤٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٨٤، وتفسير القرطبي ١٦/ ٢٦٠، وروح المعاني ٢٠/ ١٤٣.

(٣) من هنا خرم في (ح) ينتهي في تفسير الآية (٦٤) من هذه السورة.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٣.

(٥) في (ع) والمطبوع ومطبوع الكشاف ٣/ ١٧٠: الشؤون. والمثبت من (ت) و(يه) ومخطوط الكشاف ٢/ ورقة (١٤٧).

(٦) في (ع): تسقي. وفي المطبوع: يسقي.

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٣، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٢١٢ لابن مسعود وأبي الجوزاء وابن يعمر وابن السميفع.

وقرأ أبو جعفر وشيبة والحسنُ وقتادة والعربيَّان: «يَصْدُرَ» بفتح الياء وضم الدال[١]، أي: يَصْدُرونَ بأغنامهم، وباقي السبعة والأعرج وطلحة والأعمش وابن أبي إسحاق وعيسى بضمِّ الياء وكسر الدال، أي: يُصْدِرونَ أغنامَهُم[٢].

وقرأ الجمهور: «الرِّعاء» بكسر الراء جمع تكسير. قال الزمخشريُّ: وأما «الرِّعاء» بالكسر فقياسٌ، كصِيام وقيام. انتهى[٣]. وليس بقياسٍ؛ لأنَّه جمعُ راعٍ، وقياسُ «فاعل» الصفة التي للعاقل أنْ يُكَسَّر على فُعَلَة كقاضٍ وقضاة، وما سوى جمعِه هذا فليس بقياسٍ.

وقرئ: «الرُّعاء» بضمِّ الراء[٤]، وهو اسمُ جمعٍ، كالرُّخال والثُّناء[٥]. قال أبو الفضل الرازيّ: وقرأ عبَّاس[٦] عن أبي عمرو: «الرَّعاء» بفتح الراء، وهو مصدرٌ أقيم مُقامَ الصفة، فاستوى لفظُ الواحد والجماعة فيه، وقد يجوزُ أنَّه حُذِفَ منه المضاف.

«وأبونا شيخٌ كبيرٌ» اعتذارٌ لموسى عن مباشرتهما السقيَ بأنفسهما، وتنبيهٌ على أنَّ أباهما لا يقدرُ على السقي لشِيْخِهِ وكِبَرِه، واستعطافٌ لموسى في إعانتهما.

«فسقى لهما» أي: سقى غنمَهما لأجلهما.

ورُوِي أنَّ الرعاةَ كانوا يضعونَ على رأس البئرِ حجراً لا يقلُّهُ إلَّا عددٌ من الرجال، واضطربَ النقلُ في العدد، فأقلُّ ما قالوا سبعة، وأكثره مئة، فأقلَّهُ وحدَه.

---

(١) القراءة عن المذكورين ـ عدا شيبة ـ في المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٣، وقراءة العربيان أبي عمرو وابن عامر في السبعة ص٤٩٢، والتيسير ص١٧١، وعنهما وعن أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٤١.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٣-٢٨٤. وانظر التعليق السابق.

(٣) الكشاف ٣/ ١٧٠.

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص١١٢ عن بعضهم، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٢١٢-٢١٣ لعكرمة وسعيد بن جبير وابن يعمر وعاصم الجحدري.

(٥) الرُّخال: جمع رِخل، وهو الأنثى من ولد الضأن، ويجمع أيضاً على: رِخال وأرخُل. والثُّناء جمع ثِني، يقال: ناقةٌ ثِنْيٌ إذا ولدت اثنين. لسان العرب (رخل)، (ثني).

(٦) في (ت): ابن عباس، وفي (ع) والمطبوع: عياش. والمثبت من (يه). وهو عباس بن الفضل قرأ القرآن وجوده على أبي عمرو، توفي سنة (١٨٦هـ). معرفة القراء الكبار ١/ ٣٣٧-٣٣٨.

وقيل: كانت لهم دلوٌ لا ينزعُ بها إلّا أربعون، فنزعَ بها وحدَه. ورويَ أنَّه زاحمَهم على الماء حتَّى سقَى لهما، كلُّ ذلك رغبةً في الثواب[١]، على ما كان به من نَصَبِ السفر وكثرةِ الجوع، حتى كانت تظهرُ الخضرةُ في بطنِه من البقل[٢]. وقيل: إنَّه مشى حتَّى سقطَ أصلُه[٣]، وهو باطنُ القدم، ومع ذلك أغاثَهما وكفاهما أمرَ السقي.

وقد طابقَ جوابهما لسؤاله، سألهما عن سببِ الذَّود، فأجاباه بأنَّا امرأتانِ ضعيفتانِ مستورتان، لا نقدرُ على مزاحمةِ الرجال، فنؤخِّرُ السقيَ إلى فراغهم. ومباشرتُهما ذلك ليس بمحظورٍ، وعادةُ العربِ وأهلِ البدو في ذلك غيرُ عادةِ أهل الحضر والأعاجم، لاسيما إذا دَعَت إلى ذلك ضرورةٌ[٤].

«ثم تولَّى إلى الظل» قال ابنُ مسعود: ظلّ شجرةٍ[٥]، قيل: كانت سَمُرة[٦]. وقيل: إلى ظلِّ جدارٍ لا سقفَ له. وقيل: جعلَ ظهرَهُ يلي ما كان يلي وجهه من الشمس.

«قال ربِّ إنِّي لما أنزلتَ إليَّ من خيرٍ فقير» قال المفسِّرون: تعرَّض لما يَطْعَمُه، لما نالَهُ من الجوع، ولم يصرِّح بالسؤال. و«أَنْزَلْتَ» هنا بمعنى: تُنَزِّلُ. وقال الزمخشريُّ: وعُدِّيَ باللام «فقير»[٧]؛ لأنَّه ضُمِّنَ معنى سائلٍ وطالبٍ، ويحتملُ أن يريد: إنيِّ فقيرٌ من الدنيا لأجلِ ما أنزلتَ إليَّ من خير الدين، وهو النجاةُ من الظالمين؛ لأنَّه كان عند فرعونَ في مُلْكٍ وثروةٍ، قال ذلك رضاً بالبدلِ السنيِّ وفرحاً به وشكراً له[٨]. وقال الحسن: سأل الزيادةَ في العلم والحكمة.

---

(١) هذه الرواية والروايتان التي قبلها في الكشاف ٣/ ١٧٠.

(٢) أخرجه الطبري ١٨/٢١٦، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٦١ (١٦٨٠٩) من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (ت) لظله. وفي (ع): أظله. وفي (يه): أطله. وعبارة المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٤: حتى سقط قدمه. انتهى. قلت: والإِطلُ: الخاصرة. ولكنه يتنافى مع ما شرحه به المصنف من أنه باطن القدم.

(٤) الكشاف ٣/ ١٧١.

(٥) أخرجه الطبري ١٨/ ٢١٥.

(٦) هو قول السدي، أخرجه عنه الطبري ١٨/ ٢١٤. والسمرة: شجرة صغيرة الورق، قصيرة الشوك، لها بَرَمَةٌ صفراءُ يأكلها الناس. اللسان (سمر).

(٧) من هنا سقط في (يه) ينتهي ص٣٦ من هذا الجزء.

(٨) الكشاف ٣/ ١٧١.

«فجاءته إحداهما تمشي على استحياء» في الكلام حذف، والتقدير: فذهبتا إلى أبيهما من غير إبطاءٍ في السقي، وقصَّتا عليه أمرَ الذي سقى لهما، فأمرَ إحداهُما أن تدعوه له.

«فجاءته إحداهما» قرأ ابنُ محيصن: «فجاءتهُ حْدَاهُما» بحذف الهمزةِ تخفيفاً[1] على غيرِ قياس، مثل: وَيْلُمِّهِ. في ويلُ أُمِّه، ويا با فلان. والقياسُ أن يجعل بين بين. و«إحداهما» مبهمٌ، فقيل: الكبرى. وقيل: كانتا توأمتين، ولدتِ الأولى قبلَ الأخرى بنصف نهار[2].

و«على استحياءٍ» في موضع الحال، أي: مستحييةً متخفِّرة. قال عمر بن الخطاب: قد سترتْ وجهَها بكمِّ دِرْعِها[3].

والجمهورُ على أنَّ الداعي أباهما هو شعيبٌ عليه السلام، وهما ابنتاه. وقال الحسن: هو ابنُ أخي شعيب، واسمه مروان[4]. وقال أبو عبيدة: هارون[5]. وقيل: هو رجلٌ صالحٌ ليسَ من شعيبٍ بنسب وقيل: كان عمُّهما صاحبَ الغنم، وهو المزوِّج، عبَّرت[6] عنه بالأب إذ كان بمثابته[7].

«ليجزيَكَ أجرَ ما سقيتَ لنا» في ذلك ما كان عليه شعيبٌ من الإحسان والمكافأةِ لمن عَمِلَ له عملاً، وإن لم يقصد العاملُ[8] المكافأةَ.

(١) المحتسب ٢/ ١٥٠.
(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٤ عن النقاش.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٤. وأخرجه الطبري ١٨/ ٢١٨.
(٤) كذا في (ت) و(ع) والمطبوع. وفي المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٤: ثروان.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٤، وقول أبي عبيدة أخرجه الطبري ١٨/ ٢٢٣، وفيهما: يثرون. بدل: هارون.
وأبو عبيدة هو عامر بن عبد الله بن مسعود الهذلي. انظر ترجمته في تهذيب الكمال ١٤/ ٦١.
(٦) في (ت): عبر.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٤. وقال الإمام الطبري في تفسيره ١٨/ ٢٢٤: وهذا مما لا يدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجبُ حجَّتُه.
(٨) في (ع) والمطبوع: العالم.

«فلمَّا جاءَهُ» أي: فذهبَ معها إلى أبيها، وفي هذا دليلٌ على اعتماد إخبارِ المرأة؛ إذ ذهبَ معها موسى، كما يُعْتَمدُ على إخبارها في باب الرواية.

«وقصَّ عليه القصص» أي: ما جرى له مِنْ خروجِه من مصر وسببِ ذلك، «قالَ لا تخفْ نجوتَ من القوم الظالمين» أي: قبلَ الله دعاءك في قولك: «ربِّ نجِّني من القوم الظالمين» أو أخبرَهُ بنجاتِه منهم، آنسه[1] بقوله: «لا تخف»، وقرَّب إليه طعاماً، فقال له موسى: إنَّا أهلُ بيتٍ لا نبيعُ ديننا بملءِ الأرضِ ذهباً، فقال له شعيب: ليس هذا عِوَضَ السقي، ولكن عادتي وعادةُ آبائي قِرَى الضيف وإطعامُ الطعام، فحينئذٍ أكلَ موسى عليه السلام[2].

«قالت إحداهما» أبهمَ القائلة، وقيل[3]: هي الذاهبةُ والقائلةُ والمتزوِّجة «يا أبتِ استأجرهُ» أي: لرعي الغنم وسقيها، ووصفتهُ بالقوَّة؛ لكونهِ رَفَعَ الصخرةَ عن البئر وحدَه، وانتزعَ بتلك الدلو[4]، وزاحمَهم حتَّى غلبَهم على الماء، وبالأمانةِ، لأنَّها حينَ قام يتبعُها هبَّتِ الريحُ، فلفَّت ثيابها، فوصفتها، فقال: ارجعي خلفي ودُلِّيني على الطريق.

وقولُها كلامٌ حكيمٌ جامعٌ؛ لأنَّه إذا اجتمعت الكفايةُ والأمانةُ في القائم بأمرٍ، فقد تمَّ المقصودُ، وهو كلامٌ جرى مجرى المثلِ، وصارَ مطروقاً للناس، وكان ذلك تعليلاً للاستئجار، وكأنَّها قالت: استأجره لأمانته وقوَّته، وصار الوصفان منبِّهين عليه، ونظيرُ هذا التركيب قول الشاعر[5]:

ألا إنَّ خيرَ النَّاسِ حيًّا وهالكاً أَسيرُ ثقيفٍ عندَهُم في السلاسِلِ

جعلَ «خير من استأجرت» الاسم اعتناءً به[6]، وحَكَمت عليه بالقوَّة والأمانة،

---

(١) في المطبوع: فآنسه.
(٢) تفسير القرطبي ١٦/ ٢٦٠.
(٣) لفظ: قيل. من (ت).
(٤) بعدها في (ت): وحده.
(٥) هو أبو الشَّغب العبسيّ، قاله في خالد بن عبد الله القسري، وكان سجيناً في يد يوسف بن عمر الثقفي والي العراق. شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢/ ١٩٦.
(٦) انظر الكشاف ٣/ ١٧٢.

ولمَّا وصفتهُ بهذين الوصفين قال لها أبوها: ومن أين عرفت هذا؟ فذكرت إقلالَه الحجرَ وحدَهُ، وتحرُّجَهُ من النظر إليها حينَ وصفتها الريح، وقاله ابنُ عباس وقتادةُ وابنُ زيد وغيرهم[١].

وقيل: قال لها موسى ابتداءً: كوني ورائي، فإنِّي رجلٌ لا أنظر إلى أدبار النساء، ودُلِّيني على الطريق يميناً أو يساراً. وقال ابن مسعود: أفرسُ الناس ثلاثة: بنتُ شعيب، وصاحبُ يوسف في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ [يوسف: ٢١]، وأبو بكر في عمر[٢].

وفي قولها: «استأجِرْهُ» دليلٌ على مشروعيَّةِ الإجارة عندهم، وكذا كانت في كلِّ ملَّةٍ، وهي من ضرورة الناس ومصلحةِ الخلطةِ، خلافاً لابن عُلَيَّة والأصمّ، حيث كانا لا يجيزانها[٣]، وهذا ممَّا انعقدَ عليه الإجماع، وخلافُهما خرقٌ[٤].

«قال إنِّي أُريدُ أنْ أنكِحَكَ إحدى ابنتيَّ هاتين» رغبَ شعيبٌ في مُصاهرته لمَا وصفتهُ به، ولمَا رأى فيه مِنْ عزوفه عن الدنيا، وتعلُّقه بالله، وفرارِه من الكَفَرَة.

وقرأ ورش وأحمدُ بن موسى عن أبي عمرو: «أن انكحكَ» بحذف الهمزة ونقل حركتها، وأحمدُ بن موسى عن أبي عمرو «انكحك حْدى» بحذف الهمزة[٥].

وظاهرُ قوله: «أنْ أُنكِحك» أنَّ الإنكاحَ إلى الوليِّ[٦]، لا حقَّ للمرأةِ فيه، خلافاً

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٥. لكن أقوالهم المخرجة في تفسير الطبري ١٨/ ٢٢٥، ٢٢٨ تدل على أنه أمرها ابتداء بالسير خلفه. أما خبر وصف الريح لها فأخرجه الطبري ١٨/ ٢٢٦-٢٢٧، عن عبد الرحمن بن أبي نُعم وشريح.

(٢) الكشاف ٣/ ١٧٢.

(٣) تفسير القرطبي ١٦/ ٢٦١، وليس فيه ذكر قول ابن علية. وانظر بداية المجتهد ٢/ ٢٢٠ (طبعة دار المعرفة).

(٤) بعدها في (ت): له، وهنا نهاية السقط في (يه).

(٥) اضطربت النسخ في هذه العبارة، فوقع في (ع): وقرأ ورش وأحمد بن موسى عن أبي عمرو: «أنكحك حدى ابنتيَّ» بحذف الهمزة.
وفي (ت): وقرأ ورش وأحمد بن موسى عن أبي عمرو: «انكحك حدى» بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى النون. والمثبت من (يه).
وانظر القراءة في مختصر ابن خالويه ص١١٢.

(٦) في (ت): النكاح للولي.

لأبي حنيفة[١] في بعض صوره بأنْ تكونَ بالغةً عالمةً بمصالحِ نفسها، فإنَّها تعقدُ على نفسها بمحضرٍ من الشهود.

وفيه دليلٌ على عرضِ الوليِّ وليَّته على الزوج، وقد فعلَ ذلكَ عمر، ودليلٌ على تزويج ابنتِه البكرِ مِنْ غيرِ استئمار، وبه قال مالكٌ والشافعيُّ، وقال أبو حنيفة: إذا بلغتِ البكرُ، فلا تُزَوَّجُ إلَّا برضاها[٢].

قيل: وفيه دليلٌ على قول من قال: لا ينعقدُ إلَّا بلفظ التزويج أو الإنكاح، وبه قال ربيعة والشافعيُّ[٣] وأبو ثور وأبو عبيد وداود.

و«إحدى ابنتيَّ» مبهمٌ، وهذا عرضٌ لا عقد، ألا ترى إلى قوله: «إني أريدُ»، وحينَ العقدِ يعيِّنُ مَنْ شاءَ منهما، وكذلك لم يحدَّ أولُ أمدِ الإجارة، والظاهرُ من الآيةِ جوازُ النكاحِ بالإجارة، وبه قال الشافعيُّ وأصحابُه وابنُ حبيب[٤].

وقال الزمخشريُّ: «هاتين» فيه دليلٌ على أنَّه كانت له غيرهما. انتهى[٥]. ولا دليلَ في ذلك؛ لأنَّهما كانتا هما اللتين رآهما تذودان، وجاءته إحداهما، فأشار إليهما، والإشارةُ إليهما لا تدُّل على أنَّ له غيرهما.

«على أنْ تأجُرَني» في موضع الحال من ضمير «أُنْكِحَك» إمَّا الفاعل وإمَّا المفعول و«تأجرني» من أَجَرْتُه؛ كنتَ له أجيراً، كقولكَ: أبوته، كنتَ له أباً، ومفعولُ «تأجرني» الثاني محذوفٌ، تقديره: نفسَك، و«ثمانيَ حِجَج» ظرفٌ. وقاله أبو البقاء[٦].

وقال الزمخشريُّ: «ثماني حجج» مفعولٌ به، ومعناه: رعية ثماني حجج[٧].

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١٦/ ٢٦١.
(٢) تفسير القرطبي ٦/ ٢٦١.
(٣) لكن الشافعية لم يستدلوا بهذه الآية؛ لأنها من شرع من قبلنا، ولم يحتجوا به. انظر تفسير القرطبي ١٦/ ٢٦١.
(٤) تفسير القرطبي ١٦/ ٢٦٤.
(٥) الكشاف ٣/ ١٧٢.
(٦) الإملاء ٢/ ١٧٧.
(٧) الكشاف ٣/ ١٧٢.

«فإن أتممتَ عشراً فمن عندك» أي: تبرُّعٌ وتفضُّلٌ لا اشتراط. «وما أريدُ أن أشقَّ عليك» بإلزام أتمّ[١] الأجلين ولا في المعاشرة، والمناقشةُ في مراعاةِ الأوقات وتكليفِ الرُّعاةِ أشياءَ من الخِدَم خارجةٌ عن الشَّرط.

«ستجدني إن شاءَ اللهُ من الصالحين» وَعْدٌ صادقٌ مقرونٌ بالمشيئة «من الصالحين» في حُسْنِ المعاملةِ ووَطاءةِ الخُلُق، أو «من الصالحين» على العموم، فيدخلُ تحتَه حسنُ المعاملة[٢].

ولمَّا فرغَ شعيبٌ مما حاورَ به موسى، قال موسى: «ذلك بيني وبينك» على جهة التقرير والتوثُّقِ في أنَّ الشرطَ إنَّما وقعَ في ثماني حجج[٣]. و«ذلك» مبتدأ خبرُه «بيني وبينك» أشار[٤] إلى ما عاهدَهُ عليه، أي: ذلك الذي عاهدتني وشارطتني قائمٌ بيننا جميعاً، لا نخرجُ عنه، ثم قال: «أيَّما الأجلين» أي: الثماني أو العشر «فلا عدوانَ عليَّ» أي: لا يُعْتَدى عليَّ في طلب الزيادة. و«أيما»[٥] شرطٌ، و«ما» زائدة. وقرأ الحسن والعباسُ بن الفضل عن أبي عمرو. «أيما» بحذف الياء الثانية[٦]، كما قال الشاعر:

تنظَّرْتُ نصراً والسِّماكينِ أيْهُما ... عليَّ من الغيثِ استهلَّتْ مَواطِرُه[٧]

وقرأ عبد الله: «أيَّ الأجلينِ ما قضيت»[٨] بزيادة «ما» بينَ «الأجلين» و«قضيت».

---

(١) في (ع) والمطبوع: أيم.
(٢) الكشاف ٣/ ١٧٣.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٥.
(٤) في (ع) والمطبوع: إشارة.
(٥) في (ع) والمطبوع: أي.
(٦) هي عن الحسن في المحتسب ٢/ ١٥٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٨٥، وعن العباس عن أبي عمرو في مختصر في شواذ القرآن ص١١٢.
(٧) هو للفرزدق يمدح نصر بن سيار، ديوانه ١/ ٢٨١. قوله: تنظَّرت بمعنى: انتظرت، والسماكان: كوكبان أحدهما أعزل والآخر رامح، وهما من الأنواء. واستهلَّ بمعنى: انصبَّ. والمواطر: جمع ماطرة، وهي السحابة. يعني أنه انتظر الممدوح وجوده وأحدَ الأنواء الماطرة، ولم يفرق بينها. حاشية الشهاب الخفاجي ٧/ ٧٢.
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٥، والكشاف ٣/ ١٧٤.

قال الزمخشريُّ: فإن قلت ما الفرقُ بين موقعي «ما» المزيدة في القراءتين؟ قلت: وقَعَتْ في المستفيضةِ مؤكِّدَةً لإبهام «أي»، زائدةً في شياعها، وفي الشاذِّ تأكيداً للقضاء، كأنَّه قال: أيَّ الأجلين صمَّمتُ على قضائه، وجرَّدتُ عزيمتي له[١].

وقرأ أبو حيوة وابن قطيب: «فلا عِدْوان» بكسر العين[٢].

قال المبرد: قد عَلِم أنَّه لا عدوانَ عليه في أتمِّهما، ولكن جمعَهما ليجعلَ الأوَّل كالأتمِّ في الوفاء.

وقال الزمخشري: فإن قلت[٣]: تصوُّرُ العدوان إنَّما هو في أحدِ الأجلين الذي هو الأقصر، وهو المطالبةُ بتتمة العشر، فما معنى تعليق العدوانِ بهما جميعاً؟ قلت معناه: كما أنِّي إن طُولبت بالزيادةِ على العشر كان عدواناً لا شكَّ فيه، فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثماني، أراد بذلك تقرير الخيار، وأنه ثابتٌ مستقرٌّ، وأنَّ الأجلينِ على السواء، إمَّا هذا وإمَّا هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء، وأما التتمَّةُ فموكولةٌ إلى رأيي، إن شئتُ أتيتُ بها وإلَّا لم أجبر عليها. وقيل: معناه: فلا أكونُ متعدِّياً، وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك: لا إثْمَ عليَّ ولا تبعة. انتهى[٤]. وجوابُه الأوَّلُ فيه تكثيرٌ.

«واللهُ على ما نَقُولُ» أي: على ما تعاهدنا عليه وتوافقنا[٥] «وكيلٌ» أي: شاهد. وقال قتادة: حفيظ. وقال ابن شجرة: رقيب[٦]. والوكيل: الذي وُكِلَ إليه الأمرُ[٧]، فلمَّا ضُمِّنَ معنى شاهد ونحوِه عُدِّيَ بـ «على».

---

(١) الكشاف ٣/ ١٧٤.

(٢) هي عن أبي حيوة في المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٥، وعن ابن قطيب في مختصر ابن خالويه ص١١٢، والكشاف ٣/ ١٧٤.

(٣) قوله: فإن قلت. من (ت).

(٤) الكشاف ٣/ ١٧٤.

(٥) في (ع) والمطبوع: وتواثقنا.

(٦) النكت والعيون ٤/ ٢٤٩.

(٧) الكشاف ٣/ ١٧٤.

«فلما قَضى موسى الأجلَ» جاء عن النبي ﷺ أنَّه وَفَّى أطولَ الأجلين، وهو العشر[١]. وعن مجاهد: وفى عشراً وعشراً بعدها. وهذا ضعيف[٢].

«وسار بأهله» أي: نحوَ مصر بلدِهِ وبلدِ قومِه. والخلافُ فيمن تزوَّجَ، الكبرى أم الصغرى؟ وكذلك في اسمها؟ وتقدَّم كيفيَّةُ مسيره وإيناسِهِ النار في سورة طه وغيرها.

وقرأ الجمهور: «جذوة» بكسر الجيم، والأعمش وطلحة وأبو حيوة وحمزة بضمِّها، وعاصم غير[٣] الجعفي بفتحها[٤].

«لعلكم تصطلون» أي تتسخنون[٥] بها، إذ كانت ليلةً باردةً وقد أضلُّوا الطريقَ.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

«من» في «من شاطئ» لابتداء الغاية، و«من الشجرة» كذلك، إذ هي بدلٌ مِنَ الأولى، أي: من قبل الشجرة. و«الأيمن» يحتمل أن يكون صفةً للشاطئ وللوادي، على معنى اليمن والبركة، أو الأيمن يريد المعادل للعضو الأيسر،

(١) المحرر الوجيز ٤/٢٨٦، وأخرجه الطبري ١٨/٢٣٦، ٢٣٧، وتوسع الإمام ابن كثير في طرقه في تفسيره لهذه الآية ورأى أن بعضها يعضد بعضاً.
(٢) المحرر الوجيز ٤/٢٨٦، وأخرجه الطبري ١٨/٢٣٧.
(٣) في (ت): عن.
(٤) القراءة عن حمزة وعاصم وجمهور السبعة في السبعة ص٤٩٣، والتيسير ص١٧١.
(٥) في (ت): تسجرون. وفي (يه): تنسحبون. والمثبت من (ع) والمطبوع.

فيكونُ ذلكَ بالنسبة إلى موسى لا للشاطئ ولا للوادي، أي: أيمن موسى في استقباله حين[١] يهبطُ الوادي، أو بعكس ذلك، وكلُّ هذه الأقوال في «الأيمن» مقولٌ.

وقرأ الأشهبُ العقيليُّ ومسلمة: «في البَقعة» بفتح الباء[٢] قال أبو زيد: سمعتُ من العرب: هذه بَقعةٌ طيبةٌ، بفتح الباء[٣].

ووصِفَتِ البقعةُ بالبركة لمَا خُصَّت به من آيات الله وأنوارِه وتكليمه لموسى عليه السلام[٤]، أو لمَا حَوَت من الأرزاق والثمارِ الطيِّبة، ويتعلَّق «في البقعة» بـ «نودي» أو يكون في موضع الحال من «شاطئ». والشجرة عُنَّابٌ أو عُلَّيق أو سَمُرة أو عَوْسَجٌ. أقوالٌ[٥].

و«أن» يحتمل أنْ تكونَ حرفَ تفسيرٍ، وأن تكونَ مخفَّفةً من الثقيلة. وقرأت فرقةٌ: «أنِّي أنا» بفتح الهمزة[٦]. وفي إعرابه إشكالٌ؛ لأنَّ «أن» إن كانت تفسيريَّةً فينبغي كسرُ «إني» وإن كانت مصدريَّةً ـ وهي المخففةُ من الثقيلة ـ فاسمُها المحذوفُ ضمير الشأن و«أني» المفتوحة الهمزة[٧] تتقدَّرُ بالمفرد، والمفردُ لا يكونُ خبراً لضميرِ الشأن، فتخريجُ هذه القراءة على أنْ تكونَ «أن» تفسيريَّةً، و«أنِّي» معمولٌ لمضمرٍ تقديره: أي[٨] يا موسى اعْلَمْ أنِّي أنا الله.

وجاء في «طه»: ﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [الآية: ١١-١٢]، وفي «النمل»: ﴿نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [الآية: ٨] وهنا «نودي من شاطئ»، ولا منافاةَ؛

---

(١) في (ت) و(ع) والمطبوع: حتى.
(٢) مختصر في شواذ القرآن ص١١٢.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٧.
(٤) المصدر السابق.
(٥) انظر تفسير القرطبي ١٦/ ٢٧٤.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٧. وذكر الدكتور أحمد الخراط في تعليقه على الدر المصون ٨/ ٦٧٠ أن الصفراوي في «التقريب» نسبها لابن كثير من طريق الطرسوسي عن شبل عنه.
(٧) من قوله: وهي المخففة من. . . إلى هنا من (ت) و(يه).
(٨) في (ع) والمطبوع: اني، وفي الدر المصون ٨/ ٦٧٠: أن. والمثبت من (ت) و(يه)، وأصل روح المعاني، وغيره محققه ٢٠/ ١٧٤ إلى مثل ما في الدر المصون.

إذ حكى في كلِّ سورةٍ بعضَ ما اشتملَ عليه ذلك النداءُ[١].

والجمهورُ على أنَّه تعالى كلَّمه في هذا المقام مِنْ غيرِ واسطةٍ. وقال الحسن: ناداهُ نداءَ الوحي لا نداء الكلام[٢].

وتقدَّمَ الكلامُ على نظير قوله: «وأنْ ألقِ عصاكَ فلمَّا رآها تهتزُّ كأنَّها جانٌّ ولَّى مدبراً ولم يعقِّب»، ثمَّ أمرَهُ فقال: «اسلكْ يدكَ في جيبك» أي: أدخل يدك في جيبك[٣]، وهو فتح الجبَّة من حيث يخرجُ الرأس، وكان كُم الجبَّةِ في غاية الضيق[٤].

وتقدَّمَ الكلامُ على «تَخْرُج بيضاءَ من غير سوء».

وفُسِّرَ الجناحُ هنا باليد، وبالعَضُد، وبالعِطَاف، وبما أسفل[٥] العَضُد إلى الرُّسُغ، وبجيبِ مِدْرَعتِه. و«الرَّهَبُ» الخوفُ، وتأتي القراءات فيه. وقيل: بفتح الرَّاء والهاء: الكمُّ بلغة بني حنيفة وحمير، وسَمِعَ الأصمعيُّ قائلاً يقول: أعطني ما في رَهَبِك، أي: في كمِّك[٦].

والظاهرُ حملُ «واضمم إليكَ جناحَكَ من الرَّهَب» على الحقيقة. قال الثوري: خافَ موسى أنْ يكونَ حَدَث به سوءٌ، فأمرَهُ تعالى أنْ يُعيدَ يدَهُ إلى جيبه لتعودَ إلى حالتها الأولى، فيعلم موسى أنَّه لم يكن سوءاً، بل آيةً من الله.

وقال مجاهد وابن زيد: أمرَهُ بضمِّ عضُدِه وذراعِه ـ وهو الجناح ـ إلى جنبِه، ليخفَّ بذلك فزعُه، ومن شأن الإنسان إذا فعل ذلك في وقتِ فزعه أنْ يقوى قلبُه[٧].

وقيل: لمَّا انقلبت العصا حيَّةً فزعَ موسى واضطربَ، فاتَّقاها بيدِه كما يفعلُ

(١) تفسير الرازي ٢٤/ ٢٤٥.
(٢) تفسير الرازي ٢٤/ ٢٤٥. قال الإمام الآلوسي في روح المعاني ٢٠/ ١٧٥: ولم يرتضِ ذلك العلماءُ الأعلام؛ لما فيه من مخالفة الظاهر، وأنه لا يظهر عليه وجه اختصاصه باسم الكليم من بين الأنبياء عليهم السلام.
(٣) قوله: أي أدخل يدك في جيبك. من (ت) و(به).
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٧.
(٥) بعدها في المطبوع: من.
(٦) تفسير الثعلبي ٤/ ٥٣٨، وتفسير القرطبي ١٦/ ٢٧٨.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٧، وقولا مجاهد وابن زيد أخرجهما الطبري ١٨/ ٢٤٦.

الخائفُ من الشيء، فقيل له: أَدخل يدكَ تحتَ عضُدكَ مكان اتِّقائك بها، ثُمَّ أخرجها بيضاءَ لتظهرَ معجزةٌ أخرى، وهذا القولُ بسطَهُ الزمخشريُّ؛ لأنَّه كالتكرار لقولِه: «اسلك يدك في جيبك»، وقد قال هو: والجناح هنا اليد، قال: لأنَّ يدَي الإنسان بمنزلة جناحَي الطائر، وإذا أدخلَ يدَهُ اليمنى تحت عضُده اليسرى، فقد ضمَّ جناحَهُ إليه. انتهى[١].

وقيل: المعنى: إذا هالكَ أمرٌ لما يغلبُ من شعاعِها فاضممها إليك تسكن[٢].

وقالت فرقة: هو مجازٌ، أمرَه بالعزم على ما أمرَهُ به، كما تقول العرب: اشدد حيازيمَك[٣] واربط جأشَك، أي: شمِّر في أمرِك ودع الرَّهَبَ، وذلك لمَّا كثُرَ تخوُّفُه وفزَعُه في غير موطن، قاله أبو علي[٤]، وكأنَّه طيَّرَهُ الفزعُ، وآلةُ الطيرانِ الجناح، فقيل له: اسكن ولا تخف، وضمَّ منشورَ جناحِك مِنَ الخوفِ إليك، وذكرَ هذا القولَ الزمخشريُّ، فقال: والثاني أنْ يُرَاد بضمِّ جناحِه إليه تجلُّدُه وضبطُه نفسَه وتشدُّده عندَ انقلابِ العصا حيَّةً حتى لا يضطربَ ولا يرهبَ، استعارَه مِنْ فعل الطائر؛ لأنَّه إذا خاف نشر جناحَيه وأرخاهُما، وإلَّا فجناحاهُ مضمومان إليه مشمَّران.

ومعنى «من الرَّهَب» من أجلِ الرهب، أي: إذا أصابَكَ الرهبُ عندَ رؤية الحيَّة فاضمم إليك جناحك، وجُعِلَ الرَّهبُ الذي كان يصيبُه سبباً وعلَّةً فيما أُمِرَ به من ضمِّ جناحه إليه، ومعنى: «واضمم إليك جناحَك» وقوله: «اسلكْ يدكَ في جيبك» على أحد التفسيرين واحدٌ، ولكن خُولِفَ بين العبارتين، وإنَّما كرَّرَ المعنى الواحدَ لاختلافِ الغرضَين، وذلك أنَّ الغرضَ في أحدهما خروجُ اليدِ بيضاء، وفي الثاني إخفاءُ الرَّهب.

فإن قلت: قد جُعِلَ الجناحُ وهو اليد في أحد الموضعين مضموماً، وفي الآخر مضموماً إليه، وذلك قوله: «واضمم إليك جناحك»، ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: ٢٢]، فما التوفيق بينهما؟ قلت: المرادُ بالجناح المضموم هو اليدُ اليمنى، وبالمضموم إليه اليدُ اليسرى، وكلُّ واحدةٍ من يمنى اليدين ويسراهُما جناحٌ.

---

(١) الكشاف ٣/ ١٧٥.
(٢) تفسير القرطبي ١٦/ ٢٧٧.
(٣) الحيزوم: وسط الصدر وما يضمُّ إليه الحزام. مختار الصحاح (حزم).
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٧، وانظر كلام أبي علي في الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤١٥-٤١٦.

ومن بِدَعِ التفاسير أنَّ الرهبَ الكُمُّ بلغةِ حمير، وأنَّهم يقولون: أعطني ما في رَهَبِك. وليتَ شعري كيف صحَّتُه في اللغة، وهل سُمِعَ من الأثبات الثقات الذين[١] تُرْضَى عربيَّتُهم؟! ثمَّ ليتَ شعري، كيفَ موقعُهُ في الآية؟! وكيف يُطْبِقهُ[٢] المِفْصَلُ كسائرِ كلماتِ التنزيل، على أنَّ موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليلةَ المناجاة إلَّا زُرْمانِقَةٌ[٣] مِنْ صوفٍ لا كمّي[٤] لها. انتهى.

أمَّا قوله: وهل سُمِعَ من الأثبات. فهذا مرويٌّ عن الأصمعيّ، وهو ثقةٌ ثبتٌ، وأمَّا قوله: كيف موقعه من الآية. فقالوا: معناه: أخرج يدكَ من كمِّك، وكان قد أخذ العصا بالكمِّ.

وقرأ الحِرْمِيَّان وأبو عمرو: «من الرَّهَب» بفتح الراء والهاء، وحفص بفتح الرَّاء وسكون الهاء، وباقي السبعة بضمِّ الراء وإسكان الهاء[٥].

وقرأ قتادة والحسن وعيسى والجحدري بضمِّهما[٦].

«فذانك» إشارةٌ إلى العصا واليد، وهما مؤنَّثتان، ولكن ذُكِّرا لتذكير الخبر، كما أنَّه قد يؤنَّثُ المذكَّرُ لتأنيث الخبر، كقراءة من قرأ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ [الأنعام: ٢٣] بالتاء في «تكن»[٧].

«بُرْهانان» حُجَّتان نيِّرتان. وقرأ ابنُ كثير وأبو عمرو: «فذانِّكَ» بتشديد النون وباقي السبعة بتخفيفها[٨]. وقرأ ابنُ مسعود وعيسى وأبو نوفل وابنُ هرمز وشبل:

---

(١) في (ع) و(يه) والمطبوع: التي. والمثبت من (ت) والكشاف.

(٢) في (ت) والمطبوع: يطيعه. وفي الكشاف: تطيقه.

(٣) الزرمانقة: جبة من صوف، معرَّب: أُشْتُرْبانَه، أي: متاع الجمال. القاموس (زرق).

(٤) كذا في النسخ الخطية، ومخطوط الكشاف ٢/(ورقة ١٤٩) ومطبوعه ٣/ ١٧٥. وفي مطبوع البحر: كمين.

(٥) السبعة ص٤٩٣، والتيسير ص١٧١. والحرميان نافع وابن كثير.

(٦) القراءة في مختصر في شواذ القرآن ص١١٢ عن عيسى بن عمر والجحدري، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٧ عن الجحدري وفي زاد المسير ٦/ ٢٢٠ عن أبيِّ بن كعب والحسن وقتادة.

(٧) هي قراءة عاصم ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر. انظر التيسير ص١٠١.

(٨) السبعة ص٤٩٣، والتيسير ص١٧١.

«فذانِيكَ» بياءٍ بعد النونِ المكسورة، وهي لغةُ هذيل، وقيل: بل لغةُ تميم، ورواها شبلٌ عن ابنِ كثير[(١)]، وعنه أيضاً: «فذانَيك» بفتح النون قبل الياء[(٢)]، على لغة من فتَح نونَ التثنية، نحو قوله:

على أَحْوَذِيَّيْنَ استقلَّت عليهما[(٣)]

وقرأ ابنُ مسعود بتشديد النون مكسورةً بعدها ياءٌ. قيل: وهي لغةُ هذيل. وقال المهدويُّ: بل لغتُهم تخفيفها[(٤)].

و«إلى فرعون» يتعلَّقُ بمحذوفٍ دلَّ عليه المعنى، تقديره: اذهب إلى فرعون.

«قال ربِّ إنِّي قتلتُ منهم نفساً» هو القبطيُّ الذي وكزَهُ فماتَ، فطلب مِنْ ربِّه ما يزدادُ به قوَّة، وذكرَ أخاهُ والعلةَ التي تكون له زيادة في التبليغ. و«أفصح» يدلُّ على أنَّ فيه فصاحةً ولكن أخوه أفصح.

«فأَرْسِلْهُ معيَ ردءاً» أي: معيناً يصدِّقني، ليس المعنى أنَّه يقولُ لي: صدقت؛ إذ يستوي في قول هذا اللفظِ العييُّ والفصيحُ، وإنَّما المعنى أنَّه لزيادةِ فصاحتِه يبالغُ في التبيانِ وفي الإجابة عن الشبهات وفي جدالِه الكفَّار[(٥)].

وقرأ الجمهور: «ردءاً» بالهمز، وأبو جعفر ونافع والمدنيُّون[(٦)] بحذفِ الهمزةِ ونقلِ حركتِها إلى الدال، والمشهورُ عن أبي جعفر بالنقلِ ولا همز ولا تنوين[(٧)]، ووجهُه أنَّه أجرى الوصلَ مُجرى الوقف.

---

(١) ذكرها ابن مجاهد في السبعة ص٤٩٣.
(٢) مختصر في شواذ القرآن ص١١٣.
(٣) في (ت): عليها. وفي المطبوع والمصادر: عشية. والبيتُ لحميد بن ثور، وهو في ديوانه ص٥٥ في وصف قطاة. والأحوذيُّ: الخفيف في الشيء لحذقه، وأراد الشاعر بالأحوذيين هنا جناحي قطاة، يصفهما بخفتهما. المقاصد النحوية ١/ ١٨٠ (بهامش خزانة الأدب طبعة دار صادر).
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٧.
(٥) انظر الكشاف ٣/ ١٧٦.
(٦) في (ت): والداني، وفي (ع) والمطبوع: والمدنيان. والمثبت من (يه) وهو موافق لما في المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٨.
(٧) السبعة ص٤٩٤، والتيسير ص١٧١ عن نافع. وقراءته وقراءة أبي جعفر في النشر ١/ ٤١٤ وفيه أن نافعاً وافق أبا جعفر في الوقف.

وقرأ عاصم وحمزة: «يُصَدِّقُني» بضمِّ القاف، فاحتملَ الصفة لـ «ردءاً» والحالَ، واحتملَ الاستئناف. وقرأ باقي السبعة: بالإسكان[١].

وقرأ أبيّ وزيدُ بن علي: «يصدقوني» والضميرُ لفرعونَ وقومِه، قال ابنُ خالويه: هذا شاهدٌ لمن جزمَ؛ لأنَّه لو كان رفعاً لقال: يصدقونني. انتهى[٢]. والجزمُ على جوابِ الأمر، والمعنى في «يصدقوني» أرجو تصديقَهم إيَّاي، فأجابَهُ تعالى إلى طِلْبَتِه و«قال: سنشدُّ عَضُدَك بأخيك». وقرأ زيد بن عليّ والحسن: «عُضُدك» بضمتين[٣]. وعن الحسن بضمِّ العين وإسكان الضاد. وعن بعضِهم بفتحِ العينِ وكسرِ الضاد وفتحها[٤] وفتحهما قرأ به عيسى[٥]. ويقال فيه: عَضْد، بفتح العين وسكون الضاد، ولا أعلمُ أحداً قرأ به. والعضدُ: العضوُ المعروف، وهي قِوَامُ اليدِ، وبشدَّتها تشتدُّ، قال الشاعر:

أبني لُبينى لستما بيدٍ إلَّا يداً ليستْ لها عَضُدُ[٦]

والمعنى فيه: سنقوِّيكَ بأخيكَ، ويقال في: الخير شَدَّ اللهُ عضدَك، وفي الشرِّ: فتَّ الله في عضدك.

والسلطان: الحجَّةُ والغلبةُ والتسلُّط[٧].

«فلا يصلون إليكما» أي بسوءٍ، أو إلى إذايتكما. ويحتملُ «بآياتنا» أنْ يتعلَّقَ بقوله: «ونجعل» أو بـ «يصلون»، أو بـ «الغالبون» وإنْ كان موصولاً على مذهب من يَجوزُ عنده أنْ يتقدَّمَ الظرفُ والجارُّ والمجرور على صلة «أل» وإن كان عنده

(١) السبعة ص٤٩٤، والتيسير ص١٧١.
(٢) مختصر في شواذ القرآن ص١١٤. والقراءة فيه عن أبيٍّ ﷺ. وقال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٦٧٧: وهذا سهوٌ من ابن خالويه؛ لأنه متى اجتمعت نون الرفع مع نون الوقاية جازت أوجه: أحدها، الحذف، فهذا يجوز أن يكون مرفوعاً.
(٣) القراءة عن الحسن في المحتسب ٢/ ١٥٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٨٨.
(٤) لفظة: وفتحها. من (ع) و(يه). غير أن العبارة في (ع) بتقديم: وفتحهما على: وفتحها.
(٥) قراءة عيسى في المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٨.
(٦) البيت لطرفة، وهو في ديوانه ص١٤٧ (طبعة مجمع اللغة العربية) وفيه وفي الكشاف ٣/ ١٧٦: لستم. بدل: لستما.
(٧) في (ت) والمطبوع: والتسليط.

موصولاً على سبيل الاتِّساع، أو بفعلٍ محذوفٍ، أي: اذهبا بآياتنا، كما علق ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ [النمل: ١٢] بـ: اذهب، أو على البيان، فالعاملُ محذوفٌ. وهذه أعاريبُ منقولةٌ.

وقال[١] الزمخشريُّ: ويجوزُ أن يكونَ قسماً جوابُه: «فلا يصلون» مقدَّماً عليه، أو من لغو القسم. انتهى[٢].

أما أنَّه قسمٌ جوابُه «فلا يصلون» فإنَّه لا يستقيمُ على قول الجمهور؛ لأنَّ جوابَ القسمِ لا تدخلُه الفاء، وأمَّا قولُه: أو من لغو القسم، فكأنَّه يريدُ ـ والله أعلم ـ أنَّه لم يُذْكَر له جوابٌ، بل حذفَ للدلالة عليه، أي: بآياتِنا لتغلبنّ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

«بآياتنا» هي العصا واليد «بيِّنات» أي: واضحاتِ الدلالة على صدقِه وأنَّه أمرٌ خارقٌ معجزٌ، كَفُّوا عن مقاومته ومعارضته، فرجعوا إلى البَهْتِ والكذبِ، ونسبوه إلى أنَّه سحرٌ؛ لأنَّهم يرونَ الشيء على حالةٍ، ثمَّ يرونَه على حالةٍ أخرى، ثم يعودُ إلى الحالة الأولى، فزعموا أنه سحرٌ يفتعلُه موسى ويفتريه على الله، فليس بمعجزٍ، ثمَّ مع دعواهم أنَّه سحرٌ مفترى وكذبِهم في ذلك، زادوا في الكذب أنَّهم ما سمعُوا

---

(١) في (ت): في. بدل: وقال.

(٢) الكشاف ٣/ ١٧٦.

بهذا في آبائهم، أي: في زمان آبائهم وأيَّامهم. و«في آبائنا» حالٌ أي: بهذا، أي[١] بمثل هذا كائناً في أيام آبائنا، وإذا نفوا السماع لمثل هذا في الزمان السابق، ثبتَ أنَّ ما ادَّعاه موسى هو بدعٌ لم يُسْبق إلى مثلِه، فدلَّ على أنَّه مُفترًى على الله، وقد كذَبوا في ذلك، وطرقَ سمعَهم أخبارُ الرسلِ السابقينَ موسى في الزمان، ألا ترى إلى قول مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر: ٣٤].

ولمَّا رأى موسى ما قابلوه به من كونِ ما أتى به سحراً وانتفاءِ سماعِ مثله في الزمان السابق «قال موسى: ربِّي أعلمُ بمن جاء بالهدى من عنده» حيثُ أهَّلَهُ للرسالة وبعثَهُ بالهدى، ووعدَهُ حُسْن العقبى، ويعني بذلك نفسَه، ولو كان كما يزعمون لم يرسله[٢].

ثمَّ نبَّه على العلَّة الموجبة لعدم الفلاح وهي الظلم؛ وضعُ الشيء غير موضعه، حيث دُعوا إلى الإيمان بالله وأُتُوا بالمعجزات، فادَّعوا الألوهيَّة، ونسبوا ذلك المُعْجِزَ إلى السحر.

و«عاقبةُ الدار» وإن كانت تصلحُ للمحمودةِ والمذمومة، فقد كثُر استعمالها في المحمودة، فإذا لم تقيَّد حُمِلَت عليها، ألا ترى إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ... جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ [الرعد: ٢٢-٢٣]، وقال: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٤٢].

وقرأ ابنُ كثير: «قال موسى» بغير واو، وباقي السبعة بالواو[٣].

ومناسبةُ قراءة الجمهور أنَّه لمَّا جاءهم بالبينات قالوا كيت وكيت، وقال موسى كيت وكيت، فيتميَّزُ الناظرُ فصلَ ما بين القولين وفسادَ أحدهما، إذ قد تقابلا، فيعلم يقيناً أنَّ قولَ موسى هو الحقُّ والهدى، ومناسبةُ قراءةِ ابن كثير أنَّه موضع جوابٍ، لمَّا قالوا كيتَ وكيت، قال موسى كيت وكيت[٤].

ونفى فرعونُ علمَه بإله غيره للملأ، ويريدُ بذلك نفيَ وجودِه، أي: ما لكم من

---

(١) قوله: بهذا أي. ليس في (يه).
(٢) انظر الكشاف ٣/ ١٧٧.
(٣) السبعة ص٤٩٤، والتيسير ص١٧١.
(٤) انظر الكشاف ٣/ ١٧٨.

إلهٍ غيري. ويجوزُ أنْ يكون غيرَ معلومٍ عنده إلهٌ لهم، ولكنَّه مظنونٌ، فيكون النفيُ على ظاهره، ويدلُّ على ذلك قولُه: «وإنِّي لأظنُّه من الكاذبين» وهو الكاذبُ في انتفاءِ علمِه بإله غيره وفي قوله: «وإنِّي لأظنُّه»؛ لقوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] وإنَّما هو مباهِتٌ مُظْهِرٌ نفيَ الصانع[١]، ألا تَرى إلى قوله حالةَ غرقه: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[٢] [يونس: ٩٠].

واستمرَّ فرعونُ في مخرَقته، ونادى وزيرَه هامان، وأمرَهُ أن يوقدَ النار على الطين، قيل: وهو أوَّلُ من عمل الآجرَّ، ولم يقل: اطبخ الآجرَّ؛ لأنَّه لم يتقدَّم لهامانَ علمٌ بذلك، ففرعونُ هو الذي يعلِّمُه ما يصنع[٣].

«فاجعل لي صَرْحاً» أي: ابنِ لي «لعلِّي أطَّلِعُ إلى إله موسى» أوهمَ قومَه أنَّ إلهَ موسى يمكنُ الوصولُ إليه والقدرةُ عليه، وهو عالمٌ متيقِّنٌ أنَّ ذلك لا يُمكنُ له، وقومُه لغباوتهم وجهلِهم وإفراط عمايتِهم يمكنُ ذلك عندَهم، ونفسُ إقليم مصر يقتضي لأهله تصديقَهم بالمستحيلات وتأثُّرهم للموهمات والخيالات، ولا يُشَكُّ أنَّه كان في قوم فرعون مَنْ يعتقدُ أنَّه مبطلٌ في دعواه، ولكن يوافقُه مخافةَ سطوهِ واعتدائهِ، كما رأيناه يَعْرِضُ لكثيرٍ من العقلاء إذا حَدَّثَ رئيسٌ بحضرتِه بحديثٍ مستحيل، يوافقُه على ذلك الحديث.

ولا يدلُّ الأمرُ ببناء الصَّرح على أنَّه بُنِيَ، وقد اختُلِفَ في ذلك، فقيل: بناه، وذكرَ من وَصْفِه ما الله أعلمُ به. وقيل: لم يبن.

واطلع في معنى اطلع[٤]؛ يقال طلعَ إلى الجبل واطَّلع بمعنًى واحد، أي: صعد، فـ: افتعل فيه بمعنى الفعلِ المجرد.

و«بغير الحق» إذ ليس لهم ذلك، فهم مبطلونَ في استكبارهم، حيث ادَّعى الإلهيَّة ووافقوه على ذلك، والكبرياءُ في الحقيقة إنَّما هي لله.

---

(١) من قوله: وفي قوله: وإني... إلى هنا، من (ت) و(يه).
(٢) انظر الكشاف ٣/ ١٧٩.
(٣) المصدر السابق.
(٤) كذا، ولعلها: طلع. وعبارة الزمخشري في الكشاف ٣/ ١٨٠: والطلوع والاطلاع: الصعود.

وقرأ حمزة والكسائي ونافع: «لا يرجعون» مبنيًّا للفاعل والجمهور مبنيًّا للمفعول[١].

والأرض هنا أرضُ مصر.

«فنبذناهم في اليم» كنايةٌ عن إدخالهم في البحر حتى غرقوا، شُبِّهوا بحصياتٍ قَذفها الرامي من يده، ومنه نبذُ النواة، وقول الشاعر:

نـظـرتَ إلـى عُـنْـوَانِـهِ فـنَـبَـذْتَـه كـنَـبْـذِكَ نَـعْـلاً مـن نِـعَـالـكَ بـالـيـا[٢]

وقومُ فرعونَ وفرعون وإن ساروا إلى البحر باختيارهم في طلب بني إسرائيل، فإنَّ ما ضمَّهم من القَدَرِ السابق وإغراقهم في البحر هو نبذُ اللهِ إيَّاهم[٣].

و«جعل» هنا بمعنى صيَّر، أي: صيَّرناهم أئمةً، أي: قدوةً للكفَّار يقتدونَ بهم في ضلالتهم، كما أنَّ للخيرِ أئمَّةً يُقْتَدى بهم اشتُهِروا بذلك، وبقيَ حديثُهم.

وقال الزمخشريُّ: «وجعلناهم»: دعوناهم أئمَّةً دعاةً إلى النار، وقلنا: إنَّهم أئمةٌ دعاةٌ إلى النار [كما يدعى خلفاءُ الحقِّ أئمَّةً دعاةً إلى الجنَّة]، وهو من قولك: جعلَهُ بخيلاً وفاسقاً، إذا دعاهُ فقال: إنَّه بخيلٌ وفاسقٌ، ويقول أهل اللغة في تفسير فَسَّقهُ وبَخَّلهُ: جعله بخيلاً وفاسقاً، ومنه قوله عز وعلا: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩]. ومعنى دعوتِهم إلى النار دعوتُهم إلى موجباتها من الكفر. انتهى[٤].

وإنَّما فسَّر «جعلناهم» بمعنى دعوناهم، لا بمعنى: صَيَّرناهم؛ جرياً على مذهبه من الاعتزال؛ لأنَّ في تصييرهم أئمةً خَلْقُ ذلك لهم، وعلى مذهب المعتزلة لا يجوِّزون ذلك مِن الله، ولا ينسبونَهُ إليه.

---

(١) السبعة ص٤٩٤، والتيسير ص١٧١.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٩، والبيت لأبي الأسود الدؤلي، وهو في ديوانه ص١٠٦، ٢٥٨، ٤٤٥ وعجزه فيه:

كـنـبـذك نَـعْـلاً أَخْـلَـقَـتْ مـن نـعـالـكـا

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٩.

(٤) الكشاف ٣/ ١٨٠.

قال: ويجوزُ خذلناهم حتَّى كانوا أئمَّة الكفر، ومعنى الخذلان منعُ الألطاف، وإنَّما يَمْنَعُها مَنْ عَلِمَ أنَّه لا ينفع فيه، وهو المصمِّمُ على الكفرِ الذي لا تغني عنه الآياتُ والنذر. انتهى[١]. وهو على طريقة الاعتزال أيضاً.

«لعنةً» أي: طرداً وإبعاداً، وعطف «ويومَ القيامة» على «في هذه الدنيا».

«من المقبوحين» قال أبو عبيدة: من الهالكين[٢]. وقال ابن عباس: من المُشَوَّهين الخِلْقَةَ بسوادِ[٣] الوجوهِ وزُرْقة العيون[٤]. وقيل[٥]: من المُبْعَدين.

ولمَّا ذكرَ تعالى ما آلَ إليه فرعونُ وقومُه مِنْ غضبِ الله عليهم وإغراقه، ذكر ما امتنَّ به على رسوله موسى عليه السلام، فقال: «ولقد آتينا موسى الكتابَ»، وهو التوراة، وهو أوَّلُ كتابٍ أُنْزِلت فيه الفرائض والأحكام[٦].

«من بعد ما أهلكنا القرون الأولى» قوم نوح وهود وصالح ولوط، ويقال: لم تُهْلَك قريةٌ بعد نزولِ التوراة غيرَ القريةِ التي مُسِخَ أهلُها قردة[٧].

وانتصب «بصائر» على الحال، أي: طرائقَ هُدًى يُسْتَبصَرُ بها.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ

---

(١) الكشاف ٣/ ١٨٠-١٨١.
(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٠٦. ونصه فيه: المهلكين.
(٣) في (ع) والمطبوع: لسواد.
(٤) تفسير الثعلبي ٤/ ٥٤٠، وتفسير القرطبي ١٦/ ٢٨٥.
(٥) من قوله: من المشوهين.. إلى هنا. ساقط من (يه).
(٦) هو قول يحيى بن سلام، كما في تفسير القرطبي ١٦/ ٢٨٦.
(٧) بعدها في (ت): وخنازير. والكلام في المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٩.

يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

لمَّا قصَّ اللهُ تعالى مِنْ أنباءِ موسى وغرائبِ ما جرى له من الحَمْلِ به في وقت ذبحِ الأبناء، ورميِهِ في البحر في تابوت، وردِّه إلى أمِّه، وتبنِّي فرعونَ له، وإيتائه الحكم والعلم، وقتله القبطيَّ، وخروجِه من منشئه فارًّا، وتصاهرِهِ مع شعيبٍ، ورعيِهِ لغنمِه السنينَ الطويلة، وعودِه إلى مصر، وإضلاله الطريقَ، ومناجاة الله له، وإظهار تلك المعجزتين العظيمتين على يديه، وهي العصا واليد، وأمرِه بالذهابِ إلى فرعونَ، ومحاورتِهِ معه، وتكذيبِ فرعون، وإهلاكه وإهلاك قومه، والامتنانِ على موسى بإيتائه التوراةَ، وأوحى تعالى بجميعِ ذلك إلى محمدٍ رسوله ﷺ = ذكَّره بإنعامه عليه بذلك، وبما خصَّه من الغيوب التي كان لا يعلمُها لا هو ولا قومُه، فقال: «وما كنتَ بجانبِ الغربيِّ إذ قضينا إلى موسى الأمر».

و«الأمر» قيل: النبوَّةُ والحكم الذي آتاهُ الله موسى. وقيل: الأمرُ أمر محمد ﷺ إذ رأى من فضله وفضل أمَّته ما تمنَّى موسى[1] عليه السلام أنْ يكون من أمَّته، وهذا التأويلُ يلتئمُ معه ما بعدَه من قوله: «ولكنَّا أنشأنا قروناً»[2]. وقيل: «الأمرُ» هلاكُ فرعونَ بالماء.

ويحمل «بجانب الغربي» على اليمّ، وبدأ أوَّلاً بنفي شيءٍ خاصٍّ، وهو أنَّه لم يحضر وقتَ قضاءِ الله لموسى الأمر، ثم ثنَّى بكونهِ لم يكن من الشاهدين، والمعنى والله أعلم: من الشاهدين لجميع[3] ما أعلمناكَ به، فهو نفيٌ لشهادته جميعَ ما جرى لموسى، فكان عموماً بعد خصوص[4].

---

(١) من قوله: إذ رأى من فضله... إلى هنا من (يه)، وهو في (ت) لكن دون قوله: وفضل أمته.

(٢) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٠.

(٣) في (ع) والمطبوع: بجميع.

(٤) من قوله: ثم ثنى بكونه... إلى هنا ليس في (ت).

و«بجانب الغربيّ» من إضافة الموصوفِ إلى صفته عند قوم، ومن حَذْفِ الموصوف وإقامة الصفةِ مقامَه عند قوم. فعلى القولِ الأول، أصلُه: بالجانبِ الغربيِّ، وعلى الثاني أصلُه: بجانب المكان الغربي، والترجيحُ بين القولين مذكورٌ في النحو.

و«الغربيّ» قال قتادة: غربيّ الجبل[١]. وقال الحسن: بعثَ اللهُ موسى بالغربِ. وقال أبو عبيدة: حيث تغربُ الشمسُ والقمرُ والنجوم[٢]. وقيل: هناك[٣] جبل غربيّ. وقيل: الغربي من الوادي. وقيل: من البحر.

قال ابن عطية: المعنى: لم تحضُرْ يا محمدُ هذه الغيوبَ التي تُخبِرُ بها، ولكنَّها صارتْ إليك بوحينا، أي: فكان الواجبُ أنْ يسارَعَ إلى الإيمان بكَ، ولكن تطاولَ الأمرُ على القرون التي أنشأناها زمناً زمناً، فعَزَبتْ حلومُهم، واستحكمَتْ جهالتُهم وضلالتُهم[٤].

وقال الزمخشريُّ: «الغربيّ» المكانُ الواقعُ في شقِّ الغربِ، وهو المكانُ الذي وقع فيه ميقاتُ موسى مِنَ الطُّور، وكتبَ اللهُ له في الألواح. والأمرُ المقضيُّ إلى موسى الوحيُ الذي أُوحيَ إليه، والخطابُ لرسول الله ﷺ يقول: وما كنتَ حاضراً المكانَ الذي أوحينا فيه إلى موسى، ولا كنتَ من جملة الشاهدينَ للوحي إليه، أو على الوحي إليه، وهم نقباؤُه الذينَ اختارَهم للميقاتِ حتَّى تقفَ من جهة[٥] المشاهدةِ على ما جرى مِنْ أمرِ موسى في ميقاته وكِتْبةِ التوراةِ له في الألواح وغير ذلك. فإن قلت: كيف يتَّصلُ قولُه: «ولكنَّا أنشأنا قروناً» بهذا الكلام، ومِنْ أيِّ جهةٍ يكون استدراكاً له؟ قلت: اتِّصالُه به وكونُه استدراكاً مِنْ حيث إنَّ معناه: ولكنَّا أنشأنا بعدَ عهدِ الوحي إلى عهدكَ قروناً كثيرةً، «فتطاولَ» على آخرِهم، وهو القرنُ الذي أنتَ فيهم «العمرُ» أي: أمدُ انقطاعِ الوحي، واندرسَتِ العلومُ، فوجبَ

(١) أخرجه الطبري ١٨/ ٢٦٠، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٨٢ (١٦٩٣١).
(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٠٦.
(٣) في (ت) والمطبوع: هنا.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٩-٢٩٠.
(٥) في (ع) والمطبوع: جملة. وفي (يه): جهته. والمثبت من (ت) والكشاف.

إرسالُكَ إليهم، فأرسلناكَ وكَسَبْنَاكَ[١] العلمَ بقَصص الأنبياء وقصَّةِ موسى، كأنَّه قال: وما كنتَ شاهداً لموسى وما جرى عليه، ولكنَّا أوحيناهُ إليك، فذكرَ سببَ الوحي الذي هو إطالةُ الفترة[٢]، ودلَّ به على المسبِّبِ على عادة الله في اختصاره، فإذن هذا الاستدراكُ شبيهُ الاستدراكين بعدَه، «وما كنت ثاوياً» أي: مقيماً في أهل مدين، هم شعيب والمؤمنون «تتلو عليهم آياتنا» تقرأ عليهم تعلماً منهم؛ يريدُ الآياتِ التي فيها قصَّةُ شعيبٍ وقومه، ولكنَّا أرسلناكَ وأخبرناكَ بها وعلَّمناكَها، «إذ نادينا» يريدُ مناداةَ موسى ليلة المناجاة وتكليمه، ولكن علمناك رحمةً. انتهى[٣].

وقيل: «فتطاولَ عليهم العمرُ» وفترتِ النبوَّةُ ودَرَستِ الشرائعُ، وحُرِّفَ كثيرٌ منها، وتمامُ الكلامِ مضمرٌ تقديره: وأرسلناكَ مجدِّداً لتلك الأخبار، مميِّزاً للحقِّ ممَّا[٤] اختُلِفَ فيه منها؛ رحمةً منا.

وقيل: يحتملُ أنْ يكون المعنى: وما كنتَ من الشاهدين في ذلك الزمان، وكانت بينَك وبينَ موسى قرونٌ تطاولَت أعمارُهم، وأنت تخبرُ الآنَ عن تلك الأحوال إخبارَ مشاهدةٍ وعيانٍ بإيحائنا معجزةً لك.

وقيل: «تتلو» حال. وقيل: مستأنف، أي أنتَ الآنَ تتلو قصَّة شعيب، ولكنَّا أرسلناك رسولاً، وأنزلنَا عليك كتاباً فيه هذه الأخبارُ المنسيَّةُ تتلوها عليهم، ولولاه ما أخبرتَهم بما لم تشاهده[٥].

وقال الفرَّاء: «وما كنت ثاوياً في أهل مدين» مع موسى فتراهُ وتسمعَ كلامه، وها أنتَ تتلو عليهم آياتنا، أي: على أمَّتك. فهو منقطع. انتهى.

وقيل: وإذا لم يكن حاضراً في ذلك المكان فما معنى «وما كنت من الشاهدين»؟ فقال ابن عباس: التقديرُ: لم تحضر ذلكَ الموضعَ، ولو حضرتَ

---

(١) في (ت) ومطبوع الكشاف: كسيناك. والمثبت من (ع) و(يه) ومخطوط الكشاف (٢/الورقة ١٥١).

(٢) في (ت) و(ع): الفطرة. وفي (يه): العمر. والمثبت من الكشاف.

(٣) الكشاف ٣/ ١٨١-١٨٢.

(٤) في (ت) و(ع) والمطبوع: بما. والمثبت من (يه).

(٥) في (ع) والمطبوع: يشاهدوه.

فما شاهدتَ تلك الوقائعَ، فإنَّه يجوز أنْ يكونَ هناك ولا يشهد ولا يرى.

وقال مقاتل: لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكَّةَ خبرَهم، ولكنَّا أرسلناكَ إلى أهلِ مكَّة وأنزلنا إليك هذه الأخبار، ولولا ذلكَ ما علمت.

وقال الضحاك: يقول إنَّك يا محمدُ لم تكن الرسولَ إلى أهل مدين تتلو عليهم آياتِ الكتاب، وإنَّما كان غيرُك «ولكنا كنا مرسلين» في كلِّ زمانٍ رسولاً، فأرسلنا إلى مدينَ شعيباً، وأرسلناكَ إلى العرب لتكون خاتمَ الأنبياء. انتهى[١].

وقال الطبري: «إذ نادينا» بأن ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الآية[٢] [الأعراف: ١٥٦]. وعن أبي هريرة أنَّه نوديَ من السماء حينئذٍ: يا أمَّةَ محمدٍ استجبتُ لكم قبل أنْ تدعوني، وغفرتُ لكم قبلَ أنْ تسألوني، فحينئذٍ قال موسى عليه السلام: اللهمَّ اجعلني من أمَّة محمد. فالمعنى «إذ نادينا» بأمرك وأخبرنا بنبوَّتِك[٣].

وقرأ الجمهور: «رحمةً» بالنصب، فقُدِّرَ: ولكن جعلناك رحمةً، وقُدِّر: أعلمناك ونبَّأناك[٤] رحمة. وقرأ عيسى وأبو حيوة بالرفع[٥]، وقُدِّرَ: ولكن هو رحمةٌ، أو: هو رحمة[٦]، أو: أنتَ رحمةٌ.

«لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير» أي: في زمن الفترة بينَك وبين عيسى، وهو خمس مئةٍ وخمسون عاماً ونحوه[٧]. وجوابُ «لولا» محذوفٌ، والمعنى: لولا أنَّهم قائلون إذا عوقبوا بما قَدَّموا من الشركِ والمعاصي: هلا أرسلتَ إلينا رسولاً، محتجِّين بذلك علينا، ما أرسلنا إليهم، أي: إنَّما أرسلنا الرُّسُل إزالةً لهذا العذر،

(١) أقوال ابن عباس ومقاتل والضحاك في تفسير الرازي ٢٤/ ٢٥٧.
(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٢٦١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٠. وقول أبي هريرة ﷺ أخرجه الطبري ١٨/ ٢٦٢.
(٤) في (ع): وأنبأناك. وانظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٠، فالكلام منه.
(٥) القراءة عن عيسى في المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٠، وعن أبي حيوة في مختصر في شواذ القرآن ص١١٣.
(٦) قوله: أو هو رحمة. ليس في (ت) و(يه).
(٧) كذا، والعبارة مبتورةٌ عن سياقها، وتمامها كما في الكشاف ٣/ ١٨٢ ـ والكلام منه ـ: ونحوه قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦].

كما قال: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] ﴿أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾[١] [المائدة: ١٩]، وتقديرُ الجواب: ما أرسلنا إليهم الرُّسُل: هو قول الزجاج[٢].

وقال ابن عطية: تقديرُه: لعاجلناهُم بما يستحقُّونه[٣].

والمصيبةُ: العذاب. ولمَّا كان أكثرُ الأعمال تزاولُ بالأيدي، عبَّر عن كلِّ عملٍ باجتراح الأيدي حتَّى عن أعمال القلوب؛ اتِّساعاً في الكلام، وتصيير الأقلِّ تابعاً للأكثر وتغليبِ الأكثرِ على الأقلِّ[٤].

والفاء في «فيقولوا» للعطف على «تصيبهم»، و«لولا» الثانية للتحضيض، و«فنتبع» الفاءُ فيه جوابُ التحضيض.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيف استقامَ هذا المعنى، وقد جُعِلت العقوبةُ هي السبب في الإرسال لا القول؛ لدخولِ حرف الامتناع عليها دونه؟ قلت: القولُ هو المقصودُ بأنْ يكونَ سبباً لإرسال الرسل، ولكنَّ العقوبةَ لمَّا كانت هي السبب للقول[٥]، وكان وجودُه بوجودِها، جُعلت العقوبة كأنَّها سببُ الإرسال بواسطة القول، فأدخلت عليها «لولا»، وجيء بالقول معطوفاً عليها بالفاء المعطيةِ معنى السببيَّة، ويَؤولُ معناها إلى قولك: ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبةٌ لما أرسلنا، ولكن اختيرت هذه الطريقةُ لنكتةٍ، وهي أنَّهم لو لم يُعَاقبوا مثلاً على كفرهم، وقد عاينوا ما أُلجِئوا به إلى العلم اليقين؛ لم يقولوا: لولا أرسلتَ إلينا رسولاً، وإنَّما السببُ في قولهم هذا هو العقاب لا غير، لا التأسُّفُ على ما فاتَهم من الإيمان بخالقهم، وفي هذا مِن الشهادةِ القويَّة على استحكامِ كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى، كقوله ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]. انتهى[٦].

---

(١) الكشاف ٣/ ١٨٣.
(٢) في معاني القرآن له ٤/ ١٤٧.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٠.
(٤) الكشاف ٣/ ١٨٣.
(٥) من هنا سقط طويل في النسخة (يه) ينتهي في الصفحة ٥٩.
(٦) الكشاف ٣/ ١٨٣.

و«الحقُّ» هو الرسولُ محمدٌ ﷺ جاء بالكتابِ المعجزِ الذي قَطَعَ معاذيرهم[١]. وقيل: القرآن.

«مثلَ ما أوتيَ موسى من قبل» أي: منْ قبل: الكتابُ المنزَّل جملةً واحدةً، وانقلابُ العصا حيَّةً، وفلقُ البحر، وغيرُها من الآيات، اقترحوا ذلك على سبيل التعنُّتِ والعناد، كما قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾ [هود: ١٢] وما أشبهَ ذلك من المقترحاتِ لهم[٢]، وهذه المقالةُ التي قالوها هي من تعليمِ اليهود لقريش، قالوا لهم: ألا يأتي بآيةٍ باهرةٍ كآيات موسى؟ فردَّ اللهُ عليهم بأنَّهم كفروا بآياتِ موسى، وقد وقعَ منهم في آياتِ موسى ما وقعَ من هؤلاءِ في آيات الرسولِ، فالضميرُ في «أولم يكفروا» لليهود. قاله ابن عطية[٣].

وقيل: قائلُ ذلك العربُ بالتعليم كما قلنا. وقيل: قائلُ ذلك اليهود. ويظهرُ عندي أنَّه عائدٌ على قريش الذين قالوا: لولا أوتي ـ أي محمدٌ ـ ما أوتي موسى، وذلك أنَّ تكذيبَهم لمحمدٍ ﷺ تكذيبٌ لموسى عليه السلام، ونسبتُهم السحرَ للرسول نسبةُ السحر لموسى؛ إذ الأنبياءُ هم من وادٍ واحد، فمن نسبَ إلى أحدٍ من الأنبياءِ ما لا يليقُ، كان ناسباً ذلك إلى جميع الأنبياءِ، وتتناسقُ الضمائرُ كلُّها في هذا.

وفي قوله: «قل فأتوا بكتابٍ من عند الله» وإن كان الظاهر مِن القول أنَّه النطقُ اللسانيُّ؛ فقد ينطلقُ على الاعتقادِ، وهم من حيث إنكارُ النبوَّاتِ معتقدونَ[٤] أنَّ ما ظهر على أيدي الأنبياءِ من الآياتِ إنَّما هو من باب السحر.

وقال الزمخشري: «أولم يكفروا» يعني آباء[٥] جنسهم ومَنْ مذهبُهم مذهبُهم وعنادُهم عنادُهم، وهم الكفرةُ في زمنِ موسى «بما أوتي موسى» وعن الحسن: قد كان للعرب أصلٌ في أيام موسى، فمعناه على هذا: أولم يكفر آباؤهم «قالوا» في موسى وهارون: «ساحران تظاهرا» أي: تعاونا. انتهى.

و«من قبل» يحتملُ أنْ يتعلَّقَ بـ «يكفروا» وبـ «أوتي».

---

(١) الكشاف ٣/ ١٨٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) في المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٠.
(٤) في (ت): يعتقدون.
(٥) في الكشاف ٣/ ١٨٣: أبناء. بدل: آباء.

وقرأ الجمهور: «ساحران»، قال مجاهد: موسى وهارون. وقال الحسن: موسى وعيسى. وقال ابن عباس: موسى ومحمد ﷺ. وقال الحسن أيضاً: عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام[١].

وقرأ عبدُ الله وزيدُ بن علي والكوفيُّون: «سِحْران»[٢]. قال ابنُ عباس: التوراة والقرآن. وقيل: التوراةُ والإنجيل[٣]، أو موسى وهارون جُعِلا سحرين على سبيل المبالغة.

«تظاهرا» تعاونا. قرأ الجمهور: «تظاهرا» فعلاً ماضياً، على وزن تفاعل. وقرأ طلحةُ والأعمشُ «اظَّاهرا» بهمزة الوصل وشدِّ الظاء، وكذا هي في حرف عبد الله[٤]، وأصلُه تظاهرا، فأدغم التاء في الظاء، فاجتلبت همزةُ الوصل لأجل سكون التَّاء المدغمة.

وقرأ محبوب عن الحسن ويحيى بن الحارث الذماري وأبو حيوة وأبو خلَّاد عن اليزيدي: «تَظَّاهرا» بالتاء وتشديد الظاء. قال ابن خالويه[٥]: وتشديدُه لحنٌ؛ لأنَّه فعلٌ ماضٍ، وإنَّما يُشدَّد في المضارع. وقال صاحب «اللوامح»: ولا أعرفُ وجهَه. وقال صاحب «الكامل في القراءات»: ولا معنى له. انتهى.

وله تخريجٌ في اللسان، وذلك أنَّه مضارعٌ حُذِفت منهُ النون، وقد جاء حذفُها في قليلٍ من الكلام وفي الشعر، و«ساحران» خبرُ مبتدأ محذوفٍ تقديره: أنتما ساحران تتظاهران، ثمَّ أُدغِمت التاءُ في الظاء، وحُذِفت النون، ورُوعيَ ضميرُ الخطاب. ولو قرئ: يظَّاهرا، بالياء حملاً على مراعاة «ساحران» لكان له وجهٌ، أو على تقدير: هما ساحران تظاهرا.

«وقالوا إنَّا بكلٍّ كافرون» أي: بكلٍّ من الساحرين، أو السحرين.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٠. وأخرج أقوالهم الطبري ١٨/ ٢٦٦-٢٦٨.
(٢) قراءة الكوفيين عاصم وحمزة والكسائي في السبعة ص٤٩٥، والتيسير ص١٧١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٠-٢٩١، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ١٨/ ٢٦٨.
(٤) مختصر ابن خالويه ص١١٣. وهي في المحرر الوجيز ٤/ ٢٩١ عن ابن مسعود وطلحة والضحاك.
(٥) في مختصره ص١١٣ ـ والقراءة فيه عن يحيى الذماري.

ثمَّ أمرَهُ تعالى[١] أنْ يصدَعَ بهذه الآية، وهي قولُه: «قل فأتوا» أي: أنتم أيُّها المكذِّبونَ بهذهِ الكتبِ التي تضمَّنت الأمرَ بالعباداتِ ومكارمِ الأخلاق، ونهَت عن الكفرِ والنقائصِ، ووعدَ الله عليها الثوابَ الجزيلَ إن كان تكذيبكم[٢] لمعنى «فأتوا بكتابٍ من عند الله» يهدي أكثرَ من هدي هذه أتَّبِعْهُ معكم.

والضميرُ في «منهما» عائدٌ على ما أنزل على موسى وعلى محمدٍ صلى الله عليهما وسلم.

وتعليق إتيانهم بشرطِ الصدقِ أمرٌ متحقِّقٌ متيقَّنٌ أنَّه لا يكون، ولا يمكنُ صدقُهم، كما أنَّه لا يمكنُ أنْ يأتوا بكتابٍ من عند الله يكونُ أهدى من الكتابين، ويجوزُ أنْ يُرَاد بالشرطِ التهكُّم بهم[٣].

وقرأ زيدُ بن علي: «أتَّبِعُه» برفع العين على الاستئناف[٤]، أي: أنا أتَّبِعُه.

«فإن لم يستجيبوا لك» قال ابنُ عباس: يريد فإن لم يؤمنوا بما جئتَ به من الحُجَج[٥]، ولم يمكنهم أن يأتوا بكتابٍ هو أفضل[٦].

والاستجابةُ تقتضي دعاءً، وهو ﷺ يدعوهم دائماً إلى الإيمان، أي[٧]: فإن لم يستجيبوا لك بعد ما وضحَ لهم مِنَ المعجزاتِ التي تضمَّنها كتابُك الذي أنزل إليك، أو يكونُ قولُه: «فأتوا بكتابٍ» هو الدُّعاء، إذ هو طلبٌ منهم ودعاءٌ لهم أنْ[٨] يأتوا به، ومعلومٌ أنَّهم لا يستجيبون لأن يأتوا بكتابٍ من عند الله، فاعلم أنَّه ليس لهم إلا اتِّباعُ هوًى مجردٍ، لا اتباعُ دليلٍ. واستجابَ بمعنى أجاب ويعدَّى للداعي باللام ودونَها، كما قال: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [يوسف: ٣٤]. ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ

(١) هنا نهاية السقط في (يه).
(٢) في (ت) والمحرر الوجيز ٤/ ٢٩١ ـ والكلام منه: تكذيبهم.
(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٨٤.
(٤) ذكرها الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٣٠٧ دون نسبة.
(٥) تفسير الرازي ٢٤/ ٢٦١.
(٦) هو قول مقاتل كما في تفسير الرازي ٢٤/ ٢٦١.
(٧) لفظ: أي. ليس في (ت) و(يه).
(٨) في (ع) والمطبوع: بأن.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ [هود: ١٤]، وقال الشاعر:

فـلـم يَـسْـتَـجِـبْـهُ عـنـدَ ذاكَ مـجـيـبُ[١]

فعدَّاهُ بغير لام.

وقال الزمخشريُّ: هذا الفعلُ يتعدَّى إلى الدُّعاء وإلى الداعي باللام، ويحذفُ الدُّعاءُ إذا عُدِّيَ إلى الداعي في الغالب، فيقال: استجاب اللهُ دعاءَه، واستجابَ له، فلا يكاد يقال: استجابَ له دعاءه، وأما البيتُ فمعناه: فلم يستجب دعاءَه على حذفِ المضاف[٢]. انتهى.

«ومن أضل» أي: لا أحدَ أضلُّ، و«بغير هدى» في موضع الحال، وهذه الحالُ قيدٌ في اتِّباعِ الهوى؛ لأنَّه قد يتَّبعُ الإنسان ما يهواهُ، ويكونُ ذلك الذي يهواهُ فيه هدًى مِن الله؛ لأنَّ الأهواءَ كلَّها تنقسمُ إلى ما يكون فيه هدًى وما لا يكون فيه هدى، فلذلك قيِّدَ بهذه الحال.

وقال الزمخشريُّ: يعني مخذولاً مخلًّى بينَه وبين هواه. انتهى[٣]. وهو على طريق الاعتزال.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

---

(١) هو لكعب بن سعد الغنوي، وسلف عند تفسير الآية (١٨٦) من سورة البقرة.
(٢) الكشاف ٣/ ١٨٤.
(٣) الكشاف ٣/ ١٨٤.

قرأ الجمهور: «وَصَّلنا» مشدَّد الصاد، والحسنُ بتخفيفِها[١]، والضميرُ في «لهم» لقريش.

وقال رفاعة القرظيّ: نزلت في عشرةٍ من اليهود أنا أحدهم[٢].

قال الجمهور: «وصَّلنا» تابعنا القرآنَ موصولاً بعضُه ببعضٍ في المواعظِ والزجرِ والدُّعاء إلى الإسلام. وقال الحسن: وفي ذكر الأُمم المهلَكة. وقال مجاهد: جعلناهُ أوصالاً من حيث كان أنواعاً من القول في معانٍ مختلفةٍ[٣]. وقال ابن زيد: وصَّلنا لهم خبرَ الآخرةِ بخبر الدنيا، حتَّى كأنهم عاينوا الآخرة[٤]. وقال الأخفش: أتممنا، كوصلك الشيءَ بالشيء[٥]، وأصل التوصُّل[٦] في الحبل؛ يوصَلُ بعضُه ببعض، وقال الشاعر:

فقل لبني مروان ما بال ذِمَّتي ... بحبلٍ ضعيفٍ لا يزالُ يوصَّلُ[٧]

وهذه الأقوالُ معناها توصيلُ المعاني فيه بها إليهم.

وقالت فرقةٌ: التوصيلُ بالنسبةِ إلى الألفاظ، أي وصَّلنا لهم قولاً معجِزاً دالًّا على نبوَّتك[٨].

وأهلُ الكتاب هنا جماعةٌ من اليهود أسلمت، وكان الكفَّار يؤذونَهم، أو بحيرا الراهب، أو النجاشيّ، أو سلمان الفارسي وابنُ سلام[٩]، أو أبو رفاعة وابنه[١٠]

---

(١) مختصر في شواذ القراءات ص١١٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٩١. وزاد ابن الجوزي نسبتها في زاد المسير ٦/ ٢٢٨ لأبي المتوكل وابن يعمر.
(٢) الكشاف ٣/ ١٨٤، وأخرجه الطبري ١٨/ ٢٧٦، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٨٧-٢٩٨٨ (١٦٩٧٣).
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩١.
(٤) أخرجه الطبري ١٨/ ٢٧٤-٢٧٥.
(٥) النكت والعيون ٤/ ٢٥٦، وتفسير القرطبي ١٦/ ٢٩٢.
(٦) في (يه): التوصيل.
(٧) البيت للأخطل، وهو في ديوانه ١/ ٣٢ (صنعة السكري)، وفيه: فسائل بني مروان ما بال ذمةٍ.
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩١.
(٩) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩١-٢٩٢.
(١٠) في ذكر ابن أبي رفاعة نظر، فالخبر ـ كما في المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٢، وتفسير الطبري

في عشرةٍ من اليهود أسلموا، أو أربعون من أهل الإنجيل كانوا مؤمنين بالرسول قبل مبعثِه: اثنانِ وثلاثونَ من الحبشة أقبلُوا مع جعفر بن أبي طالب، وثمانيةٌ قَدِموا من الشام[١]؛ بحيرا وأبرهة وأشرف وأربد وتمَّام وإدريس ونافع وراد، أو ابن سلَّام وتميم الداري والجارود العبديّ وسلمان. سبعةُ أقوالٍ، آخرها لقتادة[٢]. والظاهرُ أنَّها أمثلةٌ لمن آمنَ منهم.

والضميرُ في «به» عائدٌ على القول، وهو القرآن. وقال الفرَّاء: عائدٌ على الرسول، وقال أيضاً: إنْ عادَ على القرآنِ كان صواباً؛ لأنَّهم قد قالوا: «إنَّه الحقُّ من ربِّنا». انتهى[٣].

«إنه الحقُّ من ربنا» تعليلٌ للإيمان به؛ لأنَّ كونَه حقًّا ومِنَ الله حقيقٌ بأنْ نؤمنَ[٤] به.

«إنَّا كنَّا من قبله مسلمين» بيانٌ لقوله: «آمنا به» أي: إيمانُنا به متقادِمٌ، إذ كان الآباءُ الأقدمونَ إلى آبائنا قرؤوا ما في الكتبِ الأُوَلِ، وأعلموا بذلكَ الأبناء، فنحن مسلمونَ من قبلِ نزوله وتلاوتهِ علينا. والإسلامُ صفةُ كلِّ موحِّدٍ مُصَدِّق بالوحي.

وإيتاءُ الأجر مرَّتين لكونه آمنَ بكتابهِ وبالقرآن، وعُلِّلَ ذلك بصبرِهم، أي: على تكاليف الشريعة السابقة لهم وهذه الشريعة، وما يلقونَ من الأذى، وفي الحديث: «ثلاثةٌ يؤتيهمُ اللهُ أجرَهم مرَّتين؛ رجلٌ مِنْ أهل الكتاب، آمنَ بنبيِّه وآمنَ بي» الحديث[٥].

= والقول مخرج فيه ١٨/ ٢٧٧ ـ عن علي بن أبي رفاعة يذكر فيه إسلام أبيه في عشرة من أهل الكتاب، ولم يذكر نفسه فيهم.

(١) الكشاف ٣/ ١٨٤.

(٢) النكت والعيون ٤/ ٢٥٧، وتفسير القرطبي ١٦/ ٢٩٣-٢٩٤، وفيهما: عامر وأعين. بدل: أربد وتمام. ولم يذكر فيهما: راد.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٠٧. وقول الفراء هذا هو في الهاء التي في قوله: «من قبله» لا في (به).

(٤) في (يه): يؤمن.

(٥) أخرجه أحمد (١٩٦٠٢)، والبخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

و«يدرؤون» يدفعونَ «بالحسنة» بالطَّاعة «السيئةَ» المعصيةَ المتقدمة، أو بالحلمِ الأذى[(١)]، وذلك من مكارم الأخلاق. وقال ابنُ مسعود: يدفعونَ بشهادة أنْ لا إله إلَّا الله الشركَ[(٢)]. وقال ابنُ جبير: بالمعروفِ المنكرَ[(٣)]. وقال ابنُ زيد: بالخيرِ الشرَّ. وقال ابن سلام: بالعلم[(٤)] الجهل، وبالكظم الغيظَ. وفي وصيةِ الرسول ﷺ لمعاذٍ: «أتبعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها، وخالقِ الناسَ بخُلُقٍ حسن»[(٥)].

واللغو: سَقَطُ القول. وقال مجاهد: الأذى والسبّ. وقال الضحَّاك: الشرك. وقال ابن زيد: ما غيَّرتهُ اليهودُ من وَصْفِ الرسول ﷺ، سمعَهُ قومٌ منهم، فكرهوا ذلك وأعرضوا[(٦)].

«ولكم أعمالكم» خطابٌ لقائلِ اللغو المفهومِ ذلك من قولِه: «وإذا سمعوا اللغوَ أعرضوا عنه».

«سلامٌ عليكم» قال الزَّجّاج: سلام متاركةٍ لا سلام تحية[(٧)].

«لا نبتغي الجاهلين» أي: لا نطلبُ مخالطَتَهم.

«إنَّك لا تهدي من أحببتَ» أي: لا تقدرُ على خلقِ الهدايةِ فيه. ولا تَنافي بين هذا وبين قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢] لأنَّ معنى هذا: وإنَّك لترشدُ.

وقد أجمعَ المسلمونَ على أنَّها نزلت في أبي طالب، وحديثُه مع رسول الله ﷺ حالةَ أن مات مشهور[(٨)].

---

(١) الكشاف ٣/ ١٨٥.
(٢) ذكره البغوي في تفسير ٦/ ٢١٤ (طبعة دار طيبة) لكن عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) أخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٩١ (١٦٩٨٩) قوله: يعني: يردون معروفاً على من يسيءُ إليهم.
(٤) في النكت والعيون ٤/ ٢٥٨: بالحلم. وأقوال ابن جبير وابن زيد وابن سلام منه.
(٥) أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٢١٩٨٨) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وأوله: «اتَّقِ الله حيثما كنت»، وسلف نحوه عند تفسير الآية (٢٢) من سورة الرعد.
(٦) زاد المسير ٦/ ٢٣٠.
(٧) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٤٩.
(٨) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤) من حديث المسيِّب بن حَزْن.

وقال الزمخشريُّ: لا تقدرُ أنْ تُدْخِل في الإسلام كلَّ مَنْ أحببتَ أن يدخلَ فيه من قومِك وغيرهم[١]؛ لأنَّك عبدٌ[٢] لا تعلمُ المطبوعَ على قلبه من غيره، ولكنَّ الله يُدْخِلُ في الإسلام مَنْ يشاء، وهو الذي علم أنَّه غيرُ مطبوعٍ على قلبه، وأنَّ الألطافَ تنفعُ فيه، فيَقرنُ به ألطافَهُ حتَّى يَدْعوَه إلى القَبول، «وهو أعلم بالمهتدين» بالقابلين مِنَ الذين لا يقبلون. انتهى[٣]. وهو على طريقةِ الاعتزال في أمرِ الألطاف.

«وقالوا» الضميرُ في «وقالوا» لقريش. وقيل: القائلُ الحارثُ بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف: إنَّكَ على الحقّ، ولكنَّا نخافُ إن اتَّبعناكَ وخالفنا العربَ بذلك[٤]، وإنما نحنُ أَكَلَةُ رأسٍ - أي: قليلونَ - أن يتخطفونا مِنْ أرضنا[٥].

وقولهم: «الهدى معك» أي: على زعمك، فقطعَ الله حجَّتهم، إذ كانوا وهم كفَّارٌ بالله عبَّادَ أصنامٍ قد أمِنوا في حَرمِهم، والناسُ في غيره يتقاتلونَ، وهم مقيمونَ في بلدٍ غيرِ ذي زرعٍ يجيء إليهم ما يحتاجون من الأقوات، فكيف إذا آمنوا واهتدوا، فهو تعالى يمهِّدُ لهم الأرضَ، ويُمَلِّكُهم الأرضَ كما وَعَدهم تعالى. ووَقعَ ما وعدَ به.

ووصفُ الحرم بالأمنِ مجازٌ، إذ الآمنونَ فيه هم ساكنوه.

و«ثمراتُ كلِّ شيء» عامٌّ مخصوصٌ يُرَادُ به الكثرة.

وقرأ المنقريُّ: «نتخطفُ» برفعِ الفاء[٦]، مثلُ قولِهِ تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ﴾ برفع الكاف[٧]، أي: فيدرككم أي: فهو يدرككم، وقولِهِ:

---

(١) قوله: أن يدخل فيه من قومك وغيرهم. من (ت).

(٢) قوله: عبد. من (ت).

(٣) الكشاف ٣/ ١٨٥.

(٤) في (ع) والمطبوع: فذلك.

(٥) انظر الكشاف ٣/ ١٨٥.

(٦) ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٣ أن هذه القراءة رويت عن أبي عمرو، والمنقري أحد رواته، بل هو كما ذكر الجزري في طبقات القراء ١/ ٤٣٩: قيِّمٌ بحرف أبي عمرو ضابطٌ له.

(٧) هي قراءة طلحة بن سليمان كما تقدم عند تفسير الآية، وهي الآية (٧٨) من سورة النساء.

مَنْ يفعل الحسناتِ اللهُ يشكرُها[(١)]

أي: فنتخطفُ، وفاللهُ يشكرُها. وهو تخريجُ شذوذ.

وقرأ نافعُ وجماعةٌ عن يعقوب وأبو حاتم عن عاصم: «تجبى» بتاءِ التأنيث[(٢)]، والباقونَ بالياء.

وقرأ الجمهور: «ثَمَرات» بفتحتين، وأبان بن تغلب بضمَّتين[(٣)]، وبعضُهم بفتح الثاء وإسكانِ الميم[(٤)].

وانتصب «رزقاً» على أنَّه مصدرٌ من المعنى؛ لأنَّ قولَه: «يجبى[(٥)] إليه ثمراتُ» أي: برزقِ ثمرات، أو على أنَّه مفعولٌ له، وفاعلُ الفعل المعلِّلُ محذوفٌ، أي: نسوقُ إليه ثمراتِ كلِّ شيء، وإن كانَ الرزقُ ليس مصدراً، بل بمعنى المرزوق، جازَ انتصابُه على الحال من «ثمرات»، ويُحَسِّن ذلك تخصيصُها[(٦)] بالإضافة.

«وأكثرهُم لا يعلمون» أي: جهلةٌ بأنَّ ذلك الرزقَ هو من عندنا.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾.

هذا تخويفٌ لأهل مكَّة من سوءِ عاقبة قومٍ كانوا في مثل حالهم من إنعام الله

---

(١) سلف عند تفسير الآية (١٨٠) من سورة البقرة.

(٢) السبعة ص٤٩٥، والتيسير ص١٧١ عن نافع، وهي أيضاً قراءة أبي جعفر ويعقوب في رواية رويس عنه كما في النشر ٢/ ٣٤٢.

(٣) المحتسب ٢/ ١٥٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٩٣.

(٤) الكشاف ٣/ ١٨٥.

(٥) في (ت) و(يه): تجبى.

(٦) في (ع) والمطبوع: تخصيصاً. وانظر الكشاف ٣/ ١٨٦.

عليهم بالرُّقودِ في ظلال الأمن وخفض العيش، فغَمِطُوا[١] النعمةَ، وقابلوها بالأشَر والبطَر، فدمَّرَهُم الله، وخرَّب ديارَهم.

و«معيشتَها» منصوبٌ على التمييز، على مذهب الكوفيين، أو مشبَّهٌ بالمفعول، على مذهب بعضِهم، أو مفعولٌ به على تضمين «بطرت» معنى فعلٍ متعدٍّ، أي: خسرت معيشتَها، على مذهب أكثر البصريين، أو على إسقاط «في» أي: في معيشتها، على مذهب الأخفش[٢]، أو على الظرف على تقدير: أيام معيشتها، كقولك: جئتُ خفوقَ النجمِ، على قول الزجاج[٣].

«فتلك مساكنُهم» أشارَ إليها، أي: ترونَها خراباً، تمرُّون عليها، كحجر ثمود، هلكوا وفَنَوا. وتقدَّم ذكرُ المساكن و«تسكن»، فاحتملَ أن يكون الاستثناءُ في قوله: «إلَّا قليلاً» من المساكن، أي: إلَّا قليلاً منها سُكِنَ، واحتمل أن يكون مِن المصدر المفهوم من قوله: «لم تسكن» أي: إلَّا سكنى قليلاً، أي: لم يسكنها إلَّا المسافرُ ومارُّ الطريق[٤].

«وكنَّا نحنُ الوارثين» أي: لتلك المساكن وغيرها، كقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ﴾ [مريم: ٤٠] خلت من ساكنيها فخربت، وقولِ الآخر[٥]:

تتخلَّفُ الآثارُ عن أصحابِها حيناً ويُدْرِكُها الفناءُ فَتَتْبَعُ[٦]

والظاهرُ أنَّ «القرى» عامَّةٌ في القُرى التي أهلكَت[٧]، فالمعنى أنَّه تعالى لا يهلكُها في كلِّ وقتٍ حتى يبعثَ في أمِّ تلك القُرى، أي: كبيرتِها التي ترجعُ[٨]

(١) في (ع) والمطبوع: فعظموا. وفي (ت): فعطنوا. وفي (يه): فعبطوا. والمثبت من الكشاف ٣/ ١٨٦ والكلام منه.
(٢) قول الأخفش ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٣.
(٣) قول الزجاج في معاني القرآن له ٤/ ١٥٠ مطابقٌ لما ذكره المصنف عن الأخفش.
(٤) هو قول ابن عباس، كما في الكشاف ٣/ ١٨٦.
(٥) قوله: وقول الآخر. من (ت).
(٦) البيت للمتنبي، وهو في ديوانه ٣/ ١٣ (بشرح البرقوقي).
(٧) في (ع) والمطبوع: هلكت.
(٨) في (يه): مرجع.

تلك القرى إليها، ومنها يمتارونَ، وفيها عظيمُهم الحاكم على تلك القرى، حتَّى يبعثَ في أمِّها رسولاً لإلزام الحجَّة وقطعِ المعذرةِ، ويحتملُ أنْ يُرَادَ «القرى» القرى التي في عصر رسول الله ﷺ، فيكون أمُّ القرى مكَّة، ويكونُ الرسولُ محمداً ﷺ خاتمَ الأنبياء. وظلمُ أهلِها هو بالكفر والمعاصي.

«وما أوتيتم من شيء» أي: حسنٍ يسرُّكم وتفخرونَ به «فمتاعُ الحياةِ الدنيا وزينتُها» تمتعونَ به أياماً قلائلَ «وما عندَ الله» من النعيم الدائم الباقي المعدُّ للمؤمنين «خيرٌ» من متاعكم.

«أفلا تعقلونَ» توبيخٌ لهم. وقرأ أبو عمرو: «يعقلون» بالياء[(١)]، إعراضٌ عن خطابهم وخطابٌ لغيرهم، كأنَّه قال: انظروا إلى هؤلاء وسخافةِ عقولهم، وقرأ الجمهورُ بالتَّاء من فوق على خطابهم وتوبيخِهم في كونِهم أَهمَلُوا العقلَ في العاقبة، ونسبَ هذه القراءةَ أبو عليٍّ في «الحجَّة» إلى أبي عمرو وحدَه[(٢)]، وفي «التحرير والتحبير» بينَ الياء والتاء عن أبي عمرو.

وقرئ: «متاعاً الحياةَ الدنيا»[(٣)] أي: يمتَّعون متاعاً في الحياة الدنيا، فانتصبَ «الحياةَ الدنيا» على الظرف.

«أفمن وعدناهُ» يذكرُ تفاوتَ ما بين الرجلين، مَنْ وُعِدَ وعداً حسناً، وهو الثواب فلاقاهُ، ومَنْ مُتِّعَ في الحياة الدنيا ثمَّ أُحضِرَ إلى النار.

وظاهرُ الآيةِ العمومُ في المؤمن والكافر، قيل: ونزلَتْ في الرسول ﷺ وأبي جهل. وقيل: في حمزة وأبي جهل. وقيل: في عليٍّ وأبي جهل. وقيل: في عمَّار والوليد بن المغيرة[(٤)]. وقيل: نزلت في المؤمنِ والكافر[(٥)]، وغَلَبَ لفظ المُحْضَرِ في المُحْضَرِ إلى النَّار، كقوله: ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٧]، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢٧].

---

(١) السبعة ص٤٩٥، والتيسير ص١٧٢.
(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٢٤، نقله الفارسيُّ عن السبعة لمجاهد ص٤٩٥.
(٣) مختصر في شواذ القرآن ص١١٣.
(٤) الكشاف ٣/ ١٨٧.
(٥) هو قول قتادة كما في المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٤، وأخرجه الطبري ١٨/ ٢٩٣.

والفاء في «أفمن» للعطف، لمَّا ذكرَ تفاوتَ ما بينَ ما أوتوا من المتاع والزينةِ وما عندَ الله من الثواب، قال: أفبعدَ هذا التفاوتِ الظاهرِ يُسوَّى[١] بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا. والفاء في «فهو لاقيه» للتسبيب؛ لأنَّ لقاءَ الموعودِ مسبَّبٌ عن الوعد الذي هو الضمانُ في الخير. و«ثُمَّ» للتراخي حالَ الإحضار عن حال التمتُّع، لا لتراخي[٢] وقتِه عن وقته.

وقرأ طلحة: «أمَّن وعدناهُ» بغير فاء[٣].

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

لمَّا ذكرَ أنَّ الممتَّعينَ في الدنيا يُحْضَرونَ إلى النار، ذَكر شيئاً مِنْ أحوال يوم القيامة، أي: واذكرْ حالَهم يومَ يناديهم اللهُ، ونداؤه إيَّاهم يَحتمِلُ أنْ يكون بواسطةٍ أو بغير واسطة.

«فيقول أين شركائي» أي: على زعمكم. وهذا الاستفهامُ على جهةِ التوبيخ والتقريع، والشركاء هم مَنْ عبدوهُ من دون الله من مَلَكٍ أو جِنٍّ أو إنسٍ أو كوكبٍ أو صنمٍ أو غير ذلك.

---

(١) في (ت): فسوى. وفي (ع) و(يه): يستوي. والمثبت من المطبوع والكشاف ٣/ ١٨٧.
(٢) في (ت) و(ع) والمطبوع: بتراخي. بدل: لا لتراخي. والمثبت من (يه) والكشاف.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٤.

ومفعولا «تزعمون» محذوفان، أحدهما العائدُ على الموصول، والتقديرُ: تزعمونَهم شركاء.

ولمَّا كان هذا السؤالُ مسكتاً لهم، إذ تلك الشركاءُ التي عبدوها مفقودون هم، أُوجِدوا لهم[١] في الآخرة، حَادُوا عن الجواب إلى كلامٍ لا يجدي.

«قال الذين حقَّ عليهم القول» أي: الشياطين وأئمَّةُ الكفرِ ورؤوسُه. و«حقَّ» أي: وجبَ عليهم القول، أي: مقتضاهُ، وهو قولُه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

و«هؤلاء» مبتدأ و«الذين أغوينا» صفته، و«أغويناهم كما غوينا» الخبر، و«كما غوينا» صفةٌ لمطاوِعِ «أغويناهم» أي: فغووا كما غوينا، أي: تسببنا لهم في الغيِّ فقبلوا منَّا. وهذا الإعرابُ قالهُ الزمخشريُّ[٢].

وقال أبو عليّ[٣]: ولا يجوزُ هذا الوجهُ؛ لأنَّه ليسَ في الخبر زيادةٌ على ما في صفة المبتدأ، قال: فإن قلت: قد وُصِلَت بقوله: «كما غوينا» وفيه زيادة. قيل: الزيادةُ بالظرف لا تصيِّرُهُ أصلاً في الجملة؛ لأنَّ الظروفَ صِلَات. وقال هو: «الذين أغوينا» هو الخبر، و«أغويناهم» مستأنَفٌ. وقال غير أبي عليّ: لا يمتنعُ الوجهُ الأول؛ لأنَّ الفَضْلات في بعضِ المواضع تلزمُ، كقولك: زيدٌ عمروٌ قائمٌ في داره[٤]. انتهى[٥].

والمعنى: هؤلاءِ أتباعُنا آثروا الكفرَ على الإيمان كما آثرناهُ نحن، ونحن كنَّا السببَ في كفرِهم، فقبلوا[٦] منَّا.

---

(١) كذا في (ت) و(ع)، وفي (يه): مفقودون هو الجواب أوحداهم. وفي المطبوع: مفقودون هم أو جدواهم.
(٢) في الكشاف ٣/ ١٨٧.
(٣) في التذكرة، كما نقله عنه العكبري في الإملاء ٢/ ١٧٩.
(٤) في الإملاء ٢/ ١٧٩، والدر المصون ٨/ ٦٨٩: زيدٌ عمروٌ في داره.
(٥) قال الشيخ زاده في حاشيته على تفسير البيضاوي ٣/ ٥١٩: فإن: «في داره» وإن كان ظرفاً لكنه لا بد منه ليعود من الجملة ضمير إلى المبتدأ، فصار بذلك كأحد شطري الجملة.
(٦) في (ت): فقبلوه.

وقرأ أبانُ عن عاصم وبعضُ الشاميين: «كما غَوِينا» بكسر الواو. قال ابنُ خالويه[١]: وليس ذلك مختاراً؛ لأنَّ كلامَ العرب: غَوَيْتُ من الضَّلالة، وغَوِيْتُ من البشَم.

ثمَّ قالوا: «تبرأنا إليك» منهم، ما كانوا يعبدوننا إنَّما عبدُوا غيرنا. و«إيَّانا» مفعولُ «يعبدون» لمَّا تقدَّمَ انفصلَ، وانفصالُه لكونِ «يعبدون» فاصلة، ولو اتصل به[٢] لم تكن فاصلة.

وقال الزمخشريُّ: إنَّما كانوا يعبدون أهواءَهم، ويطيعونَ شهواتِهم، وإخلاءُ الجملتين من العاطف؛ لكونهما مُقَرِّرتين[٣] لمعنى الجملةِ الأولى. انتهى.

«وقيل ادعوا شركاءَكم» لمَّا سُئِلوا: أينَ شركاؤكم؟ وأجابوا بغيرِ جوابٍ، سُئِلوا ثانياً، فقيل: ادعُوا شركاءَكم. وأضاف[٤] الشركاءَ إليهم، أي: الذين جعلتموهم شركاءَ لله. وقوله: «ادعوا شركاءَكم» على سبيل التهكُّم بهم؛ لأنَّه يعلمُ أنَّه لا فائدة في دعائهم، فدَعْوُهم هذا لسخافةِ عقولهم في ذلك الموطن أيضاً؛ إذ لم يعلموا أنَّ مَنْ كان موجوداً منهم في ذلك الموطن لا يجيبُهم.

والضميرُ في «ورأوا» قال الضحَّاكُ ومقاتل: هو للتَّابع والمتبوع[٥]. وجواب «لو» محذوفٌ، والظاهرُ أنْ يقدَّر ممَّا يدلُّ عليه ما يليه، أي: لو كانوا مؤمنين في الدنيا ما رأوا العذابَ في الآخرة. وقيل: التقدير: «لو أنَّهم كانوا مهتدين» لوجهٍ من وجوه الحيلِ لدفعوا به العذاب. وقيل: لعلموا أن العذابَ حقٌّ[٦]. وقيل: لتحيَّروا عند رؤيتِه من فظاعتِه وإن لم يُعذَّبوا به. وقيل: ما كانوا في الدنيا عابدين الأصنام.

---

(١) في مختصر في شواذ القرآن ص١١٣ والقراءة فيه، وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٤ أنها مروية عن ابن عامر وعاصم. والمتواتر عنهما كقراءة الجمهور.
(٢) في (ع) والمطبوع: ثم. بدل: به.
(٣) في (ع) والمطبوع: مقرونين. وهو تحريف. والمثبت من (ت) و(يه) وهو الموافق للكشاف ٣/ ١٨٨.
(٤) هنا نهاية الخرم في (ح).
(٥) تفسير الرازي ٢٥/ ٨.
(٦) المصدر السابق.

وقال أبو عبد الله الرازي: وعندي أنَّ الجوابَ غير محذوف، وفي تقديره[١] وجوه: أحدُها: أنَّ الله إذا خاطبَهم بقوله: «ادعوا شركاءكم» اشتدَّ خوفُهم، ولحقَهم شيءٌ بحيثُ لا يبصرون شيئاً، لا جرمَ ما رأوا العذاب. وثانيها: لمَّا ذكرَ الشركاءَ، وهي الأصنام وأنَّهم لا يجيبون الذينَ دَعَوهم قال في حقِّهم: «ورأوا العذاب» لو كانوا من الأحياء المهتدين، ولكنَّها ليست كذلك، فلا جرمَ ما رأت العذاب. والضميرُ في «رأوا» وإن كان للعقلاء، فقد قال: «فدعوهم» و«هم» للعقلاء. انتهى.

وفيه بعضُ تلخيصٍ، وقد أثنى على هذا الذي اختارَه وليس بشيءٍ؛ لأنَّه بناهُ على أنَّ الضميرَ في «رأوا» عائدٌ على المدعوين، قال: وهم الأصنام، والظاهرُ أنَّه عائدٌ على الدَّاعين، كقوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [البقرة: ١٦٦]، ولأنَّ حملَ مهتدين على الأحياء في غاية البعد، ولأنَّ ما قدَّره هو جواب، ولا يشعر به أنَّه جوابٌ؛ إذ صار التقدير عنده: لو كانوا من الأحياء رأوا العذابَ، لكنَّها ليست من الأحياء، فلا ترى العذابَ، ألا ترى إلى قوله: فلا جرمَ ما رأت العذاب.

«ويوم يناديهم» هذا النداءُ أيضاً قد يكونُ بواسطةٍ من الملائكة أو بغير واسطة، حكى أوَّلاً ما يوبِّخُهم به من اتِّخاذِهم له شركاءَ، ثم ما يقوله رؤوسُ الكفر عند توبيخهم، ثمَّ استغاثتهم[٢] بشركائهم وخذلانهم لهم وعجزِهم عن نُصْرَتهم، ثم ما يُبَكِّتونَ به من الاحتجاجِ عليهم بإرسال الرُّسُلِ وإزالةِ العلل[٣].

وقرأ الجمهور: «فعَمِيت» بفتح العين وتخفيف الميم. وقرأ الأعمش وجناح بن حبيش وأبو زرعة بن عمرو بن جرير بضمِّ العين وتشديدِ الميم[٤]، والمعنى: أظلمَتْ عليهمُ الأمورُ فلم يستطيعوا أنْ يخبروا بما فيه نجاةٌ لهم، وأتى بلفظ الماضي لتحقُّقِ وقوعه.

---

(١) في المطبوع وتفسير الرازي ٢٥/٨: وتقريره.
(٢) في (ح) و(ع) والمطبوع: استعانتهم.
(٣) الكشاف ٣/١٨٨.
(٤) القراءة في مختصر في شواذ القرآن ص١١٣ عن جناح وأبي زرعة، وفي المحرر الوجيز ٤/٢٩٥ عن الأعمش.

«فهم لا يتساءلون» وقرأ طلحة: «يَسّاءلون» بإدغام التّاء في السين[(١)]، أي: لا يسألُ بعضُهم بعضاً فيما يتخلّصون[(٢)] به، إذ أيقنوا أنّه لا حجّةَ لهم فهم في عمى وعجزٍ عن الجواب. والمرادُ بالنبأ الخبرُ عمّا أجابَ به المرسلُ إليه رسولَه[(٣)].

ولمّا ذكر تعالى أحوالَ الكفّار يومَ القيامة وما يكونُ منهم فيه، أخبرَ بأنَّ مَنْ تابَ من الشركِ وآمنَ وعمل صالحاً، فإنّه مرجوٌّ له الفلاحُ والفوزُ في الآخرة، وهذا ترغيبٌ للكافر في الإسلام، وضمانٌ له الفلاح. ويقال: إنَّ «عسى» من الله واجبةٌ.

«وربُّك يخلقُ ما يشاءُ ويختار» نزلتْ بسببِ ما تكلّمت به قريشٌ من استغرابِ أمر النبيِّ ﷺ وقولِ بعضهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[(٤)] [الزخرف: ٣١]، وقائلُ ذلك الوليدُ بن المغيرة[(٥)].

قال القرطبيُّ: هذا متّصِلٌ بذكرِ الشركاءِ الذين دعوهم واختاروهم للشفاعة، أي: الاختيارُ إلى الله تعالى في الشفعاء، لا إلى المشركين. وقيل: هو جوابٌ لليهود إذ قالوا: لو كان الرسولُ إلى محمدٍ غير جبريل لآمنّا به[(٦)].

ونصَّ الزجاجُ وعليُّ بن سليمان والنحّاس على أنَّ الوقفَ على قوله: «ويختار» تامٌّ[(٧)].

والظاهرُ أنَّ «ما» نافية أي: ليسَ لهم الخيرة، إنّما هي لله تعالى، كقوله[(٨)]: «ما كان لهم الخيرة من أمرهم»[(٩)].

---

(١) مختصر في شواذ القرآن ص١١٣.
(٢) في (ح) و(ع) والمطبوع: يتحاجون.
(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٨٨.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٥.
(٥) انظر الكشاف ٣/ ١٨٨.
(٦) تفسير القرطبي ١٦/ ٣٠٥.
(٧) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٤١، وكلام علي بن سليمان فيه، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ١٥١.
(٨) في (ت): لقوله.
(٩) كذا، وهو يريد قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وانظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٥.

وذهب الطبريُّ إلى أنَّ «ما» موصولةٌ منصوبةٌ بـ«يختار» أي: ويختار مِنَ الرُّسُل والشرائع ما كان خيرةً للناس لا كما يختارون هم ما ليس إليهم، ويفعلونَ ما لم يؤمروا به[١]. وأنكر أن تكون «ما» نافيةً لئلَّا يكون المعنى: إنَّه لم تكن لهم الخيرةُ فيما مضى، وهي لهم فيما يُستقبلُ، ولأنَّه لم يتقدَّم كلامٌ ينفي[٢]. ورُوِيَ عن ابن عباس معنَى ما ذهب إليه الطبريُّ[٣].

وقد رُدَّ هذا القولُ بعدم[٤] العائدِ على الموصول. وأجيب بأنَّ التقديرَ: ما كان لهم فيه الخيرةُ، وحُذِف لدلالة المعنى.

قال الزمخشريُّ: كما حذف من قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٥] [الشورى: ٤٣]. يعني أنَّ التقدير: إنَّ ذلك منه[٦] لمن عزمِ الأمور. وأنشدَ القاسم بنُ معن بيت عنترة:

أمِنْ سميَّةَ دمعُ العَيْنِ تَذْرِيفُ   لو كان ذا مِنْكِ قبلَ اليومِ معروفُ[٧]

وقرن الآيةَ بهذا البيتِ، والروايةُ في البيت: لو أنَّ ذا، ولكن على ما رواهُ القاسم[٨] يتَّجِهُ في بيت عنترة أنْ يكون في «كان» ضميرُ الشأن، فأمَّا في الآية فقال ابنُ عطية: تفسيرُ الأمر والشأن لا يكون بجملةٍ فيها محذوف. قال ابنُ عطية: ويتَّجهُ عندي أن تكونَ «ما» مفعولةً إذا قدرنا «كان» تامَّةً، أي: إنَّ الله تعالى يختارُ

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٦.
(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٢٩٩-٣٠٢.
(٣) أخرج الطبري ١٨/ ٢٩٩ وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٠١-٣٠٠٢ (١٧٠٥٣) عن ابن عباس في قوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ قال: كانوا يجعلون خير أموالهم لآلهتهم في الجاهلية.
(٤) في (ح) بتقدم. وفي (ع) والمطبوع: تقدم. والمثبت من (ت) و(يه).
(٥) الكشاف ٣/ ١٨٩.
(٦) في (ح) و(ع) والمطبوع: فيه. والمثبت من (ت) و(يه) ومثله في الدر المصون ٨/ ٦٩٠. وهو الأوفق لنظم الآية.
(٧) ديوان عنترة ص٢٧٠ وفيه: لو أن. بدل: لو كان. وذكر محققه أن في إحدى النسخ: لو كان.
(٨) رواها الفراء عن القاسم كما في تفسير الطبري ١٨/ ٣٠٠. وانظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٦.

كلَّ كائنٍ ولا يكونُ شيءٌ إلَّا بإذنه، وقوله: «لهم الخيرة» جملةٌ مستأنفةٌ معناها تعديد النعمةِ عليهم في اختيارِ الله لهم لو قبلوا وفهموا. انتهى[1].

يعني والله أعلم: خيرةُ الله لهم، أي: لمصلحتهم، والخيَرةُ من التخيُّر، كالطيَرة من التطيُّر[2]، ويستعملان بمعنى المصدر. والجملُ التي بعد هذا تقدَّم الكلامُ عليها.

والحمد في الآخرة قولُهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، والتحميدُ هنالك على سبيل اللَّذةِ لا التكليف، وفي الحديث: «يُلْهَمون التسبيحَ والتقديس»[3].

وقرأ ابنُ محيصن: «ما تَكُنُّ» بفتح التاء وضمِّ الكاف[4].

«وله الحكمُ» أي: القضاءُ بين عبادِه والفصلُ.

و«أرأيتم» بمعنى أخبروني، وقد يُسلَّط على «الليل»: «أرأيتُم» و«جَعَلَ»، إذ كلٌّ منهما يقتضيه، فأُعملَ الثاني، وجملة «أرأيتم» الثانية هي جملةُ الاستفهام، والعائدُ على «الليل» محذوفٌ تقديره: مَنْ إلهٌ غيرُ الله يأتيكم بضياءٍ بعدَه، ولا يَلْزَمُ في باب التنازع أنْ يستويَ المتنازعان في جهةِ التعدِّي مطلقاً، بل قد يختلفُ الطلب، فيطلبُه هذا على جهةِ الفاعليَّة وهذا على جهة المفعوليَّة، وهذا على جهةِ المفعول وهذا على جهةِ الظرف، وكذلك «أرأيتم» ثاني مفعولَيْهِ جملةٌ استفهاميَّةٌ غالباً، وثاني «جَعَلَ» إن كانت بمعنى صيَّر، لا يكونُ استفهاماً، وإن كانت بمعنى خلق وأوجدَ، وانتصبَ ما بعد مفعولها، كان ذلكَ المنتصبُ حالاً.

و«سرمداً» قيل: من السرمَد، فميمُه زائدةٌ، ووزنه: فعمل، ولا يُزَادُ وسطاً ولا آخراً بقياس، وإنَّما هي ألفاظٌ تُحْفَظُ مذكورةً في علم التصريف.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٦.
(٢) في (ت) والدر المصون: التخير.... التطير.
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٣٤) من حديث جابر ﷺ بلفظ: «يلهمون التسبيح والتحميد»، و(٢٨٣٥): (١٨): «يلهمون التسبيح والحمد».
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٦.

وأتى «بضياءٍ» وهو نورُ الشمس، ولم يجئ التركيب: بنهارٍ يتصرَّفون فيه، كما جاء: «بليلٍ تسكنون فيه» لأنَّ منافعَ الضياء متكاثرةٌ ليس التَّصَرُّفُ في المعاش وحدَه، والظلامُ ليس بتلك المنزلةِ، ومن ثَمَّ قَرَنَ بالضياء «أفلا تسمعون»؛ لأنَّ السمعَ يُدْرِكُ ما يُدْرِكُه البصرُ من ذكر منافعِه ووصفِ فوائده، وقَرَنَ بالليل «أفلا تبصرون»؛ لأنَّ غيركَ يبصرُ من منفعةِ الظلام ما تبصرُه أنتَ من السكون ونحوه. قاله الزمخشريُّ[(١)].

«ومن رحمتِه» «مِنْ» هنا للسبب، أي: وبسببِ رحمته إيَّاكم «جعلَ لكم الليلَ والنَّهار» ثم علَّل جعلَ كلٍّ واحدٍ منهما، فبدأ بعلَّةِ الأوَّل وهو الليل، وهو «لتسكنوا فيه»، ثمَّ بعلة الثاني وهو «ولتبتغوا من فضله» ثمَّ بما يشبهُ العلَّة لجعلِ هذين الشيئين[(٢)]، وهو «لعلَّكم تشكرون» أي: هذه الرحمةَ والنعمة، وهذا النوعُ من علم البديع يسمَّى التفسيرَ[(٣)]، وهو أن تذكرَ أشياء ثمَّ تفسرَها بما يناسبُها، ومنه قول ابن حَيُّوس:

ومُقَرْطَقٍ يَغْنَى النديمُ بوجهه ... عَنْ كأسِه الملأى وعَنْ إبريقِهِ
فعلُ المُدَامِ ولونُها ومذاقُها ... في مُقْلَتَيْهِ ووَجْنَتَيْهِ ورِيْقِهِ[(٤)]

والضمير في «فيه» عائدٌ على «الليل»، وفي «فضله» يجوزُ أنْ يكون عائداً على الله، والتقدير: «من فضله» أي: من فضل الله فيه، أي: في النهار، وحُذف لدلالة المعنى ولدلالة لفظِ «فيه» السابق عليه، ويحتملُ أن يعودَ على «النهار»، أي: من فضلِ النهار، ويكونُ أضافَه إلى ضمير «النهار» على سبيل المجاز[(٥)]، لمَّا كان الفضلُ حاصلاً فيه أضيف إليه، كقوله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣].

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ

(١) في الكشاف ٣/ ١٨٩.
(٢) في (يه): السببين.
(٣) ويسمى أيضاً اللف والنشر.
(٤) البديع في نقد الشعر ص٧٤، ومعاهد التنصيص ٢/ ٢٧٥.
(٥) قال الآلوسي في روح المعاني ٢٠/ ٢٤٧: وهو خلاف الظاهر.

قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

تقدَّم الكلامُ على قوله: «ويوم يناديهم»، وكرَّر هنا على جهةِ الإبلاغ والتأكيد.

«ونزعنا» أي: ميَّزنا وأخرجنَا بسرعةٍ «منْ كلِّ أمَّةٍ» من الأمم «شهيداً» وهو نبيُّ تلك الأمَّة؛ لأنَّه هو الشهيدُ عليها، كما قال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] وقيل: عدولاً وخياراً[1]. والشهيدُ على هذا اسمُ الجنس. والشهيد يشهدُ على تلك الأمَّة بما صدرَ منها وما أجابتْ به لمَّا دُعِيت إلى التوحيد، وأنَّه قد بلَّغهُم رسالةَ ربِّهم.

«فقلنا» أي: للأمم: هاتوا برهانكم، أي: حجَّتكم فيما كنتم عليه في الدنيا مِنَ الكفرِ، ومخالفةِ هذا الشهيدِ «فعلموا أنَّ الحق لله» لا لأصنامهم وما عَبدوا من دون الله «وضلَّ عنهم» أي: وغابَ عنهم غيبةَ الشيء الضائع «ما كانوا يفترون» من الكذبِ والباطل[2].

و«قارون» أعجمي[3] مُنِعَ الصرفَ للعُجْمةِ والعلميَّةِ. قيل: ومعنى «كان من

(١) الأول قول مجاهد، والثاني قول الرماني، كما في المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٧.
(٢) انظر الكشاف ٣/ ١٩٠.
(٣) في (ح): اسم أعجمي.

قومه» أي: ممَّن آمنَ به. قال ابنُ عطيَّة: وهو إسرائيليٌّ بإجماع. انتهى[(١)].

واختلفَ في قرابته من موسى عليه السلام اختلافاً مضطرباً متكاذباً، وأولاها ما قالهُ ابنُ عباس: إنَّه ابن عمِّه[(٢)]. وهو قارونُ بن يصهر بن قاهث جدِّ موسى؛ لأنَّ النسَّابين ذكروا نسبه كذلك، وكان يسمَّى المنوَّر؛ لحُسْنِ صورتِه، وكان أحفظَ بني إسرائيل للتوراة وأقرأهم، فنافقَ كما نافقَ السامريُّ[(٣)].

«فبغى عليهم» ذكروا من أنواع بغيهِ الكفرَ، والكبرَ، وحسدَه لموسى على النبوَّة، ولهارون على المذبح[(٤)] والقُرْبان، وظلمَهُ لبني إسرائيل حينَ ملَّكه فرعونُ عليهم، ودسَّه بغيًّا تكذبُ على موسى أنَّه تعرَّضَ لها، وتفضحُه بذلك في ملأٍ من بني إسرائيل، ومن تكبُّرِه أن زادَ في ثيابه شبراً[(٥)].

«وآتيناه من الكنوز» قيل: أظفرَه اللهُ بكنزٍ من كنوزِ يوسفَ عليه السلام[(٦)]. وقيل: سمِّيت أموالُه كنوزاً إذ كان ممتنعاً من أداءِ الزكاة، وبسببِ ذلك عادى موسى عليه السلام أوَّل عداوتِه[(٧)]. و«ما» موصولةٌ صلتها «إن» ومعمولاها. وقال النحاس: سمعتُ عليَّ بن سليمان ـ يعني الأخفش الصغير ـ يقول: ما أقبحَ ما يقوله الكوفيُّون في الصِّلات: إنَّه لا يجوزُ أن تكون صلةُ «الذي» «إن» وما عَمِلَتْ فيه، وفي القرآن: «ما إنَّ مفاتحَه» انتهى[(٨)].

وتقدَّمَ الكلامُ في «مفاتح» في سورة الأنعام[(٩)]. وقالوا هنا: مقاليد خزائنه.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٨.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٠٥ (١٧٠٧٤). وهو قول أكثر أهل العلم، كما قال الطبري ١٨/ ٣١٠.
(٣) الكشاف ٣/ ١٩٠.
(٤) في النسخ: الذبح. والمثبت من الكشاف ٣/ ١٩٠.
(٥) هو قول شهر بن حوشب، كما في المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٨. وأخرجه الطبري ١٨/ ٣١١.
(٦) قاله عطاء، كما في النكت والعيون ٤/ ٢٦٥.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٨.
(٨) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٤٢.
(٩) عند تفسير الآية (٥٩) منها.

وقال السُّدِّيُّ: هي الخزائنُ نفسُها[(١)]. وقال الضحَّاك: ظروفُه وأوعيته[(٢)].

وقرأ الأعمش: «مفاتيحه» بياء، جمع مفتاح[(٣)].

وذكروا من كثرةِ مفاتحِه ما هو كذبٌ أو يُقَارِبُ الكذب، فلم أكتبه.

قال أبو زيد: نُؤْتَ بالعملِ، إذا نهضتَ به[(٤)]، قال الشاعر:

إنَّا وجدنا خلفاً بئسَ الخَلَفْ عبداً إذا ما ناءَ بالحِمْل وقَفْ[(٥)]

ويقال: ناءَ ينوءُ، إذا نهضَ بثقل، قال الشاعر:

تنوءُ بأُخْرَاها فلأياً قيامُها وتَمشي الهُوينا عن قَريبٍ فَتُبْهَرُ[(٦)]

وقال أبو عبيدة[(٧)]: هو مقلوب، وأصلُه: لتنوءُ بها العصبةُ، أي: تنهضُ. والقلبُ عند أصحابنا بابُه الشعرُ. والصحيحُ أنَّ الباء للتعدية، أي: لتنيء العصبةَ، كما تقول: ذهبتُ به وأذهبتُه، وجئتُ به وأجأتُه. ونُقِلَ هذا عن الخليل وسيبويه[(٨)] والفرَّاء[(٩)]، واختارَهُ النحّاس[(١٠)]. ورويَ معناهُ عن ابنِ عباس وأبي صالح والسُّدِّيّ[(١١)]. وتقول العرب: ناء الحِمْلُ بالبعيرِ، إذا أثقلَه. قال ابنُ عطية: ويمكنُ

(١) النكت والعيون ٤/ ٢٦٦، وزاد المسير ٦/ ٢٤٠.
(٢) أخرجه الطبري ١٨/ ٣١٤.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٨.
(٤) أورد قول أبي زيد النحاس في معاني القرآن له ٥/ ١٩٩، والزجاج في معاني القرآن له ٤/ ١٥٥. وفيهما: بالحمل. بدل: بالعمل.
(٥) صواب الرواية: خضف بدل: وقف؛ كما في النكت والعيون ٤/ ٢٦٦، وأساس البلاغة (خضف) وغيرها. وخضف، يعني: ضرط. وسلف البيت عند مفردات الآية (١٦٩). من سورة الأعراف.
(٦) البيت لذي الرمة، وهو في ديوانه ٢/ ٦٢٤. قال شارحه: فلأياً، أي: بعد بطءٍ قيامُها. وتُبْهَرُ: تعيا.
(٧) في مجاز القرآن ٢/ ١١٠.
(٨) نقله عنهما ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٩.
(٩) في معاني القرآن له ٢/ ٣١٠.
(١٠) في معاني القرآن له ٥/ ١٩٩.
(١١) تفسير القرطبي ١٦/ ٣١٦.

أن يسندَ «تنوء» إلى المفاتح؛ لأنَّها تنهضُ بتحاملٍ إذا فعلَ ذلك الذي يَنهضُ بها، وذا مطَّردٌ في: ناءَ الحملُ بالبعير ونحوه، فتأمله[(١)].

وقرأ بُدَيْل بن مَيْسَرة: «لِيَنُوء» بالياء وتذكيرِه[(٢)]، راعى المضافَ المحذوف، التقدير: ما إنَّ حمل مفاتحِه، أو مقدارها، أو نحو ذلك.

وقال الزمخشريُّ: ووجهُه أن يُفَسَّر المفاتح بالخزائن، ويعطيها حكمَ ما أُضيفَ إليه للملابسة والاتصال، كقوله: ذَهَبَتْ أهلُ اليمامة. انتهى[(٣)]. يعني أنَّه اكتسبَ المفاتحُ التذكيرَ من الضمير الذي لقارون، كما اكتسبَ (أهل) التأنيثَ من إضافته إلى (اليمامة)، فقيل فيه: ذهبت.

وذكر أبو عمرو الداني أنَّ بديل بن ميسرة قرأ: «ما إنَّ مفتاحَه» على الإفراد، فلا تحتاج قراءته «لينوء» بالياء من تحت[(٤)] إلى تأويل.

وتقدَّمَ تفسيرُ «العصبة» في سورة يوسف عليه السلام[(٥)]، وتقدم قبلُ تفسيرُ المفاتح، أهي المقاليدُ، أو الخزائن نفسُها أو الظروف والأوعية؟

وعن ابن عباس والحسن أنَّ المفاتحَ هي الأموال، قال ابن عباس: كانت خزائنُه يحملها أربعون أقوياء، وكانت أربع مئة ألف، يحملُ كلُّ رجلٍ عشرة آلاف. وقال أبو مسلم: المرادُ من المفاتح العلمُ والإحاطةُ، كقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، والمراد: وآتيناهُ من الكنوز ما إنَّ حفظَها والاطِّلاع عليها، ليثقلُ على العصبة، أي: هذه الكنوزُ لكثرتها واختلافِ أصنافها يُتعب حفظُها[(٦)] القائمينَ على حفظها[(٧)].

«إذ قال له قومُه لا تفرح» نَهَوهُ عن الفرحِ المُطْغي الذي هو انهماكٌ وانحلالُ

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٩.
(٢) المحتسب ٢/ ١٥٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٩٩، والكشاف ٣/ ١٩٠.
(٣) الكشاف ٣/ ١٩٠.
(٤) قوله: من تحت. من (ح). وانظر الكلام في المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٩.
(٥) عند تفسير الآية (٨) منها.
(٦) في (ت): حفظتها.
(٧) تفسير الرازي ٢٥/ ١٥.

نفسٍ وأَشَرٌ وإعجابٌ[١]. وإنَّما يَفرحُ بإقبال الدنيا عليه من اطمأنَّ إليها وغفلَ عن أمرِ الآخرة، ومَن جعل من باله أنَّه مفارقٌ زهرةَ الدنيا عن قريبٍ، فلا يفرحُ بها، وقال أبو الطيب[٢]:

أشدُّ الغمِّ عندي في سرورٍ تيقَّنَ عنه صاحبُه انتِقالا

قال الزمخشريُّ: ومحلُّ «إذ» منصوبٌ بـ «تنوء» انتهى[٣]. وهذا ضعيفٌ جدًّا؛ لأنَّ إثقالَ المفاتح العصبةَ ليس مقيَّداً بوقتِ قول قومه له: لا تفرح.

وقال ابن عطية: متعلِّق بقوله: «فبغى عليهم»[٤]. وهو ضعيفٌ أيضاً؛ لأنَّ بغيَه عليهم لم يكن مقيَّداً بذلك الوقت. وقال الحَوفيُّ الناصبُ له محذوفٌ تقديره: اذكر.

وقال أبو البقاء: «إذ قال له» ظرفٌ لـ «آتيناه». وهذا ضعيفٌ أيضاً؛ لأنَّ الإيتاءَ لم يكن وقتَ ذلك القول. وقال أيضاً: ويجوزُ أن يكونَ ظرفاً لفعلٍ محذوفٍ دلَّ عليه الكلام، أي: بغى عليهم إذ قال له قومه. انتهى[٥].

ويظهرُ أن يكون تقديرُه: فأظهرَ التفاخرَ والفرحَ بما أوتي من الكنوز إذ قال له قومه: لا تفرح، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]، والعربُ تَمْدَحُ بتركِ الفَرحِ عند إقبال الخير، وقال الشاعر:

ولستُ بمِفْراحٍ إذا الدَّهرُ سَرَّني ولا جازعٍ من صَرْفِهِ المتحوِّلِ[٦]

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٩.
(٢) في (ح): ولله در أبي الطيب قال. والبيت في ديوانه ٣/ ٣٤١ (بشرح البرقوقي).
(٣) الكشاف ٣/ ١٩٠.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٩.
(٥) الإملاء ٢/ ١٨٠، وقال السمين في الدر المصون ٨/ ٦٩٤: وهذا ينبغي أن يردَّ بما رُدَّ به قول ابن عطية.
(٦) اختلف في نسبة هذا البيت، فنسبه المبرد في الكامل ٣/ ١٤٥٥، وأبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١١١، والبصري في الحماسة البصرية ١/ ١١٥ لهدبة بن خشرم.
وذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار مرتين، فنسبه مرة ١/ ٢٧٦ للبعيث، ومرة ١/ ٢٨١ لتأبط شراً، وهو في ديوانه ص١٧٨.
=

وقال الآخر:

إنْ تُلاقِ مُنْفِساً لا تَلْقَنا فُرُحَ الخيرِ ولا نَكْبُو لِضُرّ[١]

وقرئ: «الفارحين» حكاهُ عيسى بن سليمان الحجازي[٢].

و«لا يحبُّ» صفةُ فعلٍ لا صفةُ ذات، بمعنى الإرادة؛ لأنَّ الفرحَ أمرٌ قد وقعَ، فالمعنى: لا يظهرُ عليهم بركتُه ولا يَهبهم رحمتَه.

ولمَّا نَهوه عن الفرح المُطْغي، أمروه بأنْ يطلبَ فيما آتاهُ الله من الكنوزِ وسَعَة الرزقِ ثوابَ الدار الآخرة، بأنْ تفعلَ فيه أفعالَ البرِّ وتجعله زادكَ إلى الآخرة.

«ولا تنس نصيبك من الدنيا» قال ابن عباس والجمهور: معناه: ولا تضيِّعْ عمركَ في أنْ لا تعملَ صالحاً في دنياك، إذ الآخرةُ إنَّما يُعملُ لها في الدنيا فنصيبُ الإنسان عمره وعملُه الصالح فيها. وهذا التأويل فيه عظةٌ.

وقال الحسن وقتادة: معناه: لا تضيِّع حظَّك من الدنيا في تمتُّعك بالحلال وطلبكَ إيَّاه ونظرِكَ لعاقبة دنياك. وفي هذا التأويل بعضُ رفقٍ.

وقال الحسن: معناهُ: قَدِّم الفضلَ وأمسكْ ما تَبْلُغُ به. وقال مالك: هو الأكلُ والشربُ بلا سرف. وقيل: أرادوا بنصيبه الكَفَنَ. فهذا وعظٌ متَّصِلٌ، كأنَّهم قالوا: تترك جميعَ مالك، لا يكونُ نصيبُك منه إلَّا الكفن[٣]، كما قال الشاعر:

نصيبُكَ ممَّا تجمعُ الدهرَ كلَّه رداءان تُلْوَى فيهما وحَنُوطُ[٤]

= وذكره أيضاً ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٢/ ٦٩٤ لهدبة، ثم قال: أخذه من تأبط شراً. وروايته في المصادر السابقة: المتقلب. بدل: المتحول.

(١) هو لطرفة، وهو في ديوانه ص٧٠ ولفظه فيه: إن نصادف. بدل: إن تلاق. قال شارحه الشنتمري: إن نلنا مالاً أو أصبنا خيراً لم نفرح عند ذلك، وإن أصابنا ضر لم نستكن له ولم نذل؛ لعلمنا أن الأحوال تتعاقب من خير وشر.

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص١١٤، وفيه: عيسى بن سليمان الجحدري. ولعلها تحرفت عن الحجازي.

(٣) الكلام من قوله: قال ابن عباس والجمهور... إلى هنا استفاده المصنف من المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٩. وأقوال ابن عباس والحسن وقتادة أخرجها الطبري ١٨/ ٣٢٢-٣٢٤.

(٤) هو لأبي العتاهية، وهو في ديوانه ص٢٤٥ (طبعة دار بيروت)، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٩٩، =

وقال الزمخشريُّ: أن تأخذَ منه ما يكفيكَ ويُصْلِحُكَ[١]. وهذا قريبٌ من قول الحسن «وأحسن» إلى عباد الله، أو بشكركَ وطاعتكَ لله. «كما أحسن الله إليك» بتلك النعم التي خوَّلَكَها.

والكاف للتشبيه وهو يكون في بعضِ الأوصاف؛ لأنَّ مماثلةَ إحسان العبدِ لإحسان الله مِنْ جميع الصفات يمتنعُ أنْ يكون، فالتشبيهُ وقعَ في مطلق الإحسان، أو تكونُ الكافُ للتعليل، أي: أحسن لأجل إحسانِ الله إليك.

«ولا تبغِ الفسادَ» أي: ما أنتَ عليه من البغي والظُّلم.

«على علمٍ» «علم» مصدرٌ يحتملُ أن يكون مضافاً إليه، ومضافاً إلى الله، فقال الجمهور: ادَّعى أنَّ عندَه علماً استوجبَ به أن يكونَ صاحبَ تلكَ الكنوز، فقيل: علم التوراة وحفظها، وكان أحدَ السبعينَ الذين اختارَهم موسى للميقات، وكانت هذه مغالطةً. وقال أبو سليمان الداراني: أي علم التجارةِ ووجوهَ المكاسبِ، أي: أوتيتُه بإدراكي وسعيي. وقال ابن المسيَّب: علم الكيمياء[٢]. قال ابنُ المسيَّب: وكان موسى عليه السلام يعلمُ الكيمياءَ، وهي جعل الرَّصاص والنُّحاسِ ذهباً[٣]. وعن ابن عباس: «على علمٍ» لصنعة الذهب[٤].

ولعلَّ ذلك لا يصحُّ عنه ولا عن ابن المسيَّب، وأنكرَ الزجَّاجُ علم الكيمياء، وقال: باطلٌ لا حقيقةَ له. انتهى[٥].

وكثيراً ما تولَّعَ أهلُ مصرَ بطلب أشياء من المستحيلات والخرافات، مِن ذلك تغويرُ الماء، وخدمةُ الصورِ الممثَّلة في الجُدُر خطوطاً، وادِّعائهم أنَّ تلكَ

= وروايته في الديوان:

نصيبكَ ممَّا صرتَ تجمعُ دائباً فثوبان من قبطيةٍ وحَنوطُ

(١) الكشاف ٣/ ١٩٠.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٠.
(٣) الكشاف ٣/ ١٩١، وفيه أن موسى عليه السلام أفاد يوشع بن نون ثلثه، وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه.
(٤) زاد المسير ٦/ ٢٤٢.
(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٥٦.

الخطوط تتحرَّكُ إذا خُدِمت بأنواعٍ من الخدم لهم والكيمياء، حتى إنَّ مشايخَ العلم عندهم الذين هم عندهم بصورةِ الولاية يتطلَّب ذلك مِنْ أجهل واردٍ من المغاربة.

وقال ابنُ زيد وغيره: أرادَ: أوتيتُه على علمٍ من الله وتخصيصٍ من لدنه قصدني به، أي: فلا يلزمني فيه شيءٌ ممَّا قلتم، ثم جعل قوله: «عندي» كما تقول: في معتقدي، وعلى ما أراه[(١)].

وقال مقاتل: «على علم» أي: على خيرٍ علمَه الله عندي[(٢)].

والظاهرُ أنَّ قولَه: «أولم يعلم» تقريرٌ لعلمه ذلك وتنبيهٌ على خطئه في اغتراره، أي: قد علم أنَّ اللهَ قد أهلكَ من القرون قبلَه مَنْ هو أقوى منه وأغنى؛ لأنَّه قد قرأَهُ في التوراة، وأخبرَ به موسى، وسمعَه في التواريخ، كأنَّه قيل: أولم يعلم في جملة ما عندَه من العلم هذا، حتَّى لا يغترَّ بكثرة ماله وقوَّته.

قال الزمخشريُّ[(٣)]: ويجوز أن يكون نفياً لعلمه بذلك؛ لأنَّه لمَّا قال: «أوتيته على علم عندي» فتنفَّجَ[(٤)] بالعلم وتعظَّم به، قيل: أعندَهُ مثلُ ذلك العلم الذي ادَّعاه ورأى نفسَه به مستوجبةً لكلِّ نعمةٍ، ولم يعلم هذا العلمَ النافعَ حتى يقي نفسَه مصارعَ الهالكين. انتهى.

و«أكثر جمعاً» إمَّا للمال، أو جماعة يحوطونَه ويخدمونَه.

قال ابن عطية: أولم يعلم برجح أن قارون تَشَبَّعَ بعلمِ نفسِه على زعمه[(٥)].

وقرأ الجمهور: «ولا يُسْأَلُ» مبنيًّا للمفعول، و«المجرمون» رفع به، وهو متَّصِلٌ بما قبله، قاله محمد بن كعب. والضميرُ في «ذنوبهم» عائدٌ على من أهلكَ من

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٠. وقول ابن زيد أخرجه الطبري ١٨/ ٣٢٦.
(٢) زاد المسير ٦/ ٢٤٢.
(٣) في الكشاف ٣/ ١٩١، وما قبله منه.
(٤) في (ت): فنفح. وفي (ح): فتبجح. وفي (ع) و(يه): فتنفخ. والمتنفج الذي يفخر بما ليس عنده. المعجم الوسيط (نفج).
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٠.

القرون[١]، أي: لا يُسأل غيرُهم ممَّن أجرمَ ولا ممَّن لم يجرم عمَّن أهلكَه اللهُ، بل كلُّ نفسٍ بما كسَبت رهينةٌ.

وقيل: أهلك من أهلك من القرون عن علمٍ منه بذنوبهم، فلم يحتج إلى مسألتهم عنها.

وقيل: هو مستأنَفٌ عن حال يوم القيامة، قال قتادة: لا يُسأَلون عن ذنوبهم؛ لظهورِها وكثرتها؛ لأنَّهم يدخلون النار بغير حساب. وقال قتادةُ أيضاً ومجاهد: لا تسألهم الملائكةُ عن ذنوبهم؛ لأنَّهم يعرفونَهم بسيماهم من السوادِ والتشويهِ، كقوله: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾[٢] [الرحمن: ٤١]. وقيل: لا يُسأَلونَ ليقعَ العلمُ بها، بل يُسْأَلون[٣] سؤالَ توبيخ وتقريع.

وقرأ أبو جعفر في رواية: «ولا تسألْ» بالتاء والجزم «المجرمين» نصب[٤].

وقرأ ابنُ سيرين وأبو العالية كذلك في «ولا تُسْأَلْ» على النَّهي للمُخاطَب، وكان ابنُ أبي إسحاق[٥] لا يجوِّزُ ذلك إلا أن يكون «المجرمين» بالياء في محلِّ النصب بوقوعِ الفعلِ عليه.

قال صاحب «اللوامح»: الظاهرُ ما قاله، ولم يبلغني في نصبِ «المجرمين» شيءٌ، فإنْ تركاه على رفعِه فله وجهان، أحدُهما: أن تكون الهاءُ والميم في «عن ذنوبهم» راجعةً إلى ما تقدَّم من القرون، وارتفاع «المجرمين» بإضمار المبتدأ، وتقديره: هم المجرمون، أولئك المجرمون، ومثله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ في «التوبة» [الآية: ١١٢]، والثاني: أن يكون بدلاً من أصل الهاء والميم في «ذنوبهم»؛ لأنَّها وإن كانت في محلِّ الجرِّ بالإضافة إليها، فإنَّ أصلَها الرفع؛ لأنَّ الإضافةَ إليها بمنزلة إضافة المصدر إلى اسم الفاعل، فعلى ذلك «المجرمون» محمولٌ على الأصل على ما تقدَّم لنا من أنَّ بعضهم قرأ: «أن يضرب مثلاً ما بعوضةٍ» [البقرة: ٢٦] بالجرِّ حملاً على أصل المثل. انتهى.

---

(١) المصدر السابق. وقول محمد بن كعب أخرجه الطبري ١٨/ ٣٢٧.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٠، وقول قتادة الأول وقول مجاهد أخرجهما الطبري ١٨/ ٣٢٧.
(٣) قوله: ليقع العلم بها، بل يسألون. من (ت) و(يه).
(٤) ذكرها العكبري في الإملاء ٢/ ١٨٠ دون نسبة.
(٥) في (ت): أبو إسحاق، وفي (يه): ابن إسحاق.

وكان قد ذكرَ في «البقرة» ما نصُّه: وقد سمعت فيها «ما بعوضةٍ» بالجرّ[١]، على أنَّها بدلٌ من أصل المثل، و«ما» زائدة فيه، وتقديره: لا يستحيي بضربِ مثلٍ بعوضةٍ، أي: بضرب بعوضةٍ. ففي ذلك فُسِّر «أن» مع الفعل[٢] بالمصدر، فأُضيف[٣] إلى المفعول به، ثم أُبْدِل منه البعوضة، من غير أن أعرفَ فيها أثراً بحال.

فأمَّا قوله: في ذنوبهم، فذنوب جمعٌ، فإن كان جمعَ مصدرٍ، ففي إعماله خلافٌ.

وأمَّا قوله: على ما تقدَّم لنا مِن أنَّ بعضَهم قرأ، فقد ذكرَ في «البقرة» أنَّه سَمِعَ ذلك، ولا يَعرِفُ فيها أثراً، فينبغي أنْ لا يجعلَها قراءةً.

ولمَّا ذكر تعالى قارونَ وبَغْيَهُ، وما آتاهُ من الكنوزِ، وفرحَهُ بذلك فرحَ البطِرين، وادعاءَه أنَّ ما أوتي من ذلك إنَّما أوتيَه على علم، ذكر ما هو ناشئٌ عن التكبُّر والسرور بما أوتي، فقال: «فخرجَ على قومه في زينته» وكانَ يومَ السبت، أي أظهرَ ما يقدرُ عليه من الملابس والمراكبِ وزينة الدنيا. قال جابر ومجاهد: في ثيابٍ حُمْرٍ. وقال ابن زيد: هو وحشَمُه في ثياب مُعَصفرة. وقيل: في ثياب الأرجوان[٤]. وقيل: على بغلةٍ شهباءَ عليه[٥] الأرجوان، وعليها سرجٌ من ذهبٍ ومعه أربعة آلاف على زِيِّهِ. وقيل: عليهم وعلى خيولهم الديباجُ الأحمر، وعلى يمينه ثلاث مئة غلام، وعلى يساره ثلاث مئة جاريةٍ بيضٍ، عليهم الحليُّ والديباجُ. وقيل: في تسعين ألفاً عليهم المُعَصْفرات، وهو أوَّلُ يومٍ رؤيَ فيه المُعَصْفَر[٦]. وقيل غيرُ ذلك من الكيفيات.

«قال الذين يريدونَ الحياةَ الدُّنيا» قيل: كانوا مؤمنين. قال قتادة: تمنَّوهُ ليتقرَّبوا

---

(١) من قوله: حملاً على أصل. . . إلى هنا من (ت) و(يه).

(٢) في (ع) والمطبوع: الفصل. بدل الفعل.

(٣) في (ت) و(ح) و(ع) والمطبوع: ناصب بدل: فأضيف، والمثبت من (يه).

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٠-٣٠١. وأخرج أقوال جابر ومجاهد وابن زيد الطبريُّ ١٨/ ٣٢٨-٣٣٠.

(٥) في (يه) والمطبوع ومطبوع الكشاف ٣/ ١٩١: عليها. والمثبت من (ت) و(ح) و(ع) ومخطوط الكشاف (٢/ ورقة ١٥٥).

(٦) الكشاف ٣/ ١٩١.

به إلى الله. وقيل: رغبةً في اليسار والثَّرْوَة. وقيل: كانوا كفاراً. وتمنَّوا مثلَ ما أوتي قارونُ، ولم يذكروا زوالَ نعمته، وهذا من الغبطة[١].

«إنَّه لذو حظٍّ عظيم» أي: درجةٍ عظيمةٍ، قاله الضحاك[٢]. وقيل: نصيب كثيرٍ من الدُّنيا.

والحظُّ: البَخْتُ والسَّعْد، يقال: فلانٌ ذو حظٍّ وحَظيظٌ ومحظوظٌ[٣].

«وقال الذين أوتوا العلم» منهم يوشع، و«العِلْم» معرفةُ الثواب والعقاب، أو التوكُّل، أو الأخبار[٤]، أقوال.

«ويلكم» دعاءٌ بالشرِّ. «ثوابُ الله» وهو ما أعدَّهُ في الآخرة للمؤمن «خيرٌ» ممَّا أوتي قارون.

«ولا يلقَّاها» أي: هذه الحكمة، وهي معرفةُ ثوابِ الله. وقيل: الجنة ونعيمها. وقيل: هذه المقالة، وهي قولهم: «ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً» وعنهم تصْدُرُ[٥]. «إلَّا الصابرون» على الطاعات وعلى قمعِ أنفسِهم عن الشهوات.

تقدَّم طرفٌ من خبر قارون وحسدِه لموسى، ومِن حسدِه أنَّه جعلَ لبغيٍّ جُعْلاً على أن ترميَ موسى بطلبها وبزناه بها، وأنَّها تابت إلى الله، وأقرَّت أنَّ قارون هو الذي جعلَ لها جُعْلاً على رمي موسى بذلك، فأمرَ الله الأرضَ أن تطيعَهُ، فقال: يا أرضُ، خذيه وأتباعَهُ، فخُسِفَ بهم في حكايةٍ طويلةٍ[٦] اللهُ أعلمُ بها.

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٩١.

(٢) النكت والعيون ٤/ ٢٦٩.

(٣) الكشاف ٣/ ١٩١.

(٤) في (ت): الاختيار. وفي (ح): الاحبار. وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٢٤٣ عن ابن عباس ﷺ أنه فسر «الذين أوتوا العلم» بالأحبار من بني إسرائيل.

(٥) في (ت): وغيرهم أعده. وفي (ح): وهل يصبر، وفي (ع): ويحهم يصدر، وفي المطبوع: ويخهم بها. والمثبت من (يه).

(٦) أخرجها ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠١٨ (١٧١٥٦)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٠٨-٤٠٩ عن ابن عباس.

ولمَّا خُسِفَ بقارون ومَنْ معه قال بنو إسرائيل: إنَّما دعا موسى على قارون ليستبدَّ بدارِهِ وكنوزِه، فدعا الله حتى خسفَ بداره وأمواله[1].

و«من» زائدة في «من فئة»[2]، أي: من جماعة تفيدُ استغراقَ الفئات، وإذا انتفتِ الجماعةُ[3] ولم تقدر على نصره، فانتفاءُ الواحدِ عن نُصْرته أبلغ.

«وما كان من المنتصرين» أي: لم يكن في نفسِه ممَّن يمتنعُ من عذاب الله.

«وأصبحَ الذين تمنَّوا مكانَهُ بالأمس» يَدُلُّ «وأصبح» إذا حُمِل على ظاهره أنَّ الخسفَ به وبداره كان ليلاً، وهو أفظعُ العذاب، إذ الليلُ مقرُّ الراحةِ والسكون، و«الأمس» يحتملُ أن يُرادَ به الزمان الماضي، ويحتملُ أن يرادَ به ما قبلَ يومِ الخسفِ، وهو يوم التمنِّي[4]، ويدلُّ عليه العطفُ بالفاء التي تقتضي التعقيبَ في قوله: «فخسفنا» فيكونُ فيه اعتقابُ العذابِ خروجَهُ في زينته، وفي ذلك تعجيلُ العذاب.

و«مكانه» منزلتُه في الدنيا من الثروةِ والحشَم والأتباع.

و«وَيْ» عند الخليل وسيبويه اسمُ فعل، مثل: صَهْ ومَهْ، ومعناها: أعْجَبُ. قال الخليل: وذلك أنَّ القومَ ندموا فقالوا مُتَنَدِّمين على ما سلف منهم: وي[5]. وكلُّ مَنْ ندمَ فأظهرَ ندامتَهُ قال: وي، و«كأن» هي كافُ التشبيه الداخلة على «أنْ»، وكتبت «وي» متَّصلةً بكاف التشبيه لكثرة الاستعمال، وأنشد سيبويه:

وَيْ كأنْ مَنْ يَكُنْ له نَشَبٌ يُحْـ ... ـبَبْ ومَنْ يَفْتَقِرْ يعِشْ عيشَ ضُرِّ

والبيتُ لزيدِ بن عمرو بن نُفيل[6].

(١) الكشاف ٣/ ١٩٢.
(٢) قوله: في من فئة. من (ت) و(به).
(٣) في (ح) و(ع) والمطبوع: الجملة، بدل: الجماعة.
(٤) في (ت): التزين.
(٥) انظر الكتاب ٢/ ١٥٤، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ١٥٧، وزاد المسير ٦/ ٢٤٧.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٢، وهو في الكتاب ٢/ ١٥٥، والمحتسب ٢/ ١٥٥، وخزانة الأدب ٦/ ٤١٠.

وحكى الفرَّاء أنَّ امرأةً قالت لزوجها: أين ابنكَ؟ فقال: ويكأنَّه وراءَ البيت[١]. وعلى هذا المذهب يكون الوقف على «وي».

وقال الأخفش: هي «وَيْكَ»، وينبغي أنْ تكونَ الكافُ حرفَ خطابٍ، ولا موضعَ له من الإعراب، والوقف عليه «وَيْكْ»[٢]، ومنه قول عنترة:

ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقْمَها قِيلُ الفوارسِ وَيْكَ عنترَ أقدمِ[٣]

قال الأخفش: و«أنَّ» عندهُ مفتوحٌ بتقديرِ العلم، أي: اعلم أنَّ الله. وقال الشاعر:

ألا ويكَ المضرَّةَ لا تدومُ ولا يبقى على البؤسِ النعيمُ[٤]

وذهب الكسائيُّ ويونس وأبو حاتم وغيرهم إلى أنَّ أصله: «ويلَك» فحُذِفَتِ اللام، والكافُ في موضع جرٍّ بالإضافة[٥].

فعلى المذهبِ الأول قيل: تكونُ الكافُ خاليةً من معنى التشبيه، كما قيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وعلى المذهب الثاني فالمعنى: أعجبُ لأنَّ الله، وعلى المذهب الثالث تكونُ «ويلك» كلمةَ تحزُّنٍ، والمعنى أيضاً: لأنَّ الله.

وقال أبو زيد وفرقةٌ معه: «ويكأنَّ» حرفٌ واحدٌ بجملتِه، وهو بمعنى: ألم تر[٦]. وقاله ابنُ عبَّاس والكسائيُّ وأبو عبيد[٧].

وقال الفرَّاء: «ويك» في كلام العرب، كقول الرجل: أما ترى إلى صنع الله[٨].

وقال ابنُ قتيبة عن بعض أهل العلم أنَّه قال: معنى «ويك»: رحمةٌ لك، بلغةِ حمير[٩].

---

(١) قال الفراء: معناه: أما ترينه وراء البيت. معاني القرآن ٢/ ٣١٢.
(٢) انظر المحتسب ٢/ ١٥٥.
(٣) ديوان عنترة ص٢١٨.
(٤) ذكره ابن فارس في الصاحبي في فقه اللغة ص١٧٦، وفيه: على الدهر. بدل: على البؤس.
(٥) ذكره عن الكسائي ابن جني في المحتسب ٢/ ١٥٦، وعن يونس الرازيُّ في تفسيره ٢٥/ ٢١٩، وعن أبي حاتم ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٢.
(٦) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٢ عن فرقة من النحويين.
(٧) زاد المسير ٦/ ٢٤٦ وفيه: أبو عبيدة. بدل: أبو عبيد.
(٨) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٢.
(٩) تأويل مشكل القرآن ص٥٢٧.

ولمَّا صدر منهم تمنِّي حالِ قارون، وشاهدوا الخسفَ، كان ذلك زاجراً لهم عن حُبِّ الدنيا، وداعياً إلى الرضا بقدر الله، فتنبَّهوا لخطئهم، فقالوا: «وي»، ثمَّ قالوا: «كأنَّ الله يبسطُ الرزقَ لمن يشاء من عباده» بحسب مشيئته وحكمته، لا لكرامتِه عليه، ويضيِّق على من يشاء، لا لهوانه، بل لحكمته وقضائه ابتلاءً.

وقرأ الأعمش: «لولا مَنَّ اللهُ» بحذف «أن» وهي مزادة، وروي عنه: «منُّ اللهِ» برفع النون والإضافة[١].

وقرأ الجمهور: «لخُسِفَ» مبنيًّا للمفعول، وحفص وعصمة وأبان عن عاصم وابنُ أبي حماد عن أبي بكر مبنيًّا للفاعل[٢]، وابن مسعود وطلحة والأعمش: «لانْخُسِفَ بنا»[٣]، كقولك: انْقُطِعَ بنا، كأنَّه فعل مطاوعٌ، والمُقَامُ مقامَ الفاعل هو «بنا»، ويجوزُ أن يكون المصدر، أي: لانخسفَ الانخسافُ، ومطاوعُ فعلٍ لا يتعدَّى إلى مفعول به، فلذلك بُني إمَّا لبناءٍ وإمَّا للمصدر.

وعن ابن مسعود أيضاً: «لَتُخُسِّفَ بنا» بتاءٍ وشدِّ السين[٤] مبنيًّا للمفعول.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

لمَّا كان من قول أهل العلم والإيمان: «ثوابُ اللهُ خيرٌ» ذكرَ محلَّ الثواب، وهو الدارُ الآخرة، والمعنى: تلك التي سمعتَ بذكرِها وبلغكَ وصفُها الدارُ الآخرة،

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٢.

(٢) قراءة الجمهور وحفص عن عاصم في السبعة ص٤٩٥، والتيسير ص١٧٢. وذكر مجاهد في السبعة أيضاً رواية أبان عن عاصم.

(٣) المحتسب ٢/ ١٥٧، والقراءة عن ابن مسعود في مختصر في شواذ القرآن ص١١٤، وعن الأعمش وطلحة في المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٢.

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص١١٤.

أي: نعيمُ الدار الآخرة، وهي الجنة، والبقاءُ فيها سرمداً، وعلَّق حصولها على مجرد الإرادة، فكيفَ بمن باشر العلوّ والفساد. ثم جاء التركيب بـ «لا» في قوله: «ولا فساداً»، فدلَّ على أنَّ كلَّ واحدٍ من العلوّ والفسادِ مقصودٌ، لا مجموعهما.

قال الحسن: العلوُّ: العزُّ والشرف إنْ جرَّ البغيَ. الضحَّاك: الظلم[1]. والفسادُ يعمُّ أنواع الشر. وعن عليٍّ كرم الله وجهه: إنَّ الرجلَ ليعجبُه أنْ يكون شراكُ نعلِه أجودَ من شِرَاك نعلِ صاحبه. فيدخلُ تحتها. وعن الفُضَيْل أنَّه قرأها ثم قال: ذهبتِ الأماني. وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يردِّدُها حتَّى قُبِض[2].

«فله خيرٌ منها» يحتملُ أن يكونَ «خير» أفعل التفضيل، وأنْ يكون واحدَ الخيورِ، أي: فله خيرٌ بسببِ فعلها. ووضع الظاهرَ موضعَ المُضمَرِ في قوله: «فلا يُجْزى الذين عملوا السيئات» تهجيناً لحالهم وتبغيضاً للسيئةِ إلى قلوب السامعين، ففيه بتكرارِه ما ليس فيه لو كان: فلا يجزون، بالضمير.

و«ما كانوا» على حذف مثل، أي: إلَّا مثلَ ما كانوا يعملون؛ لأنَّ جزاءَ السيئة سيئةٌ مثلها، والحسنةُ بعشر أمثالها.

«إنَّ الذي فرضَ عليك القرآن» قال عطاء: العملَ به. ومجاهد: أعطاكَه. ومقاتل: أنزلَهُ عليكَ، وكذا قال الفراءُ وأبو عبيدة[3].

وقال الزمخشريُّ: أوجبَ عليكَ تلاوتَه وتبليغَه والعملَ بما فيه، يعني إنَّ الذي حمَّلكَ صعوبةَ هذا التكليف ليثيبُك عليها ثواباً لا يحيطُ به الوصف[4].

والمَعاد، قال الجمهور: في الآخرة، أي: باعثُك بعدَ الموت، ففيه إثباتُ الجزاء والإعلامُ بوقوعِه. وعن ابن عباس وأبي سعيد الخدريُّ: المعاد:

---

(١) النكت والعيون ٤/ ٢٧١.
(٢) الكشاف ٣/ ١٩٣. وقول علي أخرجه الطبري ١٨/ ٣٤٤، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٢٣ (١٧١٨١). قال الآلوسي في روح المعاني ٢٠/ ٢٨٤: ولعلَّ هذا إذا أحب ذلك ليفتخر على صاحبه ويستهينه.
(٣) زاد المسير ٦/ ٢٤٩-٢٥٠. وقول الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٣١٣، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١١٢.
(٤) الكشاف ٣/ ١٩٣.

الموت[١]. وقيل: بيت المقدس. وقيل: الجنة. وكان دخلها ليلةَ المعراج.

وقال ابنُ عباس أيضاً ومجاهد: المعاد: مكّة[٢]. أراد ردَّه إليها يومَ الفتح، ونكَّره والمقصودُ التعظيم، أي: مَعادٍ أيِّ مَعاد، أي: له شأنٌ؛ لغلبة الرسول ﷺ عليها، وقهرِهِ لأهلها، ولظهور عزِّ الإسلام وأهله، فكأنَّ اللهَ وعده وهو بمكّة أنّه يهاجر منها، ويعودُ إليها ظافراً ظاهراً.

وقيل: نزلت عليه حينَ بلغَ الجُحْفَةَ في مُهاجَرِه، وقد اشتاقَ إليها، فقال له جبريل: أتشتاق إليها؟ قال: نعم، فأوحاها إليه[٣].

و«مَن» منصوبٌ بإضمار فعلٍ، أي: يَعلمُ مَنْ جاء بالهدى، ومن أجاز أن يأتي «أفْعَل» بمعنى فاعل، وأجاز مع ذلك أن يُنْصَبَ به، جاز أنْ ينتصبَ به؛ إذ يُؤوِّله بمعنى عالم، ويعطيه حكمَه من العمل.

ولمَّا وعدَه تعالى أنَّه يردُّهُ إلى معاد، وأنَّه تعالى فرضَ عليه القرآن، أمرَه أنْ يقول للمشركين ذلك، أي: هو تعالى عالمٌ بمن جاء بالهدى، وهو محمدٌ ﷺ، وبما يستحقُّه من الثواب في مَعاده، وهذا إذا عنى بالمعادِ ما بعد الموت، ويعني بقوله: «ومن هو في ضلالٍ مبين» المشركينَ الذين أمرَه الله بأنْ يبلِّغَهم ذلك، فهو عالمٌ بهم وبما يستحقونَه من العقاب في معادهم، وفي ذلك متاركةٌ للكفار وتوبيخ.

«وما كنت ترجو أن يُلقَى إليك الكتاب» هذا تذكيرٌ لنعمه تعالى على رسوله، وأنه تعالى رَحِمهُ رحمةً لم يتعلَّق بها رجاؤه. وقيل: بل هو معلَّقٌ بقوله «إنَّ الذي فرضَ عليك القرآن» وأنت بحالِ مَنْ لا يرجو ذلك[٤].

وانتصبَ «رحمةً» على الاستثناء المنقطع، أي: لكن رحمةً من ربك سبقت، فألقى إليك الكتاب.

وقال الزمخشريُّ: هذا كلامٌ محمولٌ على المعنى، كأنَّه قيل: وما ألقيَ عليك

(١) أخرجه عنهما الطبري ١٨/ ٣٤٩.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٣. وأخرج قوليهما الطبري ١٨/ ٣٥٠.
(٣) الكشاف ٣/ ١٩٤.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٣.

الكتابُ إلَّا رحمةً من ربِّك. انتهى[١]. فيكون استثناء متَّصِلاً، إمَّا من الأحوال، وإمَّا من المفعول له.

وقرأ الجمهور: «يَصُدُّنَّك» مضارع صَدَّ، وشدُّوا النونَ، ويعقوبُ كذلك إلَّا أنَّه خفَّفها[٢].

وقرئ: «يُصِدُّنَّكَ» مضارع أَصَدَّ، بمعنى صدَّ، حكاه أبو زيد عن رجلٍ من كلب، قال: وهي لغةُ قومه[٣]. وقال الشاعر:

أناسٌ أصَدُّوا الناسَ بالسيفِ عنهم صُدودَ السَّواقي عن أُنوفِ الحَوائمِ[٤]

«بعد إذ أُنْزِلَتْ إليك» أي: بعدَ وقت إنزالها، و«إذ» تضاف إليها أسماءُ الزمان، كقوله: ﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، و«يومئذٍ» و«حينئذٍ». قال الضحَّاك: وذلك حين دعوه إلى دين آبائه[٥]، أي: لا تلتفتْ إلى هؤلاء، ولا تركن إلى قولهم فيصدُّوك عن اتِّباعِ آيات الله. «وادع إلى ربك» أي: إلى دين ربك.

وهذه المناهي كلُّها ظاهرُها أنَّها للرسول ﷺ، وهي في الحقيقة لأتباعِه.

والهَلاكُ يُطلَقُ بإزاء العَدَم المَحْض، فالمعنى أنَّ الله يَعْدَمُ كلُّ شيءٍ سواه، وبإزاء نفي الانتفاع به، إمَّا بالإماتة[٦] أو بتفريقِ الأجزاء وإن كانت باقية، يقال: هَلَك الثوبُ، لا يريدون فناءَ أجزائه، ولكن خروجَه عن الانتفاع به.

---

(١) الكشاف ٣/ ١٩٤.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٣.

(٣) مختصر في شواذ القرآن ص١١٤، والكشاف ٣/ ١٩٤.

(٤) البيت لذي الرمة، وهو بهذا اللفظ في الصحاح (صدد) والكشاف ٣/ ١٩٤، ولسان العرب (صدد)، ونقل صاحب اللسان عن ابن بري قال: وصواب إنشاده:

صدودَ السواقي عن رؤوس المخارمِ

وكذا جاء على الصواب في ديوان ذي الرمة ٢/ ٧٧١.

والسواقي: مجاري الماء، والمَخْرِم: منقطع أنف الجبل، يقول: صدوا الناس عنهم بالسيف كما صُدَّت هذه الأنهار عن المخارم فلم تستطع أن ترتفع إليها. اللسان (صدد).

(٥) تفسير الرازي ٢٥/ ٢٢.

(٦) في النسخ: للإماتة. والمثبت من تفسير الرازي ٢٥/ ٢٢.

ومعنى «إلا وَجْهَه» أي: إلَّا إياه. قاله الزجاج[١]. وقال مجاهد والسُّدِّيّ: هالكٌ بالموت إلَّا العلماء، فإنَّ علمهم باقٍ. انتهى[٢]. ويريدون: إلَّا ما قُصِد به وجهُه من العلم فإنَّه باقٍ.

وقال الضحاك: إلَّا الله عز وجل، والعرشُ والجنَّةُ والنَّار. وقيل: ملكه، ومنه: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦].

وقال أبو عبيدة: المرادُ بالوجه جاهه الذي جعله في الناس[٣]. وقال سفيان الثوري: «إلا وجهه»: ما عُمِلَ لذاته ومن طاعتِه، وتُوُجِّه به نحوَه، ومنه قولُ الشاعر:

ربَّ العبادِ إليه الوَجْهُ والعَمَلُ[٤]

وقولُه: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].

«له الحكم» أي: فصلُ القضاءِ. «وإليه ترجعون» أي: إلى جزائه. وقرأ عيسى «تَرْجِعون» مبنيًّا للفاعل[٥]، والجمهور مبنيًّا للمفعول[٦].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٥٨.
(٢) النكت والعيون ٤/ ٢٧٣ عن مجاهد.
(٣) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٢٠٧، وتفسير القرطبي ١٦/ ٣٣١. وقال الآلوسي في روح المعاني ٢٠/ ٢٩٧: وهو كما ترى لا وجه له.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٤. وهو عجز بيت صدره:

أستغفر الله ذنباً لستُ مُحْصِيَه

وسلف عند تفسير الآية (١١٥) من سورة البقرة.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٤. وهي قراءة يعقوب من العشرة. النشر ٢/ ٢٠٨.
(٦) بعدها في (يه): والله سبحانه وتعالى أعلم.

سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٧ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٩ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ۝١١ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١٢ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝١٣﴾.

هذه السُّورة مكية؛ قاله جابر وعكرمة والحسن. وقال ابن عباس وقتادة: مدنية.

وقال يحيى بن سَلَّام: مكية إلا من أوَّلها إلى «وليَعْلَمَنَّ المنافقين»(١).

(١) الأقوال الثلاثة في النكت والعيون ٤/ ٢٧٤، وزاد المسير ٦/ ٢٥٣، وتفسير القرطبي ١٦/ ٣٣٣.

ونزل أوَّلُها[١] في مسلمين بمكَّة كرهوا الجهاد حين فُرض بالمدينة، قاله السُّدّي[٢].

أو في عمَّار ونُظَرائه ممَّن كان يُعذَّب في الله. قاله ابن عمر[٣].

أو في مُسلمين كان كُفّار قريش بمكة يؤذونهم. قاله مجاهد[٤]، وهو قريب مما قبله.

أو في مِهْجَع مولى عمر، قُتل ببدر؛ فجزع أبواه وامرأتُه عليه، وقال فيه رسول الله ﷺ: «سيِّد الشُّهداءِ مِهْجَع، وهو أوَّلُ مَن يُدعى إلى باب الجنَّة»[٥].

أو في عيَّاش أخي أبي جَهْل، عُذِّب[٦] فارتدّ.

و«النَّاس» فُسِّر بمَن نزلت فيه الآية. وقال الحسن: الناس هنا المنافقون[٧]، أي: أن يُتركوا بمُجرَّد[٨] قولهم آمنَّا.

و«حَسِب» يطلب مفعولين، فقال الحَوْفي وابن عطية وأبو البقاء: سَدَّت «أنْ» وما بعدها من مَعْمولها مَسَدَّ المفعولين[٩]، وأجاز الحَوْفي وأبو البقاء أن يكون:

(١) في (أ، ح، يه): أوائلها، والمثبت من (ت).
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٥.
(٣) أخرجه الطبري ١٨/ ٣٥٨، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٣ عن عبد الله بن عبيد بن عمير، وهو كذلك في النكت والعيون ٤/ ٢٧٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٠٥، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤، وزاد المسير ٦/ ٢٥٤.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٥.
(٥) أسباب النزول ٣٥٥، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤، والنكت والعيون ٤/ ٢٧٥، وزاد المسير ٦/ ٢٥٤، وتفسير القرطبي ١٦/ ٣٣٤ عن مقاتل.
(٦) في (أ، ح، ع) والمطبوع: غدر، ومكانها بياض في (ت)، والمثبت من (يه)، والخبر في النكت والعيون ٤/ ٢٧٥.
(٧) نقله عنه الآلوسي في تفسيره ٢٠/ ٣٠٤، وأخرج ابن أبي حاتم ٦/ ٣٠٣١ ـ وذكره الماوردي ٤/ ٢٧٤ ـ عن الحسن أنه قال: أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا لا إله إلا الله حتى أبتليهم فأعرف الصادق من الكاذب.
(٨) في المطبوع: لمجرد.
(٩) في المطبوع: القولين، وانظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٨١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٠٥.

«أنْ يقولوا» بدلاً من «أنْ يُتْرَكوا»[١]، وأن يكون[٢] في موضع نَصْب بعد إسقاط الخافض، وقَدَّروه: بأنْ يقولوا، أو لأنْ يقولوا.

وقال ابن عطية وأبو البقاء: وإذا قَدَّرتَ الباء كان حالاً[٣]، قال ابن عطية: والمعنى في الباء واللام مختلف؛ وذلك أنه في الباء كما تقول: تركتُ زيداً بحاله، وهي في اللام بمعنى: من أجل؛ أي: حَسِبوا أن إيمانَهم عِلَّةٌ للتَّرْك[٤]. انتهى.

وقوله: أي: حسبوا أن إيمانهم علةٌ للترك[٥]؛ تفسيرُ معنىً، إذ تفسيرُ الإعراب: حُسبانهم أن التَّرك لأجل تَلَفُّظهم[٦] بالإيمان.

وقال الزمخشري: فإنْ قلت: فأين الكلامُ الدَّالُّ على المضمون الذي يَقتضيه الحُسبان؟ قلت: هو في قوله: «أنْ يُتْرَكوا أنْ يقولوا آمنّا وهم لا يُفتنون»؛ وذلك أن تقديره: أحسبوا تَرْكَهم غيرَ مَفتونين لقولهم آمنا؟! فالتَّركُ أولُ مفعولَي حسب، ولقولهم آمنا هو الخبر، وأمَّا غير مفتونين فتَتَمَّةٌ للتَّرك[٧]؛ لأنه من التَّرك الذي هو بمعنى التَّصْيير، كقوله:

فتَرَكْتُه جَزَرَ السِّباع يَنُشْنَه[٨]

ألا ترى أنك قبل المجيء بالحُسبان تقدر أن تقول: تركهم[٩] غير مفتونين

---

(١) الإملاء ٢/ ١٨١.
(٢) في المطبوع: يكونوا، وهو خطأ.
(٣) الإملاء ٢/ ١٨١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٠٥.
(٤) في (أ، ح، ع): للشرط، والمثبت من (ت، يه) والمطبوع، وهو موافق لما في المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٦.
(٥) من قوله: انتهى... إلى هنا ليس في المطبوع.
(٦) في (ت) نطقهم، وهما بمعنى.
(٧) في (أ، ت، ح، ع): فتنة لا الترك، وهو تحريف.
(٨) تمامه: ما بين قُلَّة رأسه والمِعْصَم، وهو من معلقة عنترة، انظر ديوانه ٢١٠ (طبعة مولوي)، يريد: تركت هذا المقتول لحماً للسباع، يتناولنه ويأكلن منه، وقلة رأسه: أعلاه، والمعصم: موضع السوار من الذراع، شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري ٣٤٧، وشرح القصائد التسع المشهورات للنحاس ٢/ ٥١٠.
(٩) في المطبوع: تركتهم.

لقولهم آمنا، على تقدير: حاصلٌ ومُستقرّ، قبل اللام.

فإن قلت: «أنْ يقولوا» هو عِلَّةُ ترْكِهم غير مفتونين، فكيف يصحُّ أن يقع خبرَ مبتدأ؟ قلت: كما تقول: خُروجُه لمخافة الشَّرِّ، وضَرْبُه للتّأديب، وقد كان التأديبُ والمخافة في قولك[١]: خرجتُ مَخافةَ الشرِّ وضربتُه تأديباً تعليلَيْن، وتقول أيضاً: حسبتُ خروجَه لمخافة الشرّ، وظننتُ ضَرْبَه للتَّأديب، فتجعلُهما مفعولَيْن كما جعلتَهما مبتدأ وخبراً. انتهى[٢].

وهو كلامٌ فيه اضطراب؛ ذكر أوَّلاً أن تقديره غيرَ مفتونين تتمةٌ، يعني أنه حال؛ لأنه سَبَك ذلك من قوله: «وهم لا يفتنون» وهذه جملةٌ حاليَّة، ثم ذكر «أنْ يتركوا» هنا من التَّرك الذي هو من التَّصيير، وهذا لا يصحّ؛ لأن مفعول صَيَّر الثاني لا يستقيم أن يكون لقولهم؛ إذ يصير التقدير: أن يُصيَّروا لقولهم وهم لا يفتنون، وهذا كلام لا يَصحّ.

وأمَّا ما مَثَّله به من البيت فإنه يصحُّ أن يكون جَزَر السِّباع مفعولاً ثانياً لترك بمعنى صَيَّر، بخلاف ما قدَّر في الآية.

وأمَّا تقديرُه: تركهم غير مفتونين لقولهم آمنّا على تقدير حاصِلٍ ومُسْتَقرٌّ قبل اللام فلا يصحّ إذا كان ترْكُهم بمعنى تصييرهم، وكان غير مفتونين حالاً؛ إذ لا يَنْعَقد من تَرْكهم بمعنى تصييرهم وتَقَوُّلِهم[٣] مبتدأٌ وخبرٌ؛ لاحتياج ترْكِهم بمعنى تصييرهم إلى مفعولٍ ثان؛ لأن غير مفتونين عنده حالٌ لا مفعولٌ ثان.

وأمَّا قوله: فإن قلت: أن يقولوا... إلى آخره، فيحتاج إلى فَضْلَة فَهْم؛ وذلك أن قوله: «أنْ يقولوا» هو علَّةُ تركِهم فليس كذلك؛ لأنه لو كان علَّةً له لكان به متعلّقاً كما يتعلق بالفعل، ولكنه علَّةٌ للخبر المحذوف الذي هو مُستقرٌّ أو كائنٌ، والخبرُ غير المبتدأ، ولو كان «لقولهم» علَّةً للترك لكان من تمامه فكان يحتاج إلى خبر.

---

(١) في المطبوع: قوله.
(٢) الكشاف ٣/ ١٩٥.
(٣) في (أ، ح، ع، يه): ولقولهم، وفي (ت): وكقوله، وكله خطأ، والمثبت من المطبوع والدر المصون ٩/ ٧ فقد نقل السمين كلام أبي حيان كله.

وأمَّا قوله: كما تقول: خروجهُ لمخافةِ الشرِّ؛ فلمخافة ليس علَّةً للخروج بل للخبر المحذوف الذي هو مُستقرٌّ أو كائن[١].

«وهم لا يفتنون» قال الشَّعبي: الفِتنةُ هنا ما كُلِّفَه المؤمنون من الهجرة التي لم يُتركوا دونها[٢].

وقال الكلبي: هو مثال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ٦٥]. وقال مجاهد: يُبْتَلَون في أنفسهم وأموالهم[٣].

و«الذين من قبلهم» المؤمنون أتباعُ الأنبياء، أصابهم من المِحَن ما فُرِق به المؤمن بالمِنْشار فِرقتَيْن، ويُمشَط بأمشاط الحديد ولا يرجع عن دينه.

«فليَعلمنَّ الله» بالامتحان «الذين صَدقوا» في إيمانهم «وليَعلمنَّ الكاذبين» فيه، من عَلم المتعدِّية إلى واحد فيهما، ويستحيلُ حُدوثُ العلم لله تعالى، فالمعنى: ولَيَتَعَلَّقَنَّ علمُهُ به موجوداً كما كان متعلِّقاً به حين كان معدوماً. والمعنى: ولَيميزَنَّ الصَّادقَ منهم من الكاذب. أو عَبَّر بالعلم عن الجزاء، أي: ولَيُثيبَنَّ الصَّادق وليعذِّبنّ الكاذب، ومعنى صدقوا في إيمانهم: فطابق[٤] قولُهم واعتقادُهم أفعالَهم، والكاذبين ضدُّ ذلك.

وقرأ عليٌّ وجعفر بن محمد: «فلَيُعْلِمَنَّ»[٥] مضارع أعلم؛ المنقولة بهمزة التعدّي من علم المتعدية إلى واحد والثاني محذوف، أي: منازلَهم في الآخرة من ثواب وعقاب، أو الأولُ محذوف، أي: فلَيُعْلِمَنّ الناسَ الذين صَدقوا ـ أي:

---

(١) قال السمين في الدر المصون ٩/ ٧: وهذا الذي ذكره الشيخ كله جوابه: أن الزمخشري إنما نظر إلى جانب المعنى، وكلامه عليه صحيح، وأما قوله: ليس علة للخروج ونحو ذلك؛ يعني في اللفظ، وأما في المعنى فهو علة له قطعاً.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٥.
(٣) أخرجه الطبري ١٨/ ٣٥٦، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٢.
(٤) في (أ، ت، ح): تطابق، وفي (ع) والمطبوع: يطابق، والمثبت من (به).
(٥) المحتسب ٢/ ١٥٩، ومختصر في الشواذ ١١٤، وأخرجها ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٢ عن علي، وهي في الكشاف ٣/ ١٩٦، وزاد المسير ٦/ ٢٥٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٠٦، وتفسير القرطبي ١٦/ ٣٣٧.

يَشْهَرُهم ـ هؤلاء في الخير وهؤلاء في الشرِّ، وذلك في الدُّنيا والآخرة، أو من العَلامة فيتعدَّى إلى واحد، أي: يَسِمُهُم بعَلامةٍ تَصلُحُ لهم، كقوله: «مَنْ أسَرَّ سَريرةً ألْبَسَه الله رِداءها»[١].

وقرأ الزُّهري الأولى كقراءة الجماعة، والثانية كقراءة عليّ[٢].

«أم حَسِب» قال ابن عطية: أم مُعادلةٌ للألف في قوله: «أحَسِب» وكأنّه عز وجل قَرَّر الفريقَيْن؛ قَرَّر المؤمنين على ظَنِّهم أنهم لا يُفْتَنون، وقَرَّر الكافرين الذين يعملون السيِّئات في تعذيب المؤمنين وغير ذلك على ظَنِّهم أنهم يَسبقون نَقِمات الله ويُعجزونه. انتهى[٣].

وليست أم هنا مُعادلة للألف في أحسب كما ذكر؛ لأنها إذْ ذاك تكونُ متَّصلة، ولها شَرطان: أحدهما أن يكون قبلَها لفظُ همزة الاستفهام، وهذا الشَّرطُ هنا موجود، والثاني أن يكون بعدها مُفرد أو ما هو في تقدير المفرد، مثالُ المفرد: أزيدٌ قائمٌ أم عمرو؟ ومثال ما هو في تقدير المفرد: أقام زيد أم قعَد؟ وجوابُها تعيين أحد الشَّيئين إن كان التَّعادلُ بين شيئين، أو الأشياء إن كان بين أكثر من شيئين. وهنا بعد أم جملة، ولا يمكن الجوابُ هنا بأحد الشيئين، بل «أم» هنا مُنقطعة بمعنى بل التي للإضراب، بمعنى الانتقال من قضيَّةٍ إلى قضية؛ لا بمعنى الإبطال، وهمزة الاستفهام والاستفهام هنا للتَّقرير[٤] والتَّوبيخ والإنكار، فلا يقتضي جواباً لأنه في معنى: كيف وقع حُسبانُ ذلك؟

و«الذين يَعملون السَّيِّئات» قال ابن عباس: يُريد الوليد بن المُغيرة، وأبا جَهْل، والأسود والعاصي بن هشام، وشَيْبَة وعُتْبة، والوليد بن عُتْبة، وعُقبة بن أبي مُعَيْط،

(١) المحرر الوجيز ٤/٣٠٦، وتفسير القرطبي ١٦/٣٣٧، والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (١٧٠٢)، وفي الأوسط (٧٩٠٦) من حديث جندب بن سفيان البجلي، وفيه كذاب ومتروك، وأخرجه الطبري في تفسيره ١٠/١٢٧، وابن أبي حاتم ٥/١٤٥٨ (٨٣٤٢) من حديث عثمان بن عفان، وفيه متروك.

(٢) المحتسب ٢/١٥٩، والمحرر الوجيز ٤/٣٠٦.

(٣) المحرر الوجيز ٤/٣٠٦.

(٤) في المطبوع: للتقريع.

وحَنْظلة بن أبي سفيان، والعاصي بن وائل، وأنْظارهم من صَناديد قُريش[١]. انتهى. والآية وإنْ نَزلت على سَببٍ فهي تَعُمُّ جميعَ مَن يَعملُ السّيئات من كافر ومسلم.

وقال مجاهد: «أنْ يسبقونا» أي: يُعْجِزونا فلا نَقدر على الانتقام[٢]، وقيل: أن يُعجلونا محتومَ القضاء، وقيل: أن يَهربوا منّا ويَفوتونا بأنفسهم[٣].

وقال الزمخشري: «أن يسبقونا» أن يفوتونا، يعني: أن الجزاء يَلْحقهم لا محالة وهم لم يَطمعوا في الفَوْت[٤]، ولم يُحَدِّثوا به أنفسَهم، ولكنَّهم لغَفْلَتهم، وقلَّةِ فِكرتهم في العاقبة، وإصرارهم على المعاصي في صورة مَنْ يُقَدِّر[٥] ذلك ويَطمعُ فيه، ونَظيرُه ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٦] [العنكبوت: ٢٢]، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: ٥٩].

فإن قلت: أين مفعولا «حَسِب»؟ قلت: اشتمالُ صِلة أنْ على مسند ومُسند إليه سَدَّ مَسَدَّ المفعولين، كقوله[٧]: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٢١٤]، ويجوز أن تُضَمّن حَسِب معنى قَدَّر وأم مُنقطعة، ومعنى الإضراب فيها: أن هذا الحُسْبان أَبْطَلُ من الحُسْبان الأول؛ لأن ذلك يُقَدِّر أنه لا يُمْتَحَنُ لإيمانه، وهذا يظنُّ أنه لا يُجازى بمَساويه. انتهى.

أمَّا قوله: وهم لم يطمعوا في الفَوْت إلى آخر قوله: ويَطمعُ فيه، فليس كما ذَكَر، بل هم مُعتقدون أنْ لا بَعْثَ ولا جَزاء، ولا سيّما السَّرِيّة التي نصَّ عليها ابنُ عباس، وما ذكره الزمخشري هو على اعتقاد مَن يعلم أن الله يُجازيه[٨] ولكنْ طَمِع[٩] في عفو الله.

---

(١) تفسير القرطبي ١٦/ ٣٣٨، وزاد المسير ٦/ ٢٥٦.
(٢) أخرجه الطبري ١٨/ ٣٦١، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٣ (١٧١٥١).
(٣) انظر النكت والعيون ٤/ ٢٧٥.
(٤) في (أ، ح، ع): الثواب، وهو تحريف.
(٥) في (أ، ح، ع، يه): يقدم، والمثبت من (ت)، وهو موافق لما في الكشاف ٣/ ١٩٦.
(٦) في النسخ: وما هم، والمثبت من المطبوع والكشاف ٣/ ١٩٦.
(٧) في (ع، يه) والمطبوع: قولهم، والمثبت من (أ، ت، ح).
(٨) في (أ، ع، يه): مجازيه.
(٩) في (يه): يطمع.

وأما قوله: اشتمالُ صِلَةِ أنْ. . . إلى آخره؛ فقد كان ينبغي أن يُقَدِّر ذلك في قوله: «أن يُتركوا» فيجعل ذلك سدَّ مسدَّ المفعولين، ولم يُقدر ما لا يصحُّ تقديره.

وأمّا قوله: ويجوز أن تُضمّن حسب معنى قَدَّرَ، فيعني[١]: أنَّ «أنْ» وما بعدها في موضع مفعولٍ واحد، والتَّضمينُ ليس بقياس، ولا يُصار إليه إلا عند الحاجة إليه، وهنا[٢] لا حاجةَ إليه.

«ساء ما يحكمون» قال الزمخشري وابن عطية ما معناه: إنّ «ما» موصولة، و«يحكمون» صلتها، أو تمييز بمعنى شيء، ويحكمون صفته، والمخصوص بالذَّمِّ محذوف، فالتقدير[٣]: أي حُكمُهم. انتهى.

وفي كون «ما» موصولة مرفوعة بساء، أو منصوبة على التَّمييز خلافٌ مذكورٌ في النحو.

وقال ابن كَيْسان: ما مصدريّة[٤]، فتقديره: بئس حكمُهم، وعلى هذا القول يكون التمييز محذوفاً، أي: ساء حُكماً حُكمُهم، وساء هنا بمعنى بئس، وتقدَّم حُكم بئس إذا اتصل بها ما والفعل في قوله: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ مُشْبَعاً في «البقرة» [الآية: ٩٠].

وجاء بالمضارع وهو «يحكمون» قيل: إشعاراً بأن حُكمَهم مَذمومٌ حالاً واستقبالاً، وقيل: لأجل الفاصلة وقع المضارعُ موقعَ الماضي اتِّساعاً.

والظاهر أن «يرجو» على بابها، ومعنى «لقاء الله»: الوصولُ إلى عاقبةِ الأمرِ من الموت والبَعْث والجزاء، مُثِّلتْ حالُه بحالِ[٥] عبدٍ قَدم على مولاه من سَفرٍ بعيد؛ وقد اطَّلع مولاه على ما عَمل في غيبته عنه، فإنْ كان عَمِل خيراً تلقَّاه بإحسان، أو شرًّا فبضِدِّ الإحسان.

---

(١) في (أ): فمعنى، وفي المطبوع: فتعين.
(٢) في (أ، ح، ع) والمطبوع: وهذا، والمثبت من (ت، يه).
(٣) في النسخ: في التقدير، والمثبت من المطبوع، وانظر الكشاف ٣/١٩٦، والمحرر الوجيز ٤/٣٠٦.
(٤) المحرر الوجيز ٤/٣٠٦، وتفسير القرطبي ١٦/٣٣٨.
(٥) في (أ، ح، ع): بحالة، والمثبت من (ت، يه)، وكلاهما صحيح، وانظر الكشاف ٣/١٩٧.

«فإنَّ أجَلَ الله لآت» وهو ما أجَّله وجعل له أجَلاً لآتيه[١] لا مَحالَة، فلْيُبادر لما يصَدِّق رَجاءه.

وقال أبو عبيدة: يرجو: يخاف[٢].

ويظهر أن جوابَ الشَّرط مَحذوف، أي: مَن كان يرجو لقاءَ الله فلْيُبادر بالعمل الصَّالح الذي يُحَقِّقُ رَجاءه، فإنَّ ما أجَّله الله تعالى من لقاء جزائه لآتٍ.

والظَّاهرُ أن قوله: «ومَنْ جاهد» معناه: ومَن جاهد نفسَه بالصَّبر على الطَّاعات فثمَرَةُ جِهادِهِ ـ وهو الثَّوابُ المُعَدُّ له ـ إنما هي[٣] له لا لله، والله تعالى غَنيٌّ عنه وعن العالَمين، وإنما كلَّفهم ما كلَّفهم إحساناً إليهم.

«لنُكَفِّرَنَّ عنهم سَيئاتهم» يَشمل مَن كان كافراً فآمن وعَمل صالحاً، فأسقط عنه عقابَ ما كان قبلَ الإيمان من كُفرٍ ومَعصيةٍ، ومَن نشأ مؤمناً عاملاً للصَّالحات وأساء في بعض أعماله، فكَفَّر عنه ذلك، وكانت سيئاتُهُ مَغمورةً بحسناته.

«ولنَجْزينَّهم أحسنَ الذي» أي: أحسنَ جزاءِ أعمالهم.

وقال ابن عطية: فيه حذفُ مُضافٍ؛ تقديرُه: ثوابَ أحسنِ الذي كانوا يعملون[٤]. انتهى.

وهذا التقدير لا يَسوغ؛ لأنه يقتضي أن أولئك يُجْزَون ثوابَ أحسنِ أعمالهم، وأما ثوابُ حَسَنها فمَسْكوت عنه، وهم يُجْزَون ثوابَ الأحسنِ والحَسَنِ، إلا إن أخْرَجْتَ أحسنَ عن بابها من التَّفْضيل؛ فيكون بمعنى حَسَن، فإنه يسوغ ذلك. وأما التقدير الذي ذكره[٥] فمعناه: إنه يُجزى أحسنَ جزاءِ العَمل، فعَملُهُ يقتضي أن تكونَ الحسنةُ بمثلها، فجوزي أحسنَ جزائها، وهي أنْ جُعِلتْ بعشرِ أمثالها.

---

(١) في المطبوع: لأنفسه؟! وهو تحريف.
(٢) مجاز القرآن ٢/١١٣.
(٣) في المطبوع: هو.
(٤) المحرر الوجيز ٤/٣٠٧.
(٥) في (أ، ح، ع، يه) والمطبوع: قبله، والمثبت من (ت).

وفي هذه الآيات تحريكٌ وهَزٌّ لمن تَخلَّف عن الهجرة أن يُبادِرَ إلى استدراكِ ما فَرَّط فيه منها، وثَناءٌ على المؤمنين الذين بادروا إلى الهجرة، وتَنْويهٌ بقَدْرهم.

«ووَصَّينا الإنسانَ» في «جامع» التِّرمذي أنها نزلت في سعد بن أبي وَقّاص؛ آلَت أمُّه أن لا تَطْعَم ولا تَشْرَبَ حتى تموتَ أو يَكْفُر[١].

وقيل: في عَيَّاش بن أبي ربيعة؛ أسلم وهاجر مع عمر، وكانت أمُّه شديدةَ الحبِّ له، وحَلَفَتْ على مثل ذلك، فتَحيَّل عليه أبو جَهل وأخوه الحارث، فشَدَّاه وَثاقاً حين خرج معهما من المدينة إلى أمِّه قَصْداً لِبرِّها[٢]، وجَلَده كلٌّ منهما مئةَ جَلْدة، ورَدَّاه إلى أمِّه فقالت: لا تزالُ في عَذابٍ حتى تَكْفُرَ بمحمد... في حديث طويل ذُكر في السِّيَر[٣].

«وَوَصَّينا الإنسان بوالدَيْه» أي: أمرناه بتعَهُّدِهما ومُراعاتهما.

وانتصب «حُسْناً» على أنه مَصدرٌ وُصف به مصدر وَصَّينا، أي: إيصاءً حُسْناً، أي: ذا حُسْن، أو على سبيل المبالغة، أي: هو في ذاته حُسْن.

قال ابن عطية: يحتمل أن يَنتصب على المفعول، وفي ذلك تَجَوُّز، ويُسَهِّله كونهُ عامًّا لمعانٍ؛كما تقول: وَصَّيْتُك خيراً وأوصيتُك شرًّا، وعبَّر بذلك عن جُملةِ ما قلتَ له، ويُحَسِّن ذلك دون حرف الجرِّ كونُ حرفِ الجرِّ في قوله: «بوالديه»؛ لأنَّ المعنى: ووَصَّينا الإنسانَ بالحُسْنِ في فِعْله[٤] مع والدَيْه، ونَظيرُ هذا قولُ الشاعر:

---

(١) سنن الترمذي (٣٤٦٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وهو في مسند أحمد (١٦١٥).

(٢) في (ت) والمطبوع: ليراها.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦٧، وطبقات ابن سعد ٤/ ١٢١، والاستيعاب (١٩٢٤)، والتبيين في أنساب القرشيين لابن قدامة ٣٧٥، وذكره مطولاً الثعلبي ٥/ ٦-٧، والطبرسي ٢٠/ ٣٣٩، والزمخشري ٣/ ١٩٨، ومختصراً ابن عطية ٤/ ٣٠٧، وابن الجوزي ٦/ ٢٥٧، والقرطبي ١٦/ ٣٤٠.

(٤) في (أ) والمطبوع: قوله، والمثبت من (ت، ح، يه) وهو موافق لما في المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٨.

عَجِبْتُ من دَهْماءَ إذ تشكونا

ومن أبي دَهْماء إذ يُوْصِينا

خيراً بها كأنّنا جافونا[1]

انتهى. ومثلُهُ قولُ الحُطَيْئة يُوصي ابنتَه بَرَّةَ[2]:

وَصَّيْتُ من بَرَّةَ قَلْباً حُرّا ... بالكَلْب خَيراً والحَماةِ شَرّا

وعلى هذا التقدير يكون الأصل: بخير وهو المفعول الثاني. والباء في «بوالديه» وفي بالحماة وبالكلب ظَرْفيّة بمعنى في، أي: وَصَّينا الإنسانَ في أمرِ والدَيْه بخير.

قال ابن عطيّة: ويَحتمل أن يكون المفعول الثاني في قوله: «بوالديه» وينتصب «حُسْناً» بفعلٍ مُضْمَرٍ تقديرُه: يُحْسِنُ حُسْناً، وينتصبُ انتصابَ المَصْدر[3].

وفي «التَّحرير» حُسْناً، نُصِبَ عند البصريين على التَّكْرير، أي: وَصَّيناه حُسناً، ولا ينتصب انتصابَ المصدر. وفي «التحرير»: وقيل: على القَطْع، تقديرُهُ: ووَصَّيناه بالحُسْن، كما تقول: وَصَّيتُه خيراً، أي: بالخير. ويعني بالقَطْع؛ أي: عن حرف الجرّ فانتصبَ.

وقال أهلُ الكوفة: ووَصَّينا الإنسانَ أن يفعلَ حُسناً، فيُقَدَّرُ له فعل. انتهى.

وفي هذا القول حذفُ أنْ وصِلتها، وإبقاءُ المعمول، وهو لا يجوز عند البصريّين.

---

(١) الرجز دون نسبة في تفسير الطبري ١٨/ ٣٦٢، والثعلبي ٥/ ٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٠٨، وتفسير القرطبي ١٦/ ٣٤٠، والبيت الأخير أثبتناه من (ت، يه)، وليس في (أ، ح) والمطبوع.

(٢) تابع السمين في الدر المصون ٩/ ١١ أبا حيان في نسبة البيت إلى الحطيئة، وليس في ديوانه، وهو لأبي النجم العجلي في قصة له مع هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي، انظر ديوانه ١٨٤، والكامل ٢/ ٩٩٨، والعقد ١/ ٣١٩، والأغاني ١٠/ ١٥٦، والشعر والشعراء ٢/ ٦٠٨، وشرح أدب الكاتب للجواليقي ٢٧٧.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٨.

وقال الزمخشري: وَصَّيناه بإيتاء والديْه حُسْناً، أو بإيْلاءِ والديْه حُسناً، أي: فِعْلاً ذا حُسْن، أو ما هو في ذاته حُسْن لفَرْطِ حُسْنِهِ، كقوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]. انتهى[١].

وهذا التّقدير فيه إعمالُ المصدر مَحذوفاً وإبقاءُ معموله، وهو لا يجوز عند البصريين.

وقال الزمخشري: ويجوز أن تجعل «حُسْناً» من باب قولك: زيداً، بإضمار اضْرِب إذا رأيتَه مُتَهيّاً للضَّرب، فتَنْصِبُه بإضمار أوْلِهِمَا أو افْعَل بهما؛ لأن التَّوصِيةَ بهما دالَّةٌ عليه، وما بعدهُ مُطابِقٌ له، كأنه قال: قُلْنا أوْلِهِمَا مَعْروفاً[٢].

وقرأ عيسى والجَحْدَري: «حَسَناً» بفتحتين[٣]، والجمهور بضمِّ الحاء وإسكان السِّين[٤]، وهما كالبُخْلِ والبَخَل.

وقال أبو الفَضْل الرّازي: وانتصابُه بفعلٍ مُضْمَر دون التَّوْصية المتقدِّمة، لأنها قد أخذتْ مفعولَيها معاً مُطلقاً ومَجروراً، فالحُسْن هنا صفةٌ أُقيم مقامَ الموصوف، بمعنى: أمرَ حُسْنٍ. انتهى. أي: أمراً حسناً، حُذف أمر، وأُقيم حسن مقامه. وقوله: مُطلقاً؛ عنى به الإنسان، وفيه تسامُحٌ، بل هو مفعول به، والمُطْلَق إنما هو المصدر، لأنه مفعول لم يُقَيَّد من حيث التَّفسير بأداة جَرٍّ بخلاف سائر المفاعيل فإنك تقول: مفعول به، ومفعول فيه، ومفعول معه، ومفعول له.

وفي مُصحف أبيّ: «إحسانا»[٥].

«وإنْ جاهداك» أي: وقلنا: إنْ جاهداك «ما ليس لك به عِلْمٌ» أي: بإلاهيته، فالمراد بنَفْي العلم نَفْيُ المعلوم، أي: لتُشرك به شيئاً لا يصحُّ أن يكون إلهاً[٦]

(١) الكشاف ٣/ ١٩٧-١٩٨.
(٢) الكشاف ٣/ ١٩٨.
(٣) مختصر في الشواذ ١١٤، وزاد الثعلبي ٥/ ٥، وابن الجوزي ٦/ ٢٥٦، والقرطبي ١٦/ ٣٤١ نسبتها إلى أبي رجاء العطاردي وأبي العالية والضحاك.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٨، وتفسير القرطبي ١٦/ ٣٤١.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٨، وزاد المسير ٦/ ٢٥٨، وتفسير القرطبي ١٦/ ٣٤١.
(٦) الكشاف ٣/ ١٩٨.

ولا يستقيم، فلا تُطعْهما فيما جاهداك عليه من الإشراك.

«إليَّ مَرْجِعُكم» شاملٌ للمُوْصي والمُوْصَى، والمُجاهِد والمجاهَد.

«فأُنبِّئُكم» فأُجازيكم بما كنتم تَعملون من برٍّ أو عُقوق، وطاعةٍ أو عِصْيان.

وكرَّر سبحانه وتعالى ما رَتّب للمؤمنين من دخولهم في الصَّالحين ليُحَرِّكَ النُّفوسَ إلى نَيْل مراتبهم.

ومعنى «في الصَّالحين» في جُمْلَتهم. ومَرْتَبَةُ الصَّلاح شريفةٌ، أخبر الله تعالى بها عن إبراهيم، وسألها سليمان عليهما الصلاة والسلام، وأخبر تعالى أنّه يَجعل مَن أطاع الله ورسوله معهم.

ويجوز أن يكون التقدير: في ثواب الصَّالحين وهي الجنّة.

ولما ذكر تعالى ما أعَدَّه للمؤمنين الخُلَّص ذَكر حالَ المنافقين؛ ناساً آمنوا بألسنتهم، فإذا آذاهم الكُفّار جعلوا ذلك الأذى وهو «فتنة النّاس» صارِفاً لهم عن الإيمان، كما أنّ عذابَ الله صارفٌ للمؤمنين عن الكُفر[(١)]، وكونُها نزلت في مُنافِقين قولُ ابن زيد[(٢)].

وقال الزَّجاج: جَزِع كما يَجْزع من عذاب الله[(٣)]، وهذا معنى قول مجاهد والضَّحَّاك.

وقال قتادة: فيمن هاجر فرَدَّهم المشركون إلى مكة.

وقيل: في مؤمنين أخرجهم إلى بدرٍ المشركون فارتدُّوا، وهم الذين قال الله فيهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧][(٤)].

«ولئن جاء نَصْرٌ من ربِّك» أي: للمؤمنين «لَيَقُولُنَّ» أي: القائلون أُوذينا في الله «إنّا كنّا معكم» أي: مُتابعون لكم في دينكم، أو مُقاتلون معكم ناصرون لكم،

(١) الكشاف ٣/ ١٩٨.
(٢) أخرجه الطبري ١٨/ ٣٦٥، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٨.
(٣) معاني القرآن ٤/ ١٦١.
(٤) أخرج الآثار الطبري ١٨/ ٣٦٥، ٣٦٦، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٧، ٣٠٣٨، وذكرها الثعلبي ٥/ ٦، وابن عطية ٤/ ٣٠٨، وابن الجوزي ٦/ ٢٥٨، ٢٥٩، والقرطبي ١٦/ ٣٤٢.

قاسِمونا فيما حَصَلَ لكم من الغنائم، وهذه الجملة المُقْسَم عليها مُظهِرةٌ لمُغَالَطَتهم؛ إذ لو كان إيمانُهم صحيحاً لصَبروا على أذى الكفَّار، وإن كانت فيمن هاجر فكانوا يحتالون في أمرهم، وركبوا كلَّ هَوْلٍ في هجرتهم.

وقُرئ: «لَيقولَنَّ» بفتح اللام. ذكره أبو مُعاذ النَّحْوي والزمخشري[١].

و«أَعْلَم» أفْعل تفضيل، أي: من أنفسهم، و«بما في صُدور» أي: بما تُكِنُّ صُدورُهم من إيمانٍ ونِفاق.

وهذا استفهامٌ معناه التَّقرير، أي: قد علم ما انْطَوَتْ عليه الضَّمائرُ من خيرٍ وشرّ.

«ولَيَعْلَمَنَّ المنافقين» ظاهرٌ في أنَّ ما قبل هذه الجملة في المنافقين كما قال ابنُ زيد. وعِلْمُهُ بالمؤمن وَعْدٌ له بالثَّوابِ، وبالمنافق وَعيدٌ له بالعقاب.

ولمَّا ذكَر حالَ المؤمنين والمنافقين ذَكَر مقالةَ الكافرين قولاً واعتقاداً، وهم رؤساء قريش، قال مجاهد: كانوا يقولون لمن آمن منهم: لا نُبعث نحن ولا أنتم، فإنْ كان عليكم شيءٌ فهو علينا[٢].

وقيل: قائلُ ذلك أبو سفيان بن حَرْب وأُميَّة بن خَلَف، قالا لعُمر: إنْ كان في الإقامةِ على دين الآباء إثْمٌ فنحن نَحْملُهُ عنك. وقيل: قائلُ ذلك الوليد بن المُغيرة[٣].

قال ابن عطية: وقولهم: «ولْنَحْمِل» إخبارٌ أنَّهم يَحملون خطاياهم على جِهة التَّشبيه بالثِّقَل، لكنهم أخرجوه في صيغةِ الأمْر؛ لأنها أوجَبُ وأشدُّ تأكُّداً في نفس السَّامع من المُجازاة، وهذا نحو[٤] قولِ الشاعر:

---

(١) مختصر في الشواذ ١١٤، والكشاف ٣/ ١٩٩.
(٢) أخرجه الطبري ١٨/ ٣٦٨، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣٩.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٩، وتفسير القرطبي ١٦/ ٣٤٣.
(٤) في (أ، ت، يه): وهذا نوع، وفي المطبوع: ومن هذا النوع، والمثبت من (ح) وهو موافق لما في المحرر ٤/ ٣٠٩.

فـقـلـتُ ادْعـي وأدْعُ فـإنّ أنـدى لِـصَـوتٍ أن يُـنـاديَ داعـيـانِ[١]

ولكونه خبراً حَسُن تكذيبُهم فيه[٢].

وقال الزمخشري: أمروهم باتِّباع سبيلِهم؛ وهي طريقتُهم التي كانوا عليها في دينهم، وأمروا أنفسَهم بحمل خطاياهم، فحُمل[٣] الأمرُ على الأمر، وأرادوا: ليَجْتمع هذان الأمران في الحصول: أن تَتَّبعوا سبيلَنا وأن نَحملَ خطاياكم، والمعنى تعليقُ الحَمْلِ بالاتّباع، وهذا قولُ صَناديد قريش، كانوا يقولون لمن آمنَ منهم: لا نُبعثُ نحن ولا أنتم، فإنْ عسى كان ذلك فإنَّا نتَحَمَّل عنكم الإثْمَ. انتهى.

وقوله: فإنْ عسى كان تركيبٌ أعجميٌّ لا عربيّ؛ لأنَّ إنْ الشَّرطية لا تدخل على عسى لأنه فعلٌ جامد، ولا تدخل أدوات الشَّرط على الفعل الجامد، وأيضاً فإنَّ عسى لا يَليها كان، واستعملَ عسى بغير اسم ولا خبر، ولم يستعملْها تامَّة.

وقرأ الحسن وعيسى ونوحٌ القارئ: «ولِنَحْمِل»، بكسر لام الأمر[٤]، ورُويت عن عليّ، وهي لغة الحجاز[٥] في لام الأمر.

والحَمْلُ هنا مَجازٌ، شبَّه القيام بما يَتَحصَّل من عواقب الإثم بالحَمْلِ على الظَّهر، والخَطايا بالمحمول، وقال مجاهد: الحَمْل هنا من الحَمَالة لا من الحَمْل[٦].

---

(١) البيت دون نسبة في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٤، ومجالس ثعلب ٤٥٦، وتفسير الطبري ١٨/ ٣٦٨، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٤٩، ومعاني القرآن له ٥/ ٢١٥، وتفسير الثعلبي ٥/ ٨، والقرطبي ١٦/ ٣٤٣.
ونسبه سيبويه ٣/ ٤٥ للأعشى، وليس في ديوانه، ونسبه الزمخشري في المفصل ٧/ ٣٣ (بشرح ابن يعيش) لربيعة بن جشم، ونسبه القالي في أماليه ٢/ ٩٠ للفرزدق، ورد عليه البكري في لآليه ٢/ ٧٢٦ بأنه لدثار بن شيبان النمري، وهو له ضمن قصيدة في الأغاني ٢/ ١٩٠. قال الطبري: يريد: ادعي ولأدع، ومعناه: إن دعوتِ دعوتُ.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٩.

(٣) في (ت): فحملوا، ومكانها في (يه) بياض، وفي الكشاف ٣/ ١٩٩: فعطف.

(٤) مختصر في الشواذ ١١٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٠٩، وزاد المسير ٦/ ٢٦٠.

(٥) في (أ، ح) والمطبوع: الحسن، والمثبت من (ت، يه).

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٩.

وقرأ الجمهور: «من خَطاياهم». وقرأ داود بن أبي هِنْد فيما ذكر أبو الفَضْل الرّازي: «من خَطيئَتهم» على التَّوحيد، قال: ومعناه الجِنْس، ودَلَّ على ذلك اتِّصافُه بضمير الجماعة.

وذكر ابن خالَويه وأبو عَمرو الدَّاني أنّ داود هذا قرأ: «من خَطيآتهم» بجَمع خَطيئة جمعَ السَّلامة بالألف والتاء.

وذكر ابنُ عطية عنه أنه قرأ: «من خَطَيِهم» بفتح الطّاء وكسر الياء[١]، وينبغي أن يُحملَ كسرُ الياء على أنّها همزةٌ سُهِّلت بَيْن بين فأشبهت الياء؛ لأن قياسَ تسهيلها هو ذلك.

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف سمَّاهم كاذِبين وإنما ضَمِنوا شيئاً علم الله أنهم لا يَقدرون على الوفاء به؟ وضامنُ ما لا يَقدر[٢] على الوفاء به لا يُسمَّى كاذباً لا حين ضَمِنَ ولا حين عَجز؛ لأنه في الحالَين لا يدخل تحت حَدِّ الكاذب، وهو المُخبِر عن الشيء لا على ما هو عليه.

قلت: شَبَّهَ الله حالهم ـ حيث عَلم أنَّ ما ضَمِنوه لا طريقَ لهم إلى أنْ يَفُوا به، فكان ضَمانُهم عنده لا على ما عليه المَضْمون ـ بالكاذبين الذين خَبَرُهم لا على ما عليه المُخْبَرُ عنه.

ويجوز أن يُريد أنَّهم كاذبون لأنهم قالوا ذلك وقلوبُهم على خِلافه، كالكاذبين الذي يَعِدون[٣] الشَّيءَ وفي قلوبهم نِيَّةُ الخُلْف. انتهى.

وتقدَّم من قول ابنِ عطية أن قولَه: «ولْنَحْمِل» خبرٌ يعني أمراً معناه الخبر.

وهذان الأمران تَنزَّلا مَنزلةَ الشَّرطِ والجَزاء إذِ المعنى: إنْ تتَّبعوا سبيلَنا ولَحِقَكم في ذلك إثْمٌ على ما تزعمون فنحن نَحمل خطاياكم، وإذا كان المعنى على هذا كان إخباراً في الجزاء بما لا يُطابِق فكان كَذِباً.

---

(١) مختصر في الشواذ ١١٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٠٩.
(٢) في (أ. ع) والمطبوع: ومن ضمن شيئاً لا يقدر، وفي (يه): ومن ضمن ما لا يقدر، والمثبت من (ت، ح)، وهو موافق لما في الكشاف ٣/ ١٩٩.
(٣) في (أ، يه) والمطبوع: يصدقون، والمثبت من (ت، ح).

«وليَحْمِلُنَّ أثقالَهم» أثقالَ أنفُسهم من كُفرهم ومَعاصيهم. و«أثقالاً» أي: أُخَر، وهي أثقالُ الذين أغْوَوْهم فكانوا سبباً في كُفرهم.

ولم يُبَيِّن مَن الذي تَحمَّلوا أثقاله، فأَمْكَن اندِراجُ أثقالِ المظلوم بحَمْلها للظَّالم، كما جاء في الحديث أنه يُقْتَصُّ من الظَّالم للمظلوم بأنْ يُعطى من حَسنات ظالمه، فإنْ لم يَبْقَ للظالم حَسنةٌ أُخِذَ من سيّئات المظلوم فطُرِح عليه(١).

وفي «صحيح مسلم» ما معناه: «أيُّما داعٍ دعا إلى ضَلالةٍ فاتُّبِعَ عليها وعُمِل بها بعده فعليه مثلُ أوْزارِ مَن عَمِلَ بها ممَّن اتَّبعه، لا يَنْقُص ذلك من أوزارِهم شيئاً»(٢).

«ولَيُسْئَلُنَّ يومَ القيامة» أي: سؤالَ توبيخٍ وتَقْريع.

❁ ❁ ❁

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٩، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩/ ٣٠٢٩ من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٢) لفظه في صحيح مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».
وانظر المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٩، وتفسير القرطبي ١٦/ ٣٤٥.

ذكر هذه القصَّةَ تَسليةً لرسول الله ﷺ لما كانَ يلقى من أذى الكُفّار، فذكر تعالى ما لقي أولُ الرُّسُل وهو نوحٌ عليه السلام من أذى قومه المُدَدَ المُتطاولة؛ تسليةً لخاتَم الرُّسُل صلوات الله وسلامهُ عليه.

والواو في «ولقد» واوُ عطف، عطفت جُملةً على جملة.

قال ابن عطية: والقسم فيها بعيد[1]، يعني: أن يكون المُقْسَم به قد حُذف ويقي حرفُه وجوابُه، وفيه حذفُ المجرور وإبقاءُ الحرفِ الجارّ، وحرفُ الجرّ لا يُعَلَّق عن عمله؛ بل لا بدَّ له من ذكره.

والظاهر أنه أقام في قومه هذه المدَّةَ المذكورة يدعوهم إلى الله تعالى، وقال ابن عطية: وقد يحتمل أن تكون المدَّةُ المذكورة مُدَّةَ إقامته في قومه من لَدُن مولدِهِ إلى غرق قومه[2]. انتهى.

وليس عندي بمُحتمل؛ لأن اللَّبْثَ مُتَعَقِّبٌ الفاءَ الدَّالةَ على التَّعقيب.

واختلف في مقدار عُمره حين كان بُعث وحين مات اختلافاً مُضْطرباً مُتكاذِباً تركنا حكايته في كتابنا، وهو في كُتب التفسير[3].

والاستثناء من الألفِ استُدِلَّ به على جواز الاستثناء من العَدد، وفي كونه ثابتاً من لسان العرب خلافٌ مذكور في النَّحو، وقد عَمِل الفُقهاء المسائلَ على جواز ذلك[4].

وغاير بين تمييز المُستثنى منه وتمييز المستثنى لأنَّ التَّكرارَ في الكلام الواحد مُجتَنَب في البلاغة، إلا إذا كان لغَرَضٍ من تَفخيمٍ أو تَهويلٍ أو تنويه.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣١٠.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣١٠.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٨/ ٣٧٠، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٤١، والثعلبي ٥/ ٨، والماوردي ٤/ ٢٧٨، والقرطبي ١٦/ ٣٤٥، وزاد المسير ٦/ ٢٦١، والكشاف ٣/ ٢٠٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٣١٠.

(٤) انظر الاستغناء في الاستثناء للقرافي ٤٣٠ فما بعدها، والبحر المحيط للزركشي ٣/ ٢٩٢ فما بعدها، والتذييل والتكميل للمصنف ٨/ ١٦٣ فما بعدها.

وكان التَّعبير عن المدة المذكورة بما عبَّر به لأنَّ ذِكرَ رأس العدد الذي لا رأسَ أكبرُ منه أوقَعُ وأوْصَلُ إلى الغرض من استطالة السَّامع مدَّةَ صبره، ولإزالة التَّوهُّم الذي يجيء مع قوله: تسع مئة وخمسون عاماً بأن ذلك على سبيل المبالغة لا التَّمام، والاستثناء يَرفعُ ذلك التَّوهم المجازي.

وتقدَّمت قصّة[1] نوح عليه السلام بأكملَ مما هنا، والخلافُ في عدد من آمن ودخل السَّفينة.

والضّمير في «وجَعَلْناها» يَحتمل أنْ يَعود على السَّفينة، وأن يَعود على الحادثة والقصَّة.

وأفرد «آية» وجاء بالفاصِلة «للعالَمين» لأنَّ إنجاء السُّفن أمرٌ مَعهود، فالآيةُ إنجاؤه تعالى أصحابَ السفينة وقتَ الحاجة، ولأنها بقيتْ أعواماً حتى مرَّ عليها الناسُ ورأَوْها، فحصل العلمُ بها لهم، فناسبَ ذلك قوله: «للعالَمين».

وانتصب «إبراهيمَ» عَطْفاً على «نوحاً». قال ابن عطية: أو على الضَّمير في «فأنجيناه». وقال هو والزمخشري: بتقدير اذْكُر، وأبدل منه «إذْ» بدلَ اشتمال؛ لأن الأحيان تَشتمل على ما فيها[2].

وقد تقدّم لنا[3] أنَّ إذْ ظَرْفٌ لا يَتَصَرَّف فلا يكون مفعولاً به. وقد كَثُر تمثيل المُعْرِبين إذ في القرآن بأنَّ العاملَ فيها: اذكر، وإذا كانت ظرفاً لما مضى فهو لو كان مُتَصرِّفاً لم يَجُز أن يكون معمولاً لأُذْكُر؛ لأن المستقبلَ لا يقع في الماضي، لا يجوز قُم[4] أمْسِ، فإن كان خُلع من الظَّرفيَّة الماضية وتُصرِّفَ فيه جاز أن يكون مفعولاً به ومعمولاً لاذكر.

---

(١) في (ح) والمطبوع: وقعة.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٠٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٣١٠.
(٣) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ من سورة الأعراف، الآية (١٦٣).
(٤) في (أ، ت، ح، ع) والمطبوع: ثم، والمثبت من (يه)، وقد نقل الآلوسي ٢٠/ ٢٢٣ كلام أبي حيان.

وقرأ النَّخَعي وأبو جعفر وأبو حَنيفة: «وإبراهيمُ» بالرفع[(١)]، أي: ومن المرسلين إبراهيم.

وهذه القصة تمثيلٌ لقريش، وتذكيرٌ لحال أبيهم إبراهيم من رَفْضِ الأصنام، والدَّعوى إلى عبادة الله تعالى، وكان نُمرود وأهلُ مدينته عُبَّادَ أصنام.

وقرأ الجمهور: «وتَخْلُقون» مضارع خَلَق «إفْكاً» بكسر الهمزة وسكون الفاء.

وقرأ عليٌّ والسُّلَمي وعَوْنٌ العُقَيليّ وعُبادة وابنُ أبي ليلى وقتادة وزيد بنُ عليّ: بفتح التاء والخاء واللام مُشدَّدة. قال ابنُ مُجاهد: ورُويت عن ابن الزُّبير[(٢)]. أصلُه تَتَخَلَّقون بتاءين، فحُذفت إحداهما على الخلاف الذي في المحذوفة.

وقرأ زيد بن عليّ أيضاً فيما ذكر الأهوازي: «تُخَلِّقون» من خَلَّق المُشَدَّد[(٣)].

وقرأ ابن الزُّبير وفُضَيل بن زرقان: «أَفِكا» بفتح الهمزة وكسر الفاء، وهو مصدر مثل الكَذِب[(٤)].

قال ابن عباس: «وتَخْلُقون إفْكاً» هو نَحْتُ الأصنام وخَلْقُها، سَمَّاها إفْكاً توسُّعاً من حيث يَفترون بها الإفْكَ في أنّها آلهة.

وقال مجاهد: هو اختِلاقُ الكَذِب في أمر الأوْثان وغير ذلك[(٥)].

وقال الزمخشري: «أفِكاً» فيه وجهان: أحدهما أن يكون مصدراً نحو: كَذِب

---

(١) مختصر في الشواذ ١١٥، والكشاف ٣/ ٢٠١.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٥، وللنحاس ٥/ ٢١٢، وتفسير الطبري ١٨/ ٣٧٥، والمحتسب ٢/ ١٦٠، ومختصر في الشواذ ١١٤، وتفسير الثعلبي ٥/ ٩، والقرطبي ١٦/ ٣٥٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٣١١، ومجمع البيان ٢٠/ ٣٤٦.

(٣) ذكرها القرطبي ١٦/ ٣٥٠، والزمخشري ٣/ ٢٠١ دون نسبة، ونقلها عن أبي حيان السمين ٩/ ١٤، والآلوسي ٢٠/ ٣٢٥.

(٤) مختصر في الشواذ ١١٤ عن ابن الزبير، والمحتسب ٢/ ١٦٠ عن فضيل بن مرزوق وابن الزبير، والمحرر الوجيز ٤/ ٣١١، وذكرها الزمخشري والقرطبي دون نسبة، ونقلها عن أبي حيان السمين والآلوسي.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٣١١، وأخرجهما الطبري ١٨/ ٣٧٤، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٤٤.

ولَعِب، والإفْكُ مُخَفَّفٌ منه، كالكذب واللعب من أصلهما، وأن يَكون صفةً على فِعْل، أي: خَلْقاً إفْكاً، أي: ذا إفْك وباطل.

واختلاقُهم الإفك تسميةُ الأوثان آلهةً وشركاءَ لله وشفعاءَ إليه، أو سَمَّى الأصنامَ إفْكاً وعَملَهم لها ونَحْتَهم خَلْقاً للإفك[١]. انتهى.

وهذا التَّرديد منه في: «وتَخْلُقون إفْكا» قولان لابن عباس ومجاهد، وقد تقدَّم لنا نقلُهما عنهما.

وَقَفهم بقوله: «لا يَملِكون لكم رِزْقاً» على جِهةِ الاحتجاج بأمرٍ تَفْهمه عامَّتُهم وخاصَّتُهم، فقرَّر أن الأصنامَ لا تَرزُق.

والرِّزق يحتمل أن يُريد به المَصْدر، أي: لا يَملكون أن يَرزقوكم شيئاً من الرِّزق، واحتمل أن يكون اسمَ المَرْزوق، أي: لا يملكون لكم إيتاءَ رِزْق ولا تحصيلَه. وخَصَّ الرِّزقَ لمكانته من الخلق.

ثم أمرَهم بابتغاء الرِّزق ممَّن هو يَملكهُ ويؤتيه. ونَكَّر الرِّزقَ لأنَّ المقصودَ أنهم لا يَقْدرون على شيءٍ منه، وعَرَّفَه بعدُ لدلالته على العُموم، لأنه تعالى عنده الأرزاقُ كلُّها.

«واشكروا له» على نِعَمه السَّابِغَةِ من الرِّزق وغيره. و«إليه تُرْجَعون» أي: إلى جَزائه، أخْبَرَ بالمَعاد والحَشْر. ثم قال: «وإن تُكَذِّبوا» أي: ليس هذا مُنْكَراً منكم وقد سبق ذلك من أُمم الرُّسُلِ قبلي: قومِ شِيْث وإدريسَ وغيرهم.

ورُوي أنَّ إدْريسَ عليه السلام عاش في قومه ألفَ سنة، فآمَن به ألفُ إنسان على عددِ سنيّه وباقيهم على التَّكذيب[٢].

«وما على الرَّسول إلا البَلاغُ المُبين» تقدَّم الكلامُ على مثل هذه الجملة[٣].

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٠١.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٠١، وانظر مرآة الزمان (آخر قصة إدريس من الجزء الأول) فقد نقله عن كعب الأحبار.

(٣) في تفسير الآية (٩٢) من سورة المائدة.

وقرأ حَمزة والكسائي وأبو بكر بخلافٍ عنه: «تَرَوْا» بتاء الخطاب، وباقي السَّبعة بالياء(١).

والجمهور. «يُبْدِئُ» مضارع أَبْدَأ. والزُّبيريّ وعيسى وأبو عمرو بخلاف عنه: «يَبْدأ» مضارع بَدَأ(٢).

وقرأ الزُّهري: «كيف بَدَا الخَلْقَ» بتخفيف الهمزة بإبدالها ألفاً فذهبتْ في الوَصْل، وهو تخفيفٌ غيرُ قياسيّ كما قال:

فارْعَيْ فَزَارَةُ لا هَناكِ المَرْتَعُ(٣)

وقياسُ تخفيف هذا التَّسهيلُ بَيْنَ بَيْن(٤).

وتقريرُهم على رُؤية بَدْءِ الخَلْق في قوله: «أولم يَرَوْا» وفي «فانظروا كيف بدأ الخَلْق» هو لمُشاهدتهم إحياءَ الأرضِ بالنَّبات، وإخراجَ أشياءَ من العَدَم إلى الوجود.

وقولهُ: «ثمَّ يُعيدُه» وقوله: «ثمَّ اللهُ ينشئ» ليس داخلاً تحت الرُّؤية ولا تحت النَّظَر، فليس «ثمَّ يُعيده» معطوفاً على «يُبْدئ» ولا «ثمَّ يُنْشئ» داخِلاً تحت كيفيَّةِ النَّظَر في البَدْء؛ بل هما جُملتان مُستأنفتان إخباراً من الله تعالى بالإعادة بعد الموت، وقَدَّم ما قبل هاتين الجملتين على سبيل الدِّلالة على إمكان ذلك، فإذا أمكنَ ذلك وأخبر الصَّادقُ بوقوعه صار واجباً مَقْطوعاً بعلمه، لا شَكَّ فيه.

وقال قتادة: أولم يَرَوْا بالدَّلائل والنَّظَر كيفَ يَجوز أن يُعيدَ الله الأجسامَ بعد الموت؟

وقال الرَّبيع بن أنس: المعنى: كيف يَبدأ خلقَ الإنسان، ثم يُعيده إلى أحوالٍ أُخَر حتى إلى التُّراب.

---

(١) السبعة ٤٩٨، والتيسير ١٧٣، والنشر ٢/ ٣٤٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٣١١.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣١١، ونقلها السمين في الدر المصون ٩/ ١٥ عن أبي حيان.
(٣) صدره: راحت بمسلمةَ الرِّكابُ عَشيَّةً، وهو للفرزدق، وسلف عند تفسير الآية (٦٢) من سورة البقرة، وقد توسع الطناحي رحمه الله في تخريجه في كتاب الشعر ص١٤٥ فانظره إن أحببت.
(٤) نقل القراءة والشعر والتوجيه عن أبي حيان: السمين ٩/ ١٥، والآلوسي ٢٠/ ٣٣٠.

وقال مُقاتل: الخَلْق هنا اللَّيل والنَّهار[١].

وقرأ ابنُ كثير وأبو عمرو: «النَّشَاءَةَ» هنا وفي «النَّجْم» وفي «الواقعة» على وَزْن فَعَالَة، وباقي السَّبْعة: «النَّشْأَة» على وَزْن فَعْلَة، وهما كالرَّآفَة والرَّأْفَة، وهما لُغتان والقَصْر أشْهَر[٢].

وانتصابُه على المَصْدر؛ إمَّا على غير المَصْدر قام مقام الإنشاء، وإما على إضمار فِعْله، أي: فتَنْشَؤون النَّشْأة.

وفي الآية الأولى صرَّح باسمه تعالى في قوله: «كيف يُبْدئ الله الخلْقَ» ثم أَضْمَره في قوله: «ثمَّ يُعيدُهُ» وهنا عَكَس، أضمر في «بدأ» ثمَّ أبْرزَهُ في قوله: «ثمَّ الله يُنْشئ» حتى لا تَخلوَ الجملتان من صريح اسمه، ودلَّ إبرازُه هنا على تَفخيم النَّشْأة الآخِرة، وتعظيم أمرها، وتقريرِ وجودِها؛ إذْ كان نِزاعُ الكُفَّار فيها، فكأنَّه قيل: ثم ذلك الذي بدأ الخَلْقَ هو الذي يُنشئ النَّشْأةَ الآخِرة، فكان التَّصريحُ باسمه أفْخَم في إسنادِ النَّشْأة إليه.

و«الآخِرَة» صِفَةٌ للنَّشْأة، فهما نَشْأتان: نَشْأةُ اختراعٍ من العَدَم، ونَشْأةُ إعادة.

ثمَّ ذكر الصِّفةَ التي النَّشْأةُ هي بعضُ مَقْدوراتها، ثم أخبر بأنَّهُ «يُعذِّبُ مَنْ يشاء» أي: مَنْ يشاء تَعْذيبَه «ويرْحَمُ مَنْ يشاء» أي: رَحْمتَه، وبدأ بالعذاب لأنَّ الكلامَ هو مع الكُفَّار مُكَذِّبي الرُّسُل، «وإليه تُقْلَبون» أي: تُرَدُّون.

وقال الزمخشري: ومُتَعَلَّقُ المشيئَتَيْن مُفَسَّرٌ مُبَيَّنٌ في مواضعَ من القرآن، وهو مُستوجبُهما من الكافر والفاسق إذا لم يتوبا، ومن المعصوم والتَّائب[٣]. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

«وما أنتم بمُعْجِزين» أي: فائتين ما أراد الله سبحانه وتعالى بكم.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣١١، وأخرج الطبري ١٨/ ٣٧٧، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٤٥ قول قتادة والربيع، وردّ الآلوسي ٢٠/ ٣٢٨ قول مقاتل.

(٢) السبعة ٤٩٨، والتيسير ١٧٣، والنشر ٢/ ٣٤٣، والمحرر ٤/ ٣١١، والقرطبي ١٦/ ٣٥٢.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٠٣.

«في الأرض ولا في السَّماء» إنْ حُمل السَّماء على العُلُوِّ فجائز، أي: في البُروجِ والقِلاعِ الذَّاهبة في العُلوِّ، ويكون تَخْصيصاً بعد تَعميم، أو على المُظِلَّةِ فيحتاج إلى تقدير، أي: لو صِرْتم فيها، ونظيرُه قولُ الأعشى:

ولو كُنتَ في جُبٍّ ثمانينَ قامَةً ... ورُقِّيتَ أسبابَ السَّماءِ بسُلَّمِ
لَيَعْتَوِرَنْكَ القولُ حتَّى تَهُرَّه ... وتَعلمَ أنِّي لستُ عنك بمُحْرِمِ[(١)]

وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على تقدير: لو كنتم فيها، ﴿وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ﴾ [الرحمن: ٣٣].

وقال ابنُ زيد والفَرَّاء: التقدير: ولا مَنْ في السَّماء، أي: يُعْجِزُ إنْ عَصى. وقال الفرَّاء: وهذا من غَوامض العربية، وأنشد قولَ حسَّان:

فَمَنْ يَهْجو رسولَ الله منكم ... ويَمْدَحُهُ ويَنْصُرُهُ سَواءُ

أي: ومَنْ يَنْصُرُه[(٢)].

وهذا عند البصريين لا يكون إلا في الشِّعر؛ لأن فيه حَذْفَ الموصول وإبقاءَ صلتِهِ.

وأَبْعَدُ من هذا القول قولُ مَنْ زعم أن التَّقدير: وما أنتم بمُعْجِزينَ مَن في الأرض من الإنْس والجِنّ ولا مَنْ في السَّماء من الملائكة، فكيف تُعْجِزون الله عزَّ وجلَّ[(٣)]؟.

وقرأ الجمهور: «يئسوا» بالهمز، والذِّماري وأبو جعفر بغير همز بل بياء بدَلَ الهمزة[(٤)]. وهو وعيد، أي: يَيْأسون يومَ القيامة.

وقيلَ: من جَنَّتي، وقيل: من دِيني فلا أَهْديهم، وقيل: هو وَصْفٌ لحالهم؛

---

(١) سلف البيتان وما يتعلق بهما في تفسير الآية (١٨٢) من سورة الأعراف.
(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٥، وتفسير الطبري ١٨/ ٣٧٨-٣٧٩، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٤٧، والثعلبي ٥/ ٩-١٠، والقرطبي ١٦/ ٣٥٢، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٢١٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣١٢، وسلف بيت حسان في تفسير الآية (٢٨٦) من سورة البقرة.
(٣) نقله عنه السمين ٩/ ١٦، والآلوسي ٢٠/ ٣٣٤.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣١٢.

لأن المؤمن يكون دائماً راجياً خائفاً، والكافر لا يَخْطر بباله ذلك، فشبَّه حالَهم في انتفاء رَحْمته عنهم بحال مَن يئس من الرَّحمة.

والظَّاهر أن قوله: «وإنْ تُكذِّبوا» من كلام الله حكاية عن إبراهيم إلى قوله: «عذابٌ أليم».

وقيل: هذه الآياتُ اعتراضٌ من كلام الله بين كلام إبراهيم، والإخبارِ عن جواب قومه، أي: وإنْ تُكذِّبوا محمداً، فتقدير هذه الجملِ اعتراضاً يَردُّ على أبي علي الفارسي حيث زَعم أن الاعتراض لا يكون جُملتين فأكثر(١).

وفائدة هذا الاعتراض أنه تسليةٌ لرسول الله ﷺ حيث كان قد ابتُليَ بمثل ما كان أبوه إبراهيم عليه السلام قد ابتُلي من شِرْك قومه، وعبادتِهم الأوثان، وتكذيبهم إياه، ومحاولتهم قتلَه.

وجاءت الآيات بعد الجملة الشَّرطية مُقَرِّرةً لما جاء به الرسول ﷺ من توحيد الله ودلائله، وذِكرِ آثار قُدرتهِ والمَعاد.

❁ ❁ ❁

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ

(١) انظر الشيرازيات ١٨٧، ٦٢٢، والحجة ٦/ ٨٧، ومغني اللبيب ٥١٥، وشرح أبياته ٦/ ٢٢٥ للبغدادي، ونقل ابن جني عنه في الخصائص ١/ ٣٣٧ أنه يجيز ذلك.

رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

لما أمَرهم بعبادة الله، وبيَّن لهم سَفَهَهم في عبادة الأوثان، وظَهرت حُجَّتُه عليهم رجعوا إلى الغَلَبة، فجعلوا القائمَ مقام جوابه فيما أمَرهم به قولَهم: «اقتلوه أو حَرِّقوه».

والآمرون بذلك إما بعضُهم لبعض، أو كُبراؤهم قالوا لأتباعهم: اقتلوه فتستريحوا منه عاجلاً، أو حَرِّقوه بالنار، فإمَّا أن يَرجعَ إلى دينكم إذا أَمَضَّتْه النار، وإما أن يموتَ بها إنْ أصَرَّ على قولِهِ ودِينِهِ.

وفي الكلام حذفٌ تقديره: فَرَمَوْه[1] في النار فأنجاه الله من النّار، وتقدَّمتْ قصَّةُ التَّحريق[2] في سورة: «اقترب للناس حسابُهم»[3].

وجمع هنا فقال: «لآيات» لأنَّ الإنجاءَ من النار، وجَعْلَها برداً وسَلاماً، وأنَّها أثَّرتْ في الحَبْل الذي كانوا أوثقوه به دون الجسم، وإنْ صحَّ ما نُقل من أن مكانَها حالةَ الرَّمْي صار بُستاناً يانِعاً[4]: هو مجموعُ آيات فناسب الجمع، بخلاف الإنجاء من السَّفينة فإنه آيةٌ واحدة، وتقدَّم الكلامُ على ذلك[5].

---

(١) في (أ، ح، ع) والمطبوع: حذف أي حرقوه، وفي (ت): حذف أي فرموه، والمثبت من (يه).

(٢) في (أ، ت، ع) والمطبوع: قصته في تحريقه، وفي (يه): قصة في تحريقه، والمثبت من (ح).

(٣) في تفسير الآيتين (٦٨-٦٩) من سورة الأنبياء.

(٤) ذكر المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ كلام ابن عباس والسدي أنه نبت حول المكان الذي ألقي فيه أشجار وخضرة، وصار دوحة خضراء، وردّه ابن عطية.

(٥) في تفسير الآية (١٥) من هذه السورة.

وفي «ذلك» إشارةٌ إلى خُلوصه من النار بعد إلقائه فيها؛ قال كعب: لم يحترق بالنار إلا الحبلُ الذي أوثقوه به[١].

وجاء هنا التَّرديدُ بين قتله وإحراقه، فقد يكون ذلك من قائلين: ناسٍ أشاروا بالقتل وناسٍ بالإحراق، وفي «اقترب» قالوا: ﴿حَرِّقُوهُ﴾ [الأنبياء: ٦٨] اقتصروا على أحد الشَّيئين وهو الذي فعلوه؛ رَمَوه في النار ولم يَقتلوه.

وقرأ الجمهور: «جوابَ» بالنَّصب، والحسن وسالم الأفطس بالرفع اسماً لكان[٢].

وقرأ الحسن وأبو حَيْوَة وابن أبي عَبْلة وأبو عمرو في رواية الأصمعي والأعشى عن أبي بكر: «مَوَدَّةٌ» بالرفع «بينَكم» بالنَّصب[٣]، فالرَّفع على خبر إنَّ، وما موصولة بمعنى الذي، أي: إن الأوثان التي اتَّخذتموها مَوْدُودةٌ أو سببُ مَودَّة، أو مَصدريَّة؛ أي: إن اتِّخاذَكم أوثاناً مَودَّةٌ، ومودةٌ خبر إن، وذلك على حذف مضاف؛ أي: إن سبب اتخاذكم أوثاناً مَودَّةٌ، أو على خبر مبتدأ، أي: هي مودةٌ بينكم، و«ما» إذْ ذاك مُهيِّئة.

ورُوي عن عاصم «مَودَّةُ» بالرفع من غير تنوين، و«بينَكم» بفتح النون[٤]، جعله مبنيّاً لإضافته إلى مَبنيّ، وهو في موضع خَفْضٍ بالإضافة؛ ولذلك سقط التنوين من مَوَدّة.

وقرأ أبو عمرو والكسائي وابنُ كثير كذلك إلا أنه خفض نون «بينكم»[٥].

---

(١) أخرجه الطبري ١٨/ ٣٨١.

(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ١٠، والقرطبي ١٦/ ٣٥٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٣١٢.

(٣) السبعة ٤٩٩، والحجة ٥/ ٤٢٨، ومعاني القراءات للأزهري ٢/ ٢٥٧، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ١٨٤، ومختصر في شواذ القراءات ١١٥، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٠، والقرطبي ١٦/ ٣٥٤، وزاد المسير ٦/ ٢٦٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣١٣.

(٤) انظر الكشاف ٣/ ٢٠٣، ونقلها عن أبي حيان الآلوسي ٢٠/ ٣٣٨.

(٥) السبعة ٤٩٨، والتيسير ١٧٣، والنشر ٢/ ٣٤٣، والحجة ٥/ ٤٢٧، وإعراب القراءات السبع ٢/ ١٨٤، ومعاني القراءات للأزهري ٢/ ٢٥٧، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٠، والقرطبي ١٦/ ٣٥٣، وزاد المسير ٦/ ٢٦٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣١٣.

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بنصب «مَوَدَّةً» مُنَوَّناً ونصب «بينَكم»[1]، وحمزة كذلك إلا أنه أضاف «مودَّةَ» إلى «بينكم» وخفض «بينِكم»[2]، فما في قراءة مَن نصب مَودّة مُهَيِّئة.

واتَّخذ يحتمل أن يكون مما تعدَّت إلى اثنين والثاني هو مودّة، أي: اتَّخذتم الأوثانَ سببَ المودَّة بينكم على حذف المضاف، أو اتَّخذتموها مَودَّةً بينكم، كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، أو مما تعدَّت إلى واحد، وانتصب «مودة» على أنه مفعول له، أي: لِيتوادُّوا ويتواصلوا ويجتمعوا على عبادتها؛ كما يجتمع ناسٌ على مذهب فيقَعُ التَّحابُّ بينهم.

وذكروا عن ابن مسعود قراءةً شاذّة تُخالف سوادَ المصحف، مع أنه قد رُوي عنه ما في سواد المصحف بالنَّقل الصَّحيح المستفيض؛ فلذلك لم أذكر تلك القراءة[3].

«ثم يوم القيامة» يقع بينكم التَّلاعُن، أي: يتلاعن العَبَدَةُ، أو يتلاعن العَبَدةُ والمعبوداتُ[4] الأصنامُ، كقوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢].

و«بينكم» و«في الحياة» يجوز تعليقُهما بلفظ «مَودّة»، وعمل في ظَرفين لاختلافهما؛ إذ هما ظرفا مكان وزمان، ويجوز أن يتعلّقا بمحذوفَين، فيكونان في موضع الصِّفة؛ أي: كائنةً بينكم كائنةً في الحياة، ويجوز أن يكون «بينكم» في موضع الصفة، و«في الحياة» في موضع الحال من الضّمير المُسْتَكنِّ في «بينكم» المنتقل إليه من العامل في بينكم.

---

(١) السبعة ٤٩٩، والتيسير ١٧٣، والحجة ٥/ ٤٢٨، وإعراب القراءات السبع ٢/ ١٨٤، ومعاني القراءات ٢/ ٢٥٧، وزاد المسير ٦/ ٢٦٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣١٣.

(٢) وهي قراءة حفص عن عاصم، وروح، انظر السبعة، والتيسير، والنشر ٢/ ٣٤٣، والحجة، وإعراب القراءات، ومعاني القراءات، وزاد المسير، والمحرر الوجيز، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٠، والقرطبي ١٦/ ٣٥٣.

(٣) قراءة ابن مسعود التي ذكرها المصنف هي: إنما مودةُ بينكم، ذكرها عنه الفراء في معاني القرآن ٢/ ٣١٦، وابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٨٥، ومختصر في الشواذ ١١٥، والزمخشري ٣/ ٢٠٣، وابن عطية ٤/ ٣١٣.

(٤) في (أ، ت، يه): والمعبودون، وهما بمعنى.

وأجاز أبو البقاء أن يتعلَّق «في الحياة» بـ «اتَّخذتم» على جَعْل ما كافَّة ونَصْب مَودّة، لا على جَعْل ما موصولة بمعنى الذي أو مصدرية ورَفْعِ مودة، لئلا يؤدّي إلى الفَصل بين الموصول وما في الصِّلة بالخبر[١].

وأجاز قوم منهم ابن عطية أن يتعلّق في الحياة بـ «مَوَدّة» وأن يكون «بينكم» صفة لـ «مودة»[٢]. وهو لا يجوز؛ لأن المصدر إذا وُصف قبل أخذ مُتعلَّقاته لا يعمل، وشُبهتهم في هذا أنه يُتَّسع في الظَّرْف بخلاف المفعول به.

وأجاز أبو البقاء أن يتعلَّق بنَفْس «بينكم» قال: لأن معناه اجتماعُكم أو وَصْلُكم.

وأجاز أيضاً أن يجعله حالاً من «بينكم»، قال: لتَعَرُّفِه بالإضافة[٣]. انتهى، وهما إعرابان لا يُتَعَقَّلان.

«فآمن له لوط» لم يؤمن بإبراهيمَ أحدٌ من قومه إلا لوطٌ عليه السلام حين رأى النَّار لم تحرقْه وكان ابنَ أخيْه، وسارة وكانت بنتَ عمه.

والضَّمير في «وقال» عائد على إبراهيم، وهو الظاهر ليَتناسق مع قوله: «ووهَبْنا له إسحاق» وهو قولُ قتادةَ والنَّخعيّ[٤].

وقالت فرقة: يعود على لوط، وهاجَرَ وإبراهيمَ عليهما السَّلام من قريتهما كُوثى - وهي في سَواد العراق من أرض بابل - إلى فلسطين من أرض الشأم، وكان إبراهيم ابنَ خمسٍ وسبعين سنة، وهو أوَّل مَن هاجر في الله.

وقال ابنُ جُريج: هاجر إلى حرَّان ثم إلى الشام[٥]، وفي هجرته هذه كانت معه سارة.

والمُهاجِر: النَّازعُ عن الشيء، وهو في عُرف الشَّريعة: مَن تَرك وَطَنه رغبةً في

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٨٢.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣١٣.
(٣) الإملاء ٢/ ١٨٢.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣١٤، وتفسير القرطبي ١٦/ ٣٥٥.
(٥) انظر تفسير الطبري ١٨/ ٣٨٥، والقرطبي والمحرر الوجيز.

رضى الله، وعُرف بهذا الاسم أصحابُ رسول الله ﷺ المهاجرون قبل فتح مكة.

«إلى ربِّي» أي: إلى الجهة التي أمرني ربِّي بالهجرة إليها. وقيل: إلى حيث لا أُمنَع من عبادة ربِّي. وقيل: مُهاجرٌ مَن خالفني من قومي، مُتقرباً إلى ربِّي.

ونزل إبراهيم قريةً من أرض فلسطين، ونزل لوطٌ في سَدُوم - وهي المؤتَفِكَة - على مسيرة يوم وليلة من قرية إبراهيم عليهما السلام.

«إنه هو العَزيز» الذي لا يَذِلُّ مَنْ عَبَده «الحكيم» الذي يَضع الأشياءَ مواضعَها.

والضَّمير في «ذُرِّيَّتِهِ» عائدٌ على إبراهيم. «النُّبُوَّة» إسحاق ويعقوب وأنبياءَ بني إسرائيل وإسماعيلَ ومحمداً خاتَمهم صلى الله عليهم أجمعين.

و«الكتاب» اسمُ جِنْس يَدخل فيه التَّوراة والزَّبور والإنجيل والقرآن.

«وآتيناه أجْرَه في الدُّنيا» أي: في حياته، قال مجاهد: نجاتَه من النار ومن الملك الجَبَّار، والعملَ الصَّالح، والثَّناءَ الحسَن؛ بحيث تَتَولّاه كلُّ أمَّة. وقاله ابنُ جُرَيج.

أو الولد الذي قَرَّتْ به عينُه. قاله الحسن.

وقال السُّدِّي: إنّه أُريَ مكانَه من الجنة. وقال ابنُ أبي بُرْدَةَ: ما وُفِّق له من عمل الآخرة.

وقال الماوردي: بقاءُ الصّلاة[1] عند قبره، وليس ذلك لنبيٍّ غيره.

وقيل: النبوة والخُلَّة[2]. وقيل: الصَّلاة عليه إلى آخر الدَّهر[3].

وانتصب «لوطاً» بإضمار أُذْكُر، أو بالعطف على إبراهيم، أو بالعطف على ما عُطف عليه إبراهيم.

---

(١) في النسخ: ضيافته، وهو تحريف، والمثبت من النكت والعيون ٤/ ٢٨١، وانظر تفسير الآلوسي ٢٠/ ٣٤٢.

(٢) في (يه) والمطبوع: والحكمة.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٨/ ٣٨٦، ٣٨٧، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٥٢، ٣٠٥٣، والقرطبي ١٦/ ٣٥٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣١٤.

والجمهور على الاستفهام في «أئنَّكم» معاً، وقُرِئ: «إنَّكم» الأوَّل على الخبر، والثاني على الاستفهام[١]. قال أبو عُبيد: وجدتُه في الإمام بحرفٍ واحدٍ بغير ياء، ورأيت الثاني بحرفَين الياء والنون[٢].

ولم يأت في قصّة لوط أنه دعا قومَه إلى عبادة الله كما جاء في قصة إبراهيم وقصة شُعيب، لأن لوطاً كان من قوم إبراهيم وفي زمانه، وسبقه إبراهيم إلى الدُّعاء إلى عبادة الله وتوحيده، واشتَهر أمرُه بذلك عند الخلق، فذَكر لوط ما اختصَّ به من المنع عن الفحشاء وغيرها. وأما إبراهيم وشُعيب فجاءا بعد انقراض مَن كان يعبدُ الله؛ فلذلك دَعَوا إلى عبادة الله.

قال الزّمخشري: «ما سَبقكم بها» جملةٌ مُستأنفة مُقرِّرة لفاحشةِ تلك الفَعْلة، كأن قائلاً قال: لمَ كانت فاحشة؟ فقيل: لأن أحداً قبلَهم لم يُقدم عليها اشمئزازاً منها في طباعهم لإفراطِ قُبحها، حتى أقدم عليها قومُ لوط لخُبثِ طِينتهم، قالوا: لم يَنْزُ ذَكَرٌ على ذكر قبل قوم لوط[٣]. انتهى.

ويظهر أن «ما سبقكم بها» جملةٌ حالية، كأنه قال: أتأتون الفاحشة مُبتدعين لها غيرَ مسبوقين بها، استفهم أولاً وثانياً استفهامَ إنكار وتوبيخ وتَقْريع.

وبَيَّن ما تلك الفاحشة المُبْهَمَة في قوله: «أئنّكم لتأتون الفاحشة» وإنْ كانت مُعَيَّنة أنها إتيانُ الذُّكور في الأدبار بقوله: «ما سبقكم بها» فقال: «أئنّكم لتأتون الرّجال» يعني في الأدْبار «وتقطعون السَّبيل» أي: سبيلَ الولد بتَعْطيل الفروج، وَوَطْءِ أدبارِ الرجال، أو بإمساك الغُرباء لذلك الفعل حتى انقطعت الطُّرُق، أو بالقتل وأخْذِ المال، أو بقُبْحِ الأُحدوثة حتى تنقطعَ سُبُل الناس في التِّجارات.

«وتأتون في ناديكم» أي: في مَجْلسكم الذي تجتمعون فيه، وهو اسمُ جنس إذْ

---

(١) قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وابن عامر ويعقوب وحفص بالإخبار في الأول، وقرأ الباقون بالاستفهام وهم أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر، وأجمعوا على الاستفهام في الثاني، انظر النشر ١/ ٣٧٣، والتيسير ١٧٣، والسبعة ٤٩٩.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٠٤.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٠٤.

أنديتُهم في مدائنهم كثيرة، ولا يُسمَّى نادياً إلا ما دام فيه أهلُهُ، فإذا قاموا عنه لم يُطلَق عليه نادٍ إلا مجازاً.

والمُنْكَر: ما تُنْكره العقول والشَّرائع والمروءات؛ حَذْف الناس بالحَصْباء، والاستخفاف بالغريب الخاطر، وروتْه أمُّ هانئ عن النبيّ ﷺ(١).

أو إتيان الرِّجال في مجالِسهم يَرى بعضُهم بعضاً. قاله منصور، ومجاهد، والقاسم بن محمد، وقتادة، وابن زيد.

أو تَضارُطُهم وتصافُعهم فيها. قاله ابن عباس.

أو لَعِب الحَمام، وتَطْريفُ الأصابع بالحِنَّاء، والصَّفير، والخَذْف، ونَبْذ الحَياء في جميع أمورهم. قاله مجاهد أيضاً.

أو الحَذْف بالحصى، والرَّمي بالبنادق، والفَرْقَعَة، ومَضْغ العِلْك والسِّواك بين الناس، وحَلُّ الأزرار، والسُّباب، والفُحْش في المزاح. قاله ابن عباس.

وقال أيضاً: مع شِركهم بالله كانت فيهم ذنوبٌ غير الفاحشة: تظالُمٌ فيما بينهم، وتَشاتُم، وتضارُطٌ في مَجالسهم، وحَذْفٌ، ولَعِبٌ بالنَّرْد والشِّطْرَنج، ولُبْس المُصَبَّغات، ولباس النِّساء للرجال ولباس الرجال للنساء، والمُكوسُ على كلِّ عابر، وهم أوَّلُ مَنْ لاط ومَن سَحَق(٢).

ولما وَقَفهم لوط عليه السلام على هذه القبائح أصَرُّوا على اللَّجاج في التَّكذيب، فكان جَوابُهم له أنْ قالوا: «ائتِنا بعذاب الله إنْ كنتَ من الصَّادقين» فيما تَعِدُنا به من نزول العَذاب، قالوا ذلك وهم مُصَمِّمون على اعتقادِ كَذِبه فيما وَعَدَهم به، وفي آية

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣١٥، وأخرج الطيالسي (١٦١٧)، وأحمد (٢٦٨٩١)، والترمذي (٣١٩٠) عن أم هانئ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ قال: «كانوا يخذفون أهل الطريق ويسخرون منهم، فذاك المنكر الذي كانوا يأتون».

(٢) في المطبوع: ساحق، وانظر الأقوال السابقة في: تفسير الطبري ١٨/ ٣٨٩-٣٩٢، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٥٤-٣٠٥٥، والثعلبي ٥/ ١٢، والماوردي ٤/ ٢٨٢، والقرطبي ١٦/ ٣٥٨-٣٦٠، وزاد المسير ٦/ ٢٦٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٣١٥، والكشاف ٣/ ٢٠٤، ومجمع البيان ٢٠/ ٣٥٦.

أخرى: ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ﴾ [النمل: ٥٦] والجمع بينهما أنهم أولاً قالوا: «ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين»، ثم إنه كَثُر منه الإنكارُ عليهم، وتكرَّرَ ذلك منه نَهْياً ووَعْظاً ووَعيداً قالوا: «أخرجوا آل لوط»[1].

ولما كان إنما يأمرُهم بتَرْك الفَواحش وما كانوا يَصنعونَه من قَبيح المعاصي، ويَعِدُ على ذلك بالعذاب، وكانوا يقولون إن الله لم يُحَرِّم هذا ولا يُعذِّب عليه، وهو يقول إن الله حَرَّمه ويُعَذِّب عليه؛ قالوا: «ائتنا بعذاب الله» فكانوا ألطَفَ في الجواب من قوم إبراهيم بقولهم: «اقتُلوه أو حَرِّقوه» لأنَّه كان يَذُمُّ آلهتَهم، وعَمَد إلى أصنامهم فكَسَرها، فكان فِعْلُه هذا معهم أعظمَ من قول لوط لقومه، فكان جوابُهم له أنْ قالوا: «اقتلوه أو حَرِّقوه».

ثم استنصر لوطٌ عليه السلام ربَّه عليهم، فبعثَ ملائكةً لعذابهم ورَجْمِهم بالحاصب.

وإفسادُهم بحَمْل النَّاس على ما كانوا عليه من المعاصي طَوْعاً أو كَرْهاً، وخُصوصاً تلك المَعْصية المُبْتَدَعَة.

«بالبُشرى» هي بشارتُه بوَلَده إسحاق، وبنافِلَته يعقوب، وبنَصْر لوط على قومه وإهلاكِهم.

والقَرْية سَدُوم، وفيها قيل: أجْوَرُ من قاضي سَدُوم[2].

«كانوا ظالِمين» أي: قد سَبَقَ منهم الظُّلم واستمرَّ في الأيام السَّالفَة، وهم مُصِرّون. وظُلْمُهم: كُفْرُهم وأنواعُ معاصيهم.

ولما ذكروا لإبراهيم «إنا مُهلكو أهلِ هذه القرية» أشْفَقَ على لوط فقال: «إن فيها لوطاً» ولمَّا عَلَّلوا الإهْلاكَ بالظُّلم قال لهم: فيها من هو بريءٌ من الظُّلم «قالوا نحن أعلمُ بمَن فيها» أي: منك، وأخْبَرُ بحالِهِ، ثم أخبروه بإنجائهم إيَّاه وأهلَه إلا امرأتَه.

---

(١) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥/ ٥٩.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٠٥، والمثل في الدرة الفاخرة لحمزة الأصبهاني ١/ ١١٩، وجمهرة الأمثال ١/ ٣٣٣، ومجمع الأمثال ١/ ١٩٠.

وقرأ حمزة والكسائي: «لَنُنْجِيَنَّه» مضارع أَنْجى، وباقي السَّبعة مضارع نَجَّى[١]. والجمهور بشَدِّ النُّون وفرقةٌ بتخفيفها[٢].

«ولما أن جاءت رُسُلُنا لوطاً سِيءَ بهم وضاق بهم ذَرْعاً» تقدَّم الكلام على مثلِ هذه الجملة[٣]؛ إلا أنَّ هنا زيدت «أنْ» بعد «لمّا» وهو قياسٌ مُطَّرِد، وقال الزمخشري: «أنْ» صِلَةٌ أكَّدَتْ وجودَ الفعلين مُتَرَتِّباً أحدهما على الآخر في وقتين مُتجاورَيْن لا فاصلَ بينهما كأنَّهما وُجِدا في جُزءٍ واحدٍ من الزَّمان، كأنه قيل: لما أحسَّ بمَجيئهم فاجَأتْه المَساءةُ من غير رَيْثٍ خِيفةً عليهم من قومه[٤]. انتهى.

وهذا الذي ذكره في التَّرتيب ليس مَذهبَ[٥] سيبويه، إذْ مَذْهبُهُ أن لمَّا حَرفٌ لا ظَرْف خلافاً للفارسي، وهذا مذكور في علم النّحو[٦].

وقرأ العَرَبيّان ونافع وحَفص: «مُنَجُّوك» مُشَدَّداً، وباقي السبعة مخفَّفاً[٧].

والكاف في مذهب سيبويه في موضع جَرّ، «وأهلَك» منصوبٌ على إضمار فعل، أي: ونُنَجّي أهْلَك، ومَن راعى هذا الموضع عَطفه على موضع الكاف، والكاف على مذهب الأخفش وهشام في موضع نَصْب، و«أهلَك» معطوف عليه، لأن هذه النون كالتنوين، وهما على مذهبهما يحذفان للَطافة الضَّمير، وشِدَّةِ طلَبه الاتِّصالَ بما قبله[٨].

---

(١) السبعة ٥٠٠، والتيسير ١٧٣.
(٢) يعني نون التوكيد الثقيلة، انظر المحرر ٤/ ٣١٦، وتفسير الآلوسي ٢٠/ ٣٤٩.
(٣) في تفسير الآية (٧٧) من سورة هود.
(٤) الكشاف ٣/ ٢٠٥.
(٥) في (أ، ت، يه) والمطبوع: هو مذهب، وهذا خطأ، والمثبت من (ح)، وانظر الحاشية التالية.
(٦) انظر الكتاب ٤/ ٢٢٢، ٢٣٤، وكتاب الشعر للفارسي ٧٠، ٨٩، والبغداديات ٣١٦، والإيضاح بشرح عبد القاهر الجرجاني ١٠٩٢، ومغني اللبيب ١٠٩٢.
(٧) السبعة ٥٠٠، والتيسير ١٧٣، والنشر ٢/ ٢٥٩، وانظر أيضاً الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٣٢، ومعاني القراءات للأزهري ٢/ ٢٥٩، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ١٨٦.
(٨) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٨٣، وانظر كتاب سيبويه ١/ ١٦٤، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٥٥.

وقرأ الجمهور: «سِيءَ» بكسر السِّين، وأشَمَّها الضمَّ نافع وابن عامر والكسائي[(١)]. وقرأ عيسى وطلحة: «سُوء» بضمّها[(٢)]، وهي لغةُ بني هُذَيل وبني دُبَيْر[(٣)]، يقولون في قِيل وبِيع ونحوهما: قُول وبُوع.

وقرئ: «مُنْزِلون» مُخَفَّفاً ومُشدَّداً[(٤)]، وابن مُحَيْصِن: «رُجزاً» بضمِّ الراء، وأبو حَيْوَة والأعْمَش بكسر سين «يَفْسِقون»[(٥)].

والظاهر أن الضَّمير في «منها» عائدٌ على القرية؛ فقال ابن عباس: منازلُهم الخَرِبَة. وحكى أبو سليمان الدّمشقي أن الآية في قريتهم أنّ أساسَها أعلاها، وسُقوفَها أسفلها إلى الآن[(٦)].

وقال الفرَّاء: المعنى تركناها آية، تقول: إن في السَّماء لآية؛ تُريد إنها آية[(٧)]. انتهى.

وهذا لا يَتَّجه إلا على زيادة مِن في الواجب نحو قوله:

أمْهَرْتُ منها جُبَّةً وتَيْسا[(٨)]

---

(١) التيسير ١٢٥، والنشر ٢/٢٠٨.
(٢) المحرر الوجيز ٤/٣١٦.
(٣) في (أ، ح، ع) والمطبوع والآلوسي (طبعة الرسالة): وبير، وفي (يه): دهر، وكله تصحيف، والمثبت من (ت)، ودبير: هو كعب بن عمرو بن قُعَين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، حمل على ظهره حملاً فدبر، وهم قوم فصحاء، لهم رجز وشعر، كتب عن امرأة منهم الفراء النحوي وابن الأعرابي.
انظر أنساب الأشراف ١٠/٩٨، وجمهرة أنساب العرب ١٩٥، وتوضيح المشتبه ٤/١٦، وقد سلف كثيراً في البحر نقل عن بني دبير.
(٤) قرأ ابن عامر والكسائي والأعشى عن أبي بكر عن عاصم بالتشديد، والباقون بإسكان النون والتخفيف، انظر السبعة ٥٠٠، والتيسير ٩٠، والنشر ٢/٣٤٣.
(٥) القراءتان في المحرر الوجيز ٤/٣١٦، ونقلهما عن أبي حيان السمين في الدر ٩/٢٠، والآلوسي ٢٠/٣٥٠.
(٦) تفسير الثعلبي ٥/١٣، والقرطبي ١٦/٣٦٠، وزاد المسير ٦/٢٧١.
(٧) زاد المسير ٦/٢٧١ وعنه نقل كلام الفراء، ونقله عن أبي حيان السمين ٩/٢٠، والآلوسي ٢٠/٣٥٠.
(٨) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ١/٤٨٦، وارتشاف الضرب ٢٣٩٥ على تحريف فيه

يريد: أمْهَرْتُها، وكذلك «ولقد تركناها آية».

وقيل: الهاء في «منها» عائدة على الفَعْلَة التي فُعلت بهم، فقيل: الآية: الحِجارة التي أدْرَكَتْها أوائلُ هذه الأمَّة. قاله قتادة.

وقيل: الماءُ الأسود على وَجْه الأرض. قاله مجاهد، وقيل: الخبر بما صُنِع بهم[1].

و«لقوم» متعلِّقٌ بـ «تركنا» أو بـ«بيِّنة».

* * *

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟
فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ (٣٧)
وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ
فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم
مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ (٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم
مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) مَثَلُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ
ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ (٤٣)
خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٤٤) ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ
مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ
أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)﴾.

= يصحح من هنا، والمقاصد الشافية للشاطبي ٣/ ٦٠٢، وقوله: جبة تحريف صوابه لَجْبَة كما في البيان والتبيين ٤/ ٣٥، وهي الشاة التي أتى على نتاجها أربعة أشهر فخف لبنها وقل، انظر الغريب المصنف ٢/ ١٥٩، والبيت لجزء أخي الشماخ، وله قصة طريفة ذكرها الجاحظ، انظرها ثمة إن أحببت، أوقفني على صواب ذلك كله أخي الدكتور محمد عبد الله قاسم، جزاه الله خيراً، وزاده علماً وفضلاً.

(١) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٨/ ٣٩٧، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٥٨، والثعلبي ٥/ ١٣، والقرطبي ١٦/ ٣٦٠، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٢٢٥، وزاد المسير ٦/ ٢٧٠.

«وإلى مَدْيَنَ» أي: وإلى مَدْيَنَ أرْسلنا أو بَعَثْنا، مما يتعدَّى بإلى.

أمرَهم بعبادة الله والإيمانِ بالبعثِ واليوم الآخر.

والأمرُ بالرَّجاء أمرٌ بفعلِ ما يترتَّب الرّجاءُ عليه، أقام المُسَبَّب مقامَ السَّبب، والمعنى: وافعلوا ما تَرْجُون به الثَّوابَ من الله، أو يكون أمراً بالرَّجاء على تقدير تَحْصيلِ شَرْطِهِ وهو الإيمانُ بالله.

وقال أبو عُبيدة: وارْجُوا: خافوا جَزاءَ اليومِ الآخر من انتقام الله منكم إنْ لم تعبدوه[١].

وتضمَّن الأمرُ بالعبادةِ والرَّجاءِ أنه إنْ لم يفعلوا ذلك وقع بهم العذاب، لذلك جاء: «فكَذَّبوه»، وجاءتْ ثَمرةُ التَّكذيب وهي: «فأخذَتْهم الرَّجْفَةُ فأصبحوا في دارِهم جاثمين» وتقدَّم تفسيرُ مثل هذه الجُمل[٢].

وانتصب «وعاداً وثموداً» بإضمار أهْلَكْنا لدلالة فأخَذَتْهم الرَّجْفَة عليه، وقيل: بالعطف على الضَّمير في «فأخذَتْهم»، وأبعدَ الكسائي في عَطْفه على الذين من قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣][٣].

وقرأ «وثَمودَ» بغير تنوين حَمزة وشَيْبَة والحَسَن وحَفْص، وباقي السبعة بالتنوين[٤].

وقرأ ابنُ وَثّاب: «وعادٍ وثَمودٍ» بالخَفْضِ فيهما والتنوين عطفاً على «مَدْيَنَ» أي: وأرسلنا إلى عادٍ وثمودٍ.

«وقد تَبيَّن لكم» أي: ذلك، أي: ما وُصِفَ لكم من إهلاكِهم من جهةِ مَساكنهم إذا نظرتُم إليها عند مُروركم بها، وكان أهلُ مكَّةَ يمرُّون عليها في أسفارهم.

وقرأ الأعمش: «مساكنُهم» بالرفع من غير من[٥]، فيكون فاعلاً بتَبيَّن.

---

(١) انظر مجاز القرآن ٢/ ١١٥.
(٢) في تفسير الآية (٧٨) من سورة الأعراف.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣١٧، وتفسير القرطبي ١٦/ ٣٦١.
(٤) السبعة ٣٣٧، والتيسير ١٢٥، والنشر ٢/ ٢٨٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٣١٧.
(٥) قراءة ابن وثاب والأعمش في المحرر الوجيز ٤/ ٣١٧، ونقلهما عن أبي حيان السمين ٩/ ٢١، والآلوسي ٢٠/ ٣٥٤.

«وزَيَّن لهم الشيطان» أي: بوَسْوسته وإغوائه أعمالَهم القَبيحة. «فَصَدَّهم عن السَّبيل» وهي طريقُ الإيمان بالله ورُسُله.

«وكانوا مُسْتَبصِرين» أي: في كُفرهم، لهم به بَصَرٌ وإعجاب، قاله ابن عباس ومُجاهد والضحَّاك[1]، وقيل: عُقلاء يعلمون أن الرِّسالة والآيات حقٌّ، ولكنهم كفروا عِناداً؛ كقوله: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

«وقارونَ» معطوفٌ على ما قبله، أو منصوبٌ بإضمار اذْكُر.

«فاستكبروا» أي: عن الإقرار بالصَّانع وعبادته «في الأرض» إشارةٌ إلى قلَّة عقولهم؛ لأن مَن في الأرض يَشعر بالضَّعف، ومَن في السَّماء يَشعر بالقوَّة، ومَن في السماء لا يَستكبرُ عن عبادة الله فكيف مَن في الأرض؟!.

«وما كانوا سابقين» أي: مُفْلِتين، أدركهم أمر الله سبحانه وتعالى فلم يفلتوا، وقيل: وما كانوا سابقين[2] الأُممَ إلى الكفر، أي: تلك عادةُ الأمم مع رُسُلهم.

والحاصِب لقوم لوط، وهي ريحٌ عاصفٌ فيها حَصْباء، وقيل: مَلَك كان يَرْميهم، والصَّيحة لمَدْيَن وثَمود، والخَسْف لقارون، والغَرَق لقوم نوح وفرْعَون وقومه.

وقال ابن عطية: ويُشبه أن يَدخلَ قومُ عاد في الحاصِب؛ لأن تلك الرِّيح لا بُدَّ كانت تَحْصِبُهم بأمورٍ مؤذية، والحاصِب: هو العارضُ من ريحٍ أو سَحابٍ إذا رمى بشيء، ومنه قولُ الفرزدق:

مُسْتَقْبِلينَ شَمالَ الشَّام تَضْرِبُهم بحاصِبٍ كنَديفِ القُطْنِ مَنْثورِ[3]

ومنه قول الأخطل:

تَرمي العِضاهَ بحاصِبٍ من ثَلْجِها حتَّى يَبيتَ على العِضاهِ جُفالا[4]

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٣٩٩، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٦٠، والثعلبي ٥/ ١٣، والقرطبي ١٦/ ٣٦٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٣١٧.

(٢) من قوله: أي مفلتين.. إلى هنا زيادة من (ت، يه).

(٣) سلف في تفسير الآية (٦٨) من سورة الإسراء.

(٤) ديوان الأخطل ٨٦ (بتحقيق فخر الدين قباوة)، وتفسير الطبري ١٤/ ٦٧٠، ١٨/ ٤٠٠، =

«العنْكبوت» حيوان معروف، ووزنه فَعْلَلوت، ويؤنَّث ويُذَكَّر، فمن تذكيره قولُ الشاعر:

على هَطَّالِهم منهم بيوتٌ كأنَّ العَنْكَبوتَ هو ابْتَناها[١]

ويجمع: عَناكِب، ويُصَغَّر: عُنَيْكِب[٢].

شبَّه تعالى الكُفَّار في عبادتهم الأصنامَ، وبنائهم أمورَهم عليها؛ بالعَنْكبوت التي تَبني وتَجتهد وأمرُها كلُّه ضعيف، متى مَسَّته أدنى هَامَّةٍ أو هابَّةٍ أذْهَبَتْه، فكذلك أمرُ أولئك وسَعْيُهم مُضمَحِلّ لا قُوَّةَ له ولا مُعْتَمَد[٣].

وقال الزمخشري: الغَرَضُ: تشبيهُ ما اتَّخذوه مُتَّكَلاً ومُعْتَمداً في دينهم وتَوَلَّوه من دون الله بما هو مَثَلٌ عند الناس في الوَهْن وضَعْف القُوَّة، وهو نَسْجُ العنكبوت، ألا تَرى إلى مَقْطَع التَّشبيه وهو قوله: «وإنَّ أوْهَنَ البيوت لَبَيْتُ العَنْكبوت» انتهى[٤].

يعني بقوله: ألا ترى إلى مَقطع التشبيه: ما ذَكَر أوّلاً من الغَرَض تشبيه المُتَّخِذ بالبيت، لا تشبيهُ المتَّخِذ بالعنكبوت، والذي يَظهر هو تَشبيهُ المتَّخِذ من دون الله وليّاً بالعَنْكبوت المتَّخِذَةِ بيتاً، أي: فلا اعتمادَ للمتَّخذ على وَليِّه من دون الله؛ كما أن العنكبوت لا اعتمادَ لها على بيتها في استِظْلالٍ وسُكْنَى، بل لو دخَلَتْ فيه خَرَقَتْه.

ثمَّ بَيَّنَ حالَ بيتها وأنَّه في غاية الوَهْن بحيث لا يُنْتَفَعُ به، كما أنَّ تلك الأصنام لا تَنفع ولا تُجدي شيئاً الْبَتَّة.

= وتهذيب الآثار له ١/ ٤٧ (مسند ابن عباس)، والمحرر الوجيز ٤/ ٣١٧. العضاه: شجر عظيم له شوك، وضمير ترمي لريح الشمال في البيت قبله، والجفال: ما تراكب وتراكم.

(١) المذكر والمؤنث للفراء ١٠٢، ومعاني القرآن له ٢/ ٣١٧، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٣٩٦، والصحاح (هطل)، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٥٧، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٤، وزاد المسير ٦/ ٢٧٣، ومجمع البيان ٢٠/ ٣٦٣، وتفسير القرطبي ١٦/ ٣٦٤. والهطال: اسم جبل.

(٢) في (ت) والمطبوع: عنيكيب، وهو صحيح أيضاً، والمثبت من (أ، ح، ع).

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣١٨.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٠٦.

وقوله: «لو كانوا يعلمون» ليس مُرتبطاً بقوله: «وإنَّ أوْهَنَ البيوت لَبَيْتُ العنكبوت» لأنَّ كلَّ أحدٍ يَعلم ذلك، فلا يُقال فيه: «لو كانوا يعلمون» وإنما المعنى: لو كانوا يَعلمون أنَّ هذا مَثَلُهم، وأن أمرَ دينِهم بالغٌ من الوَهْن هذه الغاية لأقلَعوا عنه، وما اتَّخذوا الأصنامَ آلهة.

وقال الزمخشري: إذا صحَّ تشبيهُ ما اعتَمدوه في دينهم ببيتِ العنكبوت - وقد صَحَّ أنَّ أوْهَنَ البيوت بيتُ العنكبوت - فقد تبيَّن أنّ دينَهم أوْهَنُ الأديان لو كانوا يعلمون، أو أخرجَ الكلامَ بعد تصحيح التَّشْبيهِ مخرج المَجاز، فكأنه قال: وإن أوْهَنَ ما يُعْتَمد عليه في الدِّين عبادةُ الأوثان لو كانوا يَعلمون. ولقائلٍ أن يقول: مَثَلُ المُشْرِك الذي يَعْبُد الوَثَنَ بالقياس إلى المؤمن الذي يَعبد الله مَثَلُ عَنْكبوتٍ يَتَّخذ بيتاً؛ بالإضافة إلى رجلٍ يبني بيتاً بآجُرٍّ وجِصٍّ، أو يَنحِتُه من صَخْرٍ، فكما أن أَوْهَنَ البيوت إذا استَقْرَيْتَها بيتاً بيتاً بيتُ العنكبوت؛ كذلك أضعفُ الأدْيان إذا استَقْرَيْتَها دِيناً ديناً عبادةُ الأوثانِ لو كانوا يعلمون[١]. انتهى.

وما ذكره من قوله: ولقائلٍ أن يقول. . الخ؛ لا يَدُلُّ عليه لفظُ الآية، وإنما هو تحميلٌ للَّفظِ ما لا يَحتملُهُ كعادته في كثيرٍ من تفسيره[٢].

وقرأ أبو عمرو وسَلَّام: «يَعْلمُ ما» بالإدغام، والجمهور بالفَكّ[٣]. والجمهور «تَدْعون» بتاء الخطاب، وأبو عمرو وعاصم ـ بخلاف ـ بياء الغَيْبة[٤].

وجَوَّزوا في «ما» أن تكون مفعولاً بـ «يَدْعون» أي: يعلم الذين يَدعون من دونه من جميع الأشياء، أي: يعلم حالَهم وأنَّهم لا قُدرةَ لهم. وأن تكون نافية، أي: لستم تدعون من دونه شيئاً له بالٌ ولا قَدْرٌ فيَصْلُح أن يُسمَّى شيئاً. وأن تكون

---

(١) الكشاف ٣/٢٠٦.

(٢) نقل الآلوسي ٢٠/٣٥٩ كلام أبي حيان، ثم عقب عليه بقوله: وهذه مجازفة على صاحب الكشاف كما لا يخفى.

(٣) المحرر الوجيز ٤/٣١٨.

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي وابن عامر والأعشى والجعفي عن أبي بكر عن عاصم بالتاء، وقرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم ويحيى بن آدم عن أبي بكر عن عاصم بالياء، انظر السبعة ٥٠١، والتيسير ١٧٤، والنشر ٢/٣٤٣، والمحرر الوجيز ٤/٣١٨.

استفهاماً، كأنه قَرَّر على جهة التَّوبيخ على هذا المَعْبودَ من جميع الأشياء، وهي في هذين الوَجْهين مُقْتَطَعَةٌ من يَعلم واعتراضٌ بين يعلم وبين قوله: «وهو العزيز الحكيم».

وجَوَّز أبو علي أن تكون «ما» استفهاماً منصوباً بـ «تَدْعون» و«يعلم» مُعَلَّقة، فالجملة في موضع نصبٍ بها، والمعنى: إن الله يعلم أوثاناً تَدْعون من دونه أم غيرَها؟ لا يخفى عليه ذلك، والجُملةُ تأكيدٌ للمثَل(١).

وإذا كانت «ما» نافية كان في الجملة زيادةٌ على المثَل؛ حيث لم يجعل تعالى ما يدعونه شيئاً.

«وهو العزيز الحكيم» فيه تَجْهيلٌ لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لأنه جَماد ليس معهُ مصَحِّحُ العلمِ والقُدرةِ أصلاً، وتركوا عبادةَ القادرِ القاهر الحكيم الذي لا يفعل شيئاً إلا لحِكمة.

«وما يَعقِلُها إلا العالمون»، أي: لا يَعْقِلُ صِحَّتَها وحُسْنَها وفائدتها.

وكان جَهَلَةُ قريش يقولون: إن ربَّ محمد يَضربُ المثَل بالذُّباب والعنكبوت، ويضحكون من ذلك، وما عَلِموا أن الأمثالَ والتَّشبيهات طُرُقٌ إلى المعاني المُحْتَجِبَة، فتُبْرِزها وتُصَوِّرُها للفَهْم؛ كما صَوَّر هذا التَّشبيهُ الفرقَ بين حال المُشركِ وحالِ الموَحِّد(٢).

والإشارة بقوله: «وتلك الأمثال» إلى هذا المثَل وما تقدَّم من الأمثال في السُّوَر.

وعن جابر أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية فقال: «العالم مَنْ عَقَل عن الله، فعَمِل بطاعته، واجتَنَب سَخَطه»(٣).

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٣٤، وانظر المحرر الوجيز ٤/ ٣١٨.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٠٧.

(٣) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده (٨٣٧) (بغية الباحث)، ومن طريقه الثعلبي في تفسيره ٥/ ١٥، والبغوي ٣/ ٤٦٨، والواحدي في الوسيط ٣/ ٤٢٠، وفيه داود بن المحبّر، قال الدارقطني: متروك، وقال أبو حاتم: ذاهب الحديث غير ثقة. ميزان الاعتدال (٢٥٢٧).

«خلق الله السموات والأرض» فيه تنبيهٌ على صِغَر قَدْر الأوثانِ التي عبدوها، ومعنى «بالحقّ» بالواجب الثَّابت، لا بالعَبَث واللَّعِب، إذْ جعلها مساكنَ عبادِهِ، وعِبْرةً ودلائلَ على عظيم قُدرته وباهرِ حكمته.

والظَّاهر أن «الصَّلاة» هي المعهودةُ، والمعنى: من شأنها أنها إذا أُدِّيَتْ على ما يَجب من فُروضها وسُنَنها، والخُشوع فيها، والتَّدَبُّرِ لما يَتلو فيها، وتقدير المُثول بين يدي الله تعالى أنْ تَنهى عن الفَحْشاء والمنكر.

وقال ابن عباس والكلبي وابن جُرَيج وحمَّاد بن أبي سُليمان: تَنْهى ما دام المُصَلِّي فيها.

وقال ابن عمر: الصَّلاةُ هنا القُرآن. وقال ابن بَحْر: الصلاة الدُّعاء، أي: أقِم الدُّعاء إلى أمر الله[1].

وأما مَنْ تراه من المُصلِّين يَتعاطى المعاصي فإنَّ صَلاتَه تلك ليست بالوصف الذي تقدَّم، وفي الحديث أنَّ فتىً من الأنصار كان يُصلّي مع النبي ﷺ ولا يَدَعُ شيئاً من الفَواحش والسَّرقة إلا رَكِبَه، فقيل ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: «إن صلاته سَتَنْهاه» فلم يَلْبَث أن تاب وصَلُحت حالُه، فقال رسول الله ﷺ: «ألم أقُلْ لكم»[2].

ولا يَدُلُّ اللَّفظُ على أن كلَّ صلاةٍ تَنهى، بل المعنى أنه يُوجَد ذلك فيها، ولا يكون على العُموم، كما تقول: فلانٌ يأمُرُ بالمعروف، أي: من شأنه ذلك، ولا يَلزم منه أنّ كلَّ مَعروفٍ يأمُرُ به.

والظاهر أنَّ «أكْبَر» أفْعَل تفضيل، فقال عبد الله وسَلْمان وأبو الدَّرْداء وابنُ عباس وأبو قُرَّة: معناه: ولَذِكْرُ الله إيَّاكم أكبرُ من ذِكرِكم إيّاه.

وقال قتادة وابنُ زيد: أكبر من كلِّ شيء.

---

(١) تفسير الطبري ١٨/٤٠٨، ٤٠٩، وابن أبي حاتم ٩/٣٠٦٦، ٣٠٦٧، ومعاني القرآن للنحاس ٥/٢٢٨، وتفسير الثعلبي ٥/١٥، والماوردي ٤/٢٨٤، والقرطبي ١٦/٣٦٧، وزاد المسير ٦/٢٧٤، والمحرر الوجيز ٤/٣١٩-٣٢٠.

(٢) ذكره عن أنس بهذا السياق الثعلبي ٥/١٥، والزمخشري ٣/٢٠٧، وابن عطية ٤/٣٢٠، والقرطبي ١٦/٣٦٧، قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ١٢٨: لم أجده.
وروي نحوه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه أحمد (٩٧٧٨)، وابن حبان (٢٥٦٠).

وقيل: ولَذِكْرُ الله في الصَّلاة أكبرُ منه خارجَ الصَّلاة، أي: أكبر ثَواباً، وقيل: أكبرُ من سائر أركان الصلاة.

وقيل: ولذكر الله: نَهْيُه، أكبرُ من نَهْي الصلاة. وقيل: أكبر من كلِّ العبادات(١).

وقال ابن عطية: وعندي أن المعنى: ولَذِكْرُ الله أكبرُ على الإطلاق، أي: هو الذي يَنهى عن الفحشاء والمُنكر، والجزءُ الذي منه في الصلاة يَنهى كما ينهى في غير الصلاة؛ لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكرٍ لله مُراقبه، وثَواب ذلك الذِّكرِ: أن يَذكُرَه الله في مَلأٍ خيرٍ من مَلَئه، والحركاتُ التي في الصلاة لا تأثيرَ لها في النَّهْي، والذِّكْرُ النَّافع هو مع العلم وإقبالِ القلب وتَفَرُّغِه إلا من الله، وأمَّا ما لا يتجاوز اللِّسان ففي رُتبةٍ أخرى(٢).

وقال الزمخشري: يريد: والصلاةُ أكبرُ من غيرها من الطَّاعات، وسمَّاها بذكر الله كما قال: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] وإنما قال: ولَذِكْرُ الله لِيَسْتَقِلَّ بالتَّعليل، كأنه قال: والصَّلاةُ أكبرُ لأنها ذِكرُ الله(٣).

«ما تصنعون» من الخير والشَّرّ فيُجازِيكم، وفيه وَعيدٌ وحَثٌّ على المُراقبة.

❀ ❀ ❀

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا

---

(١) انظر الأقوال السابقة في: تفسير الطبري ١٨/ ٤١١-٤١٧، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٦٧-٣٠٦٨، والثعلبي ٥/ ١٥-١٨، والماوردي ٤/ ٢٨٥، والزمخشري ٣/ ٢٠٧، والقرطبي ١٦/ ٣٦٩-٣٧٠، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٢٢٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٢٠، وزاد المسير ٦/ ٢٧٥.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٠.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٠٧.

لَّارْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

و«أهلَ الكتاب» هم اليهود والنَّصارى. «إلا بالتي هي أَحْسَن» من المُلاطَفة في الدُّعاء إلى الله والتَّنبيه على آياته.

«إلا الذين ظَلَموا» مَنْ لم يُؤَدِّ جِزْيَةً، ونَصَبَ الحَرْبَ، وصَرَّح بأن لله ولداً أو شريكاً أو يَدَه مَغْلولة؛ فالآية مَنْسوخة في مُهادَنَة مَنْ لم يُحارب. قاله مجاهد.

أو مؤمنو أهل الكتاب، «إلا بالتي هي أحسن» أي: بالموافَقَة فيما حَدَّثوكم به من أخبار أوائلِهم، «إلا الذين ظَلموا» مَنْ بقي منهم على كُفْرِه وغَدَر كقُرَيْظَة والنَّضِير. قاله ابنُ زيد، والآية على هذا مُحْكَمَة.

وقيل: إلا الذين آذَوْا رسولَ الله ﷺ.

وقال قتادة: الآية مَنْسوخة بقوله: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية[1] [التوبة: ٢٩].

وقرأ الجمهور «إلَّا» حَرْفُ استثناء، وابن عباس «أَلا» حرفُ تنبيه واستفتاح[2]، وتقديره: ألا جادِلوهم بالتي هي أَحْسَن.

و«قولوا آمَنَّا» هذا من المُجادَلة بالأَحْسَن «بالذي أُنزِل إلينا» وهو القرآن «وأُنزِل إليكم» وهو التَّوراة والزَّبور والإنجيل.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٠-٣٢١، وانظر تفسير الطبري ١٦/ ٤١٨-٤٢٠، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٦٩-٣٠٧٠، والثعلبي ٥/ ١٩، والماوردي ٤/ ٢٨٦، والزمخشري ٣/ ٢٠٨، والقرطبي ١٦/ ٣٧١-٣٧٢، وزاد المسير ٦/ ٢٧٥-٢٧٧.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٠، ونقله عن أبي حيان السمين ٩/ ٢٣، والآلوسي ٢٠/ ٣٧٢.

وفي «صحيح» البخاري عن أبي هريرة: كان أهلُ الكتاب يقرؤون التَّوراة بالعِبْرانيَّة، ويُفسِّرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تُصَدِّقوا أهلَ الكتاب ولا تُكَذِّبوهم وقولوا: آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إليكم»[١].

«وكذلك» أي: مِثْلُ ذلك الإنْزال الذي للكُتب السَّابقة «أنزلْنا إليك الكتاب» أي: القرآن «فالذين آتيناهم الكتاب» هم عبد الله بن سلام ومَن آمن معه «ومن هؤلاء» أي: من أهل مكة.

وقيل: «فالذين آتيناهم الكتاب» أي: الذين تَقدَّموا عَهْدَ الرسول «يؤمنون به» أي: بالقرآن إذْ هو مَذْكورٌ في كُتبهم أنه يَنْزل على رسول الله ﷺ، «ومن هؤلاء» أي: ممَّن في عهده منهم.

«وما يَجْحَد بآياتنا» مع ظُهورِها وزَوالِ الشُّبْهَةِ عنها «إلا الكافرون» أي: من بني إسرائيلَ وغيرهم.

قال مجاهد: كان أهلُ الكتاب يَقرؤون في كُتبهم أن محمداً ﷺ لا يَخُطُّ، ولا يقرأ كتاباً، فنزلت: «وما كنتَ تَتْلو»[٢].

«من قبله» أي: من قبل نزوله عليك «من كتاب» أي: كتاباً، ومن زائدة لأنها في مُتَعَلَّق النَّفي «ولا تَخُطُّه» أي: لا تقرأ ولا تكتب بيمينك، وهي الجارِحةُ التي يُكْتَبُ بها، وذِكْرُها زيادةُ تصويرٍ لما نَفى عنه من الكتابة.

لمَّا ذكر إنزالَ الكتاب عليه مُتَضمِّناً من البلاغة والفصاحة، والإخبار عن الأمم السابقة والأمور المُغَيَّبة ما أعجز البشرَ أنْ يأتوا بسورةٍ مثله: أخذ يُحَقِّق كونَه نازلاً من عند الله بأنه ظَهَر عن رجلٍ أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب ولا يُخالِط أهلَ العلم، وظُهور هذا القرآن المُنْزَل عليه أعظمُ دليل على صِدقه.

وأكثرُ المسلمين على أن رسول الله ﷺ لم يكتب قطُّ ولم يقرأ بالنَّظَر في كتاب.

---

(١) صحيح البخاري (٤٤٨٥)، وسلف في تفسير الآية (١٣٦) من سورة البقرة.

(٢) أخرجه الطبري ١٨/ ٤٢٥، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٧١، وذكره الماوردي ٤/ ٢٨٧، وابن عطية ٤/ ٣٢٢، والقرطبي ١٦/ ٣٧٣.

ورُوي عن الشَّعبيِّ أنه قال: ما مات رسول الله ﷺ حتى كَتب[١].

وأسند النَّقاش حديثاً إلى أبي كَبْشَةَ السَّلُولي أنه ﷺ قَرأ صَحيفةً لعُيَيْنَةَ بن حِصْن وأخبر بمعناها[٢].

وفي «صحيح» مسلم ما ظاهرُه أنه كتب مُباشرة[٣].

وقد ذهب إلى ذلك جماعةٌ منهم أبو ذَرّ عَبْدُ بن أحمد الهَرَوي، والقاضي أبو الوليد الباجي وغيرُهما[٤]، واشتدَّ نَكيرُ كثيرٍ من عُلماء بلادنا على أبي الوليد الباجي، حتى كان بعضُهم يَسُبُّه ويَطْعُن فيه على المِنْبر.

وتأوَّل أكثرُ العلماء ما ورد من أنه كتب على أن مَعْناه أمرَ بالكتابة، كما تقول: كتب السُّلطان لفُلانٍ بكذا، أي: أمَرَ بالكَتْب.

«إذاً لارْتَاب المُبطلون» أي: لو كان يقرأ كُتباً قبل نزول القرآن عليه أو يكتب لحَصَلَتْ الرِّيْبَةُ للمُبْطِلين؛ إذ كانوا يقولون: حَصَّلَ ذلك الذي يتلوه ممَّا قرأه قبلُ وخَطَّه واستَحْفَظَه، فكان يكون لهم في ارتيابهم تَعلُّقٌ ببَعْضِ شُبْهة، وأما ارتيابُهم مع وُضوحِ هذه الحجَّة فظاهرٌ فسادُه.

و«المُبْطِلون» أهلُ الكتاب. قاله قتادة. أو كُفَّار قُريش. قاله مجاهد[٥]. وسُمُّوا مُبْطِلين لأنَّهم كفروا به وهو أُمِّيّ بعيدٌ من الرِّيْب، ولما لم يكن قارئاً ولا كاتباً كان ارتيابُهم لا وَجْهَ له.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٤٢-٤٣ وقال: هذا حديث منقطع، وفي رواته جماعة من الضعفاء والمجهولين.

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٢٩)، والبيهقي ٧/ ٢٥، وانظر مسند أحمد (١٧٦٢٥).

(٣) إشارة إلى حديث البراء بن عازب (١٧٨٣) (٩٢) في قصة صلح الحديبية أن النبي ﷺ قال لعلي: «اكتب الشرط بيننا بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله» فقال له المشركون: لو نعلم أنك رسول الله تابعناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فأمر علياً أن يمحاها، فقال علي: لا والله لا أمحاها، فقال رسول الله ﷺ: «أرني مكانها» فأراه مكانها، فمحاها، وكتب: ابن عبد الله.

(٤) انظر إكمال المعلم للقاضي عياض ٦/ ١٥١، وترتيب المدارك له ٤/ ٨٠٥-٨٠٦، والمفهم لأبي العباس القرطبي ٣/ ٦٣٧، وتفسير ابن عطية ٤/ ٣٢٢، وتفسير القرطبي ١٦/ ٣٧٤.

(٥) أخرجه الطبري ١٨/ ٤٢٦، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٧١.

«بل هو» أي: القرآن «آياتٌ بيِّناتٌ» واضحاتُ الإعجاز «في صُدور الذين أوتوا العلم» أي: مُسْتَقِرَّةٌ، مؤمَنٌ بها، محفوظةٌ في صدورهم، يتلوها أكثرُ الأمة ظاهراً، بخلاف غيره من الكتب فليس بمُعْجِز، ولا يُقْرأ إلا من الصُّحُف.

وجاء في صِفة هذه الأُمَّة: «صُدورُهم أناجيلُهم»[(١)].

وكونُه للقرآن يُؤيِّدهُ قراءةُ عبد الله: «بل هي آيات».

وقيل: «بل هو» أي: النبي ﷺ، وأمورُه آيات بيّنات. قاله قتادة، وقرأ «بل هو آيةٌ بيِّنة» على التَّوحيد.

وقيل: «بل هو» أي: كونُه لا يقرأ ولا يكتب[(٢)].

ويقال: جَحَدْتُهُ وجَحَدْتُ به، وكَفَرْتُه وكَفَرْتُ به. قيل: والجُحود الأوَّل مُعَلَّقٌ بالوَحْدانية، والثاني مُعَلَّقٌ بالنبوَّة.

وختمت تلك بالكافرين لأنه قسيم المؤمنين في قوله: «يؤمنون به ومن هؤلاء مَن يؤمن» وهذه بالظَّالمين لأنه جَحْدٌ بعد إقامة الدَّليل على كون الرَّسول صدر منه القرآن مُنزلاً عليه وهو أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب، فهم الظالمون بعد ظهور المُعجزة.

«وقالوا لولا أُنزل عليه آيةٌ من ربِّه» أي: قُريش وبعضُ اليهود كانوا يُعلِّمون قريشاً مثلَ هذا الاقتراح؛ يقولون لهم: ألا يأتيكم بآية مثل آية موسى من العصا وغيرها.

وقرأ العَربيَّان ونافع وحَفْص: «آيات» على الجمع، وباقي السَّبعة على التوحيد[(٣)].

«قل إنما الآياتُ عند الله» يُنَزِّل أيَّتها شاء، ولو شاء أن يُنزل ما يَقترحونه لفَعل. «وإنما أنا نَذيرٌ» بما أُعطيتُ من الآيات.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٠٤٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٧، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٥٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٠، والماوردي ٤/ ٢٨٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٢٢، وزاد المسير ٦/ ٢٧٨.

(٣) قرأ بالتوحيد «آية»: ابن كثير والكسائي وحمزة وعاصم في رواية أبي بكر. والعربيان: أبو عمرو وابن عامر، السبعة ٥٠١، والتيسير ١٧٤.

وذكر يحيى بن جَعْدَة أن ناساً من المسلمين أتَوْا رسول الله ﷺ بكُتُبٍ قد كتبوا فيها بعضَ ما يقول اليهود، فلما نَظر إليها ألقاها وقال: «كفى بها حَماقةً قوم ـ أو ضَلالةُ قوم ـ أنْ يَرغبوا عمَّا جاء به نبيُّهم إلى ما جاء به غيرُ نبيِّهم» فنزلت: «أولَم يَكْفِهم»(١).

والذي يَظهر أنّه ردٌّ على الذين قالوا: «لولا أُنزل عليه آيةٌ من ربّه» أي: أوَلم يَكْفِهم آيةً مُغْنيَةً عن سائر الآيات ـ إنْ كانوا طالبين للحقّ غيرَ مُتَعَنِّتين ـ هذا القرآن الذي تدوم تلاوتُه عليهم في كلِّ مكان وزمان، فلا يَزال معهم آيةٌ ثابتةٌ لا تَزولُ ولا تَضْمَحِلُّ كما تزولُ كلُّ آيةٍ بعد وُجودها، وتكون في مكانٍ دون مكان.

«إنَّ في» هذه الآيةِ الموجودة في كلِّ مكان وزمانٍ «لَرَحْمَةً» لَنِعْمَةً عظيمة لا تُشْكَر، وتذكِرة.

وقيل: «أوَلم يَكفهم» يعني اليهود «أنَّا أنزلنا عليك الكتابَ يُتلى عليهم» بتحقيقِ ما في أيديهم من نَعْتك ونَعْتِ دِينك.

ورُوي أنَّ كَعْبَ بن الأشْرَف وأصحابَه قالوا: يا محمد، مَنْ يَشْهد بأنَّك رسولُ الله؟ فنزلت(٢) «قُلْ كَفى بالله بيني وبينكم شهيداً» أنّي قد بَلَّغْتُ وأنْذَرْتُ، وأنكم جَحَدْتُم وكَذَّبْتُم، وهو العالم ما في السَّماوات والأرض، فيعلم أمري وأمرَكم.

«والذين آمنوا بالباطل» قال ابن عباس: بغير الله. وقال مقاتل: بعبادة الشَّيطان. وقيل: بالصَّنَم(٣).

«ويَسْتعجلونك» أي: كُفَّار قريش في قولهم: «ائتنا بما تَعِدُنا» وقول النَّضر: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾ [الأنفال: ٣٢](٤)، وهو استعجالٌ على جِهة التَّعجيزِ والتَّكذيب والاستهزاء بالعذاب الذي كانَ يتوعَّدُهم به الرسول.

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٤٩٥)، وأبو داود في المراسيل (٤٥٤)، والطبري ١٨/ ٤٢٩، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٧٢-٣٠٧٣.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٠٩، وتفسير الآلوسي ٢٠/ ٣٨٢.
(٣) زاد المسير ٦/ ٢٨٠، وتفسير القرطبي ١٦/ ٣٧٩.
(٤) تفسير الطبري ١٣/ ٥٠٥-٥٠٣ (شاكر)، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٠، والقرطبي ١٦/ ٣٧٩، والكشاف ٣/ ٢٠٩، وزاد المسير ٦/ ٢٨٠.

والأجَلُ المسمَّى: ما سَمَّاه الله وأثْبَتَه في اللَّوح المحفوظ لعذابهم، وأوجَبَتْ الحِكمةُ تأخيرَه.

وقال ابن جُبير: يوم القيامة. وقال ابن سَلَّام: أجَلُ ما بين النَّفْخَتَين. وقيل: يوم بدر[١].

«ولَيأْتِيَنَّهم بَغْتَةً» أي: فجأة، وهو ما ظهر يوم بدر وفي السّنين السَّبْع[٢].

ثم كرَّر فعلَهم وقبَّحه، وأخبر أنَّ وراءهم جَهنَّم تُحيط بهم.

وانتصب «يومَ يَغشاهم» بمُحيطة.

وقرأ الكوفيُّون ونافع: «ويقول» أي: الله، وباقي السَّبعة بالنُّون[٣] نون العَظَمة، أو نون جماعة الملائكة.

وأبو البَرَهْسَم بالتاء، أي: جَهَنَّم؛ كما نُسبَ القولُ إليها في ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠][٤].

وقرأ ابنُ مسعود وابنُ أبي عَبْلَة: «ويُقال» مَبنيّاً للمفعول[٥].

❁ ❁ ❁

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٧٤، والثعلبي ٥/ ٢١، والماوردي ٤/ ٢٩٠، والقرطبي ١٦/ ٣٨٠، وزاد المسير ٦/ ٢٨٠.

(٢) إشارة إلى دعائه ﷺ على قريش طمعاً في إيمانهم بأن يصيبهم القحط سبع سنين كسني يوسف، أخرجه البخاري (٦٢٠٠)، ومسلم (٦٧٥)، وأحمد (٧٢٦٠) من حديث أبي هريرة.

(٣) قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي بالياء، وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالنون. السبعة ٥٠١، والتيسير ١٧٤، والنشر ٢/ ٣٤٣.

(٤) مختصر في الشواذ ١١٥، ونقله عن أبي حيان: السمين في الدر المصون ٩/ ٢٤، والآلوسي ٢٠/ ٣٨٦.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٨، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ١٨٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٢٣.

ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن
دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا
هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾
فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾
لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ
ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا
لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

أكثر المفسِّرين ذهبوا إلى أن قولَه: «يا عبادي» الآية نزلت فيمن كان مُقيماً بمكّة، أُمروا بالهجرة عنها إلى المدينة، أي: جانِبوا أهلَ الشِّرك، واطلبوا أهلَ الإيمان.

وقال أبو العالية: سافروا لطلب أوليائه.

وقال ابن جُبَير وعطاء ومُجاهد ومالك بن أنس: الأرض التي فيها الظُّلم والمُنْكر تترتَّب فيها هذه الآية، وتَلْزَمُ الهجرةُ عنها إلى بلدِ حَقٍّ.

وقال مُطَرِّف بن الشِّخِّير: «إن أرضي واسعة» عِدَةٌ بسَعَةِ الرِّزق في جميع الأرض.

وقيل: أرضُ الجنة واسعةٌ أُعطيكم. وقال مجاهد: سافروا لجهاد أعدائه(١).

«فإيَّاي فاعْبُدون» من باب الاشتغال، أي: فإيايَ اعبدوا فاعبدون.

وقال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى الفاء في «فاعبدون» وتقديم المفعول؟

(١) انظر الأقوال في: تفسير الطبري ١٨/ ٤٣٣-٤٣٥، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٧٥-٣٠٧٦، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٢٣٣-٢٣٤، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٢، والماوردي ٤/ ٢٩١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٢٤، وزاد المسير ٦/ ٢٨١، ومجمع البيان ٢٠/ ٣٧٦.

قلت: الفاء جوابُ شَرْطٍ مَحذوف؛ لأن المعنى: إن أرضي واسعةٌ؛ فإنْ لم تُخْلِصوا العبادة في أرضٍ فأخْلصوها في غيرها، ثمَّ حذَفَ الشَّرْط وعَوَّض من حذفه تقديمَ المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص[١]، انتهى.

ويحتاج هذا الجوابُ إلى تأمُّل.

ولما أخبر تعالى بسَعَةِ أرْضِهِ ـ وكان ذلك إشارةً إلى الهجرة ـ وأمر بعبادته؛ فكان قد يَتَوَهَّم مُتَوَهِّمٌ أنه إذا خرج من أرضه التي نَشأ فيها لأجلِ مَنْ حَلَّها من أهل الكُفْرِ إلى دار الإسلام لا يَستقيمُ له فيها ما كان يستقيم له في أرضه، فرُبَّما أدَّى ذلك إلى هَلاكه: أخبرَ أنَّ كلَّ نَفْسٍ لها أجلٌ تَبْلُغُهُ وتموت في أيِّ مكانٍ حَلَّ، وأن رُجوعَ الجَمْع إلى جَزائه يوم القيامة.

وقرأ عليّ: «تَرْجِعون» مَبنيّاً للفاعل[٢]. والجمهور مَبنيّاً للمفعول بتاء الخطاب. ورُوي عن عاصم بياء الغَيْبَة[٣].

وقرأ أبو حَيْوة: «ذائقةٌ» بالتنوين «الموتَ» بالنَّصْب[٤].

وقرأ[٥] «لَنُبَوِّئَنَّهم» من المَباءةِ.

وقرأ علي وعبد الله والرَّبيع بن خُثَيْم وابن وَثَّاب وطَلْحَة وزيد بن عليّ وحَمْزة والكسائيّ من الثَّواء[٦].

وبَوَّأ يتعدَّى لاثنين، قال تعالى: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]،

---

(١) الكشاف ٣/ ٢١٠.

(٢) مختصر في شواذ القراءات ١١٥، وهي قراءة يعقوب من العشرة، انظر النشر ٢/ ٣٤٣.

(٣) هي رواية يحيى بن آدم، عن عاصم، وابن أبي أمية عن أبي بكر عن عاصم، انظر السبعة ٥٠٢، والتيسير ١٧٤، والنشر ٢/ ٣٤٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٢٤، والقرطبي ١٦/ ٣٨٣.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٤.

(٥) الجمهور، انظر السبعة ٥٠٢، والتيسير ١٧٤، والنشر ٢/ ٣٤٤.

(٦) قرؤوا: لَنُثْوِيَنَّهم، انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٨، وتفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٧٧ (على تصحيف فيه)، والسبعة ٥٠٢، والتيسير ١٧٤، والنشر ٢/ ٣٤٤، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٢، والماوردي ٤/ ٢٩٢، والقرطبي ١٦/ ٣٨٣، وزاد المسير ٦/ ٢٨٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٢٤.

وقد جاء مُتعدِّياً باللام قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦] والمعنى: لنَجْعَلَنَّ لهم مكانَ مَباءة، أي: مَرْجِعاً يأوون إليه. «غُرَفاً» أي: عَلالي.

وأما ثَوى فمعناه أقام، وهو فعلٌ لازم، فدخلت عليه همزةُ التَّعْدية فصار يَتعدَّى إلى واحد، وقد قُرِئ مُشَدَّداً[١]، عُدِّي بالتَّضعيف، فانتصب «غُرَفاً» إمَّا على إسقاط حرف الجرّ، أي: في غُرَف، ثم اتَّسَع فحذف، وإما على تَضْمين الفعل معنى التَّبْوِئة فتعدَّى إلى اثنين، أو شبه الظَّرف المكاني المختصّ بالمُبْهَم يوصل إليه الفعل.

ورُوي عن ابن عامر: «غُرُفاً» بضمِّ الرَّاء[٢].

وقرأ ابنُ وثَّاب: «فنِعْمَ» بالفاء[٣]، والجمهور بغير فاء.

«الذين صبروا» أي: على مُفارَقةِ أوطانهم، والهجرةِ، وجميعِ المَشاقِّ من امتثالِ الأوامر واجتناب المَناهي.

«وعلى ربِّهم يَتوكَّلون» هذان جِماعُ الخير كلِّه: الصَّبرُ وتفويضُ الأمور إلى الله تعالى.

ولما أمر رسولُ الله ﷺ مَن أسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقرَ فقالوا: غُربةٌ في بلادٍ لا دارَ لنا فيها ولا عَقار، ولا مَن يُطعِم، فمَثَّل لهم بأكثر الدَّوابِّ التي تَتَقوَّت، ولا تدَّخِر، ولا تَرَوَّى في رِزقها.

«ولا تَحمل رزقَها» من الحَمْل، أي: لا تَنْقُل ولا تَنْظُر في ادِّخار، قاله مجاهد وأبو مِجْلَز وعليُّ بن الأقْمر[٤].

والادِّخار جاء في الحديث: «كيف بكَ إذا بَقيتَ في حُثالةٍ من حُثالَةِ الناس،

(١) بفتح الثاء وتشديد الواو: لَنُثَوِّيَنَّهم، انظر المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٤.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٤.
(٣) الكشاف ٣/ ٢١٠، وذكر ابن خالويه في مختصر في الشواذ ١١٥ عنه أنه قرأ: فنَعِم، بفتح النون.
(٤) أخرجها عنهم الطبري ١٨/ ٤٣٧-٤٣٨، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٧٩، وانظر المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٥.

يَخْبَؤون رِزقَ سنةٍ لضعفِ اليقين؟»[(١)].

قيل: ويجوز أن يكون من الحَمَالَة، أي: لا تَتَكَفَّل لنفسها ولا تُرَوّي[(٢)].

وقال الحسنُ: لا تَحْمِلُ رِزقَها: لا تَدَّخِر؛ إنما تُصبح فيَرزقُها الله.

وقال ابن عباس: لا يَدَّخِر إلا الآدميُّ والنَّملُ والفأرةُ والعُقْعُق.

وقيل: البُلْبُل يَحتكر في حِضْنَيه.

ويقال: للعُقْعُق مَخابئ إلا أنه ينساها[(٣)].

وانتفاءُ حَمْلِها لرزقها إمَّا لضَعْفها وَعَجْزها عن ذلك، وإمَّا لكونها خُلِقَت لا عَقلَ لها فتُفَكِّرَ فيما تَخْبَؤه للمستقبل.

«الله يرزُقُها» على ضَعْفها «وإيّاكم» أي: على قُدرتكم على الاكتساب وعلى التَّحَيُّل في تحصيل المَعيشة، ومع ذلك فرازِقُكم هو الله «وهو السَّميعُ» لقولكم: نَخشى الفَقْر «العَليم» بما انطوت عليه ضمائرُكم.

ثم أعقب تعالى ذلك بإقرارِهم بأن مُبْدِعَ العالَم ومُسَخِّرَ النَّيِّرَيْن هو الله، وأتْبَعَ ذلك ببَسْط الرِّزق وضِيْقَتِه فقال: «الله يَبْسُطُ الرِّزقَ لِمَنْ يَشاء» أي: أنْ يَبْسُطَه «ويَقْدِرُ» لِمَنْ يشاء أن يَقْدِرَه.

والضَّمير في «له» ظاهِرُه العَودُ على مَن يَشاء، فيكون ذلك لواحِدٍ يُبْسَطُ له في وقتٍ ويُقْدَرُ في وقت، ويجوز أن يكون الضَّمير عائداً عليه في اللَّفْظ والمُراد «لمن يَشاء» آخر، فصار نَظير: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ [فاطر: ١١]، أي: من عُمر مُعَمَّرٍ آخر، وقولِهم: عندي دِرهمٌ ونصفُهُ، أي: ونصفُ درهمٍ آخر، فيكون المَبْسوطُ له الرِّزق غيرَ المُضَيَّقِ عليه الرِّزقُ.

---

(١) أخرجه عبد بن حميد في مسنده (المنتخب) (٨١٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٩/٣٠٧٨، والواحدي في أسباب النزول ٣٥٨، والثعلبي في تفسيره ٥/٢٢ من حديث ابن عمر ﵄، وفي إسناده مقال.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٥.

(٣) انظر الأقوال في: معاني القرآن للنحاس ٥/ ٢٣٥، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٣، والماوردي ٤/ ٢٩٣، والزمخشري ٣/ ٢١١، والقرطبي ١٦/ ٣٨٥-٣٨٦، وزاد المسير ٦/ ٢٨٢.

وقرأ عَلْقَمَةُ الحمصي: «ويُقَدِّر» بضمّ الياء وفتح القاف وشدِّ الدَّال(١).

«عليم» يعلم ما يُصْلِحُ العبادَ وما يُفْسِدُهم.

ولمَّا أخبر بأنّهم مُقِرُّون بأن مُوجِدَ العالَم، ومُسَخِّرَ النَّيِّرَيْن، ومُحييَ الأرضَ بعد موتها هو الله؛ كان ذلك الإقرارُ مُلزِماً لهم أنَّ رِزْقَ العبادِ إنما الله هو المُتَكَفِّلُ به، وأمر رسولَه بالحَمْدِ له تعالى؛ لأنَّ في إقرارهم توحيدَ الله بالإبداع، ونَفْيَ الشُّرَكاء عنه في ذلك، وكان ذلك حُجَّةً عليهم حيث أسندوا ذلك إلى الله وعَبدوا الأصنام.

«بل أكثرُهم لا يَعْقِلون» حيثُ يُقِرُّونَ بالصَّانِع الرَّازِق المُحيي، ويَعبدون غيرَه.

«وما هذه الحياةُ الدُّنيا» الإشارةُ بـ «هذه» ازْدِراءٌ للدُّنيا، وتصغيرٌ لأمْرِها، وكيف لا وهي لا تَزِنُ عندَ الله جَناحَ بَعوضة؟ أي: ما هي في سُرعةِ زَوالها عن أهلها وموتهم عنها إلا كما يَلعبُ الصِّبيانُ ساعةً ثم يَتَفَرَّقون.

و«الحَيَوان» والحَياة بمعنى واحد، وهو عند الخليل وسيبويه مَصدر حَيِيَ، والمعنى: لَهي دارُ الحياة، أي: المُسْتَمِرَّةُ التي لا تَنقطع، قال مجاهد: لا موتَ فيها(٢).

وقيل: «الحَيَوان»: الحَيُّ، وكأنَّه أُطلق على الحَيِّ اسمُ المَصْدر، وجُعلت الدَّارُ الآخرةُ حَيًّا على المُبالغة بالوَصْف بالحياة.

وظهورُ الواو في الحَيَوان وفي حَيْوَة ـ عَلَمٌ لرجل ـ استَدلَّ به مَنْ ذهبَ إلى أن لامَ الكلمة واوٌ، ومذهب سيبويه أن لام الكلمة ياءٌ.

ولا حجَّة في حَيِي؛ لأن الواو في مثل هذا التَّركيب تُبدل ياءً لكَسْرِ ما قبلها، نحو: شَقِي من الشِّقْوَة.

ومَنْ ذهب إلى أنّ لامَ الكلمةِ ياءٌ زعم أنّ ظهور الواو في حَيَوان وحَيْوَة بدلٌ من ياء شُذوذاً.

---

(١) مختصر في الشواذ ١١٥، ونقله عن أبي حيان الآلوسي ٢٠/ ٣٩١.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٥، وانظر الكتاب ٤/ ٤٠٩، وأخرج قول مجاهد الطبري ١٨/ ٤٤٠، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٨١.

وجواب «لو» محذوف، أي: لو كانوا يعلمون لم يُؤثروا دارَ الفَناء عليها.

وجاء بناءُ مَصدر حَيِيَ على فَعَلان لأنه يدلُّ على الحرَكةِ والاضْطِراب؛ كالغَلَيان والنَّزَوان واللَّهَبان والجَوَلان والطَّوَفان، والحَيّ كثيرُ الاضطراب والحركة، فهذا البناءُ فيه لكثرةِ الحركة.

ولـمَّا ذَكر تعالى أنهم مُقرُّون بالله إذا سُئلوا: مَن خلَق العالَم، ومَنْ نَزَّل من السماء ماءً؟ ذكر أيضاً حالةً أخرى يَرْجِعون فيها إلى الله، ويُقرُّون بأنه هو الفاعلُ لما يُريد، وذلك حينَ رُكوبِ البحر، واضطرابِ أمواجِهِ، واختلافِ رِياحه.

وقال الزمخشري: فإنْ قلت: بمَ اتّصل قولهُ: «فإذا ركبوا في الفُلك»؟ قلت: بمحذوفٍ دلَّ عليه ما وَصَفهم به وشرَحَ من أمرهم، مَعْناه: على ما وُصفوا به من الشِّركِ والعِناد «فإذا ركبوا في الفُلك دَعَوُا الله مخلصين له الدِّين» كائنينَ في صورة مَنْ يُخْلِص الدِّينَ لله من المؤمنين، حيث لا يَذكرون إلا الله، ولا يَدْعون مع الله إلهاً آخر، وفي «مُخْلِصين» ضَربٌ من التَّهَكُّم. انتهى[(١)].

و«إذا هم يُشركون» جوابُ لَمَّا، أي: فاجَأ التَّنْجِيةَ إشراكُهم بالله، أي: لم يتأخَّرْ عنها ولا وَقْتاً.

والظاهر أن اللام في «لِيَكْفروا» لامَ كي، وعطف عليه «ولِيَتَمتَّعوا» في قراءة مَنْ كسر اللام، وهم العَرَبيّان ونافع وعاصم.

والمعنى: عادوا إلى شركهم ليكفروا، أي: الحامِلُ لهم على الشِّرك هو كُفرُهم بما أعطاهم الله تعالى، وتَلَذُّذهم بما مُتِّعوا به من عَرَضَ الدنيا، بخلاف المؤمنين؛ فإنهم إذا نَجَوا من مثل تلك الشدّة كان ذلك جالبَ شُكرِ الله تعالى، وطاعةً له مُزْدادة.

وقيل: اللام في «ليكفروا، وليَتمتَّعوا» لامُ الأمرِ، ويؤيِّده قراءةُ مَنْ سكَّن لام «وَلْيَتَمتَّعوا» وهم ابن كثير والأعمش وحمزة والكسائي[(٢)]. وهذا الأمر على سبيل التَّهديدِ كقوله: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

---

(١) الكشاف ٣/ ٢١٢.

(٢) انظر في قراءة كسر اللام وتسكينها: السبعة ٥٠٢-٥٠٣، والتيسير ١٧٤، والنشر ٢/ ٣٤٤.

وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف جازَ أن يأمُرَ الله تعالى بالكفر، وبأن يَعملَ العُصاةُ ما شاؤوا وهو ناهٍ عن ذلك ومُتَوَعِّدٌ عليه؟ قلت: هو مَجازٌ عن الخِذْلان والتَّخْلية، وأن ذلك الأمرَ مُتَسَخَّطٌ إلى غاية[١]. انتهى. والتَّخْلية والخِذْلان من ألفاظ المعتزلة.

وقرأ ابن مسعود: «فتَمَتَّعوا فسوف تَعلمون» بالتاء فيهما[٢]، أي: قيل لهم: تمتَّعوا فسوف تعلمون، وكذا في مُصحف أُبيّ[٣].

وقرأ أبو العالية: «فيُمَتَّعوا» بالياء مبنيّاً للمفعول[٤].

ومَن قرأ «ولْيَتَمَتَّعوا» بسكون اللام وكان عنده اللام في «ليكفروا» لامَ كي فالواو عاطفةٌ كلاماً على كلام، لا عاطفة فعلٍ على فعل.

وحكى ابن عطية عن ابن مسعود: «لسوف تعلمون» باللام[٥].

ثم ذَكَّرهم تعالى بنِعَمه[٦] حيث أسكنَهم بلدةً أَمِنوا فيها[٧]، لا يغزوهم أحدٌ ولا يَستلِب منهم، مع كونهم قليلي العَدد، قارِّين في مكانٍ لا زَرْعَ فيه، وهذه من أعظم النِّعم التي كفروها، وهي نعمةٌ لا يَقدر عليها إلا اللهُ تعالى.

وقرأ الجمهور: «يؤمنون، ويكفرون» بالياء فيهما. وقرأ السُّلَمي والحسن بتاء الخطاب فيهما[٨].

---

(١) الكشاف ٣/ ٢١٢.
(٢) نقلها عن أبي حيان السمين في الدر ٩/ ٢٧، وورد في تفسير القرطبي ١٣/ ٣٦٣ (طبعة مصر) أنها قراءة أبي العالية، ووقع في طبعة مؤسسة الرسالة ١٦/ ٣٨٩ تحريف فيها يُصحح من هنا.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٥.
(٤) مختصر في الشواذ ١١٥، ونقله السمين في الدر ٩/ ٢٧.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٥.
(٦) في (ت): بنعمته.
(٧) في (ت): بلدة هم آمنون فيها.
(٨) وهي قراءة عاصم الجحدري أيضاً، انظر مختصر في الشواذ ١١٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٢٥، وزاد المسير ٦/ ٢٨٥.

وافتراؤهم الكذب زَعْمُهم أن لله شريكاً[١]، وتكذيبُهم بالحقّ كُفرُهم بالرسول والقرآن.

وفي قوله: «لما جاءه» إشعارٌ بأنهم لم يَتوقَّفوا في تكذيبه وقتَ مجيءِ الحقّ لهم؛ بخلاف العاقل، فإنه إذا بلغه خبرٌ نظر فيه وفكَّر حتى يتبين له أصِدقٌ أم كَذِب.

و«أليس» تقريرٌ لمقامهم في جهنَّم، كقوله:

ألَسْتُم خيرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا[٢]

و«للكافرين» من وَضْعِ الظَّاهر مَوْضعَ المُضْمَر، أي: مثواهم.

و«الذين جاهَدوا فينا» أطلقَ المُجاهدَةَ ولم يُقَيِّدها بمُتَعَلَّق؛ ليتناولَ المجاهدةَ في النَّفسِ الأمَّارة بالسُّوء، والشّيطانِ، وأعداءِ الدِّين، وما ورد من أقوال العلماء فالمقصودُ بها المِثال، قال ابن عباس: جاهدوا أهواءهم في طاعةِ الله، وشُكرِ آلائه، والصَّبرِ على بلائه.

«لَنَهْدِيَنَّهم سُبُلَنا» لَنَزيدَنَّهم هدايةً إلى سبيل الخير، كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧]

وقال السُّدِّي: جاهدوا فينا بالثَّباتِ على الإيمان، لنَهْدِيَنَّهم سُبُلَنا إلى الجنَّة.

وقال أبو سُليمان الدَّاراني: جاهدوا فيما عَلِموا، لنهدينَّهم إلى ما لم يَعلموا.

وقيل: جاهدوا في الغَزْوِ، لنهدينَّهم سُبُلَ الشَّهادة والمَغْفرة.

وقال ابن عباس: «المُحسنين» المُوَحِّدِين، وقال غيره: المجاهدون.

وقال عبد الله بن المُبارك: مَن اعْتاصَت عليه مسألةٌ فلْيَسأل أهلَ الثُّغور عنها، لقوله تعالى: «لَنَهْدِيَنَّهم سُبُلَنا»[٣].

---

(١) في (ح): شركاء.

(٢) تمامه: وأندى العالمين بطون راح، وهو لجرير، وسلف في تفسير الآية (٦) من سورة البقرة.

(٣) انظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٤، والماوردي ٤/ ٢٩٤-٢٩٥، والزمخشري ٣/ ٢١٣، والقرطبي ١٦/ ٣٩٠، ٣٩١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٢٥، وزاد المسير ٦/ ٢٨٥.

و«الذين» مبتدأ خبرُهُ القَسَمُ المحذوف، وجوابُه: «لَنَهْدينَّهم» وبهذا ونَظيرِه رُدَّ على أبي العباس ثعلب في مَنْعه أن تقعَ جُملةُ القَسَم والمُقْسَم عليه خبراً للمبتدأ، ونظيرُه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ [العنكبوت: ٥٨][1].

(١) انظر شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ١/ ٢٣٨، وشرح التسهيل لابن مالك ١/ ٣١٠، والتذييل والتكميل ٤/ ٢٧، وارتشاف الضرب ٣/ ١١١٥، ومغني اللبيب ٥٢٩، والدر المصون ٩/ ٢٨.
وجاء بعد الآية في نسخة المحمودية (ح): والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب. وانتهى بهذا الجزء منها، وفقد الجزء بعده الذي يتضمن تفسير سورة الروم ولقمان.

سورة الرُّوم(١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي
بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ
يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ
فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ
ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ۝٨ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم
بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٩ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ
أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٠ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ
إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝١١ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝١٢ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ
شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝١٣ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ فَأَمَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ۝١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ۝١٦﴾.

(١) هنا ابتدأ الجزء السابع من نسخة بايزيد، ورمزها (ز٢)، وبدايته: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله عدة للقائه وصلى الله على محمد وآله وسلم.
وابتدأ كذلك الجزء الرابع من النسخة الخديوية، ورمزها (د٢)، وبدايته: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

هذه السورة مكية، قال ابن عطية وغيرُه: بلا خلاف. وقالِ الزمخشري: إلا قوله: «فسُبحان الله»[(١)].

وسبب نزولها: أن كِسرى بعث جيشاً إلى الروم، وأمَّر عليهم رجلاً ـ واختلف النَّقَلَةُ في اسمه ـ فسار إليهم بأهل فارس، فظَفِر وقتل وخَرَّب وقطع زيتونهم ـ وكان التقاؤهم بأذْرِعات وبُصْرى. وكان قد بعث قيصر رجلاً أميراً على الرُّوم، وقال مجاهد: التقت عساكرهم بالجزيرة، وقال السُّدِّي: بأرض الأُرْدُنّ وفلسطين ـ فشقَّ ذلك على المسلمين لكونهم مع الروم أهلَ كتاب، وفرح بذلك المشركون لكونهم مع المَجوس ليسوا بأهل كتاب، وأخبر رسول الله ﷺ أن الرومَ سيَغلبون في بضع سنين، ونزلت أوائل سورةِ الرُّوم، فصاح أبو بكر بها في نواحي مكة: ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۞ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ فقال ناسٌ من مُشركي قريش: زعم صاحبُك أن الرُّوم ستغلب فارسَ في بِضْعِ سنين! أفلا نُراهِنُك على ذلك؟ فقال: بلى ـ وذلك قبل تحريم الرِّهان ـ فاتَّفقوا على أن جعلوا بضع سنين ثلاثَ سنين وثلاث قَلائص، وأخبر أبو بكر رسولَ الله بذلك، فقال: هَلَّا احْتَطْتَ، فارْجع فزِدْهم في الأَجَلِ والرِّهان، فجعلوا القَلائصَ مئةً، والأجلَ تسعةَ أعوام، فظَهرت الرُّومُ على فارسَ في السنة السابعة.

وكان ممَّن راهَنَ أُبيُّ بن خَلَف، فلما أراد أبو بكر الهِجرةَ طلب منه أُبيٌّ كفيلاً بالخَطَر[(٢)] إنْ غُلِبَت، فكَفِل به ابنُه عبد الرحمن، فلما أراد أُبيّ الخروجَ إلى أُحد طَلَبه عبد الرحمن بالكفيل، فأعطاه كفيلاً، ومات أُبيّ من جُرحٍ جرَحَه النبيُّ ﷺ، وظهرت الرُّومُ على فارسَ يومَ الحُدَيْبية ـ وقيل: كان النصر يوم بدرٍ للفريقين ـ فأخذ أبو بكر الخَطَر من ذُرِّيَّة أبي، وجاء به إلى رسول الله ﷺ، فقال له: «تصدَّق به».

وسبب ظُهور الرُّوم: أن كِسرى بعث[(٣)] إلى شَهْرِيزان ـ وهو الذي وَلّاه على مُحاربة الرُّوم ـ أن اقتُلْ أخاك فَرُّخان ـ لمقالةٍ قالها وهي قوله: لقد رأيتُني جالساً على سرير كسرى ـ فلم يقتلْه، فبعث إلى فارس: إني عَزَلتُ شهريزان، ووَلَّيتُ أخاه

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٧، والكشاف ٣/ ٢١٣.
(٢) يعني الرهن.
(٣) في (ز٢): كتب.

فَرُّخان، وكتب إلى فرخان إذا وَلي أن يَقتُل أخاه شهريزان، فأراد قتلَه، فأخرج له شهريزان ثلاثَ صَحائفَ من كسرى يأمرُه بقتلِ فرخان، قال: وراجعتُهُ في أمرك مِراراً، ثم تَقتُلني بكتابٍ واحد، فردَّ المُلْكَ إلى أخيه، وكتب شهريزان إلى قَيْصر مَلكِ الرُّوم، فتعاونا على كسرى، فغلبت الرُّوم فارس، وجاء الخَبر، ففرح المسلمون، وكان ذلك من الآيات البيِّنات الشاهدةِ بصحَّة النبوَّة، وأن القرآن من عند الله؛ لأنها إنباءٌ عن علم الغَيْب الذي لا يَعلمه إلا الله[1].

وقرأ علي وأبو سعيد الخُدري وابن عبّاس وابن عمر ومُعاوية بن قُرَّة والحسن: «غَلَبَت الرُّوم» مبنياً للفاعل «سيُغلبون» مبنياً للمفعول[2].

والجمهور مبنيًّا للمفعول، «سيَغْلِبون» مبنيًّا للفاعل.

وتأويلُ ذلك على ما فَسَّره ابنُ عمر: أن الرُّومَ غَلبت على أدْنى ريفِ الشام، يعني بالرِّيف السَّواد، وجاء كذلك عن عُثمان.

وتأوَّله أبو حاتم على أن الرُّوم غَلَبت يوم بدر، فعَزَّ ذلك على كُفّار قريش، وسُرَّ المسلمون، وبَشَّر الله عبادَه بأنهم سيَغلبون في بضع سنين[3]. انتهى.

فيكون قد أخبر عن الروم بأنهم قد غَلَبوا وبأنهم سيَغْلِبون، فيكون غَلَبهم مرَّتين.

قال ابن عطية: والقراءةُ بضمِّ الغَين أصحُّ، وأجمع الناس على: «سيَغْلِبون» بفتح الياء، يُرادُ به الروم، ورُوي عن ابن عمر أنه قرأ: «سيُغْلَبون» بضمِّ الياء[4]،

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٨/ ٤٤٨-٤٥٨، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٨٦-٣٠٨٧، والثعلبي ٥/ ٢٥-٢٨، والماوردي ٤/ ٢٩٦-٢٩٧، والقرطبي ١٦/ ٣٩٢-٣٩٦، والكشاف ٦/ ٢١٣-٢١٤، وزاد المسير ٦/ ٢٨٦-٢٨٨.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٩، وتفسير الطبري ١٨/ ٤٤٦، ومختصر في الشواذ ١١٦، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٨، والقرطبي ١٦/ ٣٩٦، والكشاف ٣/ ٢١٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٢٧، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٢٤٣، وإعراب القرآن له ٣/ ٢٦١.

(٣) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٧.

(٤) في النسخ: وأجمع الناس على سيغلبون بضم الياء، وهذا سقط بسبب انتقال النظر، والمثبت من المطبوع والمحرر الوجيز ٤/ ٣٢٧.

وفي هذه القراءة قلبُ المعنى الذي تظاهرت به الرِّوايات. انتهى.

وقوله: وأجمعوا؛ ليس كذلك، ألا ترى أن الذين قرؤوا «غَلَبت» بفتح الغين هم الذين قرؤوا «سيُغلَبون» بضمِّ الياء وفتح اللام، وليست هذه مَخْصوصةً بابن عمر.

وقرأ الجمهور: «غَلَبهم» بفتح الغين واللام، وعلي وابن عمر ومعاوية بن قُرَّة بإسكانها[١]، والقياس عن أبي عمرو: «غِلابِهم» على وزن كِتاب[٢].

والرُّوم: طائفةٌ من النَّصارى، و«أدْنى الأرضِ» أقرَبُها، فإنْ كانت الوَقْعَةُ في أذْرِعات فهي أدنى الأرض بالنَّظَر إلى مكة، وهي التي ذكرها امرؤ القيس في قوله:

تَنَوَّرْتُها من أذْرِعاتٍ وأهلُها بيَثْرِبَ أدنى دارِها نَظَرٌ عالِ[٣]

وإنْ كانت بالجزيرة فهي أدْنى بالنَّظَر إلى أرض كسرى. وإنْ كانت بالأردن فهي أدنى بالنَّظَر إلى أرض الرُّوم[٤].

وقرأ الكلبي: «في أداني الأرض»[٥].

وتقدَّم الكلام في مَدلول البِضْع في سورة يوسف [لآية: ٤٢].

والغَلَبُ والغَلْبُ والغِلاب مصادر. ويختلف ما أُضيف إليه المصدر[٦] باعتبار القراءتَين، ففي غُلبت بضمّ الغَين يكون مضافاً للمفعول، وبالفتح يكون مُضافاً للفاعل، ويكون المعنى: سيَغلبُهم المسلمون في بِضْع سنين. وعند انقضاء هذه المدة التي هي أقصى مَدْلول البِضْع أخذ المسلمون في جهاد الرُّوم.

(١) مختصر في الشواذ ١١٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٢٧، وقرأ بها كذلك أبو الدرداء وأبو رجاء وأبو حيوة الشامي ومحمد بن السميفع وعكرمة والأعمش، انظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٨، والقرطبي ١٦/ ٣٩٨، وزاد المسير ٦/ ٢٨٨.

(٢) نقلها عن أبي حيان الآلوسي ٢٠/ ٤٠٤.

(٣) ديوانه ١/ ٣٢٦ (بشرح السكري)، وسلف في تفسير الآية (١٩٨) من سورة البقرة.

(٤) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٧.

(٥) مختصر في الشواذ ١١٦، وقرأ بها أبي بن كعب والضحاك وأبو رجاء وابن السميفع، انظر زاد المسير ٦/ ٢٨٨.

(٦) من قوله: في سورة يوسف... إلى هنا من (ت، ز٢، يه).

وكان شيخُنا الأستاذ أبو جعفر بن الزُّبير يحكي عن أبي الحَكَم بن بَرَّجان أنه استخرج من قوله تعالى: «الم غُلبت الرُّوم» إلى قوله: «في بضع سنين» افتتاحَ المسلمين بيتَ المقدس، مُعَيِّناً زمانه ويومَه، وكان إذ ذاك بيتُ المقدس قد غَلَبت عليه النَّصارى، وأن ابن بَرَّجان مات قبل الوقت الذي كان عيَّنه للفتح، وأنه بعد موته بزمان افتتحه المسلمون في الوقت الذي عَيَّنه أبو الحكم، وكان أبو جعفر يَعتقد في أبي الحكم هذا أنه كان يَطَّلع[1] على أشياء من المُغَيَّبات يَستخرجها من كتاب الله[2].

«لله الأمرُ» أي: إنْفاذُ الأحكام وتصريفُها على ما يريد.

وقرأ الجمهور: «من قبلُ ومن بعدُ» بضمِّهما، أي: من قبل غَلَبة الرُّوم ومن بعدها. ولما كانا مُضافين إلى معرفة وحُذفت بُنيا على الضمِّ، والكلام على ذلك مذكورٌ في علم النَّحو[3].

وقرأ أبو السَّمّال والجَحْدَري وعَوْن عن العُقَيلي: «من قبلٍ ومن بعدٍ» بالكسر والتَّنوين فيهما[4].

قال الزمخشري: على الجرِّ من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه، كأنَّه قيل: قَبْلاً وبَعْداً، بمعنى أولاً وآخراً[5]. انتهى.

وقال ابن عطية: ومن العرب مَنْ يقول: «من قبلٍ ومن بعدٍ» بالخَفْض والتنوين.

---

(١) في (أ، ت، د٢، ز٢): يتطلع، والمثبت من (ع، يه).

(٢) ذكر أبو شامة في الروضتين ٣/ ٣٩٤-٣٩٦ هذا الخبر، ونقل محققه الأستاذ إبراهيم الزيبق عن ابن خلكان ردَّ ذلك، فانظره فإنه نفيس.

(٣) انظر كتاب سيبويه ٢/ ١٩٩، ٣/ ٢٨٦، ٤/ ٢٣٣، والتعليقة ٣/ ١٠٠، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/ ٨٥-٨٨، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٩٦٤-٩٦٦، وشرح التسهيل له ٣/ ٢٤٢، ٢٤٧، وأمالي ابن الشجري ١/ ٢٣٧، ٢/ ٥٩٥، ٣/ ٢١٠، وارتشاف الضرب ١٨١٦-١٨١٧، وشرح الألفية للمرادي ١/ ٤٤٣ (بتحقيق قباوة).

(٤) نقلها الآلوسي عن أبي حيان ٢٠/ ٤١٠.

(٥) الكشاف ٣/ ٢١٤.

قال الفراء: ويجوز تركُ التنوين فيبقى كما هو في الإضافة وإن حُذف المضاف[١]. انتهى.

وأنكر النحَّاس ما قاله الفرَّاء وردَّه وقال: للفراء في كتابه في القرآن أشياءُ كثيرة من الغَلَط، منها أنه زَعم أنه يجوز «من قبلِ ومن بعدِ» وإنما يجوز: «من قبلٍ ومن بعدٍ» على أنهما نكرتان، والمعنى: من مُتَقدِّم ومن مُتَأخِّر[٢].

وحكى الكسائي عن بعض بني أَسَد: «لله الأمرُ من قبلٍ ومن بعدُ» الأول مَخْفوض مُنوَّن، والثاني مضموم بلا تنوين[٣].

والظاهر أن «يومئذٍ» ظرفٌ معمولٌ لـ «يَفْرح»، والتنوين فيه للعِوَضِ من الجملة المحذوفة، أي: ويوم إذ يغلب الروم فارس، يفرح المؤمنون، وعلى هذا المعنى فسَّره المُفَسِّرون.

وقيل: «ويومئذٍ» عطفٌ على «من قبلُ ومن بعدُ» كأنه حَصَر الأزمنةَ الثلاثةَ الماضي والمستقبل والحال، ثم ابتدأ الإخبارَ بفرح المؤمنين بالنَّصر.

«وبنصر الله» أي: الرُّوم على فارس، أو المسلمين على عدوِّهم، أو في أنْ صَدَق ما قاله الرسول من أن الروم ستغلب فارس، أو في أن سَلَّط بعضَ الظالمين على بعض حتى تفانَوا وتناكصوا، احتمالات.

وفي الحديث: «فارس نَطْحَةٌ أو نطحتان، ثم لا فارسَ بعدها أبداً، والرُّوم ذاتُ القرون، كلَّما ذهبَ قَرْنٌ خَلفَ قرنٌ إلى آخرِ الأبَد»[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٨، وانظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٢٠.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٦٣، وتفسير القرطبي ١٦/ ٣٩٩ وفيهما: على أنهما نكرتان قال الزجاج: المعنى من متقدم ومن متأخر، وكلام الزجاج هذا في معاني القرآن له ٤/ ١٧٦، فجعله المصنف أبو حيان من كلام النحاس؟!

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٦٣.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٩٦٨٨)، والحارث في مسنده (٧٠٢) (بغية الباحث)، ونعيم بن حماد في الفتن (١٣٤٦)، والثعلبي في تفسيره ٥/ ٢٩ من حديث عبد الله بن محيريز مرفوعاً، وهو حديث مرسل، توفي ابن محيريز سنة (٩٩ هـ).

وقال ابن عباس: يوم بدر كانت هزيمة عَبَدة الأوثان وعَبَدة النِّيران، وقال معناه أبو سعيد الخُدْري[١].

وقيل: ورد الخبرُ يوم الحديبية بوفاة كسرى، فسُرَّ المسلمون بحرب المشركين، وبموت عدوٍّ لهم في الأرض مُتمكِّن.

«وهو العزيز» بانتقامه من أعدائه «الرَّحيم» لأوليائه.

وانتصب «وَعْدَ الله» على أنه مَصدر مؤكِّدٌ لمضمون الجملة التي تقدَّمت وهو قوله: «سيغلبون» وقولُهُ: «يفرح المؤمنون».

«ولكنَّ أكثرَ النَّاس» الكفَّار من قريش وغيرهم «لا يعلمون» نَفى عنهم العلمَ النَّافع للآخرة، وقد أثْبته لهم بأحوال الدنيا.

قيل: والمعنى لا يعلمون أن الأمور من عند الله، وأن وَعْدَه لا يُخلفه، وأن ما يورِدُه نبيُّه ﷺ حقّ.

«يعلمون ظاهراً» أي: بيِّناً، أي: ما أدَّتْه إليهم حواسُّهم، فكأنَّ علومَهم إنما هي علومُ البهائم.

وقال ابن عباس والحسن والجمهور: معناه: ما فيه الظُّهور والعُلوُّ في الدُّنيا من إتقان الصِّناعات والمباني ومَظانّ كسب المال والفلاحات ونحو هذا.

وقالت فرقة: معناه ذاهباً زائلاً، أي: يعلمون أُمورَ الدنيا التي لا بقاءَ لها ولا عاقبة، وقال الهُذَليّ[٢]:

وعَيَّرها الواشونَ أني أُحبُّها ... وتلك شَكاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها

أي: زائل.

وقال ابن جُبَير: ظاهراً؛ أي: يعلمون من قِبَل الكَهَنة مما تَسْتَرِقُهُ الشياطين.

---

(١) أخرجهما الطبري ١٨/٤٤٩.

(٢) هو أبو ذؤيب، والبيت له في شرح أشعار الهذليين للسكري ١/٧٠، وسلفت قطعة منه في تفسير الآية (٢٢) من سورة الكهف.

وقال الرُّمَّاني: كلُّ ما يُعلَم بأوائل الرُّؤية فهو الظاهر، وما يُعلَم بدليل العقل فهو الباطن[١].

وقال الزمخشري: «يعلمون» بدل من قوله: «لا يعلمون» وفي هذا الإبدال من النُّكتة أنه أبدله منه، وجعله بحيث يقوم مقامَه، ويَسدُّ مسَدَّه؛ ليُعلمَكَ أنه لا فَرْقَ بين عدم العلم الذي هو الجهل، وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدُّنيا.

وقوله: «ظاهراً من الحياة الدنيا» يُفيد أن للدنيا ظاهراً وباطناً، فظاهرُها ما يعرفُه الجُهَّال من التَّمَتُّع بزخارفها، والتنعُّم بمَلاذّها، وباطنُها وحقيقتُها أنها مَجازٌ للآخرة، يُتَزَوَّد منها إليها بالطَّاعة والأعمال الصَّالحة[٢].

«وهم» الثانية توكيدٌ لهم الأولى، أو مبتدأ. وفي إظهارهم على أيّ الوَجهَين كانت تنبيهٌ على غَفْلَتهم التي صاروا مُلْتَبسين بها لا يَنفكُّون عنها.

وفي «أنفسهم» معمولٌ لـ «يتفكروا» إمّا على تقدير مُضاف، أي: في خَلْق أنفسهم ليَخرجوا من الغَفْلَة فيعلموا أنهم يَعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا فقط، ويَستدلُّوا بذلك على الخالق المُخْتَرِع، ثم أخبر عَقِب هذا بأن الحقَّ هو السَّببُ في خلق السَّماوات والأرض، وإمَّا على أن يكون «في أنفسهم» ظَرْفاً للفِكرةِ في خلق السماوات والأرض، فيكون «في أنفسهم» توكيداً لقوله: «يتفكّروا» كما تقول: أبصِرْ بعينِك واسمعْ بأُذُنك[٣].

وقال الزمخشري في هذا الوجه: كأنه قال: أولم يُحدِثوا التَّفكُّرَ في أنفسهم، أي: في قلوبهم الفارغة من الفكر، والفكرُ لا يكون إلا في القلوب، ولكنه زيادةُ تصويرٍ لحال المُتفكِّرين، كقولك: اعتقده في قلبك وأضمِرْه في نفسك.

وقال أيضاً: يكون صِلَةً للتَّفكُّر كقولك: تفكَّرَ في الأمر وأجال فكرَه.

---

(١) الأقوال وبيت الشعر في المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٩، وانظر تفسير الطبري ١٨/ ٤٦١-٤٦٣، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٢٤٥، وتفسير الماوردي ٤/ ٢٩٩-٣٠٠، والقرطبي ١٦/ ٤٠٠، وزاد المسير ٦/ ٢٨٩.

(٢) الكشاف ٣/ ٢١٥.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٩.

و«ما خلق الله» متعلقٌ بالقول المحذوف، معناه: أوَلَمَ يتفكَّروا فيقولوا هذا القول؟ وقيل: معناه: فيعلموا لأن في الكلام دليلاً عليه[١]. انتهى.

والدّليل هو قوله: «أولم يتفكَّروا» وقيل: «أولم يتفكروا» متَّصلٌ بما بعده، ومثلُه: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٤]، ومثله: ﴿وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت: ٤٨]، فتكون في بمعنى الباء، كأنه قال: أولم يتفكّروا بقلوبهم فيعلموا[٢]. انتهى.

ويجوز أن يكون «تفكَّروا» هنا مُعلَّقة، ومُتَعَلَّقها الجملة من قوله: «ما خلق» إلى آخرها[٣]، و«في أنفسهم» ظَرْفٌ على سبيل التأكيد؛ لأن الفكرَ لا يكون إلا في النَّفْس، كما أنَّ الكتابةَ لا تكون إلا باليد.

و«بالحقّ» في موضع الحال، أي: وهي مُلْتَبِسَةٌ بالحقّ مُقترنةٌ به، وبتقدير أجلٍ مُسمّىً لا بُدَّ لها أن تنتهيَ إليه، وهو قيامُ الساعة، ووقتُ الحساب والثَّواب والعقاب، ألا ترى إلى قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، كيف سَمَّى تركَهم غيرَ راجعين إليه عَبَثاً، والمرادُ «بلقاء ربِّهم» الأجلُ المُسمَّى[٤].

وقال ابن عطية: «إلا بالحقّ» أي: بسبب المنافع التي هي حقٌّ واجبٌ، يريد: من الدِّلالة عليه، والعبادةِ له دون فُتور، والانتصاب للعِبرةِ، ومنافع الأرزاق وغير ذلك.

«وأجلٍ» عطف على الحقّ، أي: وبأجلٍ مسمًّى وهو يوم القيامة، ففي الآية إشارةٌ إلى البَعْث والنُّشور، وفسادِ بِنية من في هذا العالَم، ثم أخبر عن كثيرٍ من الناس أنهم كَفَرَةٌ بذلك المعنى، فعبَّر عنها بلقاء الله؛ لأن لقاء الله هو عُظْم الأمر، وفيه النَّجاةُ والهَلَكَة[٥]. انتهى.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢١٥.
(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٨٤.
(٣) ردّ هذا الوجه الآلوسي ٢٠/ ٤١٦ فقال: وأنت تعلم أن التعليق في مثله ممنوع أو قليل.
(٤) الكشاف ٣/ ٢١٥.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٩-٣٣٠.

وقال أبو عبد الله الرازي: قَدَّم هنا دلائلَ الأنْفُسِ على دلائل الآفاق، وفي ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] دلائلَ الآفاقِ على دلائل الأنفُس؛ وحكمة ذلك أن المُفيدَ يَذكرُ الفائدةَ على وجهٍ يَختارُهُ، فإن فُهِمت وإلا انتقل إلى الأبْيَن، والمُستفيد يَفهم أولاً الأبْيَنَ، ثم يَرتقي إلى الأخفى، وفي «أوَلَم يَتفكَّروا» بفعلٍ مُسْنَدٍ إلى السَّامع، فبدأ بما يفهم أولاً، ثم بما يرتقي إليه ثانياً، وفي «سنُريهم» أسند إلى المُفيد فذكر أولاً الآفاق، فإن لم يَفهموا فالأنْفُس إذْ لا ذُهولَ للإنسان عن دَلائلها بخلاف دلائل الآفاق؛ لأنه قد يَذْهَل عنها، وهذا مُراعىً في ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا﴾ [آل عمران: ١٩١] الآية، بدأ بأحوال الأنفس ثم بدلائل الآفاق.

وقال أيضاً هنا: «وإن كثيراً» وقبل «ولكنَّ أكثر الناس» وذلك أنه هنا ذَكر كثيراً بعد ذِكرِ الدَّلائل الواضحة وهما: «أولم يتفكّروا في أنفُسهم» و«ما خلَق الله» والإيمانُ بعد الدَّليل أكثر من الإيمان قبلَه، فبعد ذِكر الدَّليل لا بُدَّ أن يؤمن من ذلك الأكثر جمعٌ، فلا يبقى إلا كثير[1]. انتهى، وفيه تلخيص، ولا يتمُّ كلامهُ الأوّل إلا إذا جَعل «في أنفسهم» محلًّا للتفكُّر، وجعل «ما خلق» أيضاً محلًّا ثانياً.

«أولم يَسيروا في الأرض» هذا تقريرُ توبيخ، أي: قد ساروا ونظروا إلى ما حلَّ بمَن كان قبلهم من مُكَذِّبي الرُّسُل، ووَصَفَ حالَهم من الشدَّة وإثارةِ الأرض وعِمارتها، وأنهم أقوى منهم في ذلك.

قال مجاهد: وأثاروا الأرضَ: حَرَثوها، وقال الفرَّاء: قَلَبوها للزِّراعة، وقال غيرهما: قلبوا وَجْهَ الأرض لاستنباط المياه، واستخراج المعادن، وإلقاء البَذْر فيها للزِّراعة، والإثارةُ: تحريكُ الشيء حتى يرتفعَ تُرابُه[2].

وقرأ أبو جعفر: «وآثاروا الأرضَ» بمَدَّة بعد الهمزة، وقال ابن مجاهد: ليس بشيء، وخَرَّجه أبو الفتح على الإشباع كقوله:

---

(١) التفسير الكبير ٢٥/ ٩٩، وسياقه أوضح مما اختصره المصنف.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٨/ ٤٦٦، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٢٢، وللنحاس ٥/ ٢٤٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٣٠.

ومـــن ذَمِّ الـــزَّمـــانِ بـــمُـــنْـــتَـــزاحِ[١]

وقال: من ضرورة الشعر، ولا يجيء في القرآن[٢].

وقرأ أبو حَيْوَة: «وآثَرَوا» من الأَثَرَة وهو الاستبداد بالشيء.

وقرئ: «وأَثَّروا الأرضَ»[٣] أي: أبقوا منها آثاراً.

«وعَمَروها» من العَمارة، أي: بقاؤهم فيها أكثر من بقاء هؤلاء، أو من العِمْران، أي: سكنوا فيها، أو من العِمارة.

قال الزمخشري: «أكثر مما عَمروها» من عمارة أهل مكة، وأهلُ مكة أهل وادٍ غيرِ ذي زَرْع، ما لهم إثارةُ الأرضِ أصلاً، ولا عِمارةَ لها رأساً، فما هو إلا تهكُّمٌ بهم، وتضعيفُ حالهم في دُنياهم؛ لأن معظمَ ما يَستظهر به أهلُ الدنيا ويَتباهَوْن به أمرُ الدَّهْقَنَةِ، وهم أيضاً ضِعافُ القُوى[٤].

«فما كان الله ليَظْلِمَهم» قبلَه محذوف، أي: فكذَّبوهم فأُهلكوا.

وقرأ الحِرْميّان وأبو عمرو: «ثم كان عاقبةُ» بالرفع[٥] اسماً لكان، وخبرُها «السُّوأى»، أو هو تأنيث الأسْوَأ؛ أفعل من السُّوء. و«أنْ كذَّبوا» مفعول من أجله متعلّق بالخبر لا بأساؤوا، وإلّا كان فيه الفَصْلُ بين الصِّلة ومُتَعلّقها بالخبر وهو لا يجوز، والمعنى: ثم كان عاقبتُهم، فوضع المُظْهَر موضع المُضْمَر السُّوأى، أي: العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة وهي جَهَنّم، ويجوز أن تكون السُّوأى مصدراً على وزن فُعْلى كالرُّجْعى، وتكون خبراً أيضاً، ويجوز أن تكون مفعولاً بأساؤوا بمعنى اقْتَرَفوا، أو صفةَ مصدرٍ محذوف، أي: الإساءةَ السُّوأى، ويكون خبر كان: «أنْ كذَّبوا».

---

(١) صدره: فأنت من الغوائل حين تُرمى، وهو لابن هرمة، وسلف أول استشهاد به في تفسير الآية (١٢٤) من سورة آل عمران.

(٢) قراءة أبي عمرو ورد ابن مجاهد وتخريج أبي الفتح كله من المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٠، وانظر المحتسب ٢/ ١٦٣.

(٣) مختصر في الشواذ ١١٦، وزاد المسير ٦/ ٢٩٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٣٠.

(٤) الكشاف ٣/ ٢١٦.

(٥) التيسير ١٧٤، والسبعة ٥٠٦، والنشر ٢/ ٣٤٤.

وقرأ الأعمش والحسن: «السُّوَّى» بإبدال الهمزة واواً وإدغام الواو فيها[1]؛ كقراءة مَن قرأ «بالسُّوِّ» بالإدغام في «يوسف»[2].

وقرأ ابن مسعود: «السُّوء» بالتذكير[3].

وقرأ الكوفيون وابن عامر: «عاقبةَ» بالنَّصب[4] خبر كان، والاسم «السُّوأى» أو «السُّوأى» مفعول، و«أنْ كذّبوا» الاسم.

وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون «أن» بمعنى أي؛ لأنه إذا كان تفسيرُ الإساءة التَّكذيبَ والاستهزاء كانت في معنى القول، نحو نادى وكتب، ووجهٌ آخر وهو أن يكون «أساؤوا السُّوأى» بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي أسوأ الخَطايات، و«أنْ كَذَّبوا» عطفُ بيانٍ لها، وخبر كان محذوف كما يُحذَف جوابُ لمّا ولو إرادةَ الإبهام[5]. انتهى.

وكون أنْ هنا حرفَ تفسير مُتَكَلَّفٌ جدّاً، وأما قوله: الخطايات[6] فهكذا هو في النّسخة التي طالعناها؛ جَمع جمع التكسير بالألف والتاء، وذلك لا ينقاس، إنما يُقْتصر فيه على مَورد السَّماع، ولا يبعد أن تكون زيادةُ التاء في الخطايات من الناسخ.

وأما قوله: وأنْ كذَّبوا عطف بيانٍ لها، أي: للسُّوأى وخبر كان محذوف إلى آخره؛ فهذا فَهمٌ أعجميّ؛ لأن الكلام مُستَقلٌّ في غاية الحُسْن بلا حذف، فيَتكلَّف له محذوفاً لا يدلُّ دليلٌ عليه، وأصحابُنا لا يُجيزون حذْفَ خبر كان وأخواتها لا اقتصاراً ولا اختصاراً إلا إنْ وَرَدَ منه شيءٌ فلا يَنقاس عليه.

---

(١) ذكر ابن عطية ٤/ ٣٣١ قراءة الحسن، وذكرهما الآلوسي ٢٠/ ٤١٨ عن أبي حيان.
(٢) في الآية (٥٣) منها: «إن النفس لأمارة بالسوء إلا» قال ابن الجزري في النشر ١/ ٣٨٣: أبدل الهمزة الأولى منهما واواً وأدغم الواو التي قبلها فيها: الجمهور من المغاربة وسائر العراقيين عن قالون والبزي.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٣١، وزاد نسبتها إلى الأعمش ورويت عن عثمان بن عفان، انظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٦٦، وزاد المسير ٦/ ٢٩١، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٠٣.
(٤) التيسير ١٧٤، والسبعة ٥٠٦، والنشر ٢/ ٣٤٤.
(٥) الكشاف ٣/ ٢١٦.
(٦) في مطبوع الكشاف: الخطايا.

وقرأ عبد الله وطلحة: «يُبْدِئ» بضمّ الياء وكسْرِ الدَّال[١]، والجمهور بفتحهما.

والأبَوان: «يُرْجَعون» بياء الغيبة، والجمهور بتاء الخطاب[٢]، أي: إلى ثوابه وعقابه.

والجمهور «يُبْلِس» بكسر اللام، وعليّ والسُّلَمي بفتحها[٣]، من أبْلَسه إذا أسْكَتَه.

والجمهور «ولم يكن» بالياء، وخارجة والأريس[٤] كلاهما عن نافع، وابن سنان عن أبي جعفر، والأنطاكي عن شَيبة بتاء التأنيث.

«من شركائهم» من الذين عَبدوهم من دون الله وهي الأوثان، وأُضيْفوا إليهم لأنهم أشركوهم في أموالهم، وقيل: لأنهم اتَّخذوها بزَعْمهم شُركاء لله.

وقال مقاتل: المراد بهم الملائكة شُفَعاء لله كما زَعموا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

«وكانوا» معناه ويكونون عند مُعاينتهم أمرَ الله وفسادَ حال الأصنام، عَبَّر بالماضي لتَيَقُّن الأمر وصِحَّةِ وقوعه.

وكتب ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ بألف قبل الياء، كما كتبوا ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧]، بواو قبل الألف[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٣١.

(٢) الأبوان: أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم، انظر التيسير ١٧٥، والسبعة ٥٠٦، والنشر ٢/ ٣٤٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٣١، وزاد المسير ٦/ ٢٩١، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٠٤.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٢٣، ومختصر في الشواذ ١١٦، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٦٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٣١، وتفسير الثعلبي ٥/ ٣٠، والقرطبي ١٦/ ٤٠٤.

(٤) في (أ، ت، د٢، ز٢، ع): والأدبس، وفي (يه): والأوَليس، ولعل الصواب في ذلك: والقورسي، قال ابن الجزري في غاية النهاية ١/ ١٨٥: أبو بكر القورسي وأخوه، لا أعرفهما، قيل: إنهما قرآ على نافع قراءته وقراءة أبي جعفر. اهـ.
وهذه القراءة التي رواها خارجة وهذا المحرف اسمه شاذة عن نافع، ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٣١ فقال: وروي عن نافع: تكن، بالتاء من فوق.

(٥) انظر الكشاف ٣/ ٢١٦.

والتنوين في «يومئذٍ» تنوينُ عِوضٍ من الجملة المحذوفة، أي: ويومَ تقوم الساعة يومَ إذْ يُبْلِس المجرمون[١].

والضمير في «يَتَفرَّقون» للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه، قاله الزمخشري[٢]. ويَظهر أنه عائدٌ على ما قبله إذ قبله: «الله يبدأ الخلقَ ثم يُعيده»، قال قتادة: هي فُرقةٌ لا اجتماعَ بعدَها[٣].

«في رَوْضةٍ» الرَّوْضَةُ: الأرضُ ذاتُ النَّبات والماء، وفي المَثَل: أحسنُ من بَيْضةٍ في رَوْضة؛ يريدون بَيْضَ النَّعَامَة[٤]، والرَّوضةُ مما تُعجِب العرب، وقد أكثروا من مَدْحها في أشعارهم.

«يُحْبَرون» يُسَرُّون، حَبَره: سَرَّه سُروراً تَهَلَّلَ له وَجْهُه، وظَهَر له أثَرُهُ، يَحْبُرُ بالضمّ حَبْراً وحَبْرَةً وحُبوراً، وفي المثَل: امتلأتْ بيوتُهم حَبْرَة فهم ينتظرون العَبْرَة[٥].

وحكى الكسائي: حَبَرْتُه: أكْرَمْتُهُ ونَعَّمتُه.

وقال عليّ بن سليمان: هو من قولهم: على أسنانه حَبْرَة؛ أي: أثَرٌ، أي: يَبِيْنُ عليهم أثرُ النِّعمة.

وقيل: من التَّحبير وهو التَّحسين، أي: يُحْسِنون.

ويقال: فلانٌ حَسَنُ الحَبْر والسَّبْر ـ بالفتح ـ إذا كان جميلاً حسنَ الهَيْئة[٦].

وما فُسِّر به الحُبور هو على سبيل التمثيل. قال قتادة: يُنَعَّمون، وقال ابن عبَّاس والضحَّاك ومجاهد: يُكْرَمون، وقال يحيى بن أبي كثير والأوزاعي ووكيع: يسمعون

(١) رده الآلوسي في تفسيره ٢٠/ ٤٢٢.
(٢) في الكشاف ٣/ ٢١٦.
(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٤٧٠، والكشاف ٣/ ٢١٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٣١.
(٤) الكشاف ٣/ ٢١٧، والمثل في جمهرة الأمثال ١/ ٣٣٩، والمستقصى ١/ ٦٧، ومجمع الأمثال ١/ ٢٢٩، والدرة الفاخرة ١/ ١٣٤.
(٥) مجاز القرآن لمعمر ٢/ ١٢٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٣١.
(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٦٨، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٠٦.

الأغاني، وقال أبو بكر بن عَيَّاش: يُتَوَّجون على رؤوسهم. وقال ابن كَيْسان: يُحَلَّون[١].

ومعنى «مُحْضَرون»: مَجموعون له، لا يغيب أحدٌ منهم عنه لقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧].

وجاء «في رَوْضةٍ» مُنَكَّراً، و«في العذاب» مُعَرَّفاً، قال الزمخشري: والتَّنكير لإبْهام أمرِها وتَفْخيمِهِ[٢].

وجاء «يُحْبَرون» بالفعل المضارع لاستعماله للتَّجَدُّد؛ لأنهم كلَّ ساعة يأتيهم ما يُسَرُّون به من مُتَجَدِّدات المَلاذّ وأنواعِها المختلفة، وجاء «مُحْضَرون» باسم الفاعل لاستعماله للثُّبوت، فهم إذا دَخلوا العذابَ يَبْقَون فيه مُحْضَرِين؛ فهو وَصْفٌ لازِمٌ لهم[٣].

❁ ❁ ❁

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

(١) انظر تفسير الطبري ١٨/ ٤٧١-٤٧٣، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٢٤٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ٣١-٣٣، والماوردي ٤/ ٣٠٢، والقرطبي ١٦/ ٤٠٦-٤٠٧، والكشاف ٣/ ٢١٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٣١-٣٣٢، وزاد المسير ٦/ ٢٩٣.

(٢) الكشاف ٣/ ٢١٧.

(٣) التفسير الكبير ٢٥/ ١٠٣.

لمَّا بَيَّن تعالى عظيمَ قُدرته في خَلْق السَّماوات والأرض بالحقّ ـ وهي حالةُ ابتداء العالَم ـ وفي مصيرهم إلى الجنَّة والنار ـ وهي حالةُ الانتهاء ـ أمر تعالى بتنزيهه من كلِّ سُوء، والظَّاهر أنه أمر عبادَه بتَنْزيهه في هذه الأوقات لما يَتجدَّد فيها من النِّعَم، ويحتمل أن يكون كِنايةً عن استغراق زمان العبد، وهو أن يكون ذاكراً ربَّه واصِفَه بما يجبُ له على كلِّ حال.

وقال الزمخشري: لمَّا ذَكر الوَعْد والوَعيد أتبعه ذِكرَ ما يُوصل إلى الوَعْد، ويُنجي من الوَعيد[١].

وقيل: المُرادُ هنا بالتَّسبيح: الصَّلاة، فعن ابن عباس وقتادة: المغرب والصُّبح والعصر والظّهر، وأما العشاء ففي قوله: ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾ [هود: ١١٤].

وعن ابن عباس: الخَمْس، وجعل «حين تُمْسون» شاملاً للمغرب والعشاء[٢].

«وله الحَمْدُ في السَّماوات والأرض» اعتراضٌ بين الوَقْتَين، ومعناه: أن الحمدَ واجبٌ على أهلِ السَّماوات وأهلِ الأرض.

وكان الحسن يذهب إلى أنّ هذه الآية مدنيَّة؛ لأنه كان يقول: فُرضت الخَمْسُ بالمدينة.

وقال الأكثرون: بل فُرضت بمكة[٣].

وفي «التحرير» اتَّفق المفسِّرون على أن الخَمْس داخلةٌ في هذه الآية، وعن ابن عباس: ما ذُكِرت الخمسُ إلا فيها.

وقدَّم الإمْساءَ على الإصْباح كما قدَّم في قوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ [الحج: ٦١]، والظُّلُمات على النُّور[٤].

---

(١) الكشاف ٣/ ٢١٧.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٨/ ٤٧٤، ٤٧٥، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٢٤٩، وتفسير الثعلبي ٥/ ٣٣، والماوردي ٤/ ٣٠٣، والقرطبي ١٦/ ٤٠٨-٤٠٩، والكشاف ٣/ ٢١٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٣٢.

(٣) الكشاف ٣/ ٢١٧.

(٤) في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام: ١].

وقابل بالعَشيِّ الإمساءَ، وبالإظْهارِ الإصباحَ لأن كلًّا منهما يُعْقَب بما قابلَه؛ فالعَشيُّ يُعْقِبه الإمساء، والإصباحُ يُعْقِبه الإظْهار.

ولمّا لم يُصْرَف من العَشِيِّ فعلٌ - لا يُقال: أعْشى كما يُقال أمسى وأصْبح وأظْهَر - جاء التَّركيبُ: «وعَشيًّا».

وقرأ عكرمة: «حيناً تُمسون وحيناً تُصبحون» بتنوين حين[١]؛ فالجملة صفةٌ حُذف منها العائد، تقديرُه: تُمسون فيه وتُصبحون فيه.

ولما ذَكر الإبْداءَ والإعادةَ ناسَب ذكره «يُخرج الحيَّ من الميِّت»، وتقدَّم الكلام على هذه الآية في «آل عمران» [الآية: ٢٧].

«وكذلك» أي: مثلُ ذلك الإخراج، والمعنى: تساوي الإبداءِ والإعادةِ في حقِّه تعالى.

وقرأ الجمهور: «تُخْرَجون» بالتاء المضمومة مبنيًّا للمفعول. وفرقةٌ بالياء مبنيًّا للمفعول، وابنُ وَثَّاب وطَلْحة والأعمش بفتح تاء الخطاب وضمِّ الرَّاء[٢].

ثم ذكر تعالى آياتِهِ من بَدْء خَلْقِ الإنسان آيةً آية إلى حين بَعْثِه من القبر فقال: «ومن آياته أنْ خَلَقَكم من تُرابٍ» جَعل خلْقَهم من تراب حيث كان خَلَق أباهم آدمَ من تُراب.

«وتَنتشِرون» تَتَصَرَّفون في أغْراضكم وأسْفاركم، و«إذا» للمفاجأة.

ولما كان بين الخلْق وبين الإنشاء رُتَبٌ أُخَر كان العطف[٣] بثُمَّ المُقْتَضية المُهْلَةَ والتَّراخي.

ونبَّه تعالى على عظيم قُدْرته بخَلْق الإنسان من تُراب، وهو أبعدُ الأشياء عن

(١) المحتسب ٢/ ١٦٣، ومختصر في الشواذ ١١٦، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٦٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٣٢، والكشاف ٣/ ٢١٧، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤١٠.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٣، وقرأ بفتح تاء المضارع وضم الراء: حمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان، انظر التيسير ١٧٥، والسبعة ٥٠٦، والنشر ٢/ ٢٦٧، وزاد المسير ٦/ ٢٩٤.

(٣) من قوله: وأسفاركم. . . إلى هنا من (أ، ز٢، يه).

دَرجة الإحياء لأنه باردٌ يابس، والحياة بالحرارة والرُّطوبة، وكَدِرٌ والرُّوح نيِّر، وثَقيلٌ والرُّوحُ خَفيفٌ، وساكنٌ والحيوانُ مُتحرِّكٌ إلى الجِهات الستّ، والتُّراب أبعدُ من قَبول الحياة من سائر الأجسام(١).

«من أنفسكم» فيها قولان: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، إمّا كونُ حَوَّاء خُلقت من ضِلَع آدم، وإمَّا من جنْسكم ونَوعِكم.

وعلّل خلقَ الأزواج بالسُّكون إليها وهو الإلْف، فمتى كان من الجِنْس كان بينهما تآلُفٌ، بخلاف الجِنْسَيْن فإنه يكون بينهما التَّنافرُ، وهذه الحكمةُ في بَعْث الرُّسُل من جنس بني آدم، ويُقال: سَكنَ إليه: مال، ومنه السَّكَن؛ فَعَل بمعنى مَفْعول.

«مَودّةً ورَحْمةً» أي: بالأزْواج بعد أن لم تكن سابقةُ تَعارُفٍ تُوجِبُ التَّوادّ.

وقال مجاهد والحسن وعكرمة: المَوَدَّةُ: النِّكاح، والرَّحْمَةُ: الوَلد، كَنَى بذلك عنهما.

وقيل: مَودَّةٌ للشَّابَّة ورحمةٌ للعجوز. وقيل: مودَّةٌ للكبير ورحمةٌ للصغير، وقيل: هما اشتِباكُ الرَّحِمِ. وقيل: المودَّةُ من الله، والبُغضُ من الشَّيطان(٢).

«واختلافُ ألْسِنَتكم» أي: لُغاتِكم، فمَن اطَّلع على لُغاتٍ رأى من اختلاف تراكيبها وقوانينها مع اتِّحاد المَدْلول عجائبَ وغَرائبَ في المُفردات والمُرَكَّبات.

وعن وَهْب أنَّ الألْسنةَ اثنان وسبعون لساناً، في ولَد حام سَبْعةَ عَشَر، وفي ولد سام تسعةَ عشر، وفي ولَد يافث ستَّة وثلاثون(٣).

وقيل: المُراد باللّغات: الأصواتُ والنَّغَم(٤).

وقال الزمخشري: الألسنة: اللُّغاتُ وأجْناسُ النُّطْق وأشكالُهُ، خالف عزّ وجل

---

(١) التفسير الكبير ٢٥/١٠٨.
(٢) انظر معاني القرآن للنحاس ٥/٢٥٣، وتفسير الماوردي ٤/٣٠٥، والقرطبي ١٦/٢١٤، والمحرر الوجيز ٤/٣٣٣، والكشاف ٣/٢١٨.
(٣) تفسير الماوردي ٤/٣٠٦.
(٤) تفسير الماوردي، وزاد المسير ٦/٢٩٥.

بين هذه الأشياء حتى لا تَكادُ تسمعُ مَنْطقَين مُتَّفقَين في هَمْسٍ واحد، ولا جَهارةٍ ولا حِدَّة ولا رَخاوةٍ ولا فَصاحة ولا لُكْنَة، ولا نَظْمٍ ولا أُسلوب، ولا غير ذلك من صِفات النُّطق وأحوالِه[١]. انتهى.

«وألوانِكم» السَّوادُ والبَياضُ وغيرُهما، أو الأنواع والضُّروب بتَخْطيط الصُّوَر، ولولا ذلك الاختلافُ لوَقَع الالتباس، وتعطَّلت مصالحُ كثيرةٌ من المعاملات وغيرها، وفيه آيةٌ بَيِّنة؛ حيث فُرِّعوا من أصلٍ واحدٍ وتباينوا في الأشكال على كثرتهم.

وقرأ الجمهور: «للعالَمين» بفتح اللام لأنَّها في نفسها آيةٌ منصوبة للعالَم.

وقرأ حفص وحَمَّاد بن شُعيب عن أبي بكر، وعَلْقمة عن عاصم، ويونس عن أبي عمرو بكسر اللام[٢]، لأن المُنْتَفِعَ بها إنّما هم أهلُ العلم كقوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

والظَّاهر أن «بالليل والنهار» متعلِّقٌ بمنامكم، فامتنَّ تعالى بذلك؛ لأن النهار قد يُنام فيه، وخصوصاً مَن كان مُشتغلاً في حوائجه بالليل.

«وابتغاؤكم من فضله» أي: فيهما، أي: في الليل والنهار معاً؛ لأن بعض الناس قد يَبتغي الفَضْلَ[٣] بالليل كالمسافرين والحرَّاس بالليل وغيرهم.

وقال الزمخشري: هذا من باب اللفّ، وترتيبُه: ومن آياته منامُكم وابتغاؤكم [من فضله] بالليل والنهار، [إلا أنَّه] فصَل بين القرينَيْن الأوّلين بالقرينين الآخرين لأنهما زمانان، والزّمانُ والواقعُ فيه كشيءٍ واحد، مع إعانةِ اللّفّ على ذلك.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢١٨.

(٢) الذي في كتب القراءات والتفسير أن القارئ بكسر اللام حفص عن عاصم، وأما التفصيل الذي ذكره أبو حيان فلم أقف عليه، انظر: السبعة ٥٠٦-٥٠٧، والتيسير ١٧٥، وجامع البيان للداني ٢/ ٣٤١، ومعاني القراءات للأزهري ٢/ ٢٦٤، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٤٤، وإعراب القراءات السبع لابن خالويه ٢/ ١٩٤، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢/ ١٨٣، والعنوان في القراءات السبع ١٥١، والتذكرة في القراءات الثمان لابن غلبون ٢/ ٧٦، وتحبير التيسير ١٦١، والنشر ٢/ ٣٤٤ وتفسير الثعلبي ٥/ ٣٥، والماوردي ٤/ ٣٠٦، والقرطبي ١٦/ ٤١٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٣٣، وزاد المسير ٦/ ٢٩٦.

(٣) في (أ): العقل، وفي المطبوع: العقل، والمثبت من (ز٢، يه).

ويجوز أن يُراد: منامُكم في الزَّمانين وابتغاؤكم من فضله فيهما. والظّاهر هو الأول لتكرُّره في القرآن، وأسَدُّ المعاني ما دلَّ عليه القرآن(١).

وقال ابن عطية: وقال بعض المفسِّرين: في الكلام تقديم وتأخير، وهذا ضعيف، وإنَّما أراد أن تَرتُّب النوم لليل والابتغاء للنهار، ولفظُ الآية لا يُعطي ذلك(٢).

«ومن آياته يُريكم البَرْقَ خَوفاً وطَمَعاً» إمّا أن يتعلّق من آياته بيُريكم، فيكون في موضع نَصْب ومن لابتداء الغاية، أو يكون يُريكم على إضمار أنْ، كما قال:

ألا أيُّهذا الزَّاجري أحضُرُ الوَغى(٣)

برفع أحضُر، والتقدير: أن أحضُرَ، فلما حذف أنْ ارتفع الفعل. وليس هذا من المواضع التي تُحذف منها أنْ قياساً.

أو على إنزال الفعل منزلَةَ المصْدر من غير ما يَسْبكه له، كما قال الخليل في قوله:

أُريدُ لِأَنْسى حُبَّها(٤)

أي: إرادَتي لأنسى حُبَّها، فيكون التقدير في هذين الوَجْهين: ومن آياته إراءَتُه إيّاكم البَرْقَ، فمن آياته في موضع رفع على أنه خبر المبتدأ.

وقال الرُّماني: يحتمل أن يكون التقدير: ومن آياته آيةٌ يُريكم البَرْقَ بها، وحذف لدلالة «من» عليها، كما قال الشاعر:

(١) الكشاف ٣/ ٢١٨ وما بين معكوفين منه.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٣.

(٣) تمامه: وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي، وهو من معلقة طرفة، انظر ديوانه ٣١ بشرح الشنتمري، وسلف في تفسير الآية (٨٣) من سورة البقرة.

(٤) تمامه: فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيلِ، وهو لكثير عزة، انظر ديوانه ١٠٨ (بتحقيق إحسان عباس)، وسلف في تفسير الآية (١٨٥) من سورة البقرة.

وما الدّهرُ إلا تارتان فمنهما أموتُ وأُخرى أبتغي العَيْشَ أكْدَحُ

أي: فمنهما تارةٌ أموت، و«من» على هذه الأوجه الثلاثة للتَّبعيض[١].

وانتصب «خوفاً وطَمَعاً» على أنهما مَصدران في موضع الحال، أي: خائفين وطامعين.

وقيل: مفعول من أجله، وقاله الزّجاج[٢]، وأجازه الزمخشري على تقدير إرادة خوفٍ وطمع؛ فيتَّحد الفاعل في العامل والمحذوف، ولا يصحُّ أن يكون العامل «يُريكم» لاختلاف الفاعل في العامل والمصدر.

وقال الزمخشري: المفعولون فاعلون في المعنى لأنهم راؤون مكانه، فكأنه قيل: يَجْعلكم رائين البرقَ خوفاً وطمعاً[٣]. انتهى.

وكونه فاعلاً قبل همزة التَّعدية لا يُثبت له حُكمَه بعدها، على أن المسألة فيها خلاف؛ مذهب الجمهور اشتراطُ اتِّحاد الفاعل، ومن النَّحويين مَن لا يشترطه. ولو قيل على مذهب مَنْ يشترطه إن التَّقدير: يُريكم البَرْقَ فترونه خوفاً وطمعاً، فحذف العامل للدِّلالة لكان إعراباً سائغاً واتَّحد فيهما الفاعل.

وقال الضحاك: خوفاً من صَواعقه وطَمعاً في مَطَره.

وقال قتادة: خوفاً للمُسافر، وطَمعاً للمُقيم.

وقيل: خوفاً أن يكون خُلَّباً، وطمعاً أن يكون ماطراً، وقال الشاعر:

لا يكنْ بَرْقُك بَرْقاً خُلَّباً إنّ خيرَ البَرْقِ ما الغيثُ مَعَهْ[٤]

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٤، والبيت لتميم بن أبي بن مقبل، انظر ديوانه ٢٤، وسلف في تفسير الآية (٤٦) من سورة النساء.

(٢) ومعاني القرآن ٤/ ١٨٢.

(٣) الكشاف ٣/ ٢١٩، وفيه الوجهان اللذان نقلهما عنه أبو حيان.

(٤) نسب البيت لأبي الأسود الدؤلي، ولأنس بن زنيم، ولعبد الله بن كريز، انظر ديوان أبي الأسود ٨٣، والأغاني ٨/ ٣٩٢، والحماسة البصرية ٨٠٧ (طبعة الخانجي)، وخزانة الأدب ٦/ ٤٧١.

وقال ابن سلّام: خوفاً من البَرْد أن يُهلك الزَّرعَ، وطمعاً في المطر أن يُحييَه[١].

«ومن آياته أنْ تقوم» أي: تَثْبُتَ وتَمْتَسِك مثل: ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ [البقرة: ٢٠] أي: ثَبَتوا.

«بأمره» أي: بإرادته.

وإذا الأولى للشَّرط، والثانية للمُفاجأة جواب الشَّرط، والمعنى: أنه لا يتأخَّر طَرْفَةَ عينٍ خروجُكم عن دُعائه؛ كما يُجيب الدَّاعي المُطيع مَدْعُوَّه كما قال الشاعر:

دعوتُ كُليباً دَعوةً فكأنَّما   دَعوتُ قَرِيْنَ الطَّوْدِ أو هو أسْرعُ[٢]

قَرين الطَّود: الصَّدى أو الحَجَر إذا تَدَهْدى، والطَّود: الجَبَل.

و«الدَّعوة» البَعْث من القبور.

و«من الأرض» يتعلَّق بـ «دَعاكم»، و«دَعْوة» أي: مَرَّة؛ فلا يحتاج إلى تكرير دعا لسُرعة الإجابة. وقيل: «من الأرض» صفةٌ لدَعوة.

وقال ابن عطية: و«من» عندي هنا لانتهاء الغاية، كما تقول: دَعوتُك من الجَبَل؛ إذا كان المَدْعُوُّ في الجبل[٣] انتهى.

وكون «من» لانتهاء الغاية قولٌ مَردودٌ عند أصحابنا.

وعن نافع ويعقوب أنهما وقفا على «دَعْوة» وابتدأا «من الأرض إذا أنتم تَخرُجون»[٤] عَلّقا «من الأرض» بـ «تَخرُجون»، وهذا لا يجوز لأنَّ فيه الفَصْلَ بين الشَّرط وجَوابه بالوقف على «دعوةً»، وفيه إعمالُ ما بعد إذا الفُجائية فيما قبلَها؛ وهو لا يجوز.

---

(١) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٨/ ٤٨٠، والماوردي ٤/ ٣٠٧، والقرطبي ١٦/ ٤١٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٣٤.
(٢) البيت دون نسبة في الكشاف ٣/ ٢٢٠، والمستقصى ١/ ١٦٤، وأساس البلاغة (طود)، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤١٥.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٤.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٤.

وقال الزمخشري: وقوله «إذا دعاكم» بمنزلة قوله: «يُريكم» في إيقاع الجملة مَوْقعَ المُفْرَد على المعنى، كأنه قال: ومن آياته قيامُ السَّماواتِ والأرض، ثمَّ خُروجُ الموتى من القبور إذا دعاهم دعوةً واحدةً: يا أهلَ القبور اخرجوا، وإنّما عَطف هذا على قِيام السماوات والأرض بثمَّ بياناً لعظيم ما يكون من ذلك الأمر واقتدارِهِ على مثله؛ وهو أن يقول: يا أهلَ القبور قوموا، فلا تبقى نَسَمَةٌ من الأوَّلين والآخِرين إلا قامت تَنظُر[١]. انتهى.

وقرأ حمزة والكسائي: «تَخْرُجون» بفتح التاء وضمّ الراء، وباقي السَّبعة بضمِّها وفتح الراء[٢].

وبدأ أوّلاً من الآيات بالنَّشْأة الأولى؛ وهي خَلْق الإنسان من التُّراب، ثم كونه بَشَراً مُنْتَشراً، وهو خلْقُ حيٍّ من جَماد، ثـم أتبعه بأنْ خلقَ له من نفسه زَوْجاً، وجعل بينهما توادَّ ورحمة، وذلك خلقُ حيٍّ من عضوِ حيّ، وقال: «لقومٍ يتفكّرون» لأن ذلك لا يُدْرَك إلا بالفكر في تأليفِ بين شيئين لم يكن بينهما تعارُفٌ، ثم أتبعه بما هو مُشاهَدٌ للعالَم كلِّهم؛ وهو خلقُ السماوات والأرض، واختلافُ اللغات والألوان، والاختلافُ من لوازم الإنسان لا يُفارقه، وقال: «للعالَمين» لأنها آيةٌ مكشوفةٌ للعالَم.

ثم أتبعه بالمنام والابتغاء، وهما من الأمور المُفارِقة في بعض الأوقات، بخلاف اختلاف الألسنة والألوان.

وقال: «لقومٍ يَسمعون» لأنه لمّا كان من أفعال العباد قد يُتوهَّم أنه لا يحتاج إلى مُرشِد، فنبَّه على السَّماع وجعل البال من كلام المُرشِد.

ولما ذكر عَرَضيَّات الأنفُس اللازِمة والمفارِقة ذكر عَرَضيَّات الآفاق المفارِقة من إراءَةِ البَرْقِ، وإنزالِ المطر، وقدَّمَهما على ما هو من الأرض ـ وهو الإنباتُ والإحياء ـ كما قدَّم السماوات على الأرض، وقدَّم البَرْقَ على الإنزال لأنه كالمُبَشِّر يجيءُ بين يدي القادِم، والأعراب لا يَعلمون البلاد المُعْشِبة إنْ لم يكونوا قد رَأوا

(١) الكشاف ٣/ ٢١٩-٢٢٠.
(٢) التيسير ١٧٥، والنشر ٢/ ٢٦٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٣٤.

البُروقَ اللَّائحة من جانب إلى جانب، وقال: «لقومٍ يَعْقلون» لأن البرقَ والإنزال ليس أمراً عاديًّاً فيُتَوَهَّم أنه طبيعة، إذ قد يقع ذلك ببلدةٍ دون أُخرى، ووقتاً دون وقت، وقويًّاً وضعيفاً، فهو أظْهَرُ في العقلِ دِلالةً على الفاعل المُختار فقال: هو آيةٌ لمَن عَقَل وإنْ لم يتفكَّر تَفَكُّراً تامَّاً.

ثم ختم هذه الآيات بقيام السَّماوات والأرض؛ وذلك من العَوارِضِ اللَّازمة، فإن كلًّا من السماء والأرض لا يَخرج عن مكانه، فيُتَعَجَّب من وقوفِ الأرضِ وعدمِ نزولها، ومن عُلوِّ السماء وثباتِها من غير عَمَد.

ثم أتبع ذلك بالنَّشْأة الأخرى[1] وهي الخُروج من الأرض.

وذكر تعالى من كل بابٍ أمرَيْن؛ من الأنْفُس: خلَقَكم وخَلَق لكم، ومن الآفاق: السماء والأرض، ومن لَوازم الإنسان اختلافَ الألْسِنة واختلافَ الألوان، ومن عَوارضه: المنام والابتغاء، ومن عَوارض الآفاق: البَرْقَ والمطر، ومن لوازمها: قيامَ السّماء وقيامَ الأرض[2].

❁ ❁ ❁

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ
وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم
مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ
تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ
لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا
تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ
فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

---

(١) في (ز٢): الآخرة.

(٢) اختصر أبو حيان كلام الفخر الرازي، فانظره في تفسيره بأوضح وأبسط مما هنا ٢٥/ ١٠٨-١١٥.

«مَن في السّماوات والأرض» عامٌّ في كونهم تحت مُلْكه وقَهْره.

وقال الحسن «قانتون» قائمون بالشَّهادة على وَحْدانيَّته؛ كما قال الشاعر(١):

وفـــي كـــلِّ شـــيءٍ لـــه آيـــةٌ تـــدلُّ عـــلـــى أنَّـــه واحـــدُ

وقال ابن عباس: مُطيعون، أي: في تصريفه، لا يمتنع عليه شيءٌ يريد فعلَه بهم من حياةٍ وموت، وصِحَّةٍ ومرض، فهي طاعةُ الإرادة لا طاعة العبادة.

وقيل: قائمون يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

وإذا حُمل القنوتُ على الإخلاص - كما قال ابنُ جُبير - أو على الإقرار بالعُبودية، أو قانتون من مَلِكٍ ومؤمن: كان «كلٌّ» عامًّا مَخصوصاً(٢).

«وهو أهْونُ عليه» أي: والعَوْدُ أهْونُ عليه. وليست «أهون» أفعُل تفضيل، لأنه لا تفاوتَ عند الله في النَّشأتين: الإبداء والإعادة، فلذلك تأوَّله ابنُ عباس والرَّبيع بن خُثَيْم على أنه بمعنى هَيِّن، وكذا هو في مصحف عبد الله(٣).

والضمير في «عليه» عائد على الله.

وقيل: «أهْوَنُ» للتَّفْضيل، وذلك بحَسب مُعْتَقَد البشر، وما يُعطيهم النَّظَرُ في المُشاهَد من أنَّ الإعادةَ في كثيرٍ من الأشياء أهونُ من البَداءة، للاستغناء عن الرَّوِيَّة التي كانت في البَداءة، هذا وإنْ كان الاثنان عنده تعالى من اليُسْرِ في حَيِّزٍ واحد.

وقيل: الضمير في «عليه» عائدٌ على الخَلْق، والعَوْدُ أهْوَنُ على الخَلْق، بمعنى أسْرع؛ لأن البَداءة فيها تدريجٌ من طَوْرٍ إلى طَوْر إلى أنْ يَصير إنساناً، والإعادةُ لا تحتاج إلى هذه التَّدريجات في الأطوار، إنَّما يدعوه الله فيَخرج، فكأنه قال: وهو أيْسَرُ عليه، أي: أقْصَرُ مُدَّةً وأقلُّ انتقالاً.

---

(١) أبو العتاهية، والبيت في ديوانه ١٠٤، وسلف في تفسير الآية (٣٨) من سورة البقرة.

(٢) انظر الأقوال السالفة في تفسير الطبري ١٨/ ٤٨٣-٤٨٤، والماوردي ٤/ ٣٠٨-٣٠٩، والقرطبي ١٦/ ٤١٦-٤١٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٣٥.

(٣) أي: ابن مسعود، انظر تفسير عبد الرزاق ٢/ ١٠٢، والطبري ١٨/ ٤٨٥-٤٨٦، والماوردي ٤/ ٣٠٩-٣١٠، والثعلبي ٥/ ٣٦، والقرطبي ١٦/ ٤١٧-٤١٨، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٢٥٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٣٥.

وقيل: المعنى: وهو أهْونُ على المخلوق، أي: أنْ يُعيدَ شيئاً بعد إنشائه، فهذا عُرْفُ المخلوقين، فكيف تُنكرون أنتم الإعادةَ في جانب الخالق؟!

قال ابن عطية: والأظْهرُ عندي عَوْدُ الضَّمير على الله تعالى، ويؤيّده قوله تعالى: «وله المثَلُ الأعلى» لمَّا جاء بلفظٍ فيه استعارةٌ واستشهادٌ بالمخلوق على الخالق، وتشبيهٌ بما يَعْهَدُهُ الناسُ من أنفُسهم خَلَّص جانبَ العَظَمةِ بأن جَعل له المثَلَ الأعلى الذي لا يَتَّصل به تكييفٌ ولا تماثُلٌ[1] مع شيء. انتهى.

وقال الزمخشري: فإن قلت: لمَ أُخِّرت الصِّلةُ في قوله: «وهو أهْوَنُ عليه» وقُدِّمَت في قوله: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم: ٩]؟ قلت: هنالك قُصِدَ الاختصاص وهو مَحَزُّه[2] فقيل: «هو عليَّ هَيِّن»؛ وإن كان مُسْتَصعَباً عندك أن يُولَد بين هِمٍّ[3] وعاقر، وأمَّا ههنا فلا معنى للاختصاص، كيف والأمرُ مَبنيٌّ على ما يَعقلون من أنّ الإعادةَ أسْهَلُ من الابتداء؟ فلو قُدِّمت الصِّلةُ لتغيَّر المعنى[4]. انتهى.

ومَبنى كلامِه على أنَّ تقديم المعمول يُؤذِن بالاختصاص، وقد تكلَّمنا معه في ذلك ولم نُسلِّمْه في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥][5].

«وله المثَلُ الأعلى» قيل: هو مُتعلّقٌ بما قبله - قاله الزجّاج - وهو قوله: «وهو أهْون عليه» قد ضَرَبه لكم مَثَلاً فيما يَسْهُل أو يَصْعُب[6].

وقيل: بما بعده من قوله: «ضَرَب لكم مَثَلاً من أنفُسكم».

وقيل: المَثَلُ: الوَصْفُ الأرفَعُ الأعلى الذي ليس لغيره مثلُهُ؛ وهو أنّه القادرُ الذي لا يَعْجَزُ عن شيءٍ من إنشاءٍ وإعادةٍ وغيرهما.

---

(١) في النسخ والمطبوع: تمثال، وهو تحريف، والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٥.
(٢) يقال: تكلم فأصاب المحز: تكلم فأقنع، والمحز: موضع الحز، أي: القطع، تاج العروس والمعجم الوسيط (حزز).
(٣) الهِمّ: الشيخ الكبير الفاني، مختار الصحاح.
(٤) الكشاف ٣/ ٢٢٠.
(٥) قال السمين في الدر المصون ٩/ ٤٠ بعد إيراد كلام الزمخشري وأبي حيان: الصحيح أنه يفيده (يعني تقديم المعمول يفيد الاختصاص) وقد تقدم جميع ذلك.
(٦) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٨٤.

«وهو العزيز» أي: القاهرُ لكلِّ شيءٍ، «الحكيم» الذي أفعالُهُ على مُقتضى حِكمته.

وعن مجاهد: المثَلُ الأعلى: قولُ لا إله إلا الله، والمعنى: وله الوَصْفُ بالوَحْدانيَّة، ويؤيّده قوله: «ضَرَب لكم»[(١)].

وقال ابن عباس وغيره: بَيَّن تعالى أمرَ الأصْنام، وفسادَ مُعْتَقَد مَن يُشْرِكُها بالله بضَرْبه هذا المثَل، ومعناه: أنَّكم أيُّها الناس إذا كان لكم عَبيدٌ تملكونهم فإنكم لا تُشركونهم في أموالكم ومُهمِّ أموركم، ولا في شيءٍ على جهة استواء المَنْزلة، وليس من شأنكم أنْ تخافوهم في أنْ يَرِثوا أموالَكم، أو يُقاسمونكم إيّاها في حياتكم كما يفعل بعضكم ببعض، فإذا كان هذا فيكم فكيف تقولون إنَّ من عَبيده ومِلْكه شُركاءَ في سُلطانه وأُلوهيّته، وتُثبتون في جانبه ما لا يَليقُ عندكم بجوانبكم؟ وجاء هذا المعنى في مَعْرِض السُّؤال والتَّقرير[(٢)].

وقال السُّدّي: كانوا يُورِّثون آلهتهم فنزلت[(٣)].

وقيل: لمّا نزلت قال أهل مكة: لا يكون ذلك أبداً، فقال رسول الله ﷺ: «فلِمَ يَجوز لربّكم»[(٤)].

و«من» في «من أنفُسكم» لابتداء الغاية؛ كأنه قال: أخَذ مثَلاً وانتزعه من أقرب شيءٍ منكم وهو أنفُسكم، ولا يُبْعِد.

و«من» في «من ما مَلَكَتْ» للتَّبعيض، و«من» في «من شُركاء» زائدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النَّفي[(٥)]، يقول: ليس يَرضى أحدٌ منكم أن يشركه عبدُهُ في ماله وزوجته وما يختصُّ به حتى يكون مثلَه، فكيف تَرْضَون بشريك لله وهو ربُّ الأرباب، ومالكُ الأحرار والعبيد؟!

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٢١، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤١٩.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٥-٣٣٦.
(٣) في النكت والعيون للماوردي ٤/ ٣١١: كانوا لا يورثون مواليهم فضرب الله هذا المثل، قاله السدي.
(٤) لم أجده فيما بين يدي من مصادر.
(٥) الكشاف ٣/ ٢٢١.

وقال أبو عبد الله الرازي: بين المثَل والمُمَثَّل به مُشابهة ومُخالَفة؛ فالمشابهة مَعلومة، والمخالفة من وجوه:

قوله: «من أنفُسكم» أي: من نَسْلكم مع حَقارة الأنْفُس ونَقْصها وعَجْزها، وقاسَ نفسَه عليكم مع عظمتها وجلالتها وقدرتها.

وقوله: «مما ملكت أيمانُكم» أي: عَبيدُكم، والمِلك طارئٌ قابلٌ للنَّقل بالبيع، وللزَّوال بالعِتْق، ومَمْلوكُهُ تعالى لا خُروجَ له عن المِلك، فإذا لم يَجُز أنْ يَشْرَكَكم مَملوكُكم - وهو مثلكُم إذا حَرَّ[١] من جميع الوجوه، ومثلُكم في الآدميَّة حالةَ الرِّق - فكيف يَشركُ اللهَ مملوكُهُ من جميع الوجوه، المباينُ له بالكُليّة.

وقوله: «فيما رَزقناكم» يعني أنه ليس لكم في الحقيقة، إنما هو لله ومن رِزْقه حقيقةً، فإذا لم يَجُز أنْ يَشْرَكَكم فيما هو لكم من حيث الاسم، فكيف يكون له تعالى شَريكٌ فيما له من جهة الحقيقة. انتهى، وفيه بعضُ تلخيص[٢].

و«شُرَكاء» في موضع رَفْع بالابتداء، «وفيما رَزَقْناكم» متعلِّقٌ به، «ولكم» الخبر، و«مما ملَكت» في موضع الحال لأنه نعتُ نَكرةٍ تقدَّم عليها فانتصب على الحال، والعامل فيها العامل في الجار والمجرور الواقع خبراً، وهو مُقدَّرٌ بعد المبتدأ، وما في «مما رزقناكم» واقعةٌ على النَّوع، والتقدير: هل شركاءُ فيما رَزَقْناكم كائنون من النَّوع الذي مَلَكَتْه أيمانُكم كائنون لكم.

ويجوز أن يتعلّق «لكم» بشُركاء، ويكون «ممّا رزقناكم» في موضع الخبر، كما تقول: لزيدٍ في المدينة مُبْغِض، فلزيد مُتعلّق بمُبْغِض الذي هو مبتدأ، وفي المدينة الخبر.

و«فأنتم فيه سَواء» جُملةٌ في موضع الجواب للاستفهام المُضَمَّن معنى النَّفي، و«فيه» متعلّق بسواء، و«تخافونهم» خبرٌ ثانٍ لأنتم، والتقدير: فأنتم مُسْتَوون معهم فيما رَزَقناكم، خائفوهم كما يخاف بعضُكم بعضاً أيُّها السَّادة.

---

(١) يعني: عَتَق.
(٢) التفسير الكبير ١١٨/٢٥.

والمقصود نفيُ الشَّرِكَة والاستواءِ والخوفِ. وليس النَّفيُ مُنسَحباً على الجواب وما بعده فقط؛ كأحد وَجْهَي: ما تأتينا فتُحَدِّثَنا، أي: ما تأتينا مُحَدِّثاً، إنما تأتي ولا تُحَدِّث، بل هو على الوجه الآخر أي: ما تأتينا فكيف تُحَدِّثُنا؟ أي: ليس منك إتيانٌ فلا يكون حَديثٌ، وكذلك هذا: ليس لهم شَريك فلا استواءَ ولا خوفَ.

وقرأ الجمهور: «أنفُسَكم» بالنَّصب، أُضيف المصدر إلى الفاعل، وابن أبي عَبْلَة بالرَّفع[(١)]، أُضيف المصدر للمفعول، وهما وَجهان حَسَنان، ولا قُبْحَ في إضافةِ المصدر إلى المفعول مع وجود الفاعل.

«كذلك» أي: مثل ذلك التَّفصيل «نُفَصِّل الآيات» أي: نُبَيِّنُها؛ لأن التَّمثيلَ مما يَكشف المعاني ويُوَضِّحُها لأنه بمنزلة التَّصوير والتشكيل لها، ألا ترى كيف صَوَّرَ الشِّرك بالصُّورة المشَوَّهَة[(٢)].

وقرأ الجمهور: «نُفَصِّل» بالنُّون حَمْلاً على «رَزَقْناكم»، وعَبَّاسٍ عن أبي عَمرو بياء الغيبة[(٣)] رَعْياً لضَرَب، إذْ هو مُسندٌ للغائب.

وذكر بعض العلماء أنَّ في هذه الآية دليلاً على صِحَّة أصل الشَّرِكَة بين المخلوقين لافتقار بعضهم إلى بعض[(٤)]، كأنه يقول: المُمْتَنِع والمُسْتَقْبَح شَرِكَةُ العبيد لساداتهم، أمَّا شَرِكةُ السَّادات بعضهم لبعض فلا يَمتنع ولا يُسْتَقْبَح.

والإضْرابُ ببَلْ في قوله: «بل اتَّبَع» جاء على معنى ما تضمَّنَتْه الآية، إذ المعنى: ليس لهم حُجَّةٌ ولا مَعْذِرةٌ فيما فعلوا من إشراكهم بالله، بل ذلك لمجرَّد هوىً بغير علم؛ لأنه قد يكون هوىً للإنسان وهو يَعلم.

و«الذين ظَلَموا» هم المشركون، اتَّبعوا أهواءهم جاهلين هائمين على أوجههم، لا يَزَعُهم عن هواهم علم؛ إذْ هم خالون من العلم الذي قد يَزَعُ مُتَّبعَ الهوى.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٦.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٢٢.
(٣) السبعة ٥٠٧ (وفيه تحريف)، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٤٥، وإعراب القراءات السبع ٢/ ١٩٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٣٦.
(٤) تفسير القرطبي ١٦/ ٤٢٠.

«فَمَنْ يَهدي مَن أضلَّ الله» أي: لا أحدَ يَهدي مَن أضلَّه الله، أي: هؤلاء ممَّن أضلَّهم الله فلا هاديَ لهم.

وقال الزمخشري: «مَن أضلَّ الله» مَن خَذَله الله، ولم يَلْطُف به، لعلمه أنه ممَّن لا لُطْفَ له، فمَن يَقدر على هدايةِ مثله، «وما لهم من ناصرين» دليلٌ على أنَّ المُراد بالإضْلال: الخِذْلان[1]. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

«فأَقِمْ وَجْهَك للدِّين» فقَوِّم وَجْهَك له وعَدِّلْه غيرَ مُلْتَفِت، وهو تمثيلٌ لإقباله على الدِّين واستقامته عليه وثباتِهِ واهتمامهِ بأسبابه؛ فإنَّ مَن اهتَمَّ بالشيءِ عَقَد عليه طَرْفَه، وقَوَّم له وَجْهَهُ مُقبلاً به عليه، والدِّين دين الإسلام. وذكر الوَجْه لأنه جامعُ حواسِّ الإنسان وأشْرَفُه.

و«حَنيفاً» حالٌ من الضَّمير في «أقِمْ» أو من الوَجْه، أو من الدِّين، ومعناه: مائلاً عن الأدْيان المُحَرَّفة المنسوخة.

«فِطْرَةَ الله» منصوبٌ على المَصْدر، كقوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨] وقيل: منصوب بإضمار فعل تقديره: التزِمْ فِطْرَةَ الله.

وقال الزمخشري: الْزَموا فِطرةَ الله، أو: عليكم فِطرةَ الله، وإنَّما أضْمَرته على خطاب الجماعة لقوله: مُنيبين إليه، و«مُنيبين» حالٌ من الضَّمير في الزموا، وقوله: «وأقيموا الصلاة ولا تكونوا» مَعطوفٌ على هذا المُضْمَر. انتهى[2].

وقيل: «فأقِمْ وَجْهَكَ» المُراد به: فأقيموا وجوهَكم، وليس مخصوصاً بالرسول وحده، وكأنَّه خِطابٌ لمفرَدٍ أُريد به الجَمْعُ، أي: فأقِمْ أيُّها المُخاطَب، ثم جَمع على المعنى لأنه لا يُرادُ به مُخاطَبٌ واحد، فإذا كان هذا فقولُهُ: «مُنيبين»، «وأقيموا»، «ولا تكونوا» مَلْحوظٌ فيه معنى الجمع في «فأقم».

وقول الزمخشري: أو عليكم فِطرةَ الله؛ لا يجوز لأنَّ فيه حذفَ كلمةِ الإغْراء، ولا يجوز حذفُها لأنه قد حَذف الفعل وعَوَّض عليك منه، فلو جاز حذفهُ لكان

(١) الكشاف ٣/ ٢٢٢.

(٢) المصدر السابق.

إجْحَافاً؛ إذْ فيه حذفُ العِوَض والمُعَوَّض منه[١].

والفِطْرة قيل: دين الإسلام، و«الناس» مَخصوصون بالمؤمنين.

وقيل: العَهْد الذي أخذه الله على ذُرِّيَّة آدم حين أخرجَهم نَسَماً من ظَهْره.

ورَجَّحَ الحُذَّاقُ أنَّها القابليّة التي في الطِّفل للنَّظَر في مَصنوعات الله، والاستدلال بها على مُوجِدِه، فيؤمنُ به ويتَّبعُ شرائعَه، لكنْ قد تَعرِض له عَوارضُ تصرِفُه عن ذلك؛ كتَهْويد أبوَيْه له وتنصيرِهما، وإغواءِ شياطين الإنس والجنّ[٢].

«لا تَبْديلَ لخَلْق الله» أي: لا تبديلَ لهذه القابليَّة من جهةِ الخالق.

وقال مجاهد وابن جُبَير والضحَّاك والنَّخَعي وابن زيد: لا تَبْديلَ لدين الله، والمعنى: لمُعْتقَدات الأديان إذْ هي مُتَّفِقةٌ في ذلك[٣].

وقال الزمخشري: أي: ما يَنبغي أن تُبدَّل تلك الفِطرة أو تُغيَّر[٤].

وقال ابن عباس: لا تَبْديلَ لقضاء الله بسعادتهم وشَقاوتهم.

وقيل: هو نَفْيٌ معناه النَّهي، أي: لا تُبدِّلوا ذلك الدِّين[٥].

وقيل: «لا تبديلَ لخَلْق الله» بمعنى الوَحْدانيَّة مُتَرسِّخةٌ فيه، لا تغيُّر لها، حتى لو سألْتَه مَنْ خَلَق السَّماوات والأرض؟ يقول: الله.

ويُسْتَغرب ما رُوي عن ابن عبّاس أنَّ مَعنى «لا تبديلَ لخلق الله» النَّهْيُ عن خِصاء الفُحول من الحيوان[٦]، وقولُ مَنْ ذهب إلى أن المعنى في هذه الجملة:

---

(١) قال السمين في الدر المصون ٩/ ٤٤: هذا رأيُ البصريين، وأما الكسائي وأتباعه فيجيزون ذلك.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٨/ ٤٩٣، والماوردي ٤/ ٣١٢، والقرطبي ١٦/ ٤٢١-٤٣٠، والثعلبي ٥/ ٣٧-٣٩، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٢٥٩-٢٦٠، والكشاف ٣/ ٢٢٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٣٦، ٣٣٧، وزاد المسير ٦/ ٣٠٠-٣٠٢.

(٣) أخرج أقوالهم الطبري ١٨/ ٤٩٤-٤٩٦.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٢٢.

(٥) انظر تفسير الماوردي ٤/ ٣١٢، والقرطبي ١٦/ ٤٣٠، وزاد المسير ٦/ ٣٠٣.

(٦) أخرجه عنه الطبري ١٨/ ٤٩٦.

إنْحاءُ[١] على الكَفَرة اعتُرِضَ به أثناءَ الكلام، كأنَّه يقول: أقِمْ وجهك للدِّين الذي من صِفته كذا وكذا؛ فإنّ هؤلاء الكفَرة قد[٢] خلق الله لهم الكفر، ولا تبديلَ لخلق الله، أي: أنّهم لا يُفلحون.

«ذلك» الذي أُمرتَ بإقامة وَجْهك له هو الدِّين المُبالَغ في الاستقامة.

و«القيِّم» بناءُ مُبالَغة من القيام بمعنى الاستقامة، ووزنه فَيْعِل، أصله: قَيْوِم كسَيِّد، اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهُما بالسّكون، فقُلبت الواو ياءً وأُدْغمت الياء فيها، وهو بناءٌ مُختصٌّ بالمعتلِّ العين، لم يجئ منه في الصحيح إلا بَيْئِس، وصَيْقِل عَلَمٌ لامرأة.

«مُنيبين» حالٌ من الناس، ولا سيّما إذا أُريد بالنَّاس المؤمنون، أو من الضَّمير في الزموا فِطْرةَ الله. وهو تقدير الزَّمخشري[٣].

أو من الضَّمير في «فأقِمْ» إذِ المقصودُ الرَّسول وأمَّتُه، وكأنه حُذف معطوف، أي: فأقم وجهَك وأمَّتَك، وكذا زعم الزجَّاج في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ [الطلاق: ١][٤] أي: يا أيُّها النبيُّ والناس، ودَلَّ على ذلك مَجيءُ الحال في «مُنيبين» جَمْعاً وفي «إذا طَلَّقْتُم» جاء الخطاب فيه وفي ما بعده جَمْعاً.

أو على خبر كان مُضْمَرة، أي: كونوا مُنيْبين، ويدلُّ عليه قولُه بعد: «ولا تكونوا». وهذه احتمالات مَنقولةٌ كلُّها.

«من المشركين» من اليهود والنَّصارى، قاله قتادة. وقال ابن زيد: هم اليهود. وعن أبي هريرة وعائشة أنَّهم أهلُ القبلة[٥]. ولفظةُ الإشراك على هذا تَجَوُّزٌ بأنّهم صاروا في دينهم فِرَقاً.

---

(١) في (أ، د٢، ع، ز٢): إلجاء، وفي المطبوع: ألجأ، والمثبت من (ت، يه)، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٦ والكلام منه.
(٢) في النسخ خلا (يه): ومن، والمثبت منها وهو موافق لما في المحرر.
(٣) في الكشاف ٣/ ٢٢٢، وسلف قريباً.
(٤) معاني القرآن ٤/ ١٨٥.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٧، وانظر الأقوال في تفسير الطبري ١٨/ ٤٩٨، والثعلبي ٥/ ٣٩، والماوردي ٤/ ٣١٣، والقرطبي ١٦/ ٤٣١-٤٣٢.

والظاهر أن المشركين: كلُّ مَن أشرك، فيدخل فيهم أهلُ الكتاب وغيرُهم.

و«من الذين» بدلٌ من المشركين. «فرَّقوا دينَهم» أي: دينَ الإسلام، وجعلوه أدياناً مُختلفةً لاختلاف أهوائهم. «وكانوا شِيَعاً» كلُّ فرقةٍ تُشايعُ إمامَها الذي كان سببَ ضَلالها. «كلُّ حزبٍ» أي: منهم فَرِحٌ بمَذْهبه مَفتونٌ به.

والظاهر أنَّ «كلُّ حزبٍ» مبتدأ، و«فرحون» الخبر، وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون «من الذين» مُنقطعاً مما قبله، ومعناه: من المُفارِقين دينَهم كلُّ حزبٍ فرحين بما لديهم، ولكنَّه رفع «فَرِحون» على الوصف لكُلّ، كقوله:

وكلُّ خَليلٍ غيرُ هاضِمِ نفْسِهِ[(١)]

انتهى.

قدَّر أوَّلاً فرحين مجروراً صفةً لحزب، ثم قال: ولكنه رُفع على الوَصْف لكلّ؛ لأنك إذا قلت: من قومك كلُّ رجلٍ صالحٍ، جاز في صالح الخَفْض نَعْتاً لرجل - وهو الأكثر - كقوله:

جادَتْ عليه كلُّ عينٍ ثَرَّةٍ فتَرَكْنَ كلَّ حَديقةٍ كالدِّرْهَمِ[(٢)]

وجاز الرَّفْعُ نعتاً لكلٍّ كقوله:

وَلِهَتْ عليه كلُّ مُعْصِفَةٍ هَوْجَاءُ ليس لِلُبِّها زَبْرُ[(٣)]

برفْع هَوْجاء صفةً لكلّ[(٤)].

❁ ❁ ❁

(١) الكشاف ٣/ ٢٢٢، وتمام البيت: لوصلِ خليلٍ صارمٌ أو مُعارِزُ، وهو للشماخ، انظر ديوانه ١٧٣، وسلف أول استشهاد به في تفسير الآية (٨٣) من سورة البقرة.

(٢) البيت لعنترة من معلقته، ديوانه ١٩٦ بشرح الشنتمري (تحقيق مولوي)، وسلف أول استشهاد به في تفسير الآية (٣٦) من سورة البقرة.

(٣) البيت لابن أحمر، وهو في ديوانه ٨٧، وسلف الاستشهاد به وشرحه في تفسير مفردات الآية (٢٢) من سورة يونس.

(٤) قال السمين الحلبي ٩/ ٤٦ بعد أن أورد كلام الزمخشري وتعقُّب أبي حيان: وهو تقرير حسن.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

الضُّرُّ: الشِّدّةُ من فقرٍ أو مَرَض أو قَحط أو غير ذلك. والرَّحْمة الخَلاص من ذلك الضُّر.

«دَعَوا ربَّهم» أفْرَدوه بالتَّضرُّعِ والدُّعاء ليَنْجوا من ذلك الضُّرِّ، وتركوا أصنامَهم لعلمهم أنه لا يَكشفُ الضرَّ إلا هو تعالى، فلهم في ذلك الوقت إنابةٌ وخُضوعٌ، وإذا خلَّصهم من ذلك الضُّرِّ أشرك فريقٌ ممَّن خَلَص، وهذا الفريق هم عَبَدَةُ الأصنام.

قال ابن عطية: ويَلْحق من هذه الألفاظ شيءٌ للمؤمنين، إنْ جاءهم فَرَجٌ بعد شدَّة عَلَّقوا ذلك بمَخلوقين، أو بحِذْق آرائهم، أو بغير ذلك، ففيه قلَّة شُكْرٍ لله، ويُسمَّى شركاً مجازاً[(١)].

وقال أبو عبد الله الرَّازي: يقول: تَخلَّصْتُ بسبب اتِّصال الكوكب الفُلاني، وبسبب الصَّنَم الفُلاني، بل ينبغي أنْ لا يَعتقدَ أنَّه تَخلَّص بسبب فُلان إذا كان ظاهراً، فإنه شِرْكٌ خَفِيّ[(٢)]. انتهى.

و«إذا فريقٌ» جواب «إذا أذاقَهُم» الأولى شرطيّة والثانية للمفاجأة، وتقدَّم نَظيرُه.

وجاء هنا «فريقٌ» لأن قوله: «وإذا مَسَّ الناس» عامٌّ للمؤمن والكافر، فلا يُشرك إلا الكافر، و«ضُرٌّ» هنا مُطلَق، وفي آخر «العنكبوت»[(٣)] ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ لأنه في مَخصوصِين من المُشركين عُبّادِ الأصنام، والضُّرُّ هناك مُعَيَّن وهو ما يُتَخَوَّف من

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٧.
(٢) التفسير الكبير ٢٥/ ١٢١.
(٣) الآية (٦٥) منها.

ركوب البحر، فجاء: «إذا هم» أي: ركّابُ البحر عَبَدةُ الأصنام، ويدلُّ على ذلك ما قبله وما بعده.

واللام في «ليَكفروا» لامُ كي، أو لامُ الأمر للتّهديد، وتقدَّم نظيرُه في آخر «العنكبوت»[1].

وقرأ الجمهور: «فتَمَتَّعوا فسوف تعلمون» بالتاء فيهما.

وقرأ أبو العالية: «فيُمَتَّعوا» بالياء مبنيّاً للمفعول[2]، وهو معطوف على «لِيَكفروا». «فسوف يَعلمون» بالياء على التّهدُّد لهم.

وعن أبي العالية: «فيَتَمَتَّعوا» بياء قبل التاء عطفاً أيضاً على «لِيَكفروا» أي: لِتَطول أعمارُهم على الكفر[3].

وعنه وعن عبد الله: «فلْيَتَمَتَّعوا»[4].

وقال هارون: في مُصحف عبد الله «يمتعوا»[5].

«أمْ أنْزَلْنا» أم بمعنى بل والهمزة، وبل للإضراب عن الكلام السّابق، والهمزة للاستفهام عن الحجّة استفهامَ إنكار وتوبيخ[6].

و«السُّلطان» البُرهان من كتابٍ أو نحوه.

«فهو يَتكلَّم» أي: يُظهر مَذْهَبَهم، ويَنطِقُ بشِرْكهم، والتكلُّم مَجاز؛ كقوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [الجاثية: ٢٩].

و«فهو يتكلّم» جواب للاستفهام الذي تَضَمَّنَتْه أم، كأنه قال: بل أنْزَلْنا عليهم سُلطاناً، أي: بُرهاناً شاهداً لهم بالشِّرك فهو يَشْهدُ بصِحَّة ذلك، وإن قُدِّر ذا سُلطان أي: مَلِكاً ذا بُرهان كان التَّكلُّم حقيقةً.

---

(١) في تفسير الآية (٦٦) منها.

(٢) مختصر في الشواذ ١١٦، والمحتسب ٢/ ١٦٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٣٨.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٧-٣٣٨.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ٣٩، والقرطبي ١٦/ ٤٣٣، والكشاف ٣/ ٢٢٢.

(٥) في (يه): فتمتعوا، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٨: تمتعوا، والله أعلم بالصواب.

(٦) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٨.

«وإذا أذَقْنا الناسَ رَحْمةً» أي: نعمةً من مَطرٍ أو سَعَةٍ أو صِحَّةٍ.

«وإنْ تُصِبْهم سَيِّئةٌ» أي: بَلاءٌ من جَدْبٍ أو ضيقٍ أو مَرضٍ.

«بما قدَّمتْ أيديهم» من المعاصي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ففي إصابة الرَّحمة فَرِحوا وذَهَلوا عن شُكر مَن أسداها إليهم، وفي إصابة البَلاء قَنَطوا ويئسوا وذَهَلوا عن الصَّبر، ونَسُوا ما أنعم به عليهم قبل إصابةِ البَلاء.

«وإذا هم» جوابُ «وإنْ تُصِبْهم» يقوم مَقام الفاء في الجملة الاسميَّة الواقعةِ جواباً للشَّرط.

وحين ذَكر إذاقَةَ الرَّحْمةِ لم يَذْكُر سبَبها وهو زيادةُ الإحسان والتَّفَضُّل، وحين ذكر إصابةَ السيِّئة ذكر سببَها وهو العِصيان؛ ليَتَحقَّق عَدْلُهُ.

ثم ذكر تعالى الأمرَ الذي مَن اعتَبَره لم يَيْأس من رَوْح الله؛ وهو أنه تعالى هو الباسِط والقابِض، فينبغي أنْ لا يَقْنَط، وأنْ يَتَلَقَّى ما يَرِدُ من قِبَل الله بالصَّبر في البَلاء، والشُّكر في النَّعْماء، وأنْ يُقْلِعَ عن المعصية التي أصابَتْه السيِّئةُ بسببها، حتى تعودَ إليه رحمةُ ربِّه.

ومُناسبةُ «فآت ذا القُربى» لما قبلَه: أنه لما ذكر أنه تعالى هو الباسِط القابضُ، وجَعل في ذلك آيةً للمؤمن أمرَ نبيِّه بالإحسان لمَنْ به فاقةٌ واحتياج، لأن من الإيمان الشَّفَقَةَ على خلق الله، فخاطَبَ مَن بَسَط له الرِّزقَ بأداء حقِّ الله من المال، وصَرْفِهِ إلى من يَقْرُب منه في رَحِمٍ، وإلى غيره من مسكينٍ وابن سَبيل.

قال الحسن: هذا خِطابٌ لكلِّ سامعٍ بصِلَةِ الرَّحِمِ والمسكينِ وابنِ السَّبيل. وقيل: للرَّسول عليه السَّلام.

وذَوُو القُرْبى: بنو هاشم وبنو المُطَّلب، يُعْطَون حقوقَهم من الغَنيمة والفيء.

وقال الحسن: حَقّ المسكين وابنِ السَّبيل من الصَّدَقةِ المُسمَّاة لهما.

واحتجَّ أبو حَنيفةَ بهذه الآية في وجوب النَّفَقةِ للمَحارمِ إذا كانوا مُحتاجِين عاجِزين عن الكَسْب[1].

(١) الكشاف ٣/ ٢٢٣، وما سلف من قولي الحسن لم أقف عليهما.

أثبت تعالى لذي القُربى حقّاً، وللمسكين وابن السَّبيل حقَّهما، والسورة مكّية، فالظاهر أن الحقَّ ليس هو الزّكاة، وإنما يصير حقّاً بجهة الإحسان والمواساة.

وللاهتمام بذي القُربى قُدِّم على المسكين وابن السَّبيل؛ لأن بِرَّه صَدَقَةٌ وصِلَة.

«ذلك» أي: الإيتاء «خيرٌ» أي: يُضاعَف لهم الأجرُ في الآخرة، ويَنْمو مالُهم في الدنيا.

«وجْهَ الله» أي: التَّقَرُّبَ إلى رضا الله لا إلى غيره.

ثم ذكر تعالى مَن تَصَرَّف في المال على غير الجهةِ المَرْضِيَّة فقال: «وما آتيتُم» أَكَلَةَ الرِّبا ليَزيد ويَزْكو في المال فلا يَزْكو عند الله، ولا يُبارَك فيه؛ كقوله: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

قال السدِّي: نزلت في ربا ثَقيف، كانوا يَعملون بالرِّبا، ويُعْمِلُه فيهم قريش.

وقال ابن عباس ومجاهد وابن جُبَيْر وطاوس: هذه الآية نزلت في هِبات الثَّواب.

وقال ابن عطية: وما جرى مجراها مما يُصنَع للمُجازاة ـ كالسَّلَم وغيره ـ فهو وإنْ كان لا إثْمَ فيه فلا أَجْرَ فيه، ولا زيادةَ عند الله.

وقال ابن عباس أيضاً والنَّخَعي: نزلتْ في قوم يُعطون قَراباتهم وإخوانَهم على معنى نَفْعِهم وتمويلهم والتَّفَضُّل عليهم، وليَزيدوا في أموالهم على جهة النَّفعِ لهم.

وقال الشَّعبي قريباً من هذا؛ وهو أن ما خَدم به الإنسانُ غيرَه انتَفَع به، فذلك النَّفْع لا يَرْبو عند الله[١].

والظَّاهر القولُ الأوَّل وهو النَّهيُ عن الرِّبا.

وقرأ الجمهور: «وما آتيتُم» الأوّل بمدِّ الهمزة، أي: وما أعطيتم، وابنُ كثير بقَصْرها، أي: وما جئتم[٢].

---

(١) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٨/ ٥٠٣-٥٠٦، والثعلبي ٥/ ٤١، والماوردي ٤/ ٣١٦، والقرطبي ١٦/ ٤٣٧-٤٣٨، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٢٦٤-٢٦٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٣٩، وزاد المسير ٦/ ٣٠٤.

(٢) السبعة ٥٠٧، والنشر ٢/ ٢٢٨.

وقرأ الجمهور: «لِيَرْبو» بالياء وإسناد الفعل إلى الرِّبا، وابن عباس والحسن وقتادة وأبو رجاء والشّعبي ونافع وأبو حَيْوة بالتاء مَضمومة وإسنادِ الفعل إليهم[١].

وقرأ أبو مالك: «لِتَرْبوها» بضمير المؤنّث[٢].

والمُضْعِف: ذو أضعافٍ في الأجْر، قال الفرَّاء: هم أصحاب المُضاعَفَة؛ كما تقول: هو مُسْمِن، أي: صاحبُ إبلٍ سِمان، ومُعْطِش؛ أي: صاحب إبلٍ عَطْشى[٣].

وقرأ أُبيّ: «المُضْعَفون» بفتح العين اسم مفعول[٤].

وقال الزمخشري: «فأولئك هم المُضْعِفون» التفاتٌ حَسَن، كأنه قال لملائكته وخواصِّ خلْقه: فأولئك الذين يُريدون وَجْهَ الله بصَدَقاتهم هم المُضْعِفون، والمعنى: المُضْعِفون به لأنه لا بُدَّ من ضمير يرجع إلى ما، ووجهٌ آخر وهو أن يكون تقديره: فمؤتوه أولئك هم المُضْعِفون، والحذفُ لما في الكلام من الدَّليل عليه، وهذا أسْهَلُ مأخذاً، والأوّل أمْلأُ بالفائدة[٥]. انتهى.

وإنما احتاج إلى تقدير ما قدَّر؛ لأن اسم الشَّرط الذي ليس بظَرْف لا بدَّ أن يكون في الجواب ضميرٌ يَعود عليه يَتمُّ به الرَّبْط.

❁ ❁ ❁

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) السبعة ٥٠٧، والتيسير ١٧٥، والنشر ٢/ ٣٤٤، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤١، والقرطبي ١٦/ ٤٤٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٣٩، وزاد المسير ٦/ ٣٠٤.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٩، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٤٠.
(٣) معاني القرآن ٢/ ٣٢٥.
(٤) ذكرها الزمخشري ٣/ ٢٢٣ دون نسبة، وذكر ابن خالويه في مختصر في الشواذ ١١٦ أنها قراءة محمد بن كعب.
(٥) الكشاف ٣/ ٢٢٤.

فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

كرَّر تعالى خطابَ الكُفَّار في أمرِ أوثانِهم، فذكر أفعالَه التي لا يمكن أن يُدَّعى له فيها شَريك؛ وهي الخَلْقُ والرّزقُ والإماتةُ والإحياء، ثم استَفْهم على جهةِ التَّقرير لهم والتَّوبيخ، ثمَّ نَزَّه نفسَه عن مقالتهم.

و«الله الذي خَلَقكم» مبتدأ وخبر، وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون «الذي خَلَقكم» صفةً للمبتدأ، والخبر «هل من شركائكم» وقوله: «من ذلكم» هو الذي ربط الجملةَ بالمبتدأ؛ لأن معناه من أفعاله[1]. انتهى.

والذي ذكره النّحويُّون أن اسم الإشارة يكون رابطاً إذا كان أُشير به إلى المبتدأ، وأمّا «ذلكم» هنا فليس إشارة إلى المبتدأ، لكنَّه شَبيهٌ بما أجازه الفرَّاء من الرَّبْط بالمعنى، وخالفه النَّاس، وذلك في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٤] قال: التقدير: يَتربَّصْن أزواجهم، فقدَّر الضَّمير[2] بمضاف إلى ضمير «الذين» فحصَل به الرَّبْط، كذلك قدَّر الزَّمخشري: «من ذلكم» من أفعاله المُضاف إلى الضمير العائد على المبتدأ.

وقال الزمخشري أيضاً: «هل من شُرَكائكم» الذين اتَّخذتموهم أنداداً له من الأصنام وغيرها مَن يفعلُ شيئاً قطُّ من تلك الأفعال حتى يَصحَّ ما ذهبتُم إليه؟ فاستعمل قَطّ في غير موضعها، لأنَّها ظَرْفٌ للماضي، وهنا جعلها معمولةً ليَفْعل.

وقال الزمخشري أيضاً: ومن الأولى والثانية والثالثة كلُّ واحدةٍ مُسْتَقِلَّةٌ بتأكيد

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٢٤.

(٢) كذا في النسخ وتفسير الآلوسي ٢٠/ ٤٦٧: يتربصن.. الضمير، والذي في الدر المصون ٩/ ٤٨ نقلاً عن أبي حيان: يتربص أزواجهم فقدر الربط، وهو الصواب إن شاء الله، وانظر إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣١٧-٣١٨، ومغني اللبيب ٦٥٢، ومعاني القرآن للفراء ١/ ١٥٠، وللزجاج ١/ ٣١٥-٣١٦، والإغفال لأبي علي ٢/ ٨٨ فما بعدها.

لتعجيز شُركائهم وتَجهيل عَبَدتهم[١]. انتهى. ولا أدري ما أراد بهذا الكلام!

ومن في «من شُركائكم» للتَّبعيض، والجار والمجرور خبرٌ للمبتدأ، و«مَنْ يَفْعل» هو المبتدأ، ومن الثانية في موضع الحال من «شيء» لأنه نَعْتُ نكرةٍ تقدَّم عليها فانتصب على الحال، ومن الثالثة زائدةٌ لانسِحاب الاستفهام الذي معناه النفيُ على الكلام، التقدير: ومَن يَفعلُ شيئاً من ذلكم؟! أي: من تلك الأفعال.

وقرأ الجمهور: «يُشركون» بياء الغَيبة، والأعمش وابنُ وَثّاب بتاء الخطاب[٢].

والظاهر مُرادُ ظاهر البرِّ والبحر، وقاله الحسن، وظهورُ الفَساد فيهما بارتفاع البَرَكات، ونزولِ رَزايا، وحُدوثِ فتنٍ، وتَغَلُّبِ عدوٍّ كافر، وهذه الثلاثة توجد في البرِّ والبحر.

وقال ابن عباس: الفسادُ في البرِّ: انْقطاعُ صَيْده بذنوب بني آدم.

وقال مجاهد في البرِّ: بقتل أحد ابْنَي آدم لأخيه، وفي البحر: بأخْذِ السُّفنِ غَصْباً.

وعنه أيضاً: البَرُّ: البلادُ البعيدة من البحر، والبحر: السَّواحل والمدن التي على ضِفَّة البحر والأنهار.

وقال قتادة: البَرُّ: الفيافي ومَواضع القبائل وأهل الصَّحارى والعَمود[٣]، والبحر: المدن جمع بَحْرَة، ومنه: ولقد أجْمَعَ أهلُ هذه البُحَيْرَةِ لِيُتَوِّجوه، يعني: قولَ سعد بن عُبادة في عبد الله بن أُبيٍّ ابن سَلُول[٤]، ويؤيِّد هذا قراءةُ عكرمة: «والبُحور» بالجمع، ورُويت عن ابنِ عباس[٥].

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٢٤.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي، انظر التيسير ١٢١، والنشر ٢/ ٢٨٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٠.

(٣) يقال لأصحاب الأخبية الذين لا ينزلون غيرها: هم أهل عمود، اللسان (عمد).

(٤) أخرجه أحمد (٢١٧٦٧)، والبخاري (٤٥٦٦)، ومسلم (١٧٩٨) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٣٤٠ وعنه نقل كل ما سبق، والقراءة عن ابن عباس في مختصر في الشواذ ١١٦.

وانظر الأقوال السابقة في تفسير الطبري ١٨/ ٥١٠-٥١٢، والماوردي ٤/ ٣١٧-٣١٨،=

وكان قد ظهر الفسادُ برًّا وبحراً وقت بِعثةِ رسول الله ﷺ، وكان الظُّلمُ عَمَّ الأرض، فأظهر الله به الدِّين، وأزال الفسادَ وأخْمَدَه ﷺ.

وقال النَّحاس: فيه قولان، أحدُهما: ظهر الجَدْبُ في البَرِّ في البَوادي وقُراها، والبحرِ أي: في مُدُن البحر، مثل: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي: ظهر قِلَّةُ العُشْب[١]، وغَلاءُ السِّعر، والثاني: ظهرت المعاصي من قَطْعِ السَّبيل والظُّلم، فهذا هو الفَساد على الحقيقة، والأول مَجاز.

وقيل: إذا قَلَّ المَطَر قلَّ الغَوْص، وأخْفَقَ الصَّيَّاد، وعَمِيَتْ دَوابُّ البَحْر.

وقال ابن عباس: إذا مَطَرت تَفَتَّحت الأصْدافُ في البحر، فما وَقع فيها من السماء فهو لؤلؤ[٢].

«بما كَسَبَت أيدي النَّاس» أي: بسبب مَعاصيهم وذُنوبهم.

«لِيُذيقَهم» أي: أنَّه تعالى أفْسَدَ أسبابَ دُنياهم ومَحَقَها ليُذيقَهم وبالَ بعضِ أعمالهم في الدُّنيا قبل أنْ يُعاقِبَهم بها جميعاً في الآخرة لعلَّهم يَرجعون عمَّا هُم فيه.

وقال ابن عطية: «بما كَسَبَتْ» جَزاءَ ما كَسَبت، ويجوز أنْ تَتَعلَّق الباء ب «ظَهَر» أي: بكَسْبِهم المعاصي في البَرِّ والبحر، وهو نَفْسُ الفَساد الظَّاهر[٣].

وقرأ السُّلمي والأعْرَج وأبو حَيْوَة وسَلّام وسَهْل ورَوْح وابنُ حسَّان، وقُنْبُل من طريق ابن مُجاهد وابن الصَّبَّاح وأبي الفَضْل الواسِطي عنه، ومَحبوب عن أبي عَمْرو: «لِنُذيقَهم» بالنون، والجمهور بالياء[٤].

= والثعلبي ٥/ ٤١-٤٢، والقرطبي ١٦/ ٤٤٢-٤٤٣، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٢٦٥-٢٦٦، والكشاف ٣/ ٢٢٤، وزاد المسير ٦/ ٣٠٥-٣٠٦.

(١) كذا في النسخ، وفي إعراب القرآن ٣/ ٢٧٥، وعنه القرطبي ١٦/ ٤٤٣: الغيث.

(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ٤٢، والقرطبي ١٦/ ٤٤٢، والكشاف ٣/ ٢٢٤.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٤٠.

(٤) التيسير ١٧٥، والسبعة ٥٠٧، والنشر ٢/ ٣٤٥، وتفسير الطبري ١٨/ ٥١٤، والثعلبي ٥/ ٤٢، والقرطبي ١٦/ ٤٤٣، وزاد المسير ٦/ ٣٠٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٠.

ثم أمرَهم بالمسير في الأرض فيَنْظروا كيف أهْلَكَ الأممَ بسببِ مَعاصيهم وإشْراكِهم، وذلك تَنْبيهٌ لقُريش، وأمرٌ لهم بالاعتبار بمَنْ سَلَف من الأُمم قومِ نوحٍ وعادٍ وثَمود وغيرِهم.

«كان أكثرُهم مُشْرِكين» أهْلَكَهم كُلَّهم، قومٌ بسبب الشِّرْك، وقومٌ بسبب المعاصي؛ لأنه تعالى يُهلك بالمعاصي كما يُهلك بالشِّرك كأصْحاب السَّبْت.

أو أهْلَكهم كلَّهم المُشْرِكَ والمؤمن؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ [الأنفال: ٢٥].

أو أهْلَكَهم كلَّهم وهم كُفَّار، فأكثرُهم مُشركون وبعضُهم مُعَطِّل.

وحين ذكر امتِنانَه قال: «اللهُ الذي خَلَقكم ثمَّ رَزَقكم» فذكر الوجودَ ثمَّ البَقاء بسبب الرِّزق، وحين ذكر خِذْلانهم بالطُّغيان سَلَبَ البَقاء بإظهار الفساد، ثم سَلَب الوجودَ بالإهلاك[1].

«من قبل أن يأتيَ يوم» هو يوم القيامة، وفيه تحذيرٌ يَعمُّ النّاس.

«لا مَرَدَّ له من الله» المَرَدّ: مصدر رَدّ[2]، و«من الله» يَحتمل أن يَتعلَّق بيأتي، أي: من قبل أن يأتيَ من الله يومٌ لا يَرُدُّه أحدٌ حتى لا يأتي كقوله: ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ [الأنبياء: ٤٠]. ويحتمل أن يتعلّق بمَحذوفٍ يدلُّ عليه مَرَدّ، أي: لا يَرُدُّه هو بعد أنْ يَجيءَ به، ولا رَدَّ له من جهته.

«يومئذٍ» أي: يومَ إذْ يأتي ذلك اليوم، «يَصَّدَّعون» يَتفرَّقون، فريقٌ في الجنّة وفريقٌ في السَّعير، يُقال: تَصدَّع القوم إذا تفرَّقوا، ومنه الصُّداع لأنَّهُ يُفَرِّق شُعَبَ الرَّأس، قال الشاعر[3]:

وكُنَّا كنَدْمانَيْ جَذِيمةَ حِقْبَةً   من الدَّهْر حتَّى قيلَ لنْ يَتَصَدَّعا

ثم ذكر حالَتَي المُتفرِّقين: «مَنْ كَفر فعليه كُفْرُهُ» أي: جَزاءُ كُفْره، وعَبَّر عن حالة

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٥/١٢٨.

(٢) في (ت، يه): ردد، وهما سواء.

(٣) هو مُتَمِّم بن نُوَيْرَة، والبيت في المفضليات ٢٦٧، والشعر والشعراء ١/٣٣٨، والكامل ٣/١٤٤٠، وفي حواشيها مصادر أخرى.

الكافر بـ «عليه»، وهي تَدُلُّ على الثِّقَل والمَشَقَّة، وعن حال المؤمن[١] بقوله: «فلأنفُسهم» باللام التي هي كَلام الملْك.

و«يَمْهَدون» يُوَطِّئون، وهي استعارةٌ من الفُرُش، وعبارةٌ عن كونهم يَفعلون في الدُّنيا ما يَلْقَون به ما تَقَرُّ به أعينُهم وتُسَرُّ به أنفُسهم في الجنّة.

وقال مجاهد: هو التَّمهيد للقبر[٢].

وقال الزمخشري: وتقديمُ الظَّرف في الموضعَين للدَّلالة على أنّ ضَرَر الكُفْر لا يَعود إلّا على الكافر لا يتَعَدَّاه، ومَنفعةَ الإيمان والعملِ الصَّالح تَرْجِعُ إلى المؤمن لا تتجاوزُه[٣]. انتهى.

وهو على طريقته في دَعْواه أنّ تقديمَ المفعول وما جرى مجراه يدُلُّ على الاختصاص، وأمَّا على مَذْهبنا فيدلُّ على الاهتمام، وأمَّا ما يَدَّعيه من الاختصاص فمفهومٌ من آيٍ كثيرة في القرآن منها: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

واللام في «لِيَجْزِيَ» قال الزمخشري: مُتَعَلِّقٌ بـ «يَمْهَدُون» تعليلٌ له، وتكرير «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» وتَرْكُ الضَّمير إلى الصَّريح لتقرير أنَّه لا يُفْلِحُ عنده إلا المؤمن الصَّالح، وقوله: «إنه لا يُحبُّ الكافرين» تقريرٌ بعد تقرير على الطَّرْدِ والعَكْس[٤].

وقال ابن عطية: «لِيَجْزِي» مُتَعَلِّقٌ بـ «يَصَّدَّعون»، ويجوز أن تكون مُتعلّقة بمحذوف تقديره: ذلك لِيَجزي، وتكونَ الإشارةُ إلى ما تقرَّر من قوله تعالى: «مَنْ كَفَر، ومَن عَمل صالحاً». انتهى[٥].

ويكون قَسيمُ «الذين آمنوا وعَملوا الصَّالحات» على هذين التَّقديرين اللَّذين

(١) في (ت): حالة المؤمنين.
(٢) أخرجه الطبري ١٨/ ٥١٦-٥١٧، وذكره المفسرون جميعاً.
(٣) الكشاف ٣/ ٢٢٥.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٣٤١.

ذكرَهما ابنُ عطية محذوفاً تقديرُه كأنه قال: والكافرين بعَدْلِهِ، ودلَّ على حَذْف هذا القَسيم قولُهُ: «إنَّه لا يُحِبُّ الكافرين» ومعنى نَفْيُ الحُبِّ هنا: أنَّه لا يُظْهر عليهم أمارات رَحْمته، ولا يَرْضى الكُفْرَ لهم ديناً.

وقال الزمخشري: «من فَضْله» بما يَتَفَضَّل عليهم بعد تَوْفيةِ الواجب من الثَّواب، وهذا يُشبه الكِناية، لأنَّ الفَضْلَ تَبَعٌ للثَّواب، فلا يكون إلا بعد حُصول ما هو تَبَعٌ له، أو أراد: من عطائه وهو ثوابُهُ، لأن الفُضولَ والفَواضِل هي الأُعْطيةُ عند العَرَبِ[1].

❁ ❁ ❁

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

لـمَّا ذَكَر تعالى ظُهورَ الفَسادِ والهلاك بسبب الشِّرك ذَكر ظهورَ الصَّلاح، والكريمُ لا يَذْكرُ لإحسانه عِوَضاً، ويذكر لعقابه سَبَباً لئلا يُتَوَهَّم به الظُّلم، فذكر من أعْلام قُدْرَته إرسالَ الرِّياحِ مُبَشِّراتٍ بالمطر؛ لأنها مُتقدِّمة، والمُبَشِّرات: رياحُ الرَّحْمة؛ الجَنوب والشَّمال والصَّبا، وأمَّا الدَّبور فريحُ العَذاب، وليس تبشيرُها مُقْتَصَراً به على المَطر، بل لها تبشيراتٌ بسبب السُّفن والمَسيرِ بها إلى مقاصدِ أهلها، وكأنه بدأ أوَّلاً بشيءٍ عامّ وهو التَّبشير.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٢٥.

وقرأ الأعمش: «الرِّيح» مُفْرداً، وأراد معنى الجمع؛ ولذلك قرأ «مُبَشِّرات»[١].

ثم ذكر من أعْظم تَباشيرها إذاقةَ الرَّحْمة، وهي نزولُ المَطر، ويَتْبعُهُ حصولُ الخِصْب، والرَّوْحَ الذي مع الهُبوب، وإزالةَ العُفونَةِ من الهواء، وتَذْرِيَةَ الحُبوب، وغيرَ ذلك.

«وليُذيقَكم» عَطفٌ على معنى «مُبشِّرات» فالعاملُ «أنْ يُرْسِلَ» ويكونُ عطفاً على التَّوَهُّم؛ كأنه قيل: ليُبَشِّركم، والحالُ والصِّفةُ قد يجيئان وفيهما معنى التَّعليل، تقول: أهِنْ زيداً مُسِيئاً، وأكْرِمْ زيداً العالِمَ، تُريد لإساءته ولعِلْمِهِ.

وقيل: ما يَتعلق به اللّام محذوف، أي: ولكذا أرْسَلناها.

وقيل: الواو في «وليذيقكم» زائدة.

و«بأمْره» أي: بأمر الله، يعني أنّ جَرَيانَها لما كان مُسْنَداً إليها أخْبَرَ أنه بأمره تعالى.

«من فضْله» ممَّا يُسَنِّي[٢] لكم من الرِّبْح في التِّجارات في البحر ومن غنائم أهل الشّرك.

ثم آنسَ رسولَه بأنْ ضَرَب له مَثَل مَنْ أرسل من الأنبياء، وتوعَّد قريشاً بأن ضَربَ لهم مثل مَنْ أهْلَكَ من الأمم الذين أجرموا وكذبوا الأنبياء.

ولمّا كان تعالى بَيَّن الأصلَين المَبْدَأ والمَعاد ببراهين ذِكْر الأصل الثَّالث وهو النُّبوَّة، وفي الكلام حَذفٌ تقديرُهُ: فآمَنَ به بعضٌ وكَذَّب بعضٌ فانْتَقَمْنا من الذين أجْرَموا[٣].

وفي قوله: «وكان حقّاً علَيْنا نَصْرُ المؤمنين» تبشيرٌ للرَّسول وأُمَّته بالنَّصْر والظَّفَر؛ إذْ أخبر أنَّ المؤمنين بأولئك المؤمنين نُصِروا.

---

(١) ذكرها السمين في الدر ٩/ ٥٠.
(٢) يُسَهِّل ويفتح، القاموس المحيط (سني).
(٣) هذا الكلام مختصر من كلام الفخر الرازي، فانظره في تفسيره ٢٥/ ١٣٢ فهو أوضح مما هنا وأبسط.

وفي لَفْظ «حَقّاً» مُبالَغة في التَّحَتُّم، وتكريمٌ للمؤمنين، وإظهارٌ لفَضيلةِ سابقةِ الإيمان، حيث جَعَلهم مُسْتَحِقّين النَّصْرَ والظَّفَر.

والظاهر أن «حَقّاً» خبرُ كان، و«نَصْرُ المؤمنين» الاسم، وأُخِّر لكون ما تَعَلَّق به فاصِلة، وللاهتمام بالخَبَر إذْ هو مَحَطُّ الفائدة.

وقال ابن عطية: ووقفَ بعضُ القُرَّاء على «حَقّاً» وجعَلَه من الكلام المُتَقَدِّم، ثم استأنف جُملةً من قوله: «علينا نَصْرُ المؤمنين» وهذا قولٌ ضعيف، لأنَّه لم يَدْرِ قَدْرَ ما عَرَضَه في نَظْم الآية[١].

وقال الزمخشري: وقد يُوقَف على «حقّاً» ومعناه: وكان الانتقامُ منهم حقّاً، ثم يبتدأ: «علينا نَصْرُ المؤمنين»[٢]. انتهى.

وفي الوَقْف على «وكان حَقّاً» بيانُ أنه لم يكن الانتقامُ ظُلْماً بل عَدْلاً؛ لأنه لم يكن إلا بعد كَوْن بقائهم غيرَ مُفيدٍ إلَّا زيادةَ الإثْم، وولادَةَ الفاجر الكافر، فكان عَدَمُهم خيراً من وُجودهم الخَبيث[٣].

«الله الذي يُرْسل الرِّياح» هذا مُتعلِّقٌ بقوله: «ومن آياته أنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّرات» والجملةُ التي بينهما اعتراضٌ جاءت تأنيساً للرَّسول، وتسْليةً ووَعْداً بالنَّصْر، ووَعيداً لأهل الكُفْر، وفي إرسالها قُدرةٌ وحكمةٌ؛ أمَّا القُدرةُ فإنَّ الهواء اللَّطيفَ الذي يَسبقُهُ البَرْق يصير بحيث يَقْلَعُ الشَّجَر، ويَهدمُ البناء، وهو ليس بذاته يَفعل ذلك بل بفاعلٍ مُختار، وأمَّا الحكمة ففيما يُفضي إليه نَفْسُ الهُبوب من إثارةِ السُّحُب، وإخراجِ الماء منه، وإنباتِ الزَّرْع، ودَرِّ الضَّرْع، واختصاصه بناسٍ دون ناس، وهذه حكمةٌ بالغةٌ مَغْذوقَةٌ[٤] بالمَشيئةِ، والإثارةُ: تحريكُها وتسْييرُها، والبَسْط: نَشْرُها في الآفاق، والكِسَفُ: القِطَع.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٤١، وانظر إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ٨٣٥، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٤٦.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٢٥.
(٣) التفسير الكبير للرازي ٢٥/ ١٣٢.
(٤) من قولهم: هو مَغْذوق بكذا، أي: موسوم به، وسلف استعمال أبي حيان لهذا التركيب في تفسير الآية (٣٥) من سورة الأنعام.

وتقدَّم الكلام في قوله: «فترى الوَدْقَ يَخْرجُ من خِلاله» وذِكْرُ الخلاف في «كِسَفاً وخَلَلِهِ» من جهة القُرَّاء[١].

والضَّمير في «من خِلاله» الظَّاهرُ أنه عائدٌ على السَّحاب إذ هو المُحَدَّث عنه، وذَكَّر الضَّمير لأنَّ السَّحابَ اسمُ جِنْس يجوز تذكيرُهُ وتأنيثُهُ.

قيل: ويَحتمل أنْ يعودَ على «كِسْفاً» في قراءة مَنْ سَكَّن السِّيْن[٢].

والمُرادُ بالسَّماء سَمْتُ السَّماء كقوله: ﴿وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

«فإذا أصاب به من يشاء» أي: أرضَ مَنْ يَشاء إصابتَها فاجَأهم الاستبشارُ، ولم يتأخَّر سُرورُهم.

وقال الأخْفَش: «من قَبْله» تأكيدٌ لقوله: «من قَبْل أنْ يُنَزَّل عليهم»[٣].

قال ابن عطية: أفاد الإعلامَ بسُرعةِ تَقَلُّبِ قلوبِ البشَرِ من الإبْلاس إلى الاستِبْشار؛ وذلك أنَّ قولَه: «من قَبْل أنْ يُنَزَّلَ عليهم» يَحتمل الفُسْحَةَ في الزَّمان، أي: من قَبْل أنْ يُنَزَّل بكثيرٍ كالأيَّام ونحوه، فجاء قولهُ: «من قَبْله» بمعنى أنَّ ذلك مُتَّصلٌ بالمطر، فهو تأكيد مُفيد[٤].

وقال الزمخشري: ومعنى التَّوكيد فيه الدِّلالةُ على أنَّ عَهْدَهم بالمَطَر قد تَطاول وبَعُدَ، فاستحكم يَأْسُهم، وتمادى إبْلاسُهم، فكان الاستبشارُ على قَدْر اغْتمامهم بذلك[٥]. انتهى.

---

(١) في تفسير الآية (٤٣) من سورة النور وشرح مفرداتها، وفي تفسير الآية (٩٣) من سورة الإسراء.

(٢) في (أ، يه): العين، يريد عين الفعل وهي السين، والذين سكنوا السين من «كسفاً» هم: ابن عباس وابن ذكوان والحسن وأبي جعفر، والأعرج وابن عامر، انظر السبعة ٥٠٧، والتيسير ١٧٥، والنشر ٢/ ٣٠٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٢.

(٣) معاني القرآن ٢/ ٦٥٨، ونقله عن الأخفش النحاس في معاني القرآن ٢/ ٢٦٨، وعن النحاس القرطبي ١٦/ ٤٤٧.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٤٢.

(٥) الكشاف ٣/ ٢٢٦.

وما ذكره ابن عطية والزمخشري من فائدة التأكيد في قوله: «من قبله» غيرُ ظاهر[١]، وإنما هو عندي ذكرهُ لمجرَّد التَّأكيد، ويُفيد رَفْعَ المجاز فقط.

وقال قُطْرُب: التَّقدير: وإنْ كانوا من قَبْلِ التَّنزيل من قبلِ المَطر. انتهى[٢]. وصار من قبْل إنزالِ المطر من قبل المطر، وهذا تركيبٌ لا يَسوغُ في كلامٍ فصيح فَضْلاً عن القرآن.

وقيل: التَّقدير: من قبل تَنْزيل الغَيْثِ من قبل أن يَزْرَعوا، ودَلَّ المَطرُ على الزَّرْع لأنه يَخرج بسبب المَطَر، ودَلَّ على ذلك قولُهُ: «فرَأَوْه مُصْفَرّاً» يعني الزَّرْعَ. انتهى[٣].

وهذا كلامٌ لا يستقيم؛ لأنَّ «من قبل أن يُنَزَّل عليهم» مُتعلّقٌ بقوله: «لَمُبْلِسين» ولا يمكن من قبل الزَّرْع أن يتعلَّق بمُبْلِسين؛ لأنَّ حَرْفَي جَرٍّ لا يتعلَّقان بعاملٍ واحد، إلَّا إن كان بوساطة حرف العطف، أو على جهةِ البَدَل، وليس التَّركيب هنا: ومن قبله بحرف العطف، ولا يصحُّ فيه البَدل؛ إذْ إنْزالُ الغَيْث ليس هو الزَّرْع، ولا الزَّرْعُ بعضُه.

وقد يُتَخَيَّل فيه بَدلُ الاشتمال بتَكَلُّف؛ إمَّا لاشتمال الإنزال على الزَّرْع بمعنى: أنَّ الزَّرعَ يكون ناشئاً عن الإنزال، فكأنَّ الإنزالَ مُشْتَملٌ عليه، وهذا على مَذْهَب مَن يقول: الأوَّل يَشْتَمِل على الثاني.

وقال المبرِّد: الثاني السَّحاب؛ لأنهم لما رأوا السَّحابَ كانوا راجينَ المطر. انتهى. ويريد من قبل رؤية السَّحاب[٤]؛ ويحتاج أيضاً إلى حرف عطف حتى يُمكن تَعلُّقُ الحرفَين بمُبْلِسين.

وقال عليُّ بن عيسى: من قبل الإرْسال. وقال الكرمانيّ: من قبل الاستِبْشار؛ لأنَّه قَرَنَه بالإبْلاس، ولأنه مَنَّ عليهم بالاستبشار. انتهى.

---

(١) قال السمين في الدر المصون ٩/ ٥٢: ولا أدري عدم الظهور لماذا؟

(٢) نقله عن قطرب: النحاس في معاني القرآن ٥/ ٢٦٩، والثعلبي في الكشف والبيان ٥/ ٤٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٣٠٩، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٤٤٧.

(٣) ذكره القرطبي ١٦/ ٤٤٨.

(٤) من قوله: لأنهم لما رأوا السحاب... إلى هنا ليس في المطبوع.

ويحتاج قولُهُ وقولُ ابنِ عيسى إلى حرف العطف.

فإن ادُّعي في قول مَن جَعل الضَّميرَ في «من قبله» عائداً إلى غير إنزالِ الغيث أنَّ حرف العطف محذوف؛ أمْكَنَ، لكنْ في حذْفِ حرف العطف خلافٌ أيَنْقَاسُ أم لا يَنْقاس، أمَّا حذفهُ مع الجُمَلِ فجائز، وأمَّا وَحْدَه فهو الذي فيه الخِلاف[1].

وقرأ عبد الله بإسقاط: «من قبله»[2].

وقرأ الحِرْميَّان وأبو عمرو وأبو بكر «إلى أَثَر» بالإفراد، وباقي السّبعة بالجَمع، وسَلَّام بكسر الهمزة وإسكان الثّاء[3].

وقرأ الجَحْدَريّ وابنُ السَّميْفَع وأبو حَيْوَة: «تُحْيي» بتاء التَّأنيث، والضَّمير عائدٌ على الرَّحْمة[4].

وقال صاحب «اللَّوامِح»[5]: وإنما أنَّثَ الأثَرَ لاتِّصاله بالرَّحمة؛ أضافه إليها فاكْتَسَب التَّأنيثَ منها، ومثلُ ذلك لا يجوز إلَّا إذا كان المُضافُ بمعنى المضاف إليه أو من سبَبه، وأمَّا إذا كان أجنبيَّاً فلا يجوز بحال. انتهى.

وقرأ زيد بن عليّ: «نُحْيي» بنون العَظَمة، والجمهور: «يُحْيي» بياء الغَيْبَة، والضّمير لله، ويدلُّ عليه قراءةُ «آثار» بالجَمْع، وقيل: يعود على «أثَر» في قراءة مَن أفْردَ.

(١) نقل هذا كله عن أبي حيان: السمين ٩/ ٥٢-٥٣، والآلوسي ٢٠/ ٤٨١-٤٨٢، وعلي بن عيسى: هو الرماني، وانظر من أجل بدل الاشتمال وحذف حرف العطف: شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٢٣٨، ٣٧٩، والمقتضب للمبرد ١/ ٢٧ و٤/ ٢٩٦، والمقتصد في شرح إيضاح أبي علي الفارسي للجرجاني ٢/ ٩٣٤، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ١٢٦٠-١٢٦٨، وارتشاف الضرب ١٩٦٨ لأبي حيان.

(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ٤٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٢، وهذه الجملة من (يه).

(٣) السبعة ٥٠٨، والتيسير ١٧٥، والنشر ٢/ ٣٤٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٢.

(٤) المحتسب ٢/ ١٦٥، والكشاف ٣/ ٢٢٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٢، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٤٨، وزاد ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٣١٠ نسبتها إلى عثمان بن عفان وأبي رجاء وأبي عمران الجوني وسليمان التيمي.

(٥) هو أبو الفضل الرازي، وسلف مراراً.

وقال ابن جنّي: «كيف يُحْيي» جملةٌ منصوبةُ الموضع على الحال حَمْلاً على المعنى، كأنَّه قال[1]: مُحْيياً، وهذا فيه نَظَر.

«إنَّ ذلك» أي: القادرُ على إحياء الأرض بعد مَوْتها هو الذي يُحيي الناسَ بعد موتهم، وهذا الإخبارُ على جهةِ القياس في البَعْث، والبَعْثُ من الأشياء التي هو قادرٌ عليها تعالى.

«ولئن أرْسَلْنا ريحاً» أخبر تعالى عن حال تَقَلُّبِ ابن آدم في أنه بعد الاسْتبشار بالمطر بَعَثَ الله ريْحاً فاصْفَرَّ بها النَّبات، فظَلُّوا يكفرون قَلَقاً منهم.

والرِّيح التي يَصْفَرُّ بها النَّباتُ حَرورٌ أو حَرْجَف، وهما مما يُصبحُ به النباتُ هَشيماً، والحَرْجَفُ: الشَّمالُ إذا عَصَفَتْ.

والضمير في «فرَأَوْه» عائدٌ على ما يُفْهَم من سياق الكلام وهو النَّبات، وقيل: إلى الأثَر، لأن الرَّحْمةَ هي الغَيْث، وأثَرُها هو النّبات.

ومَن قرأ «آثار»بالجمع رَجَعَ الضَّمير إلى معنى آثارِ الرَّحمة وهو النَّبات.

واسمُ النَّبات يَقَع على القليل والكثير، لأنه مَصْدرٌ سُمِّي به ما يَنْبُت.

وقال ابنُ عيسى: الضمير في «فرَأَوْه» عائدٌ على السَّحاب، لأن السَّحاب إذا اصْفَرَّ لم يُمْطِر، وقيل: على الرِّيح، وهذان قَوْلان ضعيفان[2].

وقرأ جَناح بن حُبَيْش: مُصْفارًا بألف بعد الفاء[3].

واللام في «ولئنْ» مؤذِنَةٌ بقَسَم محذوف، وجوابُه: «لَظَلُّوا» وهو مما وُضِع فيه الماضي مَوضعَ المُسْتَقبل اتِّساعاً، تقديرُهُ: ليَظَلُّنَّ، ونَظيرُهُ قولُه تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة: ١٤٥]، أي ما يَتْبَعون.

---

(١) كلمة: قال، ليست في النسخ، زدناها من المطبوع والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٢ وعنه نقل المصنف كلام ابن جني، وانظر المحتسب ٢/ ١٦٥.

(٢) ذكرهما الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٣٢١.

(٣) مختصر في الشواذ ١١٦.

ذَمَّهم تعالى في جميع أحوالهم، كان عليهم أنْ يَتوكلَّوا على فَضْلِ الله فقَنَطوا، وأنْ يَشْكُروا نِعمته فلم يَزيدوا على الفَرَح والاستبشار، وأنْ يَصْبِروا على بلائه فكفروا.

والضمير في «من بَعْده» عائدٌ على الاصْفِرار، أي: من بعد اصْفِرارِ النَّبات يَجْحَدون نِعمتَه.

وتقدَّم الكلامُ على قوله: «فإنَّك لا تُسْمِعُ المَوْتى» إلى قوله: «فهم مسلمون» في أواخر «النَّمل»[1] إلَّا أنَّ هنا الرَّبْط بالفاء في قوله: «فإنك».

❁ ❁ ❁

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

لـمّا ذكر من دلائل الآفاق ذكر شيئاً من دَلائل الأنفُس، وجعل الخَلْقَ من ضَعْفٍ لكثرة ضَعْفِ الإنسان أوَّلَ نشأتِهِ وطفولته، كقوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

والقوَّة التي تلَت الضَّعْف هي رَعْرَعَتُه ونماؤه وقُوَّتُه إلى فصْل الاكتهال، والضَّعف الذي بعد القوَّة هو حال الشَّيخوخة والهرم.

وقيل: «من ضَعْف» من النُّطَف كقوله: ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٨] والتَّرداد في هذه الهَيْئات شاهدٌ بقُدرةِ الصَّانع وعلمِهِ.

---

(١) في تفسير الآية (٨٠) منها.

وقرأ الجمهور بضمِّ الضاد في «ضُعْف» معاً، وعاصم وحمزة بفتحها فيهما، وهي قراءةُ عبد الله وأبي رَجاء[١].

ورُوي عن أبي عبد الرحمن السُّلمي والجَحْدَري والضحَّاك الضمُّ في الأوّل والفتحُ في الثّاني[٢].

وقرأ عيسى بضمَّتَين فيهما[٣].

والظاهر أن الضَّعْف والقوَّةَ هما بالنسبة إلى ما عدا البَدَن من ذلك، وأنَّ الضَّمَّ والفتح بمعنىً واحدٍ في «ضَعْف».

وقال كثير من اللغويين: الضمُّ في البَدَن، والفتح في العقل.

«ما لَبِثوا» هي جواب القَسَم، وهو على المعنى، إذْ لو حُكي قولُهم كان يكون التَّركيب: ما لَبِثْنا غيرَ ساعة، أي: ما أقاموا تحت التُّراب غيرَ ساعة، أو ما لَبثوا في الدُّنيا، استَقَلُّوها لِما عاينوا من أمرِ الآخرة. أو فيما بين فَناء الدُّنيا إلى البَعْث.

وإخبارُهم بذلك هو على جِهة التَّسَوُّرِ والتَّقَوُّل بغير علم، أو على جهة النِّسيان أو الكَذِب.

«يُؤفَكون» أي: يُصْرَفون عن قولِ الحقّ والنُّطْقِ بالصِّدق.

و«الذين أوتوا العلم» هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون.

«في كتاب الله» فيما وَعَدَ به في كتابه من الحَشْر والبَعْث، والعلمُ يَعُمُّ الإيمانَ وغيرَه، ولكنْ نصَّ على هذا الخاصّ تشريفاً وتنبيهاً على مَحَلِّه من العلم.

---

(١) السبعة ٥٠٨، والتيسير ١٧٥-١٧٦، والنشر ٢/ ٣٤٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٣.

(٢) في المحرر الوجيز ٤/ ٣٤٣ أنهم ضموا الضاد في الأول والثاني وفتحوا «ضَعفاً»، وفي تفسير القرطبي ١٦/ ٤٥٠: وقرأ الجحدري: «من ضعف ثم جعل من بعد ضعف» بالفتح فيهما، «ضُعفاً» بالضم خاصة، وفي تفسير الآلوسي ٢٠/ ٤٩٤: وروي عن أبي عبد الرحمن... الضم في الأول والفتح فيما بعد.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٤٣.

وقيل: «في كتاب الله» في اللَّوْح المحفوظ، وقيل: في عِلمه، وقيل: في حُكْمه[١].

وقرأ الحسن: «البَعَث» بفتح العين فيهما[٢]، وقُرِئ بكسرها، وهو اسم، والمفتوح مصدر[٣].

وقال قتادة: هو على التَّقديم والتَّأخير، تقديرُهُ: أوتوا العلمَ في كتاب الله والإيمان لقد لَبِثْتُم[٤]، وعلى هذا تكون في بمعنى الباء، أي العلمَ بكتاب الله، ولعلَّ هذا القولَ لا يصحُّ عن قتادة؛ فإنَّ فيه تفكيكاً للنَّظم لا يَسوغُ في كلامٍ غير فَصيح، فكيف يَسوغ في كتاب الله، وكان قتادةُ مَوصوفاً بعلم العربية، فلا يَصدرُ عنه مثل هذا القول[٥].

والفاء في «فهذا يومُ البَعْث» عاطفةٌ لهذه الجملة المَقُولةِ على الجملة التي قبلَها وهي: «لقد لَبِثْتُم» اعْتَقَبَتْها في الذِّكر.

وقال الزمخشري: فإنْ قلتَ: ما هذه الفاء وما حقيقتُها؟ قلت: هي التي في قوله:

فـقـد جـئـنـا خُـراسـانـا[٦]

وحقيقتُها أنّها جوابُ شرطٍ يدُلُّ عليه الكلام، كأنه قال: إنْ صحَّ ما قلتُم من أنَّ خُراسانَ أقصى ما يُرادُ بنا فقد جئنا خُراسان، وآنَ لنا أن نَخْلُصَ، وكذلك: إنْ كنتُم

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٢٧.

(٢) المحتسب ٢/ ١٦٦، والكشاف ٣/ ٢٢٧، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٥٢.

(٣) ذكره السمين في الدر ٩/ ٥٥، والآلوسي ٢٠/ ٤٩٨.

(٤) تفسير الماوردي ٤/ ٣٢٣، والثعلبي ٥/ ٤٥، والقرطبي ١٦/ ٤٥٢-٤٥٣، والبغوي ٣/ ٤٨٨.

(٥) الذي أخرجه الطبري ١٩/ ٥٢٧ عن قتادة أنه كان يقول: هذا من المُقَدَّم الذي معناه التأخير، هذا من مقاديم الكلام، وتأويلها: وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم لقد لبثتم في كتاب الله. وأما التأويل الذي ذكره أبو حيان (وهو منقول عن الثعلبي والماوردي والقرطبي والبغوي) فقد ذكر الطبري أنه تأويل ابن جُريج، قال: وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول: معنى ذلك: وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله والإيمان بالله وكتابه.

(٦) قطعة من بيت يأتي بتمامه قريباً.

مُنكرين البعثَ فهذا يوم البعث، أي: فقد تبيَّن بُطلانُ قولِكم[١]. انتهى. والبيت:

قالوا خُراسان أقصى ما يُرادُ بنا   قلنا القُفول فقد جئنا خُراسانا[٢]

وإذا أمكَنَ جَعْلُ الفاءِ عاطفةً لم يُتَكَلَّف إضمارُ شرطٍ، وجَعْلُ الفاء جواباً لذلك الشَّرط المحذوف.

«لا تعلمون» لتفريطكم في طلب الحقّ واتّباعه. وقيل: «لا تعلمون» البعثَ ولا تعترفون به، فصار مصيرُكم إلى النَّار فتطلبون التأخير.

«فيومئذٍ» أي: يومَ إذْ يَقعُ ذلك من إقْسام الكفَّار وقولِ أولي العلم لهم.

وقرأ الكوفيون: لا يَنْفَع بالياء هنا وفي الطَّوَل، ووافقهم نافع في الطَّوَل، وباقي السَّبعة بتاء التأنيث[٣].

«ولا هم يُسْتَعْتَبون» قال الزمخشري: من قولك: اسْتَعْتَبَني فلانٌ فأعْتَبْتُهُ، أي: استرضاني فأرضيتُهُ، وذلك إذا كان جانياً عليه، وحقيقة أعْتَبْتُه: أزلْتُ عَتَبَه، ألا ترى إلى قوله:

غَضبت تميمٌ أنْ تُقَتَّلَ عامرٌ   يومَ النِّسار فأُعْتِبوا بالصَّيْلَمِ[٤]

كيف جعلهم غضاباً، ثم قال: فأُعْتِبوا، أي: أُزيلَ غضَبُهم، والغَضَبُ في معنى العَتَب، والمعنى: لا يُقال لهم أرْضُوا ربَّكم بتوبةٍ وطاعة، ومثلُه قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية: ٣٥].

(١) الكشاف ٣/ ٢٢٧.

(٢) البيت للعباس بن الأحنف، وهو في الأغاني ٨/ ٣٧٢، ودلائل الإعجاز ٩٠، وسلف الاستشهاد به في تفسير الآية (١٩) من سورة الفرقان. وكان في المطبوع: إن صح ما قلتم من أن قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا قلنا القفول فقد جئنا خراسانا، وهذا اختصار مخل، والمثبت من النسخ.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتاء هنا وفي «المؤمن» [٥٢]، وقرأ نافع وابن عامر بالتاء هنا، وفي المؤمن بالياء، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالياء فيهما، انظر السبعة ٥٠٩، والتيسير ١٧٦، ومعاني القراءات للأزهري ٢/ ٢٦٦، والنشر ٢/ ٣٤٦.

(٤) البيت لبشر بن أبي خازم، وهو في ديوانه ١٩١، وسلف الاستشهاد بقطعة منه في تفسير الآية (٧٦) من سورة مريم. والصيلم: الداهية، أي: أرضوا بأشد مما هم فيه، وهذا تهكُّم.

فإنْ قلت: كيف جُعلوا غير مُسْتَعْتَبين في بعض الآيات، وغير مُعْتَبين في بعضها [وهو] قولُه: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٤]؟ قلت: أمّا كونُهم غير مُسْتَعْتَبِين فهذا معناه، وأمَّا كونُهم غيرَ مُعْتَبِين فمعناه أنَّهم غيرُ راضين بما هم فيه، فشُبِّهت حالُهم بحال قومٍ جُني عليهم، فهم عاتبون على الجاني غيرُ راضين منه، فإنْ يَسْتَعْتِبوا الله أي: يَسألوه إزالةَ ما هم فيه فما هم من المُجابين إلى إزالتِهِ[١].

وقال ابن عطية: هذا إخبارٌ عن هَوْلِ يومِ القيامة وشدَّةِ أحواله على الكَفَرة في أنَّهم لا يَنْفَعُهم الاعتذار، ولا يُعْطَون عُتْبى ـ وهي الرِّضا ـ و«يُسْتَعْتَبون» بمعنى يَعْتبون، كما تقول: يَمْلِك ويَسْتَمْلِك، والباب في اسْتَفْعَل أنَّه طلَبُ الشَّيء، وليس هذا منه؛ لأن المعنى كان يَفْسُدُ إذا كان المفهوم منه: ولا يُطْلَب منهم عُتْبى[٢]. انتهى.

فيكون استفعل في هذا بمعنى الفعل المُجَرَّد وهو عَتَب، أي: هم من الإهْمالِ وعدمِ الالتفات إليهم بمَنْزلةِ مَنْ لا يُؤَهَّل للعَتَب.

وقد قيل: لا يُعاتَبون على سيِّئاتهم، بل يُعاقَبون.

وقيل: لا يُطْلَب لهم العُتْبى. وقيل: لا يُلْتَمَسُ منهم عَمَلٌ ولا طاعة.

«ولقد ضَرَبْنا» إشارةٌ إلى إزالة الأعْذار، والإتيان بما فوق الكفاية من الإنْذار.

وقال الزمخشري: وَصَفْنا لهم كلَّ صِفةٍ كأنَّها مَثَلٌ في غَرابَتها، وقَصَصْنا عليهم كلَّ قِصَّةٍ عَجيبةِ الشَّأن؛ كصِفةِ المَبْعوثين يوم القيامة، وما يُقال لهم، وما لا يَنْفع من اعتذارهم، ولا يُسْمَعُ من استعتابهم، ولكنَّهم لقَسْوَةِ قلوبهم، ومَجِّ أسماعهم حديثَ الآخرة إذا جئتَهم بآيةٍ من آيات القرآن قالوا: جئتنا بزُورٍ وباطل[٣]. انتهى.

«وأنتم» خطابٌ للرَّسول والمؤمنين، أي: مُبْطِلون في دعواكم الحَشْرَ والجزاء.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٢٧، وما بين معكوفين منه.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٤٤.
(٣) الكشاف ٣/ ٢٢٨.

وقال أبو عبد الله الرازي: وفي توحيد الخطاب بقوله: «ولئن جئتَهم» والجمع في قوله: «إنْ أنتم» لَطيفةٌ؛ وهي أنَّ الله عز وجل قال: ولئن جئتَهم بكلِّ آيةٍ جاءت بها الرُّسُل، فيمكن أن يُجاوبوه بقولهم[1]: أنتم كلُّكم أيُّها المُدَّعون للرِّسالة مُبْطِلون.

«كذلك يَطْبَع الله» أي: مثْلَ هذا الطَّبْع يَطْبَع، أي: يَخْتِمُ على قلوب الجَهَلة الذين قد حَتَم الله عليهم الكُفْرَ في الأزَل، وأسْنَدَ الطَّبْعَ إلى ذاته تعالى إذْ هو فاعلُ ذلك ومُقَدِّرُهُ.

وقال الزمخشري: ومعنى طَبْعِ الله: مَنْعُ الألْطافِ التي يَشْرَحُ لها الصُّدورَ حتى تَقْبَلَ الحقَّ، ثم قال: فكأنه قال: كذلك تَصْدَأُ وتَقْسو قلوبُ الجَهَلَة حتى يُسَمُّوا المُحِقِّين مُبْطلين؛ وهم أَعْرَفُ خلقِ الله في تلك الصِّفة[2]. انتهى، وهو على طريقة الاعتزال.

ثم أمرَه تعالى بالصَّبر على عَداوتهم، وقَوَّاه بتَحَقُّق الوَعْد، وأنَّه لا بُدَّ من إنجازه والوَفاءِ به، ونهاه عن الاهتزاز لِكلامهم والتَّحَرُّك؛ فإنهم لا يَقينَ لهم ولا بَصيرة.

وقرأ ابن أبي إسحاق ويعقوب: «ولا يَسْتَحِقَّنَّك» بحاءٍ مُهْمَلَة وقاف، من الاسْتِحقاق[3]، والجمهور بخاءٍ مُعْجَمَة وفاء، من الاسْتِخفاف، وسَكَّن النُّون ابن أبي عَبْلَة ويعقوب[4]، والمعنى: لا يَفْتِنُنَّك ويكونوا أحقَّ بك من المؤمنين.

---

(١) في التفسير الكبير ٢٥/ ١٣٨، وعنه الآلوسي ٢٠/ ٥٠٠: جاءت بها الرسل ويمكن أن يجاء بها يقولون.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٢٨.

(٣) المحتسب ٢/ ١٦٦، والكشاف ٣/ ٢٢٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٤.

(٤) معاني القراءات للأزهري ٢/ ٢٦٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٤، وزاد المسير ٦/ ٣١٣، والنشر ٢/ ٢٤٦.

[مفردات سورة لقمان]

لُقمان: اسمُ علم، فإنْ كان أعجميًّاً فمَنْعُهُ الصَّرفَ للعُجْمَة والعَلَميّة، وإنْ كان عربيًّاً فمنْعُهُ للعلميَّةِ وزيادةِ الألف والنون، ويكون مُشتقًّاً من اللَّقْم مُرْتَجَلاً؛ إذْ لا يُعْلَم له وَضعٌ في النَّكِرات.

صَعَّر: مُشدَّد العين؛ لغةُ تميم، قال شاعرُهم[1]:

وكُنَّا إذا الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّه ... أقَمْنا له من مَيْلِه فتَقَوَّمِ

فتَقَوَّم: أمرٌ بالاستقامة، والقوافي مَخْفوضَة، أي: فَتَقَوَّم أنت، قاله أبو عُبيدة، وإنشادُ الطَّبَري: فتَقَوَّما فعلاً ماضياً خطأٌ[2].

وتَصاعر لغةُ الحجاز، ويُقال: تَصَعَّر؛ قال الشاعر:

أقَمْنا له من خَدِّه المُتَصَعِّرِ[3]

ويقال: أصْعَرَ خَدَّه، قال المُفَضَّل: هو المَيْل، وقال اليَزيدي: هو التَّشَدُّقُ في الكلام، وقال أبو عُبيدة: أصْلُ هذا من الصَّعَر؛ داءٌ يأخُذُ الإبلَ في رؤوسها وأعناقها فَتَلْتوي[4] منه أعناقُها.

---

(١) هو عمرو بن حُنَيّ التغلبي.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٥١، وعنه تفسير القرطبي ١٦/ ٤٨٠.
والذي في مطبوع مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٢٧: فتقوما، وكذا في تفسير الطبري ١٨/ ٥٥٩، والثعلبي ٥/ ٥٣، والماوردي ٤/ ٣٣٩.
والبيت لعمرو بن حني في معجم الشعراء للمرزباني ١٣، ومن اسمه عمرو من الشعراء لابن الجراح ٥٢.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٥١، وعنه تفسير القرطبي ١٦/ ٤٨١، ولم نقف على أول البيت.

(٤) في (ز٢): فتلوي، وانظر مجاز القرآن ٢/ ١٢٧، وتفسير الماوردي ٤/ ٣٣٩.

القَلَم: معروف.

الخَتْر: أشَدُّ الغَدْر، ومنه قولُهم: إنّك لا تَمُدُّ إلينا شِبْراً من غَدْرٍ إلَّا مَدَدْنا لك باعاً من خَتْر(١).

وقال عمرو بن مَعْدي كَرِب:

وإنَّــك لــو رأيــتَ أبــا عُــمَــيْــرٍ   مَــلأتَ يــدَيْــك مــن غَــدْرٍ وخَــتْــرِ(٢)

وقال الأعشى:

بـالأبْـلَـقِ الـفَـرْدِ مـن تَـيْـمـاءَ مـنـزلُـهُ   حِصنٌ حَصينٌ وجارٌ غيرُ خَتَّارِ(٣)

* * *

سورة لقمان عليه السَّلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن

(١) الكشاف ٣/ ٢٣٧، وأساس البلاغة واللسان وتاج العروس (ختر)، وهو من كلام الأحنف بن قيس ردّ به على معاوية ﷺ في العقد الفريد ٤/ ٢٨.

(٢) ديوانه المجموع ١٢٣، ومجاز القرآن ٢/ ١٢٩، وتفسير الطبري ١٨/ ٥٨٠، والثعلبي ٥/ ٦٢، والماوردي ٤/ ٣٤٨، والقرطبي ١٦/ ٤٩٤، والكشاف ٣/ ٢٣٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٦، والأغاني ١٥/ ٢١١.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٢٩، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٩٥، وروايته في ديوانه ٢٢٩: غير غدّار، ولا شاهد فيه حينئذ.

كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾.

هذه السّورة مكّية، قال ابن عباس: إلا ثلاث آيات أوّلهنَّ: «ولو أنَّ ما في الأرض».

وقال قتادة: إلا آيتين أوَّلهما: «ولو أن» إلى آخر الآيتين(١).

وسببُ نزولها: أن قُريشاً سألتْ عن قصَّةِ لُقمان مع ابنه، وعن برِّ والدَيه فنزلت.

وقيل: نزلت بالمدينة الآياتُ الثَّلاث: «ولو أنّ ما في الأرض» إلى آخرهنّ لما نزل: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقول اليهود: إن الله أنزل التوراة على موسى وخَلَّفها فينا ومَعنا، فقال الرسول: التَّوراة وما فيها من الأنْباء قليلٌ في علم الله، فنزل: «ولو أنَّ ما في الأرض من شَجرةٍ»(٢).

ومناسبتُها لما قبلها أنّه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: ٥٨]، فأشار إلى ذلك بقوله: «ألم تلكَ آياتُ الكتابِ الحَكيم» وكان في آخر تلك ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ [الروم: ٥٨]، وهنا: «وإذا تُتْلى عليه آياتُنا وَلّى مُسْتَكبراً» وتلك إشارةٌ إلى البعيد، فاحتَمل أنْ يكونَ ذلك لبُعْدِ غايته، وعُلوّ شأنه.

و«آيات الكتاب» القرآن. أو اللّوح المَحْفوظ.

ووُصِف الكتابُ بالحكيم؛ إمَّا لتَضمُّنه للحِكمة، قيل: أو فَعيل فيه بمعنى المُحْكَم، وهذا يَقِلُّ أنْ يكون فَعيل بمعنى مُفْعَل، ومنه: عَقَدْتُ(٣) العَسَلَ فهو عَقيد، أي: مُعْقَد، ويجوز أن يكون حَكيم بمعنى حاكم.

وقال الزمخشري: «الحكيم» ذو الحِكْمةِ، أو وَصْفٌ لصفةِ الله عزّ وجل على الإسناد المَجازيّ، ويجوز أن يكون الأصل: الحكيمِ قائلُهُ؛ فحذف المضاف وأُقيم

(١) تفسير الماوردي ٤/ ٣٢٦، والقرطبي ١٦/ ٤٥٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٥، وزاد المسير ٦/ ٣١٥.

(٢) أخرجه الطبري ١٨/ ٥٧٢-٥٧٤ عن ابن عباس وعكرمة وعطاء بن يسار.

(٣) في (أ، ز٢): أعقدت، وهو صحيح أيضاً.

المضاف إليه مقامه، فبانقلابه مَرفوعاً بعد الجرِّ استَكَنَّ في الصِّفةِ المُشَبَّهَة[١].

وقرأ الجمهور: «هُدىً ورَحْمةً» بالنَّصْب على الحال من الآيات، والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة. قاله الزَّمخشري وغيرُه[٢]، ويحتاج إلى نَظَر.

وقرأ حمزة والأعمش والزَّعفراني وطَلحة وقُنبل طريق أبي الفَضْل الواسطي ونَظيف: بالرَّفع خبرُ مبتدأ محذوف، أو خَبَرٌ بعد خبر على مَذهب مَن يُجيز ذلك[٣].

«للمُحْسِنين» الذين يَعملون الحَسنات؛ وهي التي ذَكرها من إقامةِ الصَّلاة، وإيتاءِ الزّكاة، والإيقانِ بالآخرة، ونَظيرهُ قولُ أَوْس[٤]:

الألْمَعِيُّ الذي يَظُنُّ بكَ الـ ... ـظَّنَّ كأنْ قد رأى وقد سَمِعا

حُكي عن الأصمعي أنه سُئل عن الألْمَعيّ فأنشده ولم يَزِدْ[٥].

وخُصَّ المُحسنون لأنهم هم الذين انْتَفَعوا به، ونَظَروه بعين الحقيقة.

وقيل: الذين يعملون بالحَسَن من الأعمال، وخُصَّ منهم القائمون بهذه الثلاث لفَضْل الاعتِداد بها.

ومن صِفةِ الإحسان ما جاء في الحديث من أنَّ: «الإحْسان: أنْ تَعبُدَ الله كأنك تراه»[٦].

وقيل: المُحْسنون: المؤمنون. وقال ابن سَلَّام: هم السُّعَداء. وقال ابن شَجَرة: هم المُنْجِحون. وقيل: النَّاجون[٧].

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٢٩.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٢٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٥.
(٣) انظر في قراءتهما: السبعة ٥١٢، والتيسير ١٧٦، والنشر ٢/ ٣٤٦، ونظيف: هو ابن عبد الله الحلبي، ذكره ابن الجزري في طبقات القراء ٢/ ٣٤٢ فيمن قرأ على قنبل.
(٤) ابن حجر، ديوانه ٥٣.
(٥) الكشاف ٣/ ٢٢٩.
(٦) هو قطعة من حديث عمر ﷺ في ورود جبريل عليه السلام على النبي ﷺ وتعريفه أركان الإيمان والإسلام، أخرجه أحمد (٣٦٧)، ومسلم (٨)، وسلف في تفسير الآية (١١٢) من سورة البقرة.
(٧) انظر تفسير الماوردي ٤/ ٣٢٧.

وكرَّر الإشارةَ إليهم تنبيهاً على عِظَم قَدْرِهم.

ولمّا ذكر من صفات القرآن الحكمة، وأنه هُدىً ورحمةٌ، وأنّ مُتَّبِعَه فائز؛ ذكر حالَ مَن بَدَّل بطلب الحكمة اللَّهوَ، وذكر مُبالغتَه في ارتكابه، حتى جعله مُشْتَرِياً له، وباذِلاً فيه رأسَ عَقْلِهِ، وذكر عِلَّتَه وأنَّها الإضلالُ عن طريق الله.

ونزلت هذه الآية في النَّضْر بن الحارث، كان يَتَّجِر إلى فارس، ويَشتري كُتب الأعاجم، فيحدِّث قريشاً بحديث رُسْتم وإسْفَنْديار ويقول: أنا أحسنُ حديثاً.

وقيل: في ابن خَطَل، اشترى جاريةً تُغنّي بالسَّبِّ[١].

وبهذا فَسَّر لَهْوَ الحديث ابن مسعود وابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد وعكرمة وقتادة.

وقال الحسن: لَهْوُ الحديث: المَعازِف والغِناء[٢].

وفي الحديث من رواية أبي أُمامة أنّ رسول الله ﷺ قال: «شِراءُ المُغَنِّيات وبيعُهنَّ حرامٌ» وقرأ هذه الآية[٣].

وقال الضّحاك: لَهْوُ الحديث: الشِّرك.

وقال مجاهد وابن جُرَيج: الطَّبْل[٤]، وهذا ضَرْبٌ من آلةِ الغِناء.

وقال عطاء: التُّرَّهات. وقيل: السِّحر. وقيل: ما كانَ يَشتغل به أهلُ الجاهلية من السّامر.

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٢٦-٣٢٧، وللنحاس ٥/ ٢٧٩-٢٨٠، وأسباب النزول ٣٦٢، وتفسير الثعلبي ٥/ ٤٧، والماوردي ٤/ ٣٢٩، والبغوي ٣/ ٢١٣ (بهامش الخازن)، والقرطبي ١٦/ ٤٥٨، والكشاف ٣/ ٢٢٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٥، وزاد المسير ٦/ ٣١٥-٣١٦.

(٢) أخرج الأقوال الطبري ١٨/ ٥٣٤-٥٣٨، وانظر المصادر في الحاشية السابقة.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٤٥، وأخرجه أحمد (٢٢١٦٩)، والترمذي (١٢٨٢) و(٣١٩٥)، وابن ماجه (٢١٦٨)، والطبري ١٨/ ٥٣٢-٥٣٣، والثعلبي ٥/ ٤٧، والواحدي في أسباب النزول ٣٦٢، والبغوي ٦/ ٢١٣ وإسناده ضعيف جداً كما ذكر محققو المسند.

(٤) أخرجهما الطبري ١٨/ ٥٣٨، ٥٣٩.

وقال الحسن أيضاً: كلُّ ما شَغَلك عن عبادة الله وذِكرِه من السَّمَر والأضاحيك والخُرافات والغناء.

وقال سَهْل: الجِدالُ في الدِّين والخَوْض في الباطل[١].

والظاهر أنَّ الشِّراء هنا مَجازٌ عن اختيار الشيء، وصَرْفِ عَقْله بكُلّيته إليه؛ فإنْ أُريدَ به ما يَقع عليه الشِّراء كالجواري المُغَنِّيات عند مَن لا يرى ذلك، وككُتبِ الأعاجم التي اشتراها النَّضْر؛ فالشِّراء حقيقة، ويكون على حَذْف مضاف، أي: مَنْ يَشتري ذاتَ لَهْوِ الحديث، وإضافةُ «لَهْو» إلى الحديث هي بمعنى من، لأن اللَّهو قد يكون من حديث ومن غير حديث، فهو كبابِ ساج، والمُرادُ بالحديث: الحديث المُنْكَر.

وقال الزمخشري: ويجوز أن تكون الإضافةُ بمعنى من التَّبعيضيّة، كأنه قال: ومن الناس مَن يَشتري بعضَ الحديث الذي هو اللَّهوُ منه[٢]. انتهى.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «ليَضِلَّ» بفتح الياء، وباقي السَّبعة بضمِّها[٣].

قال الزمخشري: فإنْ قلت: القراءةُ بالرّفع بَيِّنةٌ؛ لأن النَّضْر كان غَرضُه باشتراء اللَّهْو أن يَصُدَّ الناسَ عن الدُّخول في الإسلام واستماع القرآن، ويُضِلَّهم عنه، فما معنى القراءةِ بالفتح؟ قلت: فيه معنيان:

أحدهما: ليَثْبُتَ على ضَلاله الذي كان عليه، ولا يَصْدفَ عنه، ويزيدَ فيه، ويَمُدَّه، فإنَّ المَخْذول كان شديدَ الشَّكيمةِ في عداوة الدِّين وصَدِّ الناسِ عنه.

والثاني أن يُوضع ليَضِلَّ موضع ليُضِلّ؛ من قِبَل أنّ مَن أضَلَّ كان ضالًّا لا مَحالةَ، فدلَّ بالرَّديف على المَرْدوف.

فإن قلت: قولُهُ: «بغير علم» ما معناه؟ قلت: لمَّا جَعله مُشْترياً لَهْوَ الحديث بالقرآن قال: يشتري بغيرِ علمٍ بالتجارة، وبغير بَصيرةٍ بها؛ حيث يَسْتَبدلُ الضَّلالَ

(١) انظر تفسير الماوردي ٤/ ٣٢٨، والكشاف ٣/ ٢٢٩.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٢٩ وما قبله منه.
(٣) السبعة ٢٦٧، والتيسير ١٣٤، والنشر ٢/ ٢٩٩.

بالهُدى، والباطلَ بالحقّ، ونحوه قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] أي: وما كانوا مُهْتَدين للتِّجارة وبُصَراءَ بها[١]. انتهى.

و«سبيلِ الله» الإسلام أو القرآن؛ قولان.

قال ابن عطية: والذي يَترجَّح أنّ الآية نزلت في لَهوِ الحديث مُضافاً إلى الكُفر، فلذلك اشتدَّت ألفاظُ الآية بقوله: «ليُضِل» إلى آخره[٢].

وقرأ حمزة والكسائي وحَفص: «ويَتَّخِذَها» بالنَّصْب عطفاً على «ليُضِلَّ» تشريكاً في الصِّلَة، وباقي السبعة بالرفع عطفاً على يشتري تشريكاً في الصِّلَة[٣].

والظاهر عَودُ الضَّمير في «ويَتّخِذَها» على السَّبيل كقوله: ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٨٦].

قيل: ويَحتمل أن يَعودَ على آيات الكتاب، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة: ٢٣١].

قيل: ويَحتمل أن يَعودَ على الأحاديث؛ لأن الحديثَ اسمُ جِنْس بمعنى الأحاديث.

وقال صاحب «التَّحرير»: يظهر لي أنَّه أراد بلَهْوِ الحديث: ما كانوا يُظهرونَه من الأحاديث في تَقويةِ دينهم، والأمرِ بالدَّوام عليه، وتغيير صفةِ الرَّسول، وأن التَّوراة تدُلُّ على أنَّه من ولد إسحاق، يَقصدون صدَّ أتباعهم عن الإيمان، وأطلقَ اسمَ الشِّراء لكونهم يأخذون على ذلك الرُّشا والجَعائلَ من ملوكهم، ويؤيِّده: «ليُضِلَّ عن سبيل الله» أي: دينه. انتهى وفيه بعضُ حَذْفٍ وتلْخيص[٤].

«وإذا تُتْلى عليه» بدأ أوّلاً بالحَمْل على اللَّفظ فأفْرَدَ في قوله: «مَن يَشتري،

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٣٠.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٤٦.

(٣) السبعة ٥١٢، والتيسير ١٧٦، والنشر ٢/ ٣٤٦.

(٤) نقله الآلوسي في تفسيره ٢١/ ٤٠ وصدّره بقوله: ومن الغريب البعيد ـ وفيه جعل الاشتراء بمعنى البيع ـ ما ذهب إليه صاحب التحرير.
وصاحب التحرير هو ابن النقيب.

وليُضِلَّ، ويَتَّخِذَها» ثمَّ جَمع على المعنى في قوله: «أولئك لهم»، ثم حَمل على اللَّفظ فأفرد في قوله: «وإذا تُتْلَى» إلى آخر الضّمائر.

و«مَن» في «مَن يَشتري» موصولة، ونظيرُه في مَن الشّرطيَّة قوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾، فما بعده أفْرد، ثمّ قال: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ فجمع، ثم قال: ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١] فأفرد.

ولا نعلم جاء في القرآن ما حُمل على اللّفظ، ثم على المعنى، ثم على اللفظ غير هاتين الآيتين[١]، والنحويّون يَذْكرون «ومن يؤمن بالله» الآية فقط، ويَستدلّون بها على أنّ هذا الحُكم جارٍ في مَن الموصولة ونظيرها مما لم يُثَنَّ ولم يُجْمَع من الموصولات.

وتَضمَّنُ هذه الآيةُ ذمَّ المُشتري من وجوه:

التَّولية عن الحكمة، ثم الاستكبار، ثم عدم الالتفات إلى سماعها كأنه غافلٌ عنها، ثم الإيغال في الإعْراض بكون أُذُنَيه كأنَّ فيهما صَمَماً يَصُدُّه عن السَّماع.

و«كأنْ لم يَسْمَعْها» حال من الضمير في «مُسْتَكْبراً» أي: مُشبهاً حالَ مَنْ لم يسمَعْها لكونه لا يجعل لها بالاً، ولا يلتفتُ إليها. و«كأنْ» هي المُخَفَّفة من الثَّقيلة، واسمُها ضمير الشَّأن واجبُ الحَذْف.

و«كأنّ في أُذُنَيْه وَقْرا» حالٌ من «لم يَسْمَعْها»، وقال الزمخشري: ويجوز أن تكونا استئنافَيْن[٢]. انتهى. يعني الجملَتَيْن التَّشبيهيَّتَيْن.

ولمّا ذكر ما وَعَد به الكفَّار من العذاب الأليم ذَكَر ما وَعَد به المؤمنين.

وقرأ زيد بن عليّ: «خالدون» بالواو[٣]، والجمهور بالياء.

---

(١) قال السمين في الدر المصون ٩/ ٦١: وله نظائر تقدم التنبيه عليها في المائدة عند قوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [٦٠]، ونقل الآلوسي في تفسيره ٢١/ ٤١ عن الخفاجي أن لها نظائر.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٣٠.

(٣) ذكرها السمين ٩/ ٦٢، والآلوسي ٢١/ ٤٣.

وانتصب «وَعْدَ الله» على أنه مصدرٌ مؤكِّد لنفسه، و«حقًّا» على المصدر المؤكِّد لغيره؛ لأن قولَه: «لهم جَنّات النَّعيم» في معنى: وَعَدَهم الله جَنّات النّعيم، وأكَّد معنى الوَعْد بالوَعْد، وأما «حَقًّا» فدالٌّ على معنى الثَّبات، أكَّد به معنى الوعْد، ومؤكِّدُهما جميعاً قولُهُ: «لهم جَنّات النعيم»[١]، والعامل فيهما مُتغاير؛ فـ «وَعْدَ الله» منصوب بوَعْدِ الله وَعْدَه، و«حَقّاً» منصوب بأحقّ ذلك حقًّا.

«خَلَقَ السَّموات» إلى «وأنْبَتْنا فيها» تقدَّم الكلامُ على ذلك[٢].

ومعنى «كريم» مَدَحتَه بكَرَم جوهرِهِ، ونَفاستِهِ، وحُسْنِ مَنْظَره، وما تَقضي له النُّفوس بأنه أفضلُ من غيره حتى يَستحقَّ الكَرَم، فيَخُصُّ لفظُ الأزواج ما كان نَفيساً مُسْتَحْسَناً.

أو مَدَحْتَه من جهةِ إتقانِ صَنْعَتِهِ، وظهورِ حُسْنِ الرُّتْبَةِ، والتَّحكيم للصُّنْع فيه، فيَعُمُّ جميعَ الأزواج وهي الأنواع[٣].

وقال الشّعبي: المُراد به الإنسان، فمَن دخل النَّار فهو لَئيم، ومَن دخل الجنّة فهو كريم.

والأكثرون على أنه نباتُ الأرض؛ قال عليّ بن عيسى: هو الطَّيِّبُ الثَّمَر، وقال ابن بحرْ: هو النّافع، وقيل: الحَسَنُ المُونِق[٤].

«هذا خَلْقُ الله» إشارةٌ إلى ما ذَكر من مخلوقاته، وَبَّخ بذلك الكفَّار، وأظهر حُجَّتَه.

والخلق بمعنى المَخْلوق، كقولهم: دِرْهمٌ ضَرْبُ الأمير؛ أي: مَضروبُهُ.

ثمّ سألهم على جهةِ التَّهَكُّم بهم أنْ يُروه ما خَلَقَتْه آلهتُهم لمّا ذكر مخلوقاته، فكيف عَبَدوها من دونه؟

---

(١) إلى هنا في الكشاف ٣/ ٢٣٠، ومن قوله: جنات النعيم، قبل سطرين، إلى هنا ليس في المطبوع.
(٢) في تفسير الآية (٢) من سورة الرعد.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٤٧، ومن قوله: وقال الشعبي... إلى هنا ليس في المطبوع.
(٤) انظر تفسير الماوردي ٤/ ٣٣٠-٣٣١، والقرطبي ١٦/ ٤٦٦.

ويجوز في «ماذا» أنْ تكون كلّها موصولةً بمعنى الذي، وتكون مفعولاً ثانياً لـ «أروني» واستعمالُ ماذا كلّها موصولاً قليلٌ، وقد ذكره سيبويه[١].

ويجوز أن تكون ما استفهاماً في موضع رفعٍ على الابتداء، وذا موصولة بمعنى الذي وهو خبر عن ما، والجملة في موضع نَصْبٍ بأروني، وأروني مُعَلَّقةٌ عن العمل لفظاً لأجل الاستفهام.

ثم أضْرَبَ عن تَوبيخِهم وتَبكيتِهم إلى التَّسجيلِ عليهم بأنَّهم في حَيْرة واضحةٍ لِمَنْ يَتدبَّر؛ لأنَّ مَنْ عَبَدَ صَنماً وتَرك خالقَهُ جديرٌ بأنْ يكون في حَيْرَةٍ وتيهٍ لا يُقْلِعُ عنه.

❁ ❁ ❁

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾.

اختُلِفَ في لقمان أكان حُرًّا أم عَبْداً؟ فإذا قلنا: كان حُرًّا فقيل: هو ابن باعوراء. قال وَهْب: ابن أخت أيُّوب عليه السلام، وقال مُقاتل: ابن خالته.

وقيل: كان من أولاد آزر، وعاش ألفَ سنة، وأدرك داودَ عليه السلام، وأخذَ منه العلمَ وكان يُفتي قبلَ مَبْعَثِ داود، فلمَّا بُعث قطع الفتوى، فقيل له فقال: ألا أكتفي إذا كُفيت.

---

(١) في الكتاب ٢/٤١٨.

وكان قاضياً في بني إسرائيل.

وقال الواقدي: كان قاضياً في بني إسرائيل، وزمانهُ ما بين عيسى ومحمدٍ عليهما السَّلام.

والأكثرون على أنه لم يكن نبيًّا، وقال عكرمة والشّعبي: كان نبيًّا.

وإذا قلنا: كان عبْداً اختُلف في جنسه، فقال ابن عباس وابن المسيّب ومجاهد: كان نُوبيًّا أسودَ مُشَقَّقَ الرِّجلَين ذا مَشافِر.

وقال الفرَّاء وغيرُهُ: كان حَبَشيًّا مَجْدوعَ الأنف ذا مِشْفَر.

واختُلِفَ فيما كان يُعانيه من الأشْغال، فقال خالد بن الرَّبيع[1]: كان نَجَّاراً، وفي «معاني» الزجَّاج: كان نَجَّاداً بالدَّال[2]. وقال ابن المُسيّب: كان خَيَّاطاً، وقال ابن عباس: كان راعياً، وقيل: كان يَحْتَطِب لمولاه كلّ يومٍ حُزْمَةً[3].

وهذا الاضطراب في كونه حُرًّا أو عبداً، وفي جِنسه، وفيما كان يُعانيه؛ يوجب أنْ لا يُكتَب شيءٌ من ذلك ولا يُنْقَل، لكن المفسِّرون مُولَعون بنقل المُضطربات حَشْداً وتكثيراً، والصَّوابُ تَرْكُهُ.

وحِكَمُ لقمان مأثورة كثيرة منها: قيل له: أيُّ الناسِ شَرٌّ؟ قال: الذي لا يُبالي أنْ يراه الناسُ مُسيئاً.

وقال له داود عليه السلام يوماً: كيف أصْبحتَ؟ فقال: أصبحتُ في يد غيري، فتفكَّر داود فيه فصَعِق صَعْقَةً.

---

(١) كذا في النسخ، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٧، وتفسير الآلوسي ٢١/ ٤٧: خالد بن الربيع، وصوابه كما في المصادر: خالد الربعي، وهو ابن باب، له ترجمة في ميزان الاعتدال (٢٣٠٣)، ولسان الميزان ٣/ ٣١٧، وانظر الحاشية الثالثة.

(٢) وقع في مطبوع معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٩٥ نجاراً، بالراء ولم تُقَيّد، ونقل الآلوسي عن أبي حيان أنه بالدال.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٢٧، وللنحاس ٥/ ٢٨٢-٢٨٣، وتفسير الطبري ١٨/ ٥٤٦-٥٤٩، والثعلبي ٥/ ٤٩-٥١، والماوردي ٤/ ٣٣١-٣٣٢، والقرطبي ١٦/ ٤٦٧-٤٧٠، وعرائس المجالس ٣٥٠-٣٥٢، والكشاف ٣/ ٢٣١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٧، وزاد المسير ٦/ ٣١٧-٣١٨.

وقال وَهْب بن مُنَبِّه: قرأتُ من حِكَم لقمان أكثرَ من عشرة آلاف[١].

والحِكمةُ: المَنْطق الذي يُتَّعَظُ به، ويُتَنَبَّه به، ويَتناقلُهُ الناسُ لذلك.

«أنِ اشْكُر لله» قال الزمخشري: أنْ هي المُفَسِّرة؛ لأن إيتاءَ الحكمة في معنى القول، وقد نبَّه سبحانه على أنّ الحكمة الأصليَّةَ والعلمَ الحقيقي هو العملُ بهما، أو عبادة الله والشكر له، حيث فسَّر إيتاء الحكمة بالبعث على الشُّكر[٢].

وقال الزجاج: المعنى: ولقد آتينا لقمانَ الحكمةَ لأنْ يَشْكُرَ الله[٣]، فجعلها مصدريَّة لا تفسيريّة.

وحكى سيبويه: كتبتُ إليه بأنْ قُمْ[٤].

«فإنّما يَشْكرُ لنفسه» أي: ثوابُ الشُّكر لا يَحصل إلا للشّاكر؛ إذْ هو تعالى غَنيٌّ عن الشكر، فشُكرُ الشاكر لا يَنْفعُهُ، وكُفْر مَن كفر لا يَضُرُّه.

و«حَميد» مُستَحقُّ الحَمْدِ لذاته وصفاته.

«وإذ قال» واذْكُر إذْ، وقيل: يحتمل أن يكون التقدير: وآتيناه الحكمةَ إذْ قال، واختُصر لدلالة المتقدِّم عليه.

وابنُه: ثاران، أو أنْعَم، أو أشْكَم، أو مشكم، أو ماثان؛ أقوال[٥].

«وهو يَعِظُه» جملة حالية، قيل: كان ابنهُ وامرأتهُ كافرَيْن، فما زال يَعِظُهما حتى أسلَما.

والظاهر أنَّ قولَه: «إنّ الشّركَ لَظُلْمٌ عظيم» من كلام لقمان.

وقيل: هو خبرٌ من الله منقطعٌ عن كلام لقمان، مُتَّصلٌ به في تأكيد المعنى.

(١) انظر الكشاف، والمحرر الوجيز، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٧٠.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٣١.
(٣) معاني القرآن ٤/ ١٩٥.
(٤) الكتاب ٣/ ١٦٢، وانظر تفسير القرطبي ١٦/ ٤٧١.
(٥) تفسير الماوردي ٤/ ٣٣٣، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٧١، والكشاف ٣/ ٢٣١.

وفي «صحيح» مسلم ما ظاهره أنه من كلام لقمان[١].

وقرأ البَزّي: «يا بُنَيْ» بالسكون، و«يا بُنَيِّ إنَّها» بكسر الياء، و«يا بُنَيَّ أقِمْ» بفتحها، وقُنْبُل بالسكون في الأولى والثالثة والكسر في الوسطى، وحَفْص والمُفَضَّل عن عاصم بالفتح في الثلاثة على تقدير: يا بُنَيَّا، والاجتزاء بالفتحة عن الألف، وقرأ باقي السَّبعة بالكسر في الثلاثة[٢].

«وَوصَّيْنا الإنسانَ بوالدَيْه» لما بَيَّن لُقمان لابنه أنَّ الشِّركَ ظُلْمٌ عظيم، ونهاه عنه، كان ذلك حثّاً على طاعة الله، ثم بيَّن أنّ الطاعة أيضاً تكون للأبوين، وبَيَّن السَّببَ في ذلك، فهو من كلام لقمان مما وصَّى به ابنَه، أخبر الله عنه بذلك.

وقيل: هو من كلام الله قاله للقمان، أي: قلنا له: اشكر، وقُلْنا له: ووَصَّينا.

وقيل: هذه الآيةُ اعتراضٌ بين أثناء وَصيَّةِ لقمان، وفيها تشديدٌ وتوكيد لاتّباع الولد والدَه، وامتثالِ أمره في طاعة الله تعالى.

وقال القُرطبي: والصَّحيح أنَّ هذه الآية وآية العنكبوت نزلتا في سعد بن أبي وَقَّاص، وعليه جماعةٌ من المُفَسِّرين[٣].

ولما خَصَّ الأمَّ بالمَشَقَّات من الحَمْل والنِّفاس والرَّضاع والتَّربية نَبَّه على السَّبب الموجِب للإيصاء بها؛ ولذلك جاء في الحديث الأمرُ ببرِّ الأمّ ثلاثَ مِرار، ثم ذكر الأبَ فجعل له مَرَّةً؛ الرُّبْعَ من المَبَرَّة[٤].

---

(١) أخرج مسلم (١٢٤) من حديث عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

(٢) المحرر الوجيز ٤/٣٤٨، والسبعة ٣٣٤، ٥١٢-٥١٣، والتيسير ١٧٦، والنشر ٢/٢٨٩.

(٣) تفسير القرطبي ١٦/٤٧٣، وانظر الأقوال السالفة فيه، وآية العنكبوت (٨) سلف الكلام عليها.

(٤) إشارة إلى حديث معاوية بن حيدة ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، مَن أبرّ؟ قال: أمك، قلت: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: قلت: يا رسول الله، ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: قلت: ثم من؟ قال: ثم أباك، ثم الأقرب فالأقرب. أخرجه أحمد (٢٠٠٢٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٣)، وأبو داود (٥١٣٩)، والترمذي (١٨٩٧).

«وَهْناً على وَهْن» قال ابن عباس: شِدَّةً بعد شِدَّة، وخَلْقاً بعد خَلْق.

وقال الضّحاك: ضَعْفاً بعد ضَعْف.

وقال قتادة: جَهْداً على جَهْد، يعني: ضَعْفُ الحَمْل، وضَعْفُ الطَّلْق، وضَعْفُ النِّفاس، وانتصب على هذه الأقوال على الحال من «أمّه».

وقيل: «وَهْناً على وَهْن» نُطفة، ثم عَلَقة إلى آخر النَّشْأة، فعلى هذا يكون حالاً من الضَّمير المنصوب في «حَمَلَتْه» وهو الولَد[١].

وقرأ عيسى الثَّقفي وأبو عمرو في رواية: «وَهَناً على وَهَن» بفتح الهاء فيهما[٢]، فاحتمل أن يكون كالشَّعْر والشَّعَر، واحتمل أن يكون مصدرَ وَهِن بكسر الهاء يَوْهَنُ وَهَناً بفتحها في المصدر قياساً. وقراءةُ الجمهور بسكون الهاء فيهما.

وقرؤوا: «وفِصالُه». وقرأ الحسن وأبو رَجاء وقَتادة والجَحْدري ويعقوب: «وفَصْلُه»[٣] ومعناه الفِطام، أي: في تمام عامين، عَبَّر عنه بنهايته.

وأجمعوا على اعتبار العامَيْن في مدَّةِ الرَّضاع في باب الأحكام والنَّفَقات، وأمَّا في تحريم اللَّبَن في الرَّضاع فخلافٌ مذكور في الفقه[٤].

و«أن اشْكُر» في موضع نَصْبٍ على قول الزجَّاج، وقال النَّحاس: الأجود أنْ تكون مُفَسِّرة[٥].

«لي» على نِعمةِ الإيمان، «ولوالديْك» على نِعمةِ التَّربية، «إليَّ المصير» توعُّدٌ أثْناءَ الوصيَّة. «وإنْ جاهَداك» إلى «فلا تُطِعْهما» تقدَّم الكلام عليه في «العنكبوت»[٦] إلا أنَّ هُنا «على» وهناك «لتُشرِكَ» بلام العِلَّة.

---

(١) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٨/ ٥٥٠-٥٥١، والماوردي ٤/ ٣٣٤، والثعلبي ٥/ ٥١.
(٢) المحتسب ٢/ ١٦٧، ومختصر في الشواذ ١١٦-١١٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٩.
(٣) المحتسب ٢/ ١٦٧، ومختصر في الشواذ ١١٦، وزاد المسير ٦/ ٣١٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٩، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٧٤.
(٤) انظر المحرر الوجيز وتفسير القرطبي.
(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٩٦، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٨٥.
(٦) في تفسير الآية (٨) منها.

وانتصب «مَعروفاً» على أنه صِفةٌ لمصدرٍ محذوف، أي: صِحاباً أو مُصاحِباً مَعروفاً وعِشْرةً جميلة، وهو إطعامُهما وكِسْوتُهما، وعدمُ جفائهما وانتهارِهما، وعيادتُهما إذا مَرِضا، ومواراتُهما إذا ماتا.

«واتَّبِعْ سَبيلَ مَنْ أنابَ إليَّ» أي: رجع إلى الله، وهو سبيلُ الرسول لا سبيلُهما.

«ثمَّ إليَّ مَرْجِعُكم» أي: مَرْجِعُك ومَرْجِعُهما فأُجازي كلًّا منكم بعمله.

ولمّا نهى لقمانُ ابنَه عن الشِّرك نَبَّهه على قُدرة الله، وأنه لا يمكن أن يَتأخَّر عن مَقْدوره شيء فقال: «يا بُنَيَّ إنها إن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ».

والظّاهر أن الضَّمير في «إنها» ضمير القِصَّة.

وقرأ نافع: «مِثْقَالُ» بالرَّفع على أنَّ «تكُ» تامة، وهي قراءة الأعرج وأبي جعفر[(١)]، وأخبر عن «مثقال» وهو مُذَكّر إخبارَ المؤنث لإضافته إلى مؤنث، وكأنه قال: إنْ تكُ زِنَةُ حَبَّة.

وباقي السبعة بالنَّصب على أنّ «تك» ناقصة، واسمُها ضميرٌ يُفْهَم من سياق الكلام تقديره: هي، أي: التي سألتَ عنها، وكان فيما رُوي قد سأل لقمانَ ابنُهُ: أرأيتَ الحبَّةَ تقع في مَغاصِ البحر أيعلمها الله؟[(٢)] فيكون الضمير ضميرَ جوهرٍ لا ضميرَ عَرَض، ويؤيِّدُهُ قولُهُ: «إنْ تكُ مِثقالَ حَبَّةٍ»، وقراءةُ عبد الكريم الجزري: «فتَكِنَّ» بكسر الكاف وشدِّ النّون وفتحها[(٣)]، وقراءةُ محمد بن أبي فَجَّة البَعْلَبَكّي: «فتُكَنَّ» بضم التاء وفتح الكاف والنون مشدّدة، وقراءةُ قتادة: «فتَكِنْ» بفتح التاء وكسر الكاف وسكون النون؛ من وَكَن يَكِنُ[(٤)]، ورُويت هذه القراءة عن عبد الكريم الجزري أيضاً، أي: تستقرّ.

ويجوز أن يكون الضَّميرُ ضميرَ عَرَض أي: تَكُ الفَعْلَة من الطاعة أو المعصية،

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٠، والسبعة ٥١٣، والتيسير ١٥٥، والنشر ٢/ ٣٢٤.

(٢) ذكره الزمخشري ٣/ ٢٣٣، وابن عطية ٤/ ٣٥٠، وابن الجوزي ٦/ ٣٢١، والقرطبي ١٦/ ٤٧٧.

(٣) المحتسب ٢/ ١٦٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٠، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٧٧.

(٤) قراءة البعلبكي وقتادة في مختصر في الشواذ ١١٧، وقراءة قتادة في المحرر ٤/ ٣٥٠.

وعلى من قرأ بنصب «مثقال» يجوز أن يكون الضّمير في «إنها» ضمير الفَعْلَة لا ضمير القصّة.

قال الزمخشري: فمَنْ نصب - يعني «مثقالَ» - كان الضمير للهَنَةِ من الإساءة والإحسان، أي: إنْ كانت مَثَلاً في الصِّغَر والقَماءة كحبَّةِ الخَرْدَل، فكانت مع صِغَرها في أخفى موضعٍ وأحرزِهِ؛ كجَوْفِ الصَّخْرة، أو حيث كانت من العالَم العُلوي أو السُّفْلي «يأتِ بها الله» يوم القيامة، فيُحاسبُ عليها «إن الله لطيفٌ» يَتَوَصَّلُ علمُهُ إلى كلِّ خَفيٍّ «خَبيرٌ» عالمٌ بكُنْهِهِ، وعن قتادة: لطيف باستخْراجها، خبيرٌ بمُسْتَقَرِّها[١].

وبَدأ له بما يَتَعَقَّلُهُ أوّلاً؛ وهو كينونةُ الشيء في صخرة، وهو ما صَلُبَ من الحَجَر وعَسُر إخراجُه منها، ثم أتْبعَه بالعالَم العُلويِّ وهو أغْربُ للسَّامع، ثم أتْبعَه بما يكون مَقرَّ الأشياء للشَّاهد وهو الأرض[٢].

وعن ابن عباس والسُّدي أنَّ هذه الصَّخرة التي عليها الأرض، قال ابن عباس: هي تحت الأرَضين السَّبع تُكْتَب فيها أعمالُ الفُجَّار[٣].

قال ابن عطية: قيل: أراد الصَّخرةَ التي عليها الأرض والحوت والماء، وهي على ظَهْر مَلَك، وقيل: هي صخرةٌ في الرِّيح، وهذا كلُّه ضعيف لا يثبتُ سَنَده، وإنَّما معنى الكلام المُبالغَة والانتهاء في التَّفهيم، أي: أنَّ قُدرتَه تنالُ ما يكون في تضاعيفِ صَخْرة، وما يكون في السماء والأرض[٤]. انتهى.

قيل: وخَفاءُ الشيء بطُرُق: بصِغَره غاية، وببُعْده عن الرَّائي، وبكونه في ظُلْمة وباحتجابه، فـ «في صخرة» إشارة إلى الحِجاب، و«في السّموات» إشارة إلى البُعد، و«في الأرض» إشارة إلى الظُّلْمة؛ فإن جوفَ الأرض أظلمُ الأماكن، وفي قوله: «يأتِ بها الله» دلالة على العلم والقُدرة كأنه قال: يُحيط بها علمُهُ وقُدرتُه[٥].

(١) الكشاف ٣/ ٢٣٣، وأخرج قول قتادة الطبري ١٨/ ٥٥٧-٥٥٨.
(٢) نقله عن أبي حيان الآلوسي في تفسيره ٢١/ ٦٠.
(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٥٥٦، والماوردي ٤/ ٣٣٧-٣٣٨، والثعلبي ٥/ ٥٢، والقرطبي ١٦/ ٤٧٨، وزاد المسير ٦/ ٣٢١.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٠.
(٥) انظر تفسير الرازي ٢٥/ ١٤٨.

ولمّا نهاه أوّلاً عن الشّرك، وأخبره ثانياً بعلمه تعالى وباهرِ قُدرته؛ أمره بما يتوسَّل به إلى الله من الطَّاعات، فبدأ بأشْرَفها وهو الصّلاة، حيث يتوجَّه إليه بها، ثم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم بالصَّبر على ما يُصيبه من المِحَن جميعه، أو على ما يُصيبه بسبب الأمر بالمعروف ممَّن يَبعثه عليه، والنهي عن المنكر ممَّن يُنكره عليه، فكثيراً ما يُؤذى فاعلُ ذلك، وهذا إنما يُريد به بعد أنْ يَمْتَثِلَ هو في نفسه، فيأتي بالمعروف ويَزْدَجِر عن المنكر.

«إن ذلك» إشارة إلى ما تقدَّم مما نَهاه عنه وأمره به.

والعَزْم: مصدر، فاحتمل أن يُراد به المفعول، أي: من مَعْزوم الأمور، واحتمل أن يُرادَ به الفاعل، أي: عازِمِ الأمور، كقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١].

وقال ابن جُرَيج: مما عَزمه الله وأمر به، وقيل: من مَكارم الأخلاق، وعَزائم أهل الحَزْم السَّالكين طريقَ النَّجاة[١].

والظَّاهر أنه يريد: من لازمات الأمور الواجبة، لأن الإشارةَ بـ «ذلك» إلى جميع ما أمر به ونَهى عنه، وهذه الطَّاعات يدلّ إيصاءُ لقمان بها على أنها كانت مَأموراً بها في سائرِ المِلَل.

والعَزْم: ضَبطُ الأمر ومُراعاةُ إصلاحه.

وقال مُؤرِّج: العَزْم: الحَزْمُ بلُغةِ هُذَيل، والحَزْمُ والعَزْمُ أَصْلان.

وما قاله المُبَرّد من أن العين قُلبت حاءً ليس بشيء؛ لاطّرادِ تصاريف كلِّ واحدٍ من اللَّفْظَين، فليس أحدُهما أصلاً للآخر.

«ولا تُصَعِّر[٢] خَدَّك للنَّاس» أي: لا تُوَلِّهم شِقَّ وَجْهك كفِعْل المُتَكبِّر، وأقبِلْ على الناس بوجهك من غير كِبْرٍ ولا إعجاب، قاله ابن عباس والجماعة[٣].

وقال ابنُ خَوَيْزِمَنْداد: نهى أن يُذلَّ نفسَه من غير حاجة[٤]، وأورد قريباً من هذا

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٥١، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٨٠.
(٢) في (ت، يه): تصاعر، وهي قراءة ترد قريباً.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٥١، وأخرجه الطبري ١٨/ ٥٥٩، ٥٦٠.
(٤) نقله عنه القرطبي ١٦/ ٤٨١.

ابن عطية احتمالاً فقال: ويحتمل أن يُريد[١]: ولا سؤالاً ولا ضَراعةً بالفقر، قال: والأول ـ يعني تأويل ابن عباس والجماعة ـ أظْهَرُ لدَلالةِ ذكر الاختيالِ والفَخْر بعده، وقال مجاهد: ولا تُصعِّر؛ أراد به الإعراضَ هِجرةً بسبب إحْنَةٍ[٢].

وقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم وزيد بن علي: «تُصَعِّر» بفتح الصَّاد وشدّ العين، وباقي السبعة بألف، والجَحدري «تُصْعِر» مضارع أصْعَرَ[٣].

«ولا تَمْشِ في الأرض مَرَحاً» تقدَّم الكلام على هذه الجملة في «سُبحان» [الآية: ٣٧].

«إن الله لا يُحبُّ كلَّ مُختالٍ فَخور» تقدَّم الكلام في «النِّساء» على نظير هذه الجملة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالًا فَخُورًا﴾ [٣٦].

ولمَّا وَصَّى ابنَه بالأمر بالمعروف والنَّهْي عن المنكر ـ وكان ذلك مما قدَّموا به الآمر والنّاهي على المأمور والمَنْهي[٤]، إذا صار هو في نفسه مُمتثلاً للمعروف، مُزْدَجِراً عن المنكر، آمِراً به غيرَهُ، وناهياً عنه غيرَه ـ نهاه عن التَّكَبُّر على الناس، والإعجابِ، والمشي مَرَحاً وأخبره أنَّه تعالى لا يُحبُّ المُختالَ وهو المتكبّر على الناس، ولا الفَخور، قال مجاهد: وهو الذي يُعَدِّد ما أُعطي، ولا يَشكر الله[٥]. ويَدْخُلُ في الفُخور: الفَخْرُ بالأنساب.

«واقْصِدْ في مَشيك واغْضُض من صَوتك» ولما نَهاه عن الخُلُق الذَّميم أمرَه بالخُلُق الكريم؛ وهو القَصْد في المَشْي بحيثُ لا يُبْطِئ كما يَفْعل المُتَنامِسون[٦]

(١) بعدها في النسخ بياض، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٣٥١: يريد أيضاً الضدّ، أي: ولا تصاعر خدك سؤالاً.
(٢) المحرر الوجيز، وأخرج قول مجاهد الطبري ١٨/ ٥٦١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٥١، والسبعة ٥١٣، والتيسير ١٧٦، والنشر ٢/ ٣٤٦، ومختصر في الشواذ ١١٧، وتفسير الثعلبي ٥/ ٥٢-٥٣، والماوردي ٤/ ٣٣٩، والقرطبي ١٦/ ٤٨٠، وزاد المسير ٦/ ٣٢٢، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٢٨٧.
(٤) من قوله: وكان ذلك مما قدموا به... إلى هنا، ليس في المطبوع.
(٥) أخرجه الطبري ١٨/ ٥٦٢.
(٦) في (ز٢): المتماشون، وفي (أ): المتناعسون، والمتنامس: الذي يدعي الورع والزهد ويتظاهر به، انظر تكملة المعاجم العربية ١٠/ ٣١٣.

والمتعاجِبون؛ يتباطؤون في نقل خُطواتهم، المُتنامِس للرِّياء، والمتعاجِبِ للتَّراقُع، ولا يُسْرِع كما يفعل الخُرُقُ المُتَهَوِّرون.

ونظر أبو جعفر المنصور إلى عَمرو بن عُبَيْد فقال:

كُلُّكُم يَمْشِي رُوَيْد

كُلُّكُم يَطْلُبُ صَيْد

غَيرَ عَمرو بنِ عُبَيْد[1]

وقال ابن مسعود: كانوا يُنْهَوْن عن خَبَب اليهود، ودَبيبِ النَّصارى، ولكنْ مَشْياً بين ذلك.

وقيل: معناه: اجْعل بَصَرَكَ موضعَ قدمِك.

وقرئ: «وأَقْصِدْ» بهمزة القطع، أي: سَدِّد في مَشْيك؛ من أَقْصَد الرَّامي إذا سَدَّدَ سَهْمَه نحو الرَّمِيَّة، ونسبها ابن خالويه للحجازيّ[2].

والغَضُّ من الصَّوت: التَّنْقِيص من رَفْعِهِ وجَهارته، والغَضُّ: رَدُّ طُموح الشيء كالصَّوتِ والنَّظَر والزِّمام، وكانت العرب تَفْخَر بجَهارة الصَّوت، وتمدح به في الجاهلية، ومنه قول الشاعر يمدح رجلاً:

جَهيرُ الكلام جَهيرُ العُطاسِ جَهيرُ الرُّواءِ جَهيرُ النَّغَمْ

ويَخطو على الأيْنِ خَطْوَ الظَّليمِ ويَعلو الرِّجالَ بخَلْقٍ عَمَمْ[3]

وغَضُّ الصَّوت أَوْقَرُ للمُتَكَلِّم، وأَبْسَطُ لنَفْسِ السَّامع وفهمِهِ.

---

(١) العقد ٣/ ١٦٥، وتاريخ بغداد ١٤/ ٦٧، ومرآة الزمان ١٢/وفيات سنة (١٤٣هـ)، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥١.

(٢) مختصر في الشواذ ١١٧.

(٣) البيتان للعماني الراجز يمدح هارون الرشيد، وهما في البيان والتبيين ١/ ١٢٦، والكامل للمبرد ٢/ ٦٩٤، وأساس البلاغة (جهر)، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٢، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٨٤-٤٨٥، الأين: الإعياء، والظليم: ذكر النعام، ويقال: إنه لعَمَمُ الجسم؛ إذا كان تاماً.

و«أنْكَر» أفْعَل، وبُني من فِعْل المفعول كقولهم: أشْغَلُ من ذاتِ النِّحْيَيْنِ[١]، وبناؤه من ذلك شاذّ.

و«الأصوات»: أصوات الحيوان كلّها، و«أنْكَر» جامعةٌ للمَذامّ اللاحقة للأصوات، والحمار مَثَلٌ في الذَّمِّ البَليغ والشَّتيمة، شُبِّه الرَّافعون أصواتهم بالحمير، وأصواتهم بالنُّهاق، ولم يؤت بأداة التشبيه، بل أُخْرِج مخرج الاستعارة، وهذه أقصى مُبالغة في الذَّمِّ والتَّنْفير عن رفع الصَّوت.

ولما كان صوتُ الحمير متماثلاً في نفسه لا يكاد يَختلف في الفَظاعة أُفرد؛ لأنه في الأصل مصدر.

ولما كانت أصواتُ الحيوان غيرَ مختلفةٍ جدًّا جُمعت في قوله: «إنَّ أنْكَرَ الأصوات»، فالمعنى: إن أنْكَرَ أصوات الحيوان المختلفِ الجنس صوتُ هذا الجنْس.

وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة: «أصواتُ الحمير» بالجمع بغير لام[٢].

وقال الحسن: كان المشركون يتفاخرون برَفْع الأصوات، فرَدَّ عليهم بأنه لو كان خيراً فُضِّل به الحمير[٣].

والظّاهر أن قوله: «إنّ أنْكَرَ الأصوات لَصَوتُ الحَمير» من كلام لُقمان لابنه تَنْفيراً له عن رَفْع الصَّوت ومُماثلةِ الحمير في ذلك.

وقيل: هو من كلام الله تعالى ـ وفَرَغت وصيَّةُ لقمان في قوله: «واغْضُض من صَوتك» ـ رَدَّ الله به على المشركين الذين كانوا يَتفاخرون بجهَارة الصَّوت، ورَفْعُ

---

(١) هي امرأة من تيم الله بن ثعلبة، كانت تبيع السمن في الجاهلية، فأتاها خَوَّات بن جُبَيْر الأنصاري يبتاع منها سَمْناً، فلم ير عندها أحداً فطمع فيها، فساومها فحلّت نِحْياً ـ وهو زِقُّ السمن ـ مملوءاً، فنظر فيه، ثم قال: أمسكيه حتى أنظر إلى غيره، فقالت: حُلَّ نحياً آخر، ففعل، ونظر إليه فقال: أريد غير هذا فأمسكي هذا، فلما شغل يديها ساورها، فلم تقدر على دفعه حتى قضى ما أراد وهرب، قال العسكري: وهي في هذا المثل مفعولة لأنها شُغلت، انظر الفاخر ٨٦، وجمهرة الأمثال ١/ ٥٦٤ و٢/ ٣٢١، ومجمع الأمثال ١/ ٣٧٦.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٢، ومن قوله: أصوات الحيوان. . . إلى أصوات الحمير، ليس في المطبوع.

(٣) انظر النكت والعيون ٤/ ٣٤١.

الصَّوت يؤذي السَّامع، ويَقرَع الصِّماخَ بقُوَّة، وربّما يَخرِق الغِشاء الذي هو داخلَ الأذن.

وقيل: «واقْصِد في مَشْيك» إشارة إلى الأفعال، «واغْضُض من صَوتك» إشارة إلى الأقوال، فنبَّه على التَّوسُّط في الأفعال، وعلى الإقلال من فُضولِ الكلام.

* * *

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾.

«سَخَّر لكم» تنبيهٌ على الصِّفة[1] الدَّالَّة على الصَّانع من تَسْخير ما في السَّماوات من الشَّمسِ والقَمَر والنُّجوم والسَّحاب، وما في الأرض من الحيوان والنَّبات والمعادن والبحار وغير ذلك، وذلك لا يكون إلا بمُسَخِّرٍ من مالكٍ مُتَصَرِّفٍ كما يشاء.

وقرأ ابن عباس ويحيى بن عمارة: «وأصْبَغَ» بالصَّاد[2]، وهي لغةٌ لبني كَلْب، يُبْدلون من السِّين إذا جامَعت الغين أو الخاء أو القاف صاداً، وباقي القُرَّاء بالسِّين على الأصل.

---

(١) في المطبوع والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٢: الصنعة.
(٢) المحتسب ٢/ ١٦٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٢، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٨٥.

وقرأ الحسن والأعرج وأبو جعفر وشَيْبة ونافع وأبو عمرو وحَفْص: «نِعَمَه» جمعاً مضافاً للضَّمير، وباقي السَّبعة وزيد بن عليّ «نِعْمَةً» على الإفراد(١).

والظاهر أنَّه يُراد بالنِّعمة فيمن قرأ بالإفراد الجنس، كقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وقال ابن عباس: النِّعمةُ الظَّاهرةُ: الإسلام. وقال مجاهد: لا إله إلا الله، والباطنة الإمدادُ من الملائكة. وعن الحسن: الظاهرة، الإسلام، والباطنة: السِّتر(٢).

وعن الضحّاك: الظاهرة: حُسْنُ الصورة، وامتدادُ القامَةِ، وتَسْوِيَةُ الأعضاء، والباطنةُ: المَعْرفة.

وقيل: الظاهرة: البَصَرُ والسَّمعُ واللِّسانُ وسائر الجَوارح، والباطنة: القلْبُ والعقلُ والفَهْمُ.

والذي ينبغي أنْ يُقال: إن الظّاهرة هي ما يُدْرَك بالمُشاهَدَة، والباطنة ما لا يُعلَم إلا بدليل، أو لا يُعلَم أصلاً، فكم من نِعمةٍ في بَدَن الإنسان لا يَعلمُها ولا يَهتدي إلى العلم بها(٣).

وانتصب «ظاهرةً» على الحال من «نِعَمَه» على الجمع، وعلى الصِّفة من «نِعْمَةً» على الإفراد.

وتقدَّم الكلامُ على: «ومن النَّاس» إلى «مُنير» في «الحجّ» وعلى ما بعده إلى «آباءنا» في نظيره في «البقرة»(٤).

«أو لو كان آباؤهم» تقديره: أيَتّبعونهم في أحوالهم وفي هذه الحال التي

(١) السبعة ٥١٣، والتيسير ١٧٧، والنشر ٢/ ٣٤٧، وتفسير الثعلبي ٥/ ٥٧، والقرطبي ١٦/ ٤٨٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٢، وزاد المسير ٦/ ٣٢٣-٣٢٤.

(٢) في المطبوع: والظاهر أنه يراد بالنعمة الظاهرة الإسلام والباطنة الستر.

(٣) انظر الأقوال في: تفسير الطبري ١٨/ ٥٦٧-٥٦٨، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٢٨٩، وتفسير الثعلبي ٥/ ٥٧-٥٩، والماوردي ٤/ ٣٤٢-٣٤٣، والقرطبي ١٦/ ٤٨٦، والكشاف ٣/ ٢٣٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٢٥، وزاد المسير ٦/ ٣٢٤.

(٤) انظر سورة الحج الآية (٨)، والبقرة الآية (١٧٠).

لا ينبغي أن يُتَّبع فيها الآباء؛ لأنها حال تَلَفٍ وعذاب، وقد تقدَّم لنا أن مِثلَ هذا التركيب الذي فيه «ولو» إنّما يكون في الشيء الذي كان ينبغي أن لا يكون، نحو: «أعطوا السَّائل ولو جاء على فَرَس»، «رُدُّوا السَّائل ولو بظِلْفٍ مُحَرَّق»[١]، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]، وكذلك هذا[٢]؛ كان ينبغي مَن دعا إلى عذاب السَّعير أن لا يُتَّبع.

وقرأ الجمهور: «ومَنْ يُسْلِم» مضارع أسْلم، وعليّ والسُّلَمي وعبد الله بن مُسلم بن يَسار بتشديد اللّام مضارع سَلَّم[٣]، وتقدَّم الكلام على نظير هذه الجملة في «البقرة»[٤] والمُراد: التَّفويضُ إلى الله.

«فقد استَمْسَكَ بالعُروةِ الوُثْقى» تقدَّم الكلام عليه في «البقرة» [الآية: ٢٥٦].

وقال الزمخشري: من باب التَّمثيل، مُثِّلَت حالُ المتوكِّل بحال مَن تَدلَّى من شاهقٍ، فاحتاط لنفسه بأن استَمْسك بأوثقِ عُروةٍ من حَبْلٍ مَتينٍ مأمونٍ انقطاعُهُ[٥]. انتهى.

ولمَّا ذكر حالَ الكافر المُجادِل ذكرَ حالَ المُسْلم، وأخبر بأنَّ مُنْتهى الأمورِ صائرٌ إليه.

وقال ابن عطية: والعُرْوَةُ الوُثْقى: الأمرُ المُنْجي الذي لا يُخافُ عليه استحالةٌ ولا إخلالٌ، والعُروةُ[٦]: موضعُ التَّعليق، فكأنَّ المؤمنَ مُتعلِّقٌ بأمر الله، فشَبَّه ذلك بالعُرْوَة[٧]، وسَلَّى رسولَهُ بقوله: «ومَن كَفَر» إلى آخره، وشَبَّه إلزامَ العذابِ

---

(١) من كلام رسول الله ﷺ، أخرجه أحمد (١٦٦٤٨) من حديث أم بجيد.

(٢) انظر الكلام على هذه الأمثلة في تفسير الآية (١٧٠) من سورة البقرة.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٢٩، ومختصر في الشواذ ١١٧، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٨٧، وتفسير الثعلبي ٥/ ٦٠، والكشاف ٣٢/ ٢٣٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٣، وزاد المسير ٦/ ٣٢٥، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٨٦.

(٤) في الآية (١١٢) منها.

(٥) الكشاف ٢٣٥.

(٦) من قوله: والعروة الوثقى ـ في السطر قبله ـ إلى هنا، ليس في المطبوع.

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٣.

وإرهاقِهم إليه باضطرار مَن يَضطرُّ إلى الشيء الذي لا يُمكنه دَفْعُهُ ولا الانفِكاكُ منه، والغِلَظُ يكون في الأجْرام، فاستُعير للمعنى والمُرادُ شِدَّتُه.

«لَيَقولُنَّ الله» أقام الحُجَّةَ عليهم بأنَّهم يُقرُّون بأنَّ الله هو خالقُ العالَم بأسْرِهِ ويَدْعون مع ذلك إلهاً غيرَهُ.

«قُلِ الحمدُ لله» على ظهورِ الحجَّةِ عليهم.

«بلْ أكثرُهم لا يَعلمون» إضْرابٌ عن مُقَدَّر تقديرُهُ: ليس دعواهم بحقٍّ، لا يَعلمون أنَّ ما ارتكبوه من ادِّعاء إلهٍ غير الله لا يصحُّ، ولا يَذهب إليه ذو عِلْم.

ثم أخبر أنَّه مالكٌ للعالَم كُلِّه، وأنه هو الغَنيُّ فلا افتقارَ له لشيءٍ من المَوجودات، «الحَميد» المُستحِقُّ الحمد على ما أنشأ وأنْعَمَ.

«ولو أنّ ما في الأرض من شجَرةٍ أقلامٌ» تقدَّم في أوَّل السُّورة سببُ نزولِ هذه الآية.

ولمّا ذكر تعالى أن ما في السَّماوات والأرض ملكٌ له ـ وكان ذلك مُتناهياً ـ بَيَّن أنَّ في قُدرته وعِلمه عجائبَ لا نهايةَ لها فقال: «ولو أنّ ما في الأرض».

و«أنّ» بعد «لو» في موضع رَفْعٍ على الفاعليَّة، أي: لو وَقَعَ أو ثبتَ على رأي المبرّد، أو في موضع مُبتدأ محذوف الخبر على رأي غيره، وتَقرّر ذلك في علم النّحو[1].

«ومن شجرةٍ» تبيينٌ لـ «ما»، وهو في التقرير في موضع الحال من الضَّمير الذي في الجار والمجرور المُنْتَقل من العامل فيه، وتقديره: ولو أنَّ الذي استقرَّ في الأرض كائناً من شَجرةٍ، و«أقلامٌ» خبرٌ لـ «أنَّ»، وفيه دليلٌ على بُطلان دَعوى الزَّمخشري وبعضِ العَجَم ممَّن يَنصُر قولَه أنَّ خبر «أنَّ» الجائية بعد «لو» لا يكون اسماً جامداً ولا اسماً مُشتقًّا، بل يجب أن يكون فعلاً[2]، وهو قولٌ باطل، ولسانُ

---

(١) انظر المقتضب ٣/ ٧٧، والكامل ٣٦٣-٣٦٤، والكتاب ٣/ ١٣٩-١٤٠، وكتاب الشعر للفارسي ٥٤٣، وارتشاف الضرب ١٨٩٩ فما بعدها، والمصادر في حواشيها، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/ ٤٤٠.

(٢) انظر المفصل للزمخشري ٩/ ٩ (بشرح ابن يعيش).

العرب طافحٌ بالرَدِّ[١] عليه، قال الشاعر:

ولـو أنَـهـا عُـصـفـورةٌ لـحَـسِـبـتَـهـا مُـسَـوَّمـةً تـدعـو عُـبَـيْـداً وأَزْنَـمـا[٢]

وقال آخر[٣]:

ما أَطْيبَ العيشَ لو أنَّ الفتى حَجَرٌ تَـنْـبـو الـحـوادِثُ عـنـه وهـو مَـلْـمـومُ

وقال آخر:

ولـو أنَّ حَـيًّـا فـائـتُ الـمـوتِ فـاتَـه أخو الحرب فوق القارِحِ العَدَوانِ[٤]

وهو كثيرٌ في لسانهم.

والظاهر أنَّ الواو في قوله: «والبحرُ» في قراءة مَن رفع وهم الجمهور واوُ الحال، «والبحرُ» مبتدأ، و«يَمُدُّه» الخبر، أي: في حال كون البحر مَمْدوداً.

وقال الزمخشري: عَطْفاً على محلِّ «أنَّ» ومعمولها على [معنى]: ولو ثَبتَ كونُ الأشجار أقلاماً، وثَبتَ كونُ البحر مَمْدوداً بسبعة أبْحُر[٥]. انتهى.

وهذا لا يتمُّ إلا على رأي المبرِّد؛ حيث زعم أنَّ «أنَّ» في موضع رفعٍ على الفاعليَّة.

وقال بعض النحويِّين: هو عطفٌ على «أنَّ» لأنها في موضع رفْعٍ بالابتداء[٦].

---

(١) في النسخ والمطبوع خلا (يه): بالزيادة، والمثبت منها.

(٢) البيت للعوّام بن شوذب الشيباني من قصيدة في يوم العُظالى، كما في شرح النقائض ٢/ ٧٣٨، وشرح ديوان جرير لابن حبيب ٣٢٣، والمعاني الكبير ٩٢٧، والعقد ٥/ ١٩٥، ومعجم الشعراء ١٦٣، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٨٢٨، وعيون الأخبار ١/ ١٦٦، وشرح التسهيل ٤/ ١٠٠، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٣/ ١٦٣٩، وارتشاف الضرب ١٩٠١، وشرح أبيات المغني ٥/ ٩٧، وفي حواشيها مصادر أخرى، قال ابن دريد: عبيد وأزنم بطنان من بني يربوع.

(٣) هو تميم بن أُبيّ بن مقبل، والبيت في ديوانه ٢٧٣، وانظر شرح أبيات المغني ٥/ ٩٤.

(٤) البيت لصخر بن عمرو بن الشريد من قصيدة عدتها سبعة أبيات في الأصمعيات ١٤٧، وبلا نسبة في شرح التسهيل ٤/ ٩٩، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٣/ ١٦٣٨. القارح من الخيل: ما تمت أسنانه وذلك في الخامسة من عمره، والعدوان: الشديد العدو.

(٥) الكشاف ٣/ ٢٣٦ وما بين معكوفين منه.

(٦) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٤.

وهذا لا يتمُّ إلا على رأي مَن يقول: إنَّ «أنَّ» بعد لو في موضع رَفْعٍ على الابتداء، ولو لا يليها المبتدأ اسماً صَريحاً إلا في ضَرورة شعرٍ نحو قوله[١]:

لـو بـغـيـر الـمـاء حَـلْـقـي شَـرِقٌ ... كـنـتُ كـالـغَـصَّـان بـالـمـاء اعـتـصـاري

فإذا عطفْتَ «والبحرُ» على «أنَّ» ومعمولَيها ـ وهما رَفْعٌ بالابتداء ـ لزم من ذلك أنَّ لو يليها الاسمُ مبتدأً، إذْ يصير التقدير: ولو البحر، وذلك لا يجوز إلا في الضَّرورة، إلا أنه قد يُقال: إنه يجوز في المَعْطوف ما لا يجوز في المَعْطوف عليه، نحو: رُبَّ رجلٍ وأخيه يقولان ذلك.

وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى وأبو عمرو: «والبحرَ» بالنصب على أنه معطوف على اسم «أنَّ»[٢].

وقرأ عبد الله: «وبحرٌ يَمُدُّه» بالتَّنكير والرَّفع[٣]، والواو للحال أو للعطف على ما تقدَّم.

وإذا كانت الواو واو الحال كان بحرٌ ـ وهو نكرة ـ مبتدأ، وذكروا في مُسوِّغات الابتداء بالنَّكرة أن تكون واو الحال تقدَّمتْه، نحو قوله:

سَـرَيْـنـا ونـجـمٌ قـد أضـاء فـمُـذْ بـدا ... مُـحَـيَّـاك أخـفـى ضَـوءُه كـلَّ شـارِقِ[٤]

وقرأ الجمهور: «يَمُدُّهُ» بالياء من مَدَّ، وابن مسعود وأُبيّ بتاء التأنيث من مَدَّ أيضاً، وعبد الله أيضاً والحسن وابن مُصَرِّف وابن هُرْمز بالياء من تحت من أمَدَّ، وجعفر بن محمد: «والبحرُ مِدادُه» أي: ما يُكتب به من السَّواد. وقال ابن عطية: هو مصدر[٥]. انتهى.

---

(١) هو عدي بن زيد العبادي، والبيت في ديوانه ٩٣، وكتاب الشعر ٥٤٣، وشرح التسهيل ٤/ ٩٨، وشرح الكافية الشافية ٣/ ١٦٣٦، وارتشاف الضرب ١٩٠٠، وسلف في تفسير الآية (٤٩) من سورة يوسف.

(٢) السبعة ٥١٣، والتيسير ١٧٧، ومعاني القراءات للأزهري ٢/ ٢٧٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٤، والنشر ٢/ ٣٤٧. وهذه القراءة ليست في المطبوع.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٢٩، والمحتسب ٢/ ١٦٩، وتفسير الثعلبي ٥/ ٦١، والكشاف ٣/ ٢٣٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٤.

(٤) سلف في تفسير الآية (١٥٤) من سورة آل عمران.

(٥) انظر القراءات في المحتسب ٢/ ١٦٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٤، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٩٠، ٤٩١.

«من بعده» أي: من بعد نَفادِ ما فيه «سَبعةُ أبْحُر» لا يُراد به الاقتصار على هذا العدد؛ بل جيء به للكَثْرة كقوله: «المؤمن يأكل في مِعىً واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء»[1] لا يُرادُ به العدد، بل ذلك إشارةٌ إلى القِلَّة والكَثْرة.

ولما كان لفظُ «سبعة» ليس موضوعاً في الأصل للتَّكثير ـ وإنْ كان مُراداً به التَّكثير ـ جاء مُمَيِّزُهُ بلفظ القِلَّة وهو «أبْحُر» ولم يقل: بحور، وإنْ كان لا يُراد به أيضاً إلا التكثير ليُناسبَ بين اللَّفْظَين، فكما تُجوِّز في سبعة واستُعمل للتكثير؛ كذلك تُجُوِّز في «أبحر» واستُعمل للتكثير.

وفي الكلام جملةٌ محذوفة يدلُّ عليها المعنى: وكَتَب بها الكُتَّابُ كلماتِ الله ما نَفِدَت، والمعنى: لو أنَّ أشجارَ الأرض أقلامٌ، والبحرَ مَمْدودٌ بسبعة أبْحُر، وكُتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلماتُ الله ما نَفِدَت ونَفِدَت الأقلامُ والمدادُ الذي في البحر وفي ما يُمِدُّه؛ كما قال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾الآية [الكهف: ١٠٩].

وقال الزمخشري: فإنْ قلت: زعمتَ أنَّ قوله: «والبحرُ يَمُدُّهُ» حالٌ في أحد وَجْهَي الرّفع، وليس فيه ضميرٌ راجع إلى ذي الحال! قلت: هو كقوله:

وقـد أغْـتَـدي والـطَّـيـرُ فـي وكُـنـاتِـهـا[2]

وجئتُ والجيشُ مُصْطَفٌّ، وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمُها حكم الظُّروف، ويجوز أن يكون المعنى: وبحرها، والضَّمير للأرض[3]. انتهى.

وهذا الذي جعله سؤالاً وجواباً من واضح النَّحو الذي لا يَجْهلُهُ المبتدئون[4] فيه؛ وهو أن الجملة الاسمية إذا كانت حالاً بالواو لا تحتاج إلى ضميرٍ يربط، واكتُفي بالواو فيها.

وأمّا قولُهُ: وما أشبه ذلك من الأحوال التي حُكمُها حكم الظُّروف فليس بجيِّد؛

---

(١) أخرجه أحمد (٤٧١٨)، والبخاري (٥٣٩٤)، ومسلم (٢٠٦٠) من حديث ابن عمر ﵄، وأحمد (٩٣٧٧)، والبخاري (٥٣٩٧)، ومسلم (٢٠٦٣) من حديث أبي هريرة ﵁.

(٢) تمامه: بمُنْجَرِدٍ قَيْد الأوابد هيكلِ، وهو من معلقة امرئ القيس، انظر ديوانه بشرح السكري ١/ ٢٤٥.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٣٦.

(٤) في (أ، ت، ز٢): المتقدمون.

لأن الظَّرف إذا وقع حالاً ففي العامل فيه ضميرٌ ينتقل إلى الظَّرف، والجملة الاسميّة إذا كانت حالاً بالواو فليس فيها ضميرٌ مُنتَقل.

وأمّا قوله: ويجوز؛ فلا يجوز إلا على رأي الكوفيين حيث يجعلون «أل» عوضاً من الضّمير.

وقال الزمخشري: فإن قلت: لم قيل: «من شَجرةٍ» على التَّوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر؟ قلت: أُريد تفصيلُ الشَّجَر وتَقَصّيها شجرةً شجرةً، حتى لا يبقى من جنس الشَّجر واحدةٌ إلا قد بُرِيت أقلاماً. انتهى[1].

وهذا النوع هو مما وقع فيه المفرَدُ موقع الجمع، والنّكرة موقع المعرفة، ونظيرُهُ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦] ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر: ٢]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٤٩]، وكقول العرب: هذا أوَّلُ فارس، وهذا أفضل عالم، يريد: من الآيات، ومن الرَّحمات، ومن الدَّوابّ، وأول الفُرسان، أخبروا بالمُفْرَد النَّكرة وأرادوا به معنى الجمع المعرَّف بأل، وهو مَهْيَعٌ في كلام العرب معروف، وكذلك يتقدَّر هذا: من الشَّجرات، أو من الأشجار، وفي هذا الكلام من المُبالَغة في تكثير الأقلام والمِداد ما ينبغي أن يُتَأمَّل؛ وذلك أن الأشجار تشتمل كلُّ واحدةٍ منها على الأغصان الكثيرة، وتلك الأغصان كلُّ غُصْنٍ منها يُقْطَع على قَدْر القلم، فيبلغ عددُ الأقلام في التَّناهي إلى ما لا يعلَم به ولا يُحيط إلا الله تعالى.

وقرأ الجمهور: «ما نَفِدَت كلماتُ الله» بتاء التأنيث في نَفِد، وجمع كلمة بالألف والتاء.

وقرأ زيد بن عليّ: «كلمةُ الله» على التّوحيد والمُراد الجنس.

وقرأ الحسن: «ما نَفِد» بغير تاء «كلامُ الله».

قال أبو عليّ: المُراد بالكلمات والله أعلم ما في المَعْدود[2] دون ما خرج منه

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٣٦.

(٢) في المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٤: المقدور، وعنه نقل قراءة الحسن وكلام أبي علي، وانظر الحجة ٥/ ٤٥٨، ولم نقف على قراءة زيد بن علي.

إلى الوجود، وقالت فرقة: المراد بكلمات الله معلوماتُهُ.

وقال الزمخشري: فإن قلت: الكلمات جمعُ قِلَّة، والموضع مَوْضعُ التَّكثير لا التقليل، فهلّا قيل: كَلِمُ الله؟ قلت: معناه: أنَّ كلماته لا تفي بكَتْبها البحار فكيف بكلمة[١]. انتهى.

وعلى تسليم أنّ «كلمات» جمعُ قِلَّة فجموع القِلَّة إذا تَعرَّفت بالألف واللام غير العَهْديَّة أو أُضيفت عَمَّت، وصارت لا تَخُصُّ القليل، والعامُّ مُسْتَغْرِقٌ لجميع الأفراد[٢].

«إن الله عزيز» كاملُ القُدرة، فَمقْدوراتُه لا نهايةَ لها «حَكيمٌ» كاملُ العلم، فمعلوماتهُ لا نهايةَ لها.

ولمّا ذكر تعالى كمالَ قُدرته وعلمه ذكر ما يُبطِلُ استبعادَهم للحَشْر.

«إلّا كنَفْسٍ واحدة» إلا كخَلْقِ نفسٍ واحدة وبَعْثها، ومَن لا نَفادَ لكلماته يقول للموتى: كونوا فيكونون، فالقليل والكثير، والواحد والجمع لا يتفاوت في قُدرته.

وقال النَّقاش: هذه الآية في أُبيّ بن خَلَفَ وأبي الأسد[٣] ونَبيه ومُنَبِّه ابنَي الحجَّاج قالوا: يا محمد، إنَّا نرى الطِّفل يُخْلَق بتدريج، وأنت تقول: الله يُعيدُنا دفعةً واحدة، فنزلت.

«إن الله سَميعٌ بَصير» سميع: يسمع كلَّ صوت، بصير: يُبصر كلَّ مُبصرٍ في حالة واحدة، لا يَشْغَله إدراكُ بعضها عن إدراك بعض، فكذلك الخلقُ والبعث.

❋ ❋ ❋

(١) الكشاف ٣/ ٢٣٦.
(٢) في هامش (ز٢) حاشية للسمين الحلبي هي بحروفها في الدر المصون ٩/ ٧١ أولها: للناس خلاف في «أل» هل تعم أو لا؟... انظرها ثمة إن أحببت.
(٣) في المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٤، وروح المعاني ٢١/ ٨٩: وأبي الأسود، وفي النكت والعيون ٤/ ٣٤٥، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٩١: وأبي الأشدين.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾.

«يُولج الليل» الجملتين؛ شُرحتا في «آل عمران»[١].

وهنا «إلى أجَل» ويدلُّ على الانتهاءِ أي: يَبْلُغه ويَنتهي إليه، وفي «الزُّمَر» [٥] ﴿لِأَجَلٍ﴾ ويدلُّ على الاختصاص بجَعْل الجَرْي مختصًاً بإدراك أجلٍ مُسمَّىً، وجَرْيُ الشَّمسِ مختصٌّ بآخر السَّنة، وجريُ القمر مختصّ بآخر الشهر، فكلا المعنَيَيْن مناسبٌ لجَرْيهما، فلذلك عُدِّي بهما.

وقرأ عباس عن أبي عمرو: «بما يعملون» بياء الغيبة[٢].

«ذلك بأن الله» الآية تقدَّم شرحُها في «الحج»[٣] وهنا «وأنَّ ما يَدْعون من دونه الباطل» وفي «الحج» «من دونه هو الباطل» بزيادة هو.

ولما ذكر تعالى تَسخيرَ النيِّرَيْن، وامتنانَه بذلك علينا؛ ذكر أيضاً من تسخير الفلَك من العالَم الأرضيّ بجامعِ ما اشتركا فيه من الجَرَيان.

وقرأ الجمهور: «بنعمة الله» على الإفراد اللَّفظي.

---

(١) في تفسير الآية (٢٧) منها.

(٢) السبعة ٥١٣، ومختصر في الشواذ ١١٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٤، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٩٢.

(٣) في تفسير الآية (٦٢) منها.

وقرأ الأعْرج والأعمش وابن يَعْمَر: «بنِعْمات الله» بكسر النّون وسكون العين جمعاً بالألف والتاء.

وقرأ ابن أبي عَبْلَة بفتح النون وكسر العين وبالألف والتاء[١].

والباء تحتمل السَّببيَّة، أي: تجري بسبب الرِّيح وتسخير الله، وتحتمل الحاليَّة؛ أي: مَصحوبةً بنعمة الله وهي ما تحملُهُ السُّفُن من الطَّعام والأرزاق والتِّجارات، وقال ابن عطية: فالباء للإلْصاق[٢]. انتهى.

وقرأ موسى بن الزُّبير: «الفُلُك» بضمّ اللّام[٣].

و«صَبَّارٍ شَكور» بُنيتا مُبالَغة، وفَعَّال أبلغ لزيادة حروفه.

ولمَّا تقدَّم ذكرُ جَرْي الفُلك في البحر ـ وكان في ذلك ما لا يخفى على راكبه من الخوف ـ وتقدَّم ذكرُ النِّعمة؛ ناسب الخَتْمُ بالصَّبر على ما يحذر، وبالشّكر على ما أنعم به تعالى، وشبَّه المَوْجَ في ارتفاعه واسْوِداده واضطرابه بالظُّلَل، وهو السَّحاب، وقيل: «كالظُّلَل» كالجبال، أطلق على الجبل ظُلَّة، وقرأ محمد بن الحنفية: «كالظِّلال»[٤] وهما جمع ظُلَّة، نحو قُلَّة وقُلَل وقِلال.

وقوله: «وإذا غَشِيَهم» فيه التفاتٌ؛ خرج من ضَمير الخطاب في «ليُرِيَكم» إلى ضمير الغيبة في «غَشِيَهم».

و«مَوْجٌ» اسمُ جنس بينه وبين مُفرده تاء التأنيث، فهو يدلُّ على الجمع ولذلك شبَّهه بالجمع.

«فمنهم مُقْتَصِد» قال الحسن: أي: مؤمنٌ يعرف حقَّ الله في هذه النِّعَم، وقال مجاهد: مقتصدٌ على كُفْره، أي: يُسلم لله، ويَفهم نحوَ هذا من القُدرة وإنْ ضلَّ في الأصنام من جهة أنّه يُعَظِّمُها، قيل: أو مُقْتَصدٌ في الإخلاص الذي كان عليه في البحر.

---

(١) انظر القراءتين في المحتسب ٢/ ١٧٠، ومختصر في الشواذ ١١٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٥.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٥ وتحرفت فيه كلمة للإلصاق إلى للأرزاق.
(٣) المحتسب ٢/ ١٧٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٥.
(٤) مختصر في الشواذ ١١٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٥، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٩٤.

قال الزمخشري: يعني أنَّ ذلك الإخلاصَ الحادثَ عند الخوف لا يبقى لأحدٍ قط[١]. انتهى.

وكثُر استعمال الزمخشري «قط» ظرفاً والعامل فيه غيرُ ماضٍ، وهو مخالفٌ لكلام العرب في ذلك.

وقيل: حُذف مُقابل «فمنهم مُقْتَصدٌ» تقديره: ومنهم جاحدٌ، ودلَّ عليه قولُهُ: «وما يَجْحَد بآياتنا» وعلى هذا القول يكون «مُقْتَصدٌ» معناه: مؤمنٌ مقتصِدٌ في أقواله وأفعاله بين الخوف والرجاء، موفٍ بما عاهد الله عليه في البحر[٢].

وخَتم هنا ببُنْيَتَي مبالَغة وهما «خَتَّار» و«كَفور» فالصَّبَّار الشَّكور مُعتَرفٌ بآيات الله، والخَتَّار الكَفور يَجْحَدُ بها، وتوازَنَت هذه الكلماتُ لفظاً ومعنىً؛ أما لفظاً فظاهر، وأما معنىً فالخَتَّار هو الشَّديد الغَدْر، والغدرُ لا يكون إلا من قِلَّةِ الصَّبْر؛ لأن الصَّابر[٣] يُفوِّض أمرَه إلى الله، وأما الغَدَّار فيَعْهَدُ ويَغْدِر، فلا يَصبرُ على العهد، وأمَّا «الكَفور» فمُقابلَة معنى للشَّكور واضحةٌ.

ولمّا ذكر تعالى الدَّلائل على الوَحْدانيَّة والحشر من أوّل السورة أمرَ بالتَّقوى على سبيل الموعظةِ والتَّذكير بهذا اليوم العظيم.

«لا يَجزي» لا يقضي، ومنه قيل للمُتقاضي: المُتجازي، وتقدَّم الكلام في ذلك في أوائل «البقرة»[٤].

ولمّا كان الوالد أكثرَ شَفَقَةً على الولد من الولد على أبيه بدأ به أوَّلاً، وأتى في الإسناد إلى الوالد بالفعل المُقتَضي للتَّجَدُّد لأن شفقتَه مُتَجدِّدة على الولد في كلِّ حال، وأتى في الإسناد إلى الولد باسم الفاعل لأنه يدلُّ على الثبوت، والثُّبوت يَصْدُق بالمرَّةِ الواحدة.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٣٧.

(٢) انظر الأقوال السالفة في تفسير الطبري ١٨/ ٥٨٠، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٢٩٢، وتفسير الثعلبي ٥/ ٦٢، والماوردي ٤/ ٣٤٨، والقرطبي ١٦/ ٤٩٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٥، وزاد المسير ٦/ ٣٢٨.

(٣) في (ز٢) والمطبوع: الصبار.

(٤) في الآية (٤٨) منها.

والجملة من «لا يَجْزي» صفةٌ ليوم، والضَّمير محذوف أي: فيه، فإمَّا أن يُحذَف برُمَّته، وإمَّا على التَّدريج، حُذف حرف الجر فتعدَّى الفعلُ إلى الضمير وهو منصوب فحذف.

وقرأ الجمهور: «لا يَجزي» مضارع جَزى، وعكرمة بضمِّ الياء وفتح الزَّاي مبنيّاً للمفعول، وأبو السَّمال وعامر بن عبد الله وأبو السَّوَّار: «لا يُجْزِئ» بضم الياء وكسر الزاي مَهْموزاً[(١)]، ومعناه: لا يُغني، يقال: أجْزَأتُ عنك جَزاءَ فلان، أي: أغنيتُ.

ويجوز في «ولا مَولودٌ» وجهان: أحدهما: أن يكون معطوفاً على «والد» والجملة من قوله: «هو جازٍ» صفة لـ «مولود». والثاني: أن يكون مبتدأ، و«هو» مبتدأ ثانٍ، و«جازٍ» خبره، والجملة خبر للأوَّل، وجاز الابتداء به وهو نكرة لوجود مُسَوِّغٍ ذلك وهو النَّفي، وذَهِل المَهْدويّ فقال: لا يكون «مولود» مبتدأ لأنه نكرة، وما بعده صفةٌ له، فيبقى بلا خبر[(٢)].

و«شيئاً» منصوبٌ بـ «جازٍ» وهو من باب الإعمال لأنه يطلبُه «لا يَجزي» ويطلبه «جازٍ» فجعلناه من إعمال الثاني لأنه المُختار.

وقرأ ابن أبي إسحاق وابن أبي عَبْلَة ويعقوب: «تَغُرَّنْكم» بالنُّون الخفيفة[(٣)].

وقرأ سِماك بن حَرْب وأبو حَيْوَة «الغُرور» بالضمّ[(٤)]، وهو مَصدر، والجمهور بالفتح، وفسَّره ابن مجاهد والضحَّاك بالشَّيطان[(٥)]، ويمكن حملُ قراءة الضمِّ عليه؛ جَعْل الشيطان نَفْسَ الغرور مُبالغة.

---

(١) مختصر في الشواذ ١١٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٦.
(٢) نقله عن المهدوي ابن عطية في المحرر الوجيز، وانظر الدر المصون ٩/ ٧٣، وتفسير الآلوسي ٢١/ ١٠١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٦.
(٤) المحتسب ٢/ ١٧٢، وتفسير الثعلبي ٥/ ٦٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٦، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٩٦.
(٥) أخرجه عنهما الطبري ١٨/ ٥٨٣.

وقال الزمخشري: فإن قلت: قوله: «ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً» هو واردٌ على طريقٍ من التَّوكيد لم يَرِد عليه ما هو معطوفٌ عليه. قلت: الأمرُ كذلك لأنَّ الجملةَ الاسميّة آكَدُ من الفعلية، وقد انضمّ إلى ذلك قوله: «هو»، وقوله: «مولود»، والسَّببُ في مجيئه على هذا السَّنَن: أنَّ الخطابَ للمؤمنين، وغالبُهم قُبض آباؤهم على الكفر وعلى الدِّين الجاهليّ، فأُريد حَسْمُ أطماعِهم وأطماعِ الناس فيهم أن يَنفعوا آباءهم في الآخرة، وأن يَشفعوا لهم، وأن يُغنوا عنهم من الله شيئاً؛ فلذلك جيء به على الطَّريق الأوكد، ومعنى التَّوكيد في لفظ المولود: أنَّ الواحدَ منهم لو شَفَع للوالِد الأدنى الذي وُلِد منه لم تُقْبَل شفاعتُه، فَضْلاً أنْ يَشفع لمن فوقه من أجداده؛ لأن الولد يقع على الوَلَد ووَلَدِ الوَلَد، بخلاف المولود فإنه لمَن وُلِد منك[1].

«إن الله عنده علم السَّاعة» يُروى أن الحارث بن عمارة[2] المحاربي قال: يا رسول الله، أخبرني عن الساعة متى قيامُها؟ وإني قد ألقيتُ حَبَّاتي في الأرض وقد أبطأتْ عنّا السَّماء فمتى تُمطر؟ وأخبرني عن امرأتي فقد اشتمَلَتْ على ما في بطنها أذكر أم أنثى؟ وعلمتُ ما عملتُ أمس، فما أعمل غداً؟ وهذا مَولدي قد عرَفتُه فأين أموت؟ فنزلت.

وفي الحديث: «في خمسٍ لا يعلَمُهنَّ إلا الله» وتلا هذه الآية[3].

و«علْمُ» مصدر أضيف إلى السَّاعة، والمعنى: علْمُ يقين وَقْتِها «ويُنزِّلُ الغَيْثَ» في إبّانه من غير تقديم ولا تأخير، و«ما في الأرحام» من ذكرٍ أم أنثى، تامٌّ أو ناقِصٍ «وما تدري نَفْسٌ» بَرَّةٌ أو فاجرة «ماذا تكسِب غداً» من خيرٍ أو شرّ، ورُبّما عَزَمت على إحداهما فعَمِلَت ضِدَّه. «بأيِّ أرضٍ تموت» وربّما أقامت

(١) الكشاف ٣/ ٢٣٨.
(٢) في تفسير الثعلبي ٥/ ٦٢، والماوردي ٤/ ٣٥١، والقرطبي ١٦/ ٤٩٧، والآلوسي ٢١/ ١٠٤، ونسخة (م) من أسباب النزول للواحدي ٣٦٤: الوارث بن عمرو، وفي مطبوع أسباب النزول، وتفسير البغوي ٥/ ٢٢٠ (بهامش الخازن)، والكشاف ٣/ ٢٣٨: الحارث بن عمرو.
(٣) أخرجه أحمد (٤٧٦٦)، والبخاري (١٠٣٩) من حديث ابن عمر ﵄، وأحمد (٩٥٠١)، والبخاري (٥٠)، ومسلم (١٠) من حديث أبي هريرة ﵁.

بمكانٍ ناويةً أنْ لا تُفارقَه إلى أنْ تُدْفَنَ به، ثمَّ تُدْفَن في مكان لم يَخْطُر له بالٍ[١] قطّ.

وأسند العلم إلى الله والدِّرايةَ للنَّفْس لما في الدِّرايةِ من مَعْنى الخَتْلِ والحيلة، ولذا وُصِف الله بالعالم ولا يوصَف بالدَّاري، فأمَّا قولهُ:

لاهُمَّ لا أدْري وأنتَ الدَّاري[٢]

فقولُ عَربيٍّ جِلْفٍ جاهلٍ بما يُطلَقُ على الله من الصِّفات، وما يجوز منها وما يَمتنع[٣].

وقرأ الجمهور: «بأيِّ أرضٍ»، وقرأ موسى الأسواري وابنُ أبي عَبْلة: «بأيَّةِ أرضٍ»[٤] بتاء التأنيث لإضافتها إلى المؤنَّث، وهي لغة قليلةٌ فيها، كما أنَّ «كُلًّا» إذا أُضيفت إلى مؤنّث قد تؤنّث، تقول: كُلَّتُهنَّ فَعَلْنَ ذلك.

و«تدري» مُعَلَّقة في الموضعين، فالجملة من قوله: «ماذا تَكسِبُ» في موضعِ مفعول «تدري»، ويجوز أن تكون «ماذا» كلّها موصولاً منصوباً بـ «تدري» كأنه قال: وما تدري نفسٌ الشَّيءَ الذي تكسِبُه غداً.

و«بأيِّ» مُتعلِّقٌ بـ «تموت»، والباء ظرفيَّة، أي: في أيِّ أرضٍ، فالجملة في موضعِ نَصْبٍ بـ «تدري».

ووقع الإخبارُ بأنَّ الله تعالى استأثر بعلم هذه الخمس لأنها جوابٌ لسائلٍ سأل، وهو مُسْتأثِرٌ بعلْمِ أشياءَ لا يُحصيها إلا هو وهذه[٥] الخَمْس.

---

(١) في (ع): يخطر بباله، وفي المطبوع: يخطر لها ببال، وفي الكشاف ٣/ ٢٣٩: لم يخطر ببالها.

(٢) الرجز للعجاج، وهو في ديوانه ١/ ١٢٠ (بتحقيق السطلي).

(٣) رد هذا الكلام الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي ٧/ ١٤٥، ونقله عنه الآلوسي ٢١/ ١٠٧.

(٤) مختصر في الشواذ ١١٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٦، وزاد الثعلبي ٥/ ٦٣، وابن الجوزي ٦/ ٣٣٠-٣٣١، والقرطبي ١٦/ ٤٩٨ نسبتها إلى أبي بن كعب وابن مسعود.

(٥) في (به): غير هذه.

سورة السجدة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ
وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ
مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ
أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ
۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ
۝٩ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلْ
يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ
نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢﴾.

هذه السورة مكيّة؛ قيل: إلا خمس آيات ﴿تَتَجَافَىٰ﴾إلى ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.

وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي: إلا ثلاث آيات أنزلت بالمدينة ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾(١).

وقال كُفَّار قُريش: لم يبعث الله محمداً إلينا، وإنما الذي جاء به اختِلاقٌ منه، فنزلت.

(١) انظر أقوالهم في معاني القرآن للنحاس ٥/ ٢٩٧، والناسخ والمنسوخ ٢/ ٥٨٠ له، وتفسير الماوردي ٤/ ٣٥٢، والقرطبي ١٧/ ٥، وزاد المسير ٦/ ٣٢٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٧.

ولمّا ذكر تعالى فيما قبلَها دلائلَ التَّوحيد؛ من بَدْءِ الخَلْقِ وهو الأصلُ الأوَّل، ثم ذَكر المَعادَ والحَشْرَ وهو الأصل الثاني، وختم به السُّورة: ذكر في بَدْء هذه السورة الأصْلَ الثالث وهو تَبْيين الرِّسالة، و«الكتاب»: هو القرآن.

قال الحَوْفيّ: «تنزيْل» مبتدأ، «ولا رَيْبَ فيه» خبرُه، ويجوز أن يكون «تنزيل» خبرُ مبتدأ، أي: هذا المتلوُّ تنزيل، أو هذه الحروفُ تنزيل، «والم» تدلُّ على الحروف.

وقال أبو البقاء: «الم» مبتدأ، «وتنزيل» خبرُه بمعنى المُنْزَل، و«لا رَيْبَ فيه» حالٌ من «الكتاب» والعامل فيه «تنزيلُ» و«من ربِّ العالَمين» متعلِّقٌ بـ «تنزيل» أيضاً.

ويجوز أن يكون حالاً من الضّمير في «فيه» والعامل فيه الظَّرف.

ويجوز أن يكون «تنزيل» مبتدأ، و«لا رَيْبَ فيه» الخبر، و«من ربِّ العالَمين» حالٌ كما تقدَّم، ولا يجوز على هذا أن يتعلَّق بـ «تنزيل» لأن المصدر قد أُخبر عنه.

ويجوز أن يكون الخبر «من ربِّ» و«لا رَيْبَ» حالٌ من «الكتاب» وأن يكون خبراً بعد خبر[(١)]. انتهى.

والذي أختارُه أن يكون «تنزيلُ» مبتدأ و«لا رَيْبَ فيه» اعتراضٌ و«من ربِّ العالَمين» الخبر.

وقال ابن عطية: «من ربِّ العالَمين» متعلّقٌ بـ «تنزيل» ففي الكلام تقديمٌ وتأخير، ويجوز أن يتعلَّق بقوله: «لا رَيْبَ» أي: لا شَكَّ فيه من جهة الله تعالى، وإنْ وقعَ شكّ للكَفَرَة فذلك لا يُراعى، والرَّيْبُ: الشَّكُّ، وكذا هو في كلِّ القرآن إلا قوله: ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] انتهى[(٢)].

وإذا كان «تنزيل» خبرَ مبتدأ، وكانت الجملة اعتراضيّة بين ما افتقَر إلى غيره وبينه لم نقل فيه: إن فيه تقديماً وتأخيراً؛ بل لو تأخَّر لم يكن اعتراضاً.

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/١٨٩.
(٢) المحرر الوجيز ٤/٣٥٧.

وأمَّا كونه متعلِّقاً بـ «لا رَيْب» فليس بالجيّد؛ لأن نَفْيَ الرَّيْبِ عنهُ مُطلقاً هو المقصود لأن المعنى: لا مَدْخَلَ للرَّيْب فيه أنه تنزيلُ الله؛ لأن مُوجِبَ نفيِ الرَّيْب عنه موجودٌ فيه وهو الإعجاز، فهو أبْعَدُ شيءٍ من الرَّيْب.

وقولُهم: «افتراه» كلامُ جاهلٍ لم يُمْعِن النَّظَرَ، أو جاحِدٍ مُستيقنٍ أنه من عند الله، فقال ذلك حَسَداً وحُكماً من الله عليه بالضَّلال.

وقال الزمخشري: والضّمير في «فيه» راجعٌ إلى مضمون الجملة؛ كأنه قيل: لا رَيْبَ في ذلك، أي: في كونه مُنْزَلاً من ربِّ العالَمين، ويَشهد لوَجاهته قولُهُ: «أم يقولون افتراه» لأن قولَهم: هذا مُفْتَرى إنكارٌ لأنْ يكون من ربِّ العالمينَ، وكذلك قولهُ: «بل هو الحقُّ من ربِّك» وما فيه من تقرير أنه من الله، وهذا أسلوبٌ صَحيحٌ مُحْكَم؛ أثبتَ أوَّلاً أن تنزيلَه من ربِّ العالَمين، وأن ذلك ما لا رَيْبَ فيه، ثمّ أضْربَ عن ذلك إلى قوله: «أم يقولون افتراه» لأن «أم» هي المُنْقَطِعة الكائنة بمعنى «بل» والهمزة، إنكاراً لقولهم وتعجيباً منه لظُهور أمرِهِ في عَجْز بُلَغائهم عن مثل ثلاثِ آياتٍ منه، ثمَّ أضرب عن الإنْكار إلى إثْبات أنه الحقُّ من ربِّك[1]. انتهى. وهو كلامٌ فيه تَكْثير.

وقال أبو عبيدة: «أمْ يقولون» معناه: بل يقولون[2]، فهو خروج من حديثٍ إلى حديثٍ.

و«من ربِّك» في موضع الحال، أي: كائناً من عند ربّك، وبه يتعلَّق «لتُنْذِرَ»، أو بمحذوف تقديره: أنزله لتُنْذر، والقوم هنا قريش والعرب، و«ما» نافية و«من نذير» من زائدة، ونذير فاعل «أتاهم».

أخبر تعالى أنه لم يَبعثْ إليهم رسولاً بخصوصيّتهم قبل محمد ﷺ، لا لهم ولا لآبائهم، لكنَّهم كانوا مُتَعبِّدين بملَّة إبراهيم وإسماعيل، وما زالوا على ذلك إلى أن غَيَّر ذلك بعضُ رؤسائهم، وعَبدوا الأصنام، وعَمَّ ذلك، فهم مُنْدَرجون تحت قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، أي: شريعتُه ودينُهُ، والنَّذير ليس

(١) الكشاف ٣/ ٢٤٠.
(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٣١، وانظر تفسير القرطبي ١٧/ ٧.

مخصوصاً بمَنْ باشَر، بل يكون نذيراً لمن باشره ولغير مَن باشره، فالعرب ممَّن سَبق لها نذير، ولم يُباشِرْهم نذيرٌ غير محمد ﷺ.

وقال ابن عباس ومقاتل: المعنى لم يأتهم نذيرٌ في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السَّلام(١).

وقال الزمخشري: «ما أتاهم من نذيرٍ من قبلك» كقوله: ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦] وذلك أن قريشاً لم يَبعث الله إليهم رسولاً قبل محمد ﷺ، فإنْ قلت: فإذا لم يأتهم نذيرٌ لم تَقُم عليهم حُجَّةٌ؟!

قلت: أما قيامُ الحُجَّة بالشّرائع التي لا يُدْرَك علمُها إلا بالرُّسُل فلا، وأما قيامُها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنَعَم؛ لأن أدلَّةَ العقل الموصِلَةِ إلى ذلك معهم في كلِّ زمان(٢). انتهى.

والذي أذْهَبُ إليه غير ما ذهب إليه المفسِّرون؛ وذلك أنهم فهموا من قوله: «ما أتاهم» و«ما أُنْذِرَ آباؤهم» أنَّ «ما» نافية، وعندي أن «ما» موصولة، والمعنى: لتُنْذرَ قوماً العقابَ الذي أتاهم من نذيرٍ من قبلك، و«من نذيرٍ» متعلّق بـ «أتاهم» أي: أتاهم على لسانِ نذيرٍ من قبلك، وكذلك: «لتُنْذرَ قوماً ما أُنذِر آباؤهم» أي: العقابَ الذي أُنْذِرَه آباؤهم فـ «ما» مفعولة في الموضعين، وأنذر يتعدّى إلى اثنين؛ قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ [فصلت: ١٣]، وهذا القولُ جارٍ على ظواهر القرآن قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩] ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ [القصص: ٥٩].

ولمّا حكى تعالى عنهم أنَّهم يقولون: إن محمداً ﷺ افتراه وردَّ عليهم اقتصر في ذكر ما جاء به القرآن على الإنذار، وإنْ كان قد جاء له وللتَّبشير؛ ليكون ذلك

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٧، وتفسير الثعلبي ٥/ ٦٥، والبغوي ٥/ ٢٢١ (بهامش الخازن)، والقرطبي ١٧/ ٧.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٤٠.

رَدْعاً لهم، ولأنه إذا ذَكر الإنْذارَ صار عند العاقل فِكرٌ فيما أُنْذِرَ به، فلعلَّ ذلك الفِكْر يكون سبباً لهدايته.

و«العلَّهم يَهْتَدون» تَرْجِيَةٌ من رسول الله، كما كان في قوله: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] ترجية من موسى وهارون. قال الزمخشري: وأنْ يُستعارَ لفظُ التَّرَجِّي للإرادة[١]. انتهى.

يعني أنه عبَّر عن الإرادة بلَفْظ التَّرَجِّي، ومعناه: إرادةُ اهتدائهم، وهذه نَزْغَةٌ[٢] اعتزاليَّة؛ لأنه عندهم أنْ يُريد هداية العبد فلا يَقع ما يُريد، ويقع ما يريد العبد، تعالى الله عن ذلك.

ولمّا بيَّن تعالى أمرَ الرِّسالة ذَكَر ما على الرَّسول من الدُّعاء إلى التوحيد، وإقامة الدَّليل بذكر مَبدأ العالَم، وتقدَّم الكلامُ على «في ستَّة أيام» في «الأعراف»[٣]. «ما لكم من دونه من وليٍّ ولا شَفيع» أي: إذا جاوَزْتموه إلى سواه فاتَّخَذْتموه ناصِراً أو شَفيعاً؛ لم تجدوه ناصراً ولا شفيعاً.

«أفلا تَتَذَكَّرون» موجِدَ هذا العالَم، فتعبدوه وترفضوا ما سواه.

«يُدَبِّر الأمْرَ» الأمْرُ: واحدُ الأمور، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة والضحَّاك: يُنْفِذُ الله قضاءه بجميع ما يشاءُه، «ثم يَعْرُج إليه» أي: يَصْعَد خَبرُ ذلك «في يوم» من أيّام الدُّنيا «مِقْدارُه» أنْ لو سِيرَ فيه السَّيرَ المعروفَ من البشَر «ألفَ سَنةٍ» لأنَّ ما بين السَّماء والأرض خمس مئة [سنة].

وقال مجاهد أيضاً: الضَّمير في «مقدارُه» عائدٌ على التَّدبير، أي: كان مقدارُ التدبير المُنْقَضي في يوم ألفَ سنة لو دَبَّره البَشَر.

وقال مجاهد أيضاً: يُدَبِّر ويُلقي إلى الملائكة أمورَ ألفِ سنة من عندنا وهو اليوم عنده، فإذا فَرَغَت ألقى إليهم مثلَها، فالمعنى أن الأمور تنفذ عنده لهذه المدَّة، وتصير إليه آخِراً؛ لأن عاقبةَ الأمور إليه.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٤١، وفيه: لعلهم يهتدون فيه وجهان: أن يكون على الترجي من رسول الله ﷺ... وأن يستعار.

(٢) في (أ، ز٢): نزعة، وهما بمعنى.

(٣) في الآية (٥٤) منها.

وقيل: المعنى: يُدَبِّرُه في الدُّنيا إلى أن تقومَ السَّاعة، فينزل القضاء والقدر «ثم يَعْرُج إليه» يوم القيامة، و«مقدارُهُ» ما ذَكر؛ ليَحْكُم فيه في ذلك اليوم، حيث يَنْقَطعُ أمرُ الأُمراء وأحكام الحُكَّام، ويَنْفَردُ بالأمر، وكلُّ يومٍ من أيام الآخرة كألف[(١)] سنة، وهو على الكفَّار قَدْرَ خمسين ألف سنة حسبما في سورة: «سأل سائل»[(٢)]، وتأتي الأقوال فيه إن شاء الله تعالى[(٣)].

وقيل: ينزل الوحيُ مع جبريل من السَّماء إلى الأرض، ثم يرجع إلى ما كان من قَبول الوَحْي أو رَدِّه مع جبريل، وذلك في وقتٍ هو في الحقيقة ألفُ سنة؛ لأن المسافةَ مَسيرة ألف سنة في الهُبوط والصُّعود، لأنَّ ما بين السماء والأرض مسيرةُ خمس مئة سنة، وهو يومٌ من أيَّامكم لسُرعة جبريل، لأنه يَقطَع مسيرةَ ألف سنة في يومٍ واحد.

وقال الزمخشري وبدأ به: «الأمرَ»: المأمورَ به من الطَّاعات والأعمال الصَّالحة، يُنْزِلُهُ مُدَبَّراً من السماء إلى الأرض، ثم لا يُعْمَل به، ولا يَصْعَد إليه ذلك المأمور به خالصاً كما يُريدُه ويَرْتضيه إلا في مدَّةٍ مُتطاوِلَة؛ لقلَّة عُمَّالِ الله والخُلَّصِ من عِباده، وقِلَّةِ الأعمال الصَّاعدة؛ لأنه لا يوصَف بالصُّعود إلا الخالِصُ، ودلَّ عليه قولُهُ على أثَره: «قليلاً ما تشكرون»[(٤)]. انتهى.

وقيل: يُدَبِّر أمرَ الشَّمس في طلوعها من المَشْرق، وغروبها في المَغْرب، ومدارِها في العالَم من السماء إلى الأرض؛ لأنها على أهل الأرض تَطْلُع إلى أن تَغْرُبَ وترجِعَ إلى موضعها من الطُّلوع في يومٍ مقدارُهُ في المسافة ألف سنة[(٥)].

والضَّمير في «إليه» قيل: عائدٌ إلى السماء لأنها تُذَكَّر، وقيل: إلى الله[(٦)].

---

(١) في (أ، ت، ع، د٢): بألف، والمثبت من (ح، ز٢، يه) وهما سواء.
(٢) في تفسير الآية (٤) منها، وهي سورة المعارج.
(٣) المحرر الوجيز ٤/٣٥٨ وما بين معكوفين منه، وما سلف كله فيه، وانظر الأقوال في تفسير الطبري ١٨/ ٥٩٢-٥٩٦، والثعلبي ٥/٦٦، والماوردي ٤/ ٣٥٤، والقرطبي ١٧/ ١٠، وزاد المسير ٦/ ٣٣٣-٣٣٤.
(٤) الكشاف ٣/ ٢٤١ وما قبله منه.
(٥) ذكره القرطبي ١٧/ ١٠، وابن عطية ٤/٣٥٨ وردّه، وقال الآلوسي ٢١/ ١٣٤ بعد أن ذكر الأقوال: ولا يخفى على ذي لبّ تكلف أكثر هذه الأقوال ومخالفته للظاهر جداً.
(٦) تفسير الثعلبي ٥/٦٦، والمحرر الوجيز ٤/٣٥٨، وتفسير القرطبي ١٧/ ٩.

وقال عبد الرحمن[(١)] ابن سابط: يُدَبِّر أمرَ الدُّنيا أربعة: جبريل للرِّياح والجُنود، وميكائيل للقَطْر والماء، ومَلَكُ الموت لقَبْض الأرواح، وإسرافيل لنزول الأمر عليهم[(٢)].

وقيل: العرش مَوْضعُ التَّدبير، وما دونه موضع التَّفصيل، وما دون السماوات موضع التَّصريف[(٣)].

وقال السدّي: الأمر: الوحي. وقال مقاتل: القضاء. وقال غيرهما: أمر الدنيا[(٤)].

وقال الزجَّاج: تقول: عَرَجْتُ في السُّلَّم أعْرُج، وعَرِج الرَّجُلُ يَعْرَجُ إذا صار أعْرَج[(٥)].

وقرأ ابن أبي عَبْلَة: «يُعْرَجُ» مبنيًّا للمفعول[(٦)]. والجمهور مبنيًّا للفاعل.

قال أبو عبد الله الرَّازي: وفي هذا لَطيفة؛ وهو أن الله ذكر في الآية المتقدِّمة عالَم الأجسام والخلْق، وأشار إلى عَظَمة المُلْك، وذكر هنا عالَم الأرواح والأمر بقوله: «يُدَبِّر الأمرَ» والرُّوح من عالَم الأمر كما قال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]، وأشار إلى دَوامه بلفظٍ يوهمُ الزَّمان، والمُرادُ دوام البَقاء[(٧)]؛ كما يقال في العُرْف: طال زمانُ فلان، والزَّمان يمتدُّ فيوجَدُ في أزمنةٍ كثيرة، فأشار

(١) في النسخ (أ، ت، ح، د٢، ز٢، ع، يه) والمطبوع: عبد الله، وهو تحريف. والمثبت من مصادر ترجمته كتهذيب الكمال وفروعه، ومصادر التخريج، انظر الحاشية التالية، وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٦١١٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٣٧٨) و(٣٨٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٥٦)، وذكره الماوردي ٤/ ٣٥٣، والقرطبي ١٧/ ٨، والبغوي في معالم التنزيل ٧/ ٢٠٤-٢٠٥، وابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ١٧.

(٣) تفسير القرطبي ١٧/ ٩.

(٤) النكت والعيون ٤/ ٣٥٣، وزاد المسير ٦/ ٣٣٤.

(٥) معاني القرآن ٤/ ٢٠٤، وعنه ابن الجوزي ٦/ ٣٣٤.

(٦) الكشاف ٣/ ٢٤١، وتفسير القرطبي ١٧/ ١١، وزاد المسير ٦/ ٣٣٤ وزاد نسبتها إلى معاذ القارئ وابن السميفع.

(٧) في النسخ: النفاد، وهو تحريف، والمثبت من التفسير الكبير ٢٥/ ١٧٢.

إلى عَظَمة المُلْك بالمكان، وأشار إلى دَوامه هنا بالزَّمان، والمكان من خَلْقه ومُلْكه، والزَّمان بحُكْمه وأمرِهِ. انتهى. وهو كلامٌ ليس جارياً على فَهْم العرب.

وقرأ الجمهور: «مما تَعُدُّون» بتاء الخطاب.

وقرأ السُّلَمي وابنَ وَثَّاب والأعمش والحسن بياء الغَيْبة بخلافٍ عن الحسن[١].

وقرأ جَناح بن حُبَيْش: «ثمَّ يَعْرج[٢] الملائكة» بزيادة الملائكة، ولعله تفسيرٌ منه لسُقوطه في سَواد المُصْحَف.

«ذلك» أي: ذلك الموصوفُ بالخَلْق والاستواء والتَّدبير «عالمُ الغَيْب» والغَيْبُ: الآخرة، و«الشَّهادة» الدُّنيا. أو الغيب: ما غاب عن المَخْلوقين، والشَّهادة: ما شوهد من الأشياء. قولان[٣].

وقرأ زيد بن عليّ: «عالمِ الغيب والشَّهادةِ العزيزِ الرَّحيمِ» بخفض الأوصاف الثلاثة، وأبو زيد النَّحْوي بخفض «العزيزِ الرَّحيمِ»[٤].

وقرأ الجمهور برفع الثلاثة على أنَّها أخبار لـ «ذلك» أو الأول خبرٌ والاثنان وَصْفان.

ووَجْهُ الخَفْضِ أن يكون «ذلك» إشارة إلى الأمر، وهو فاعل بـ «يَعْرُج» أي: ثمَّ يَعْرُج إليه ذلك، أي: الأمرُ المُدَبَّر، ويكون «عالم» وما بعده بدلاً من الضّمير في «إليه».

وفي قراءة أبي زيد يكون «ذلك عالم» مبتدأ وخبراً، و«العزيزِ الرَّحيمِ» بالخفض بدلاً من الضّمير في «إليه».

وقرأ الجمهور: «خَلَقَه» بفتح اللام فعلاً ماضياً صِفةً لـ «كلّ» أو لـ «شيءٍ».

---

(١) مختصر في الشواذ ١١٧ وتحرف فيه يعدون إلى يعبدون، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٨.
(٢) في (ت، د٢، ز٢، يه): تعرج، والمثبت من (أ، ح، ع)، ومختصر في الشواذ ١١٧، وروح المعاني ٢١/ ١٣٦.
(٣) ذكرهما ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٩.
(٤) ذكر قراءة أبي زيد النحوي: ابن خالويه في مختصر في الشواذ ١١٧، وذكر القراءتين السمين في الدر المصون ٩/ ٨٠، والآلوسي ٢١/ ١٣٦.

وقرأ العَربيَّان وابن كثير بسكون اللام(١).

والظّاهر أنه بدلُ اشتمال، والمُبْدَل منه «كلّ» أي: أحسنَ خَلْقَ كلِّ شيء، فالضمير في «خَلْقَه» عائد على «كلّ».

وقيل: الضمير في «خَلْقَه» عائد على الله، فيكون انتصابُهُ انتصابَ(٢) المصدر المؤكّد لمضمون الجملة، كقوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾(٣) [النمل: ٨٨]، وهو قول سيبويه(٤)، أي: خَلَقَه خَلْقاً.

ورُجِّح على بدل الاشتمال بأنَّ فيه إضافةَ المصدر إلى الفاعل، وهو أكثر من إضافته إلى المفعول، وبأنه أبلغُ في الامتنان؛ لأنه إذا قال: «أحْسَنَ كلَّ شيء» كان أبلغَ من: أحْسَنَ خَلْقَ كلِّ شيء؛ لأنه قد يَحْسُن الخلقُ(٥) ـ وهو المحاولة ـ ولا يكون الشيءُ في نفسه حَسَناً، فإذا قال: «أحْسَنَ كلَّ شيءٍ» اقتضى أن كلَّ شيءٍ خَلَقه حَسَنٌ، بمعنى أنه وَضَع كلَّ شيء في موضعه. انتهى.

وقيل في هذا الوجه؛ وهو عَوْدُ الضمير في «خَلْقَه» على الله: يكون بدلاً من «كلَّ شيء» بدلَ شيءٍ من شيء، وهما لعَيْنٍ واحدة، ومعنى «أحْسَنَ» حَسَّن لأنه ما من شيءٍ خَلَقه إلا وهو مُرَتَّبٌ على ما تقتضيه الحكمة، فالمخلوقاتُ كلُّها حَسَنَة وإنْ تفاوتت في الحُسْن، وحُسْنُها من جهةِ المَقْصِد الذي أُريدَ بها؛ ولهذا قال ابن عباس: ليست القِرَدَةُ بحَسَنة، ولكنها مُتْقَنَةٌ مُحْكَمَة(٦).

وعلى قراءة مَنْ سَكَّن لام «خَلْقَه» قال مجاهد: أعطى كلَّ جِنْسٍ شَكْلَه(٧)، والمعنى: خَلَقَ كلَّ شيءٍ على شَكْله الذي خَصَّه به.

---

(١) السبعة ٥١٦، والتيسير ١٧٧، والنشر ٢/ ٣٤٧، والعربيان: أبو عمرو وابن عامر.
(٢) في (أ، ح، د٢، ز٢، ع) والمطبوع: نصب، والمثبت من (ت، يه).
(٣) في النسخ والمطبوع خلا (يه): صبغة الله، والمثبت من (يه)، والدر المصون ٩/ ٨٢، وروح المعاني ٢١/ ١٣٨.
(٤) في الكتاب ١/ ٣٨١، وانظر الحجة للفارسي ٥/ ٤٦٠-٤٦١.
(٥) قبلها في (ت) كلمة تشبه أن تكون: إنشاء.
(٦) الذي في المصادر: أما إن است القرد ليست بحسنة... انظر تفسير الطبري ١٨/ ٥٩٧، والثعلبي ٥/ ٦٧، والقرطبي ١٧/ ١٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٩.
(٧) أخرجه الطبري ١٨/ ٥٩٩.

وقال الفَرَّاء: أَلْهَمَ كلَّ شيء خَلَقه فيما يحتاجون إليه، كأنه أعْلَمَهم ذلك[١]، فيكون كقوله: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ [طه: ٥٠].

وقرأ الجمهور: «وبَدَأ» بالهمز، والزُّهري بالألف بدلاً من الهمزة[٢]، وليس بقياسٍ أن تقول في هَدَأ: هدا، بإبدال الهمزة ألفاً، بل قياسُ هذه الهمزة التَّسهيلُ بَيْنَ بين، على أن الأخفش حكى في قَرأتُ: قَرَيْتُ ونظائرِه، قيل: وهي لُغَيَّة، والأنصار تقول في بَدأ: بَدِيَ بكسر عَيْن الكلمة وياء بعدها، وهي لغةٌ لطَيِّئ؛ يقولون في فَعِل هذا نحو بَقي: بَقَا، فاحتمل أن تكون قراءةُ الزهري على هذه اللغة، أصله بَدِي، ثم صار بَدَا، وعلى لغة الأنصار قال ابنُ رَواحة:

باسم الإله وبه بَدِيْنا ولو عَبَدْنا غيرَه شَقِيْنا[٣]

و«بَدأ خَلْقَ الإنسان» هو آدم عليه الصَّلاة والسَّلام.

«ثمَّ جَعَلَ نَسْلَه» أي: ذُرِّيَّته، نَسَل من الشيء: انْفصَلَ منه. «ثم سَوَّاه» قَوَّمَه.

وأضاف الرُّوحَ إلى ذاته دِلالةً على أنه خَلْقٌ عجيب، لا يَعلَم حقيقتَه إلا هو، وهي إضافة مُلْك إلى مالك، وخَلْق إلى خالق تعالى.

«وجَعَلَ لكم» التفاتٌ؛ إذْ هو خُروجٌ من مُفْرَدٍ غائب إلى جَمْعٍ مُخاطَب، وتَعْديدٌ للنِّعَم وهي شامِلَةٌ لآدم؛ كما أن التَّسْوِيةَ ونَفْخَ الرُّوحِ شاملٌ له ولذُرِّيَّته.

والظّاهر أنّ «وقالوا» الضَّمير لجَمْعٍ، وقيل: القائلُ أُبَيُّ بن خَلَف، وأُسْنِد إلى الجَمْع لِرضاهم به[٤].

والنَّاصبُ للظَّرف محذوف يدلُّ عليه «أئنَّا» وما بعدها تقديرُهُ: أنُبْعَثُ أئذا ضَلَلْنا. ومَن قرأ «إذا» بغير استفهام[٥] فجواب إذا محذوف، أي: إذا ضَلَلْنا في

---

(١) زاد المسير ٦/ ٣٣٥، وانظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٠.

(٢) المحتسب ٢/ ١٧٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٩.

(٣) مجاز القرآن ١/ ٢٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥٩، والصحاح، واللسان، وتاج العروس (بدا).

(٤) النكت والعيون ٤/ ٣٥٧، والكشاف ٣/ ٢٤٢.

(٥) قرأ بها ابن عامر وأبو جعفر من العشرة، انظر السبعة ٥١٦، والتيسير ١٣٣، والنشر ١/ ٣٧٣.

الأرض نُبعَثُ، ويكون ذلك إخباراً منهم على طريق الاستهزاء، وكذلك مَن قرأ «إنَّا» على الخبر[١] أكَّدوا ذلك الاستهزاء باستهزاءٍ آخر.

وقرأ الجمهور بفتح اللام[٢]، والمضارع يَضِلُّ بكسْرِ عين الكلمة، وهي اللغةُ الشَّهيرة الفصيحةُ، وهي لغةُ نَجْد.

قال مجاهد: هَلَكْنا[٣]. وكلُّ شيءٍ غَلَب عليه غيرُهُ حتى تَلِفَ وخَفِيَ فقد هَلَكَ، وأصلُهُ من ضَلَّ الماءُ في اللَّبَن إذا ذَهَب.

وقال قُطْرُب: «ضَلَلْنا» غِبْنا في الأرض، وأنشد قولَ النابغة الذُّبيانيّ:

فآبَ مُضِلُّوه بعَيْنٍ جَلِيَّةٍ وغودِرَ بالجَوْلانِ حَزْمٌ ونائلُ[٤]

وقرأ يحيى بن يَعْمَر وابن مُحَيْصِن وأبو رجاء وطَلْحة وابن وَثَّاب بكسر اللام، والمضارع بفتحها، وهي لغةُ أهلِ العالية[٥].

وقرأ أبو حَيْوَة: «ضُلِّلنا» بالضاد المنقوطة وضَمِّها وكسر اللام مُشدَّدة، ورُويت عن عليّ[٦]. وقرأ عليّ وابن عباس والحسن والأعمش وأبان بن سعيد بن العاص: «صَلَلْنا» بالصاد المُهْمَلَة وفتح اللام[٧]، ومعناه: أنْتَنَّا.

---

(١) هم نافع والكسائي ويعقوب من العشرة، انظر التيسير ١٣٢، والنشر ١/ ٣٧٣.
(٢) يعني من قوله تعالى: ضللنا.
(٣) أخرجه الطبري ١٨/ ٦٠٣.
(٤) النكت والعيون ٤/ ٣٥٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٦، والبيت في ديوان النابغة ١١٩ بشرح ابن السكيت، وسلف في تفسير الآية (٦٩) من سورة آل عمران.
(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٣، ومختصر في الشواذ ١١٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ٦٧، والكشاف ٣/ ٢٤٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٠، وزاد المسير ٦/ ٣٣٥، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٦.
(٦) وقرأ بها أيضاً أبو نهيك وأبو المتوكل وأبو الجوزاء وابن أبي عبلة، انظر مختصر في الشواذ ١١٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٠، وزاد المسير ٦/ ٣٣٦.
(٧) تفسير الطبري ١٨/ ٦٠٢، والثعلبي ٥/ ٦٧، والماوردي ٤/ ٣٥٦، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٠٢، والمحتسب ٢/ ١٧٤، والكشاف ٣/ ٢٤٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٠، وزاد المسير ٦/ ٣٣٦.

وعن الحسن: «صَلِلْنا» بكسر اللام[١]، يقال: صَلَّ يَصِلُّ بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع، وصَلَّ يَصَلُّ بكسر العين في الماضي[٢] وفتحها في المضارع، وأصَلَّ يُصِلُّ بالهمزة على وزن أَفْعَلَ، قال الشاعر:

تُلَجْلِجُ مُضْغَةً فيها أَنِيضٌ   أَصَلَّتْ فهي تحتَ الكَشْحِ داءُ[٣]

وقال الفرَّاء: معناه: صِرْنا بين الصَّلَّةِ وهي الأرضُ اليابِسَة الصُّلْبَة[٤].

وقال النحَّاس: لا نعرف في اللغة صَلِلْنا، ولكن يُقال: أَصَلَّ اللَّحْمُ وصَلَّ، وأَخَمَّ وخَمَّ إذا أَنْتَنَ[٥]. انتهى. وحكاه غيرُه.

«بل هم بلقاء ربِّهم كافرون» إضرابٌ عن معنى استفهامهم؛ كأنه قال: ليسوا مُسْتَفهِمين، بل هم كافرون جاحِدون بلقاء الله والصَّيرورَةِ إلى جزائه.

ثم أمره تعالى أنْ يُخبِرَهم بجُملَةِ الحال غير مُفَصَّلة من قَبْضِ أرواحهم، ثم عَوْدِهم إلى جزاء ربِّهم بالبعث، و«مَلَك الموت» اسمهُ عزرائيل، ومعناه عبدُ الله[٦].

وقرأ الجمهور: «تُرْجَعون» مبنيًّا للمفعول، وزيد بن عليّ مبنيًّا للفاعل[٧].

و«لو ترى» الظَّاهر أنَّه خِطابٌ للرَّسول، وقيل: له ولأُمَّته، أي: ولو تَرى يا محمد مُنكري البعث يومَ القيامة لرَأَيتَ العَجَب.

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣١، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٣، والمحتسب ٢/ ١٧٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٧.

(٢) يعني عين فعل صَلَّ، وهي اللام الأولى: صَلِلَ.

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه بشرح ثعلب ٨٢، والمحتسب ٢/ ١٧٤، الأنيض: اللحم الذي لم ينضج، وأصلت: أنتنت، والكشح: الجنب، يقول: أخذت هذا المال فأنت لا تأخذه ولا ترده، كما يلجلج الرجل المضغة فلا يبتلعها ولا يلقيها. قاله ثعلب.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٠، وعنه نقل كلام الفراء، وليس في مطبوع معاني القرآن له.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٩٣، وهو كلام الفراء بحروفه في معاني القرآن له ٢/ ٣٣١، نسبه النحاس إلى نفسه، ونقله عنه القرطبي ١٧/ ١٧. قال السمين في الدر ٩/ ٨٤: وقد عرفها غير أبي جعفر، وقال الآلوسي ٢١/ ١٤١: وهذا غريب منه.

(٦) تفسير الثعلبي ٥/ ٦٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٨.

(٧) وهي قراءة يعقوب من العشرة، انظر النشر ٢/ ٢٠٨.

وقال أبو العبَّاس: المعنى: يا محمد، قلْ للمُجْرِم: ولو ترى[١]. رأى أنَّ الجملةَ معطوفةٌ على «يتوَفَّاكم» داخِلةٌ تحت «قُلْ»؛ فلذلك لم يجعلْه خطاباً للرَّسول.

والظاهر أن «لو» هنا لم تُشْرَب معنى التمنِّي، بل هي التي لما كان سَيَقَعُ لوقوعِ غيره، والجوابُ محذوفٌ، أي: لرأيتَ أسوأَ حالٍ يُرى، ولو تعليقٌ في الماضي، و«إذْ» ظَرفٌ للماضي، فلِتَحَقُّق الإخْبار ووقوعِهِ قطعاً أتى بهما تنزيلاً منزلةَ الماضي.

وقال الزمخشري: يجوز أن يكون خطاباً لرسول الله، وفيه وجهان: أحدُهما أنْ يُرادَ به التمنّي؛ كأنه قيل: ولَيتَك تَرى، والتمنيّ له كما كان الترجِّي له في «لعلَّهم يَهْتَدون»[٢] لأنه تَجَرَّع منهم الغُصَص، ومن عَداوتهم وضرارهم، فجعل الله له تمنِّي أنْ يراهم على تلك الصِّفة الفَظيعةِ من الحَياء والخِزْي والغَمِّ ليَشْمَتَ بهم، وأنْ تكون لو الامتناعية قد حُذِفَ جَوابُها وهو: لَرأيتَ أمراً فَظيعاً. ويجوز أنْ يُخاطَب به كلُّ أحد؛ كما تقول: فلانٌ لئيمٌ، إنْ أكرمْتَه أهانَك، وإنْ أحسَنْتَ إليه أساء إليك، فلا تُريدُ به مُخاطَباً بعينه، وكأنك قلت: إنْ أُكْرِمَ وإنْ أُحْسِنَ إليه[٣]. انتهى.

والتمنّي بلو في هذا الموضع بعيد، وتَسْميةُ لو الامتناعية ليس بجيّد، بل العبارةُ الصَّحيحة: لو لما كان سيَقعُ لوقوع غيره، وهي عبارةُ سيبويه[٤].

وقولُهُ: قد حُذفَ جوابُها وتقديرُهُ: ولَيتك تَرى، ممَّا يَدُلُّ على أنَّها إذا كانت للتمنّي لا جَوابَ لها، والصَّحيحُ أنها إذا أُشْرِبَت معنى التمنّي يكون لها جوابٌ كحالها إذا لم تُشْرَبْه، قال الشاعر:

فلو نُبِشَ المقابرُ عن كُلَيْبٍ فيُخْبَرَ بالذَّنائبِ أيُّ زيرِ
بيومِ الشَّعْثَمَيْنِ لقَرَّ عَيْناً وكيف لقاءُ مَنْ تحتَ القُبورِ[٥]

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٤، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٢. واستغربه الآلوسي ٢١/ ١٤٧.
(٢) هي الآية الثالثة من هذه السورة.
(٣) الكشاف ٣/ ٢٤٢.
(٤) الكتاب ٤/ ٢٢٤.
(٥) البيتان لمهلهل بن ربيعة من قصيدة في الأصمعيات ١٥٥، والكامل ٧٤٠، وأمالي القالي ٢/ ١٣١، والمراثي لليزيدي ٢٤٤، والأغاني ٥/ ٥٣، وانظر شرح أبيات المغني ٥/ ٦٧. وسلف الأول منهما في تفسير الآية (١٦٧) من سورة البقرة.

وقال الزمخشري: وقد تجيءُ لو في معنى التمنّي كقولك: لو تأتيني فتُحَدِّثني، كما تقول: ليتك تأتيني فتحدِّثَني[١].

وقال ابن مالك: إنْ أرادَ به الحذفَ؛ أي: وددتُ لو تأتيني فصحيح، وإنْ أراد أنَّها موضوعةٌ للتمني فغيرُ صحيح؛ لأنها لو كانت موضوعةً له لما جاز أنْ يُجْمَع بينها وبين فعل التمنّي، لا يُقال: تمنَّيتُ ليتك تفعل، ويجوز: تمنيتُ لو تقوم، وكذلك امتنع الجمع بين لعل والترجّي، وبين إلا وأسْتثني[٢]. انتهى.

«ناكِسو رؤوسِهم» مُطرِقوها من الذُّلِّ والحُزْنِ والهَمِّ والغَمِّ والنَّدم.

وقرأ زيد بن عليّ: «نَكَسوا رؤوسَهم» فعلاً ماضياً ومفعولاً[٣]، والجمهور اسمَ فاعلٍ مُضاف.

«عند ربِّهم» أي: عند مُجازاته، وهو مكانُ شِدَّة الخَجَل، لأن المَرْبوبَ إذا أساء ووقف بين يَدَيْ ربِّه كان في غاية الخَجَل.

«ربَّنا» على إضمار يقولون، وقدَّره الزمخشري: يَسْتغيثون بقولهم: «ربَّنا أبْصَرْنا»[٤] ما كنَّا نُكَذِّب «وسَمعنا» ما كنَّا نُنْكِر.

أو أبْصَرْنا صِدْقَ وَعْدِك ووَعيدك، وسمعنا تصديقَ رُسُلك.

أو كنّا عُمياً وصُمّاً فأبصرنا وسمعنا «فارْجِعنا» إلى الدُّنيا.

«إنّا موقنون» أي: بالبَعْث. قاله النَّقاش.

وقيل: مُصدِّقون بالذي قال الرّسول. قاله يحيى بن سَلّام[٥].

و«موقنون» مُشْعِرٌ بالالتباسِ في الحال، أي: حين أبْصَروا وسَمعوا.

---

(١) المفصل ٩/ ١١ (بشرح ابن يعيش).
(٢) شرح التسهيل ١/ ٢٣٠، والتذييل والتكميل ٣/ ١٥٩، ١٦١-١٦٢، ودافع فيه عن الزمخشري وتأول كلامه.
(٣) ذكرها السمين في الدر ٩/ ٨٦، والآلوسي ٢١/ ١٤٥.
(٤) الكشاف ٣/ ٢٤٢.
(٥) النكت والعيون ٤/ ٣٥٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٢.

وقيل: «موقنون» زالت الآن عنّا الشُّكوك، ولم نكن في الدنيا نتدَبَّر؛ فكنا كمَنْ لا يُبْصر ولا يسمع.

وقيل: لك الحجَّةُ ربَّنا فقد أبْصَرْنَا رُسُلَك، وعَجائبَ دلائلك في الدُّنيا، وسمعنا كلامَهم، فلا حُجَّةَ لنا، وهذا اعترافٌ منهم.

❋ ❋ ❋

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

«لآتينا كلَّ نفسٍ هُداها» أي: اختَرَعْنا الإيمانَ فيها؛ كقوله: ﴿أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١] و﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥] و﴿لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود: ١١٨].

وقال الزمخشري: على طريق الإلْجاء والقَسْر، ولكنّا بنَيْنا الأمرَ على الاختيار دون الاضطرار، فاستحبُّوا العَمى على الهُدى، فحقَّت كلمةُ العذاب على أهل العَمى دون البُصَراء؛ ألا ترى إلى ما عَقَّبه به من قوله: «فذوقوا بما نَسيتم» فجَعلَ ذَوْقَ العذابِ نتيجةَ فِعْلِهم من نسيان العاقِبة، وقِلَّةِ الفكرِ فيها، وتَرْكِ الاستعدادِ لها.

والمُراد بالنِّسيان خلافُ التَّذكُّر، يعني أن الانْهِماكَ في الشَّهوات أذْهَلَكم، وألْهاكم عن تذكُّرِ العاقبة، وسَلَّط عليكم نِسيانَها، ثم قال: «إنَّا نسيناكم» على

المقابَلَة؛ أي: جازيناكم جَزاءَ نسيانكم، وقيل: هو بمعنى التَّرك ـ قاله ابن عباس وغيرُه[١] ـ أي: تركتُم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرَّحْمة. انتهى.

وقولُهُ: على طريق الإلْجاء والقَسْر؛ هو قول المعتزلة.

وقالت الإماميَّةُ: يجوز أن يُريد: هُداها إلى طريق الجنّة في الآخرة، ولم يعاقب أحداً، لكنْ حقَّ القولُ منه أنْ يَملأ جَهَنَّم، فلا يَجب على الله عندنا هدايةُ الكلِّ إليها، قالوا: بل الواجبُ هدايةُ المعصومين، فأمَّا مَنْ له ذنبٌ فجائزٌ هدايتُهُ إلى النَّار جزاءً على أفعاله، وفي جواز ذلك منعٌ؛ لقطْعِهم على أنَّ المراد: هداها إلى الإيمان[٢]. انتهى.

و«هذا» صفةٌ لـ «يومكم» ومفعول «فذوقوا» محذوف.

أو مفعول لـ «فذوقوا»، أي: فذوقوا هذا العذابَ بسبب نسيانِكم لقاءَ يومكم، وهو ما أنتم فيه من نَكْسِ الرؤوس والخِزْي والغَمّ.

أو ذوقوا العذاب المُخلَّد في جهنَّم.

وفي استئناف قوله: «إنّا نسيناكم» وبناءِ الفعل على أنَّ واسمها تشديدٌ في الانتقام منهم.

«إنَّما يؤمن بآياتنا» أثنى تعالى على المؤمنين، ووَصَفهم بالصِّفة الحُسْنى من سُجودِهم عند التَّذكير، وتسبيحهم، وعدمِ استكبارهم، بخلاف ما يَصنعُ الكَفَرةُ من الإعراض عن التَّذكير، وقول الهُجْرِ، وإظْهارِ التكَبُّرِ، وهذه السَّجدةُ من عَزائم سجود القرآن.

وقال ابن عباس: السُّجودُ هنا بمعنى الرُّكوع.

وروي عن ابن جُريج ومجاهد أنها نزلت بسبب قوم من المنافقين، كانوا إذا أُقيمت الصَّلاة خرجوا من المسجد[٣]؛ فكأنَّ الرُّكوعَ يُقْصد من هذا، ويَلْزَمُ على

---

(١) أخرجه الطبري ١٨/ ٦٠٧، وانظر النكت والعيون ٤/ ٣٦٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦١، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٦. وقوله: قاله ابن عباس وغيره، ليس في مطبوع الكشاف ٣/ ٢٤٣.
(٢) تفسير القرطبي ١٧/ ٢٤.
(٣) أخرجه عن ابن جريج الطبري ١٨/ ٦٠٨. ومن قوله: ومجاهد... إلى هنا، ليس في المطبوع.

هذا أن تكون الآيةُ مَدنيَّة، ومن مذهب ابن عباس أنَّ القارئ للسَّجدةِ يركع، واستدلَّ بقوله: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾[1] [ص: ٢٤].

«تَتجافى جُنوبُهم» أي: ترتفعُ وتتنحَّى، يقال: جَفا الرجلُ الموضِعَ: ترَكَه، وتجافي الجنْبِ عن الموضع تركُهُ، وقال عبد الله بن رَواحة:

نبيٌّ تَجافى جَنْبُهُ عن فِراشِهِ إذا استَثْقَلَت بالمشركين المضاجِعُ[2]

وقال الزجَّاج والرُّمَّاني: التَّجافي: التَّنحِّي إلى جهة فوق[3].

و«المضاجِع» أماكنُ الاتِّكاء للنَّوم، الواحد مَضْجَع، أي: هم مُنْتَبِهون لا يَعرفون[4] نَوْماً.

وقال الجمهور: المراد بهذا التَّجافي صلاةُ النَّوافلِ بالليل، وهو قول الأوزاعي ومالك والحسن البَصري وأبي العالية وغيرهم[5].

وفي الحديث ذَكَرَ قيامَ الليل ثم استشهد بالآية، يعني الرسول ﷺ[6].

وقال أبو الدَّرْداء وعُبادة[7] والضَّحَّاك: تجافي الجَنْبِ: هو أن يصلِّيَ الرجلُ

---

(١) ما سبق كله في المحرر الوجيز ٤/ ٣٦١، وانظر تفسير القرطبي ١٧/ ٢٧.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٦١٣، والنكت والعيون ٤/ ٣٦١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٨، والبيت مع اثنين قبله في صحيح البخاري (١١٥٥) ضمن حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٠٧بنحوه، وعن الزجاج والرماني في المحرر والقرطبي، وعنهما نقل أبو حيان.

(٤) في (يه): يستغرقون، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) تفسير الطبري ١٨/ ٦١٢، والثعلبي ٥/ ٧١، والماوردي ٤/ ٣٦٣، والقرطبي ١٧/ ٢٩، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٠٤-٣٠٥، والكشاف ٣/ ٢٤٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٢، وزاد المسير ٦/ ٣٣٨.

(٦) أراد حديث معاذ بن جبل ﷺ أنه سأل النبي ﷺ عن عمل يدخله الجنة ويباعده من النار، فأجابه ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل» ثم قرأ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ أخرجه أحمد (٢٢٠١٦)، والترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (١١٣٣٠)، والطبري ١٨/ ٦١٤، وانظر تتمة تخريجه في المسند.

(٧) في النسخ خلا (يه): قتادة، وهو تحريف، والمثبت من (يه)، والمصادر، انظر الحاشية التالية.

العشاءَ والصُّبحَ في جماعة[(١)].

وقال الحسن: هو التَّهجُّد. وقال أيضاً هو وعطاء: هو العَتَمة.

وفي الترمذي[(٢)] عن أنس: نزلت في انتظار الصَّلاة التي تُدْعى العَتَمة.

وقال قتادة وعكرمة: التَّنَفُّل ما بين المغرب والعشاء[(٣)].

«يَدْعون» حالٌ أو مُستأنَف «خَوفاً وطَمَعاً» مفعول من أجله. أو مصدران في مَوْضع الحال.

والظّاهر أن الدُّعاء هو الابتهالُ إلى الله، وقيل: الصَّلاة.

وقرأ الجمهور: «ما أُخْفيَ لهم» فعلاً ماضياً مبنيًّا للمفعول.

وحمزة والأعمش ويعقوب بسكون الياء[(٤)] فعلاً مضارعاً للمتكلّم. وابن مسعود: «ما نُخفي» بنون العَظَمة[(٥)]. والأعمش أيضاً: «أَخْفَيْتُ»[(٦)]، وقرأ محمد بن كعب: «ما أَخْفى» فعلاً ماضياً مبنياً للفاعل[(٧)].

وقرأ الجمهور: «من قُرَّةِ» على الإفراد.

وقرأ عبد الله وأبو الدَّرْداء وأبو هريرة وعَونٌ العُقَيلي: «من قُرَّات» على الجمع بالألف والتاء، وهي رواية عن أبي عمرو وأبي جعفر والأعمش[(٨)].

---

(١) تفسير البغوي ٥/ ٢٢٤ (بهامش الخازن)، والقرطبي ١٧/ ٣٠، والماوردي ٣/ ٣٦٣، والثعلبي ٥/ ٧١، وابن عطية ٤/ ٣٦٢، وابن الجوزي ٦/ ٣٣٩.

(٢) في سننه (٣١٩٦).

(٣) انظر الأقوال في المصادر التي ذكرت في الحواشي السابقة.

(٤) السبعة ٥١٦، والتيسير ١٧٧، والنشر ٢/ ٣٤٧.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٥، ومختصر في الشواذ ١١٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ٧٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٤.

(٦) مختصر في الشواذ ١١٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٢.

(٧) مختصر في الشواذ ١١٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ٧٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٥.

(٨) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٢، وللزجاج ٤/ ٢٠٧، وللنحاس ٥/ ٣٠٥-٣٠٦، وتفسير الطبري ١٨/ ٦٢١، والثعلبي ٥/ ٧٢، ومختصر في الشواذ ١١٨، والمحتسب ٢/ ١٧٤، والمحرر =

و«ما أُخفي» يحتمل أن تكون موصولة، وأن تكون استفهامية، فيكون «تعلم» مُعلَّقة، والجملة في موضع المفعول إنْ كانت «تعلم» مما عُدِّي لواحد، وفي موضع المفعولَيْن إنْ كانت تتعدَّى لاثنين.

وتقدَّم تفسير: «قُرَّةِ أعين» في «طه»[١].

وفي الحديث قال النبي ﷺ: «أعْدَدْتُ لعبادي الصَّالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خَطَر على قلب بشر»، اقرؤوا إنْ شئتم: «فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قُرَّة أعْيُن»[٢].

وقال ابن مسعود: في التّوراة مكتوب: على الله للذين تتجافى جنوبُهم عن المضاجِع ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت... إلى آخره[٣].

و«لا تعلم نفسٌ» نكرةٌ في سياق النَّفْي فتَعُمُّ جميعَ الأنْفُس، فما ادَّخر الله تعالى لأولئك وأخفاه من جميع خلائقه مما تَقَرُّ به أعينُهم لا يَعلمه إلا هو، وهذه عُدَّةٌ عظيمة لا تَبلغُ الأفهامُ كُنْهَها، بل ولا تفاصيلَها.

وقال الحسن: أخفى القومُ أعمالاً في الدُّنيا، فأخفى الله لهم ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت[٤].

«جزاءً بما كانوا يَعملون» وهو تعالى الموفِّقُ للعمل الصَّالح، وقال الزمخشري: فحسَم أطماعَ المُتَمَنِّين[٥]. انتهى. وهي نَزْغةٌ اعتزالية.

«أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يَسْتوون» قال ابن عباس وعطاء: نزلت في عليٍّ والوليد بن عُقْبة، تلاحيا فقال له الوليد: أنا أَذْلَقُ منك لساناً، وأَحَدُّ سِناناً،

= الوجيز ٤/ ٣٦٣، وزاد المسير ٦/ ٣٤٠. والمشهور عن أبي عمرو وأبي جعفر الإفراد.

(١) في تفسير الآية (٤٠) منها.

(٢) أخرجه أحمد (١٠٠١٧)، والبخاري (٤٧٨٠)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥١٣٧) و(٣٥٧١٠)، والطبري ١٨/ ٦١٧.

(٤) تفسير الماوردي ٤/ ٣٦٤، والقرطبي ١٧/ ٣٦، والكشاف ٣/ ٢٤٤، وأخرجه الطبري ١٧/ ٦٢٥.

(٥) الكشاف ٣/ ٢٤٣.

وأَرَدُّ للكتيبة، فقال له عليّ: اسكُتْ فإنّك فاسق[(١)].

قال الزمخشري: فنزلت عامَّةً للمؤمنين والفاسقين، فتناولتْهما وكلَّ مَن في مثل حالهما[(٢)].

وقال الزجّاج والنَّحاس: نزلت في عليّ وعُقْبة بن أبي مُعَيط، فعلى هذا تكون الآية مكية؛ لأن عقبة لم يكن بالمدينة، وإنّما قُتل بطريق مكَّةَ مُنْصَرَف [رسول الله ﷺ من] بدر[(٣)].

والجمع في «لا يستوون» والتَّقسيم بعده حَمْلٌ على معنى «مَن». وقيل: لا يستوون لاثنين، وهو المؤمن والفاسِق، والتَّثنيةُ جَمعٌ، وقاله الزجَّاج[(٤)]، ونزولُ الآية في عليّ والوليد[(٥)].

ثم بَيَّن انتفاء الاستواء بمقرِّ كلِّ واحدٍ منهما؛ وهو أن المؤمن له الجنة، والفاسق له النار.

وقرأ طلحة: «جنةُ المأوى» بالإفراد[(٦)]، والجمهور: «جَنَّات» بالجمع.

وقيل: سُمِّيت بذلك لما رُوي عن ابن عباس قال: تأوي إليها أرواحُ الشُّهداء. وقيل: هي عن يمين العرش[(٧)].

---

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٠٤٣)، والواحدي ٣٦٧-٣٦٨ عن ابن عباس، والطبري ١٨/ ٦٢٥ عن عطاء.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٤٦.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٣ وما بين معكوفين منه ـ وعنه القرطبي ١٧/ ٣٧ ـ وعنه نقل كلام الزجاج والنحاس، وكلام الزجاج في معاني القرآن له ٤/ ٢٠٨، وأما الذي في مطبوع إعراب القرآن ٣/ ٢٩٦، ومعاني القرآن ٥/ ٣٠٧ للنحاس فهو: الوليد بن عقبة بن أبي معيط، كرواية ابن عباس والضحاك.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٠٨، وإعراب النحاس ٣/ ٢٩٦، وزاد المسير ٦/ ٣٤١، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٨.

(٥) يعني دليل على ما ذهب إليه الزجاج.

(٦) مختصر في الشواذ ١١٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٣، وزاد المسير ٦/ ٣٤١. ومن قوله: وهو أن المؤمن... إلى هنا، ليس في المطبوع.

(٧) الكشاف ٣/ ٢٤٤.

وقرأ الجمهور: «نُزُلاً» بضم الزَّاي، وأبو حَيْوة بإسكانها[١].

والنُّزُل: عَطاءُ النَّازل، ثم صار عامّاً فيما يُعَدُّ للضَّيف.

«وأمَّا الذين فَسَقوا» أي: بالكفرِ «فمأواهم» أي: المكان الذي يأوون إليه النّار.

وقال الزمخشري: ويجوز أن يُراد: فجَنَّةُ مأواهم النَّار، أي: النَّارُ لهم مكانَ جَنَّةِ المأوى للمؤمنين، كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢] [آل عمران: ٢١]. انتهى.

وهذا فيه بُعْد، وإنما يُذْهَب إلى مثل: «فبَشِّرْهم» إذا كان مُصَرَّحاً به، فيقول: قام مَقامَ التَّبشيرِ العَذابُ، وكذلك: قام مقام التَّحيَّةِ ضَرْبٌ وَجيعُ[٣]، أمَّا أنْ تُضْمِرَ شيئاً الكلامُ مُسْتَغْنٍ عنه جارٍ على أحْسَنِ وجوه الفَصاحة حتى يُحْمَلَ الكلامُ على إضْمارٍ فليس بجَيِّد.

و«العَذاب الأدْنى» قال أُبيّ وابن عباس والضحَّاك وابن زيد: مَصائبُ الدُّنيا في الأنْفُس والأموال.

وقال ابن مسعود والحسن بن عليّ: هو القتلُ بالسَّيف نحو يوم بدرٍ.

وقال مجاهد: القتلُ والجوعُ لقُريش، وعنه أنَّه عذابُ القبر.

وقال النَّخَعي ومقاتل: هو السّنون التي أجاعَهم الله فيها.

وقال ابن عباس أيضاً: هو الحدود.

وقال أُبيّ أيضاً: هو البَطْشَةُ واللِّزام والدُّخان[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٣، وزاد ابن الجوزي ٦/ ٣٤١ نسبتها إلى الحسن والنخعي والأعمش وابن أبي عبلة.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٤٤-٢٤٥، وقوله: أي المكان الذي يأوون إليه النار، ليس في المطبوع.

(٣) قوله: ضرب وجيع؛ قطعة من بيت عمرو بن معدي كرب:

وخيلٍ قد دلفت لها بخيلٍ   تحيةُ بينهم ضربٌ وجيعُ

وسلف في تفسير الآية (٢٠٦) من سورة البقرة.

(٤) تفسير الطبري ١٨/ ٦٢٧-٦٣٢، والثعلبي ٥/ ٧٣، والماوردي ٤/ ٣٦٥، والقرطبي ١٧/ ٣٩-٤٠، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٠٨-٣٠٩، والكشاف ٣/ ٢٤٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٣، وزاد المسير ٦/ ٣٤١.

و«العذابِ الأكبر» قال ابن عطية: لا خلافَ أنه عذابُ الآخرة.

وفي «التّحرير» وأكثرُهم على أنَّ العذابَ الأكبرَ عذابُ يوم القيامة في النار.

وقيل: هو القتلُ والسَّبْيُ والأسْر. وعن جعفر بن محمد أنه خروجُ المهديّ بالسّيف[١].

«لعلّهم يَرْجِعون» عن الكفر إلى الإيمان.

قال ابن مسعود: لعل مَن بَقِي منهم يتوب. وقال أبو العالية: لعلّهم يتوبون.

وقال مقاتل: يَرْجِعون عن الكُفر إلى الإيمان[٢].

وقيل: لعلّهم يُريدون الرُّجوعَ ويَطلبونه كقوله: ﴿فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]، وسُمِّيت إرادةُ الرجوع رجوعاً، كما سُمِّيت إرادةُ القيام قياماً في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ﴾[٣] [المائدة: ٦]. انتهى.

ويقابل «الأدنى» الأبعد، و«الأكبر» الأصغر، لكن الأدنى يتضمَّن الأصغر لأنه مُنْقَضٍ بموت المُعَذَّب، والتَّخويف إنما يَصْلُح بما هو قريب وهو العذابُ العاجِل، والأكبر يتضمَّن الأبعد لأنه واقعٌ في الآخرة، والتَّخويفُ بالبعيد إنما يَصلُح بذكر عِظَمه وشِدَّته، فحَصلت المقابلةُ من حيث التَّضمُّن، وصرّح[٤] في كلٍّ منهما بما هو آكَدُ في التَّخويف.

وقال الزمخشري: فإنْ قلت: من أين صحَّ تفسيرُ الرُّجوع بالتَّوبة، ولعلَّ من الله إرادة، وإذا أراد الله شيئاً كان ولم يمتنع، وتوبتُهم مما لا يكون، ألا ترى أنها لو

(١) نقل الآلوسي في تفسيره ٢١/ ١٦٢ عن أبي حيان كلام ابن عطية وصاحب التحرير، ولم نقف على كلام ابن عطية في مطبوع المحرر الوجيز، وذكر قول جعفر بن محمد: الماوردي ٤/ ٣٦٥، والقرطبي ١٧/ ٤٠.

(٢) زاد المسير ٦/ ٣٤٢، وأخرج قول ابن مسعود وأبي العالية: الطبري ١٨/ ٦٣٤.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٤٥.

(٤) في النسخ: وخرج، وتشبه أن تكون في (يه): وصرح، ولذلك أثبتها، وهي كذلك في نقل الآلوسي عن أبي حيان ٢١/ ١٦٢، وانظر تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١٨٤.

كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذابَ الأكبر؟! قلت: إرادةُ الله تتعلّق بأفعاله وأفعالِ عباده، فإذا أراد شيئاً من أفعاله كان ولم يمتنع؛ للاقتِدار وخُلوص الدَّاعي، وأما أفعالُ عبادِهِ فإمَّا أن يُريدها وهم مختارون لها، أو مُضطرون إليها بقَسْرِه وإلجائه، فإنْ أرادها وقد قَسَرهم فحُكمُها حكم أفعاله، وإنْ أرادها على أن يختاروها وهو عالمٌ أنهم لا يختارونها لم يَقْدَحْ ذلك في اقتداره، كما لا يقدح في اقتدارِكَ إرادتُك أن يختارَ عبدُك طاعتَك وهو لا يختارها، لأن اختياره لا يتعلَّق بقُدْرتك، فلم يكن فَقْدُه دالًّا على عَجْزك[1]. انتهى.

وهو على مذهب[2] المعتزلة، وقد ردَّ عليهم أهلُ السنَّة، وذلك مُقَرَّرٌ في علم الكلام.

«ممَّن ذُكِّر بآيات ربِّه ثم أعْرَضَ عنها» بخلاف المؤمنين؛ إذا ذُكِّروا بها خَرُّوا سُجَّداً.

«ثم أعْرَضَ عنها» قال الزمخشري: ثمَّ للاستبعاد، والمعنى: إنَّ الإعراضَ عن مثلِ آيات الله في وُضوحِها وإنارتها وإرشادها إلى سَواءِ السَّبيل، والفوزِ بالسَّعادة العُظْمى بعد التَّذكيرِ بها: مُسْتَبْعَدٌ في العَقْل والعَدْل، كما تقول لصاحبك: وَجَدْتَ مثلَ تلك الفُرْصَةِ ثم لم تَنْتَهِزْها، استبعاداً لتَرْكه الانتهاز، ومنه ثمَّ في بيت «الحماسة»:

لا يَكْشِفُ الغَمَّاء إلا ابنُ حُرَّةٍ   يرى غَمَراتِ الموتِ ثم يَزورُها

استَبعدَ أنْ يزورَ غَمَراتِ الموت بعد أنْ رآها واستيقَنَها، واطَّلَع على شِدَّتها[3]. انتهى.

«من المجرمين» عامٌّ في كلِّ مَن أجرم، فيَنْدرِج فيه بجهةِ الأوْلَوية من كان أظْلَمَ ظالم.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٤٥.

(٢) في (ت): طريقة. وهو صحيح أيضاً.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٤٦، والبيت لجعفر بن علبة الحارثي في ديوان الحماسة ١/ ٤٩ (بشرح المرزوقي)، و١/ ٢٥ (بشرح التبريزي)، وانظر مصادر أخرى له في الحماسة البصرية (٩٩) ١٤٣ (بتحقيق عادل جمال)، وسمط اللآلي ٢/ ٩٠٥.

والإجْرامُ هنا هو الكفر، وقال يزيد بن رُفَيع: هي في أهل القَدَر، وقرأ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿بِقَدَرٍ﴾[١] [القمر: ٤٧-٤٩].

وفي الحديث: «ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه فقد أجْرَمَ؛ مَن عَقَد لواءً في غير حقّ، ومَن عَقّ والدَيْه، ومَن نَصَر ظالماً»[٢].

❁ ❁ ❁

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

لمّا قرَّر الأصولَ الثلاثة: الرِّسالة وبدْءَ الخَلْقِ والمَعاد عاد إلى الأصل الذي بدأ به وهو الرّسالة، أي: لسْتَ بِدْعاً في الرسالة؛ إذْ قد سبقَ قبلَكَ رسلٌ، وذكر موسى عليه السلام لقُرْبِ زمانه، وإلْزاماً لمَن كان على دينه، ولم يذكر عيسى لأنَّ مُعظَمَ شريعته مُستفادٌ من التوراة، ولأنَّ أتباعَ موسى لا يوافقون على نُبُوَّته، وأتباعَ عيسى مُتَّفقون على نُبُوَّة موسى. و«الكتاب» التَّوراة.

وقرأ الحسن: «في مُرْيَةٍ» بضم الميم[٣].

والظاهر أن الضَّمير في: «لقائه» عائدٌ على موسى مُضافاً إليه على طريق المفعول، والفاعل محذوف ضميرُ الرَّسول، أي: من لقائك موسى، أي: في ليلة

(١) أخرجه الطبري ١٨/ ٦٣٥، وذكره الثعلبي ٥/ ٧٣، وابن عطية ٤/ ٣٦٤، وابن الجوزي ٦/ ٣٤٢.

(٢) أخرجه الطبري ١٨/ ٦٣٥، والطبراني في المعجم الكبير ٢٠/ ٦١ (١١٢)، وفي مسند الشاميين (١٣٣٣)، والثعلبي في الكشف والبيان ٥/ ٧٣ من حديث معاذ بن جبل ﷺ.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٤.

الإسراء، أي: شاهدْتَه حقيقةً، وهو النبيُّ الذي أوتي التَّوراة، وقد وَصَفه الرسول فقال: «آدمُ طُوالٌ جَعْدٌ كأنه من رجال شَنُوءة»[١] حين رآه ليلةَ الإسراء. قاله أبو العالية وقتادة وجماعة من السَّلَف. وقاله المبرِّد حين امتحَنَ الزجَّاج بهذه المسألة[٢].

وقيل: عائدٌ على الكتاب، فإمّا مضافاً إليه على طريق الفاعل والمفعول محذوف، أي: من لقاء الكتاب موسى ووصوله إليه، وإمَّا بالعكس، أي: من لقاء موسى الكتاب وتلقِّيه.

وقيل: يعود على الكتاب على تقدير مُضْمَر، أي: من لقاء مِثْلِهِ، أي: إنّا آتيناك مثلَ ما آتينا موسى، ولَقَّنَّاك مثلَ ما لُقِّن من الوحي، فلا تكُ في شكٍّ من أنك لقيت مثلَه ولقيت نظيرَه، ونحو «من لقائه» قولُهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النمل: ٦][٣].

وقال الحسن: يعود على ما تضمَّنَه القولُ من الشِّدَّةِ والمِحْنة التي لقي موسى؛ وذلك أنَّ إخبارَه بأنه آتى موسى الكتاب كأنه قال: ولقد آتينا موسى هذا العبْءَ الذي أنت بسبيله، فلا تَمْتَرِ أنّك تَلْقى ما لَقِي هو من المحنة بالنّاس[٤]. انتهى.

وهذا قولٌ بعيد، وأبعد منه مَن جعل الضَّمير عائداً على موسى وذلك يوم القيامة، أي: من لقائه في الآخرة[٥].

وأبعدُ من هذا مَن جعله عائداً على مَلَك الموت الذي تقدَّم ذكرُهُ، والجملة اعتراضيَّة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٩)، ومسلم (١٦٥)، وأحمد (٢١٩٧) من حديث ابن عباس ﷺ، ولفظه عندهم: «رأيت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة. . .».

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٦٣٦، والثعلبي ٥/ ٧٤، والماوردي ٤/ ٣٦٦، والقرطبي ١٧/ ٤١، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣١٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٤، وزاد المسير ٦/ ٣٤٤.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٤٦.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٤، وتفسير الماوردي ٤/ ٣٦٦، والقرطبي ١٧/ ٤١.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٤، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤١-٤٢. وهذا السطر ليس في المطبوع.

وقيل: عائدٌ على الرُّجوع إلى الآخرة، وفي الكلام تقديمٌ وتأخير، والتقدير: ثم إلى ربكم تُرْجَعون فلا تكن في مرية من لقائه، أي: من لقاء البَعْث.

وهذه أقوالٌ كان ينبغي أن يُنَزَّه[١] كتابُنا عن نَقْلها، ولكنْ نَقَلها[٢] المفسِّرون فاتَّبعناهم.

والضَّمير في «وجَعلْناه» لموسى، وهو قولُ قتادة. وقيل: للكتاب[٣]، جعلَه هادياً من الضَّلالة، وخَصَّ بني إسرائيل بالذكر لأنه لم يتعبَّد بما فيها ولد إسماعيل.

«وجَعَلْنا منهم» أي: من بني إسرائيل «أئمة» أي: قادةً يُقْتَدى بهم.

وقرأ الجمهور: «لمَّا صَبَروا» بفتح اللام وشدّ الميم. وعبد الله وطلحة والأعمش وحمزة والكسائي ورُوَيس بكسر اللام وتخفيف الميم[٤].

«وكانوا» يحتمل أن يكون معطوفاً على «صَبروا» فيكون داخلاً في التعليق، ويحتمل أن يكون عطفاً على «وجعلنا منهم».

وقرأ عبد الله أيضاً: «بما صَبروا» بباء الجرّ[٥].

والضمير في «منهم» ظاهرُه يعود على بني إسرائيل، والفَصْلُ يوم القيامة يَعُمُّ الخلْقَ كلَّهم.

«أوَلم يَهْدِ لهم» تقدَّم الكلام على نحو هذه الآية إعراباً وقراءةً وتفسيراً في «طه»[٦]، إلا أن هنا «من قبلهم» ولقوم يسمعون[٧]، وهناك «قبلهم» و«لأولي النُّهى».

---

(١) في (أ، ت): ننزه.
(٢) في (يه): ذكرها، وهما بمعنى.
(٣) قاله الحسن، انظر تفسير الطبري ١٨/ ٦٣٧، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣١١، وتفسير الثعلبي ٥/ ٧٤، والماوردي ٤/ ٣٦٦، والقرطبي ١٧/ ٤٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٤، وزاد المسير ٦/ ٣٤٤.
(٤) السبعة ٥١٦، والتيسير ١٧٧، والنشر ٢/ ٣٤٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٥.
(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٢، وتفسير الطبري ١٨/ ٦٣٨، والثعلبي ٥/ ٧٤ (وفيه تحريف)، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٥، وزاد المسير ٦/ ٣٤٤، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٣.
(٦) الآية (١٢٨) منها.
(٧) كذا، والآية: أفلا يسمعون.

و«يَسمعون» و«النُّهى» من الفواصل، جاء كلٌّ منهما مطابقٌ لما قبلَه وما بعده من الفواصل.

«أوَلم يرَوْا أنّا نسوق الماء» أقام تعالى الحُجَّة على الكَفَرة بالأمم السَّالفة الذين كفروا فأُهلِكوا، ثم أقامها عليهم بإظهار قُدرته، وتنبيههم على البعث.

وتقدّم تفسير «الجُرُز» في الكهف[١].

وكلُّ أرضٍ جُرُزٍ داخلةٌ في هذا؛ فلا تخصيصَ لها بمكانٍ مُعَيَّن.

وقال ابن عباس: هي أرضُ أَبْيَن من اليمن، وهي أرضٌ تَشرب بسيول لا تُمْطَر[٢].

وقرئ: «الجُرْز» بسكون الرَّاء[٣].

«فنُخْرِجُ به» أي: بالماء، وخُصَّ الزَّرْعُ بالذكر وإنْ كان يُخرجُ الله به أنواعاً كثيرةً من الفواكه والبُقول والعُشْب المنتَفَع به في الطبّ وغيره تشريفاً للزّرع، ولأنه أعْظَمُ ما يُقْصَدُ من النَّبات. أو أوقعَ الزَّرعَ موقعَ النَّبات.

وقدّمت الأنعام لأن ما يَنْبت تأكله الأنعام أوَّل فأول من قبل أن يأكل بنو آدم الحبّ، ألا ترى أن القَصيل ـ وهو شَعيرٌ يُزْرَع ـ تأكلُهُ الأنعام قبل أن يُسْبِل[٤]، والبِرْسيم والفِصْفِصة وأمثال ذلك تُبادرُهُ الأنعام بالأكل قبل أن يأكل بنو آدم حبَّ الزَّرْع.

أو لأنه غذاءُ الدَّوابِّ، والإنسان قد يتغذّى بغيره من حَيَوان وغيره.

أو بدأ بالأدنى ثم ترقَّى إلى الأشْرف وهم بنو آدم.

وقرأ أبو حَيْوَة وأبو بكر في رواية «يأكُلُ» بالياء من أسفل[٥].

---

(١) في تفسير الآية (٨) منها.

(٢) أخرجه الطبري ١٨/ ٦٤١-٦٤٢.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢١١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٦، ولم يذكرا من قرأ بها.

(٤) يخرج سنبله، وفي (ز٢): يستتبل، وهو تصحيف صوابه: يُسَنبل، وهي بمعنى يسبل، إلا أن أسبل حجازية، وسنبل تميمية، انظر معجم متن اللغة (سبل، سنبل).

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٦، ونسبها ابن خالويه إلى الزيات، انظر مختصر في الشواذ ١١٨.

وقرأ الجمهور: «يُبْصِرون» بياء الغَيْبَة، وابن مسعود بتاء الخطاب[(١)].

وجاءت الفاصلةُ: «أفلا يُبْصِرون» لأن ما سَبق مَرْئي، وفي الآية قبلَه مَسْموع، فناسب «أفلا يَسْمعون».

ثم أخبر تعالى عن الكَفَرَة باستعجال فَصْل القضاء بينهم وبين الرسول، على معنى الهُزْء والتَّكذيب.

و«الفَتْح» الحُكم، قاله الجمهور. وهو الذي يَتَرتَّب عليه قوله: «قلْ يومَ الفَتْح»... إلخ، ويُضْعِف قول الحسن ومجاهد: فتح مكة؛ لعدَم مُطابقته لما بعده، لأن مَن آمن يوم فتح مكة إيمانه ينفعه، وكذا قول من قال: يوم بدر[(٢)].

«ولا هم يُنْظَرون» أي: لا يُؤخَّرون عن العذاب.

ولما عُرف غرضُهم في سؤالهم على سبيل الهُزْء، قيل لهم: لا تستعجلوا به ولا تستهزؤوا، فكأنْ قد حَصَلْتُم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعْكم الإيمان، واستنظَرْتُم في حُلول العذاب فلم تُنْظَروا. ف «يوم» منصوبٌ ب «لا يَنْفَع».

ثم أمرَهُ بالإعْراض عنهم، وانتظارِ النَّصْرِ عليهم، والظَّفَر بهم. «إنَّهم مُنْتَظِرون» للغَلَبَةِ عليكم؛ كقوله: ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

وقيل: «إنهم مُنْتَظرون» العذابَ، أي: هذا حُكْمُهم وإنْ كانوا لا يَشْعُرون.

وقرأ اليَمانيّ: «مُنْتَظَرون» بفتح الظَّاء اسمَ مفعول[(٣)]، والجمهور بكسرها اسم فاعل، أي: مُنْتَظَرٌ هَلاكُهم؛ فإنهم أحِقَّاءُ أنْ يُنْتَظر هَلاكُهم، يعني أنهم هالِكون لا محالَةَ. أو وانتَظِرْ ذلك فإنَّ الملائكةَ في السَّماء ينتظرونه.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٦ على تحريف فيه يصحح من هنا، وانظر الدر المصون ٩/ ٩٠، وتفسير الآلوسي ٢١/ ١٧٤.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٨/ ٦٤٤، والثعلبي ٥/ ٧٥، والقرطبي ١٧/ ٤٥-٤٦، والكشاف ٣/ ٢٤٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٦، وزاد المسير ٦/ ٣٤٤-٣٤٥.

(٣) مختصر في الشواذ ١١٨، والمحتسب ٢/ ١٧٥، وتفسير الثعلبي ٥/ ٧٥، والقرطبي ١٧/ ٤٧، والكشاف ٣/ ٢٤٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٦، واليماني هو محمد بن السميفع.

[مفردات سورة الأحزاب]

الجَوْفُ معروف، وجمعُه أجْواف.

يَثْرِب: مدينة الرّسول عليه السَّلام، وقيل: أرضٌ بالمدينة في ناحيةٍ منها.

الحَنْجَرَةُ: رأس الغَلْصَمَة، وهي مُنتهى الحُلْقوم، والحُلْقوم: مَدْخَلُ الطَّعام والشَّراب.

الأقْطار: النَّواحي، واحدُها قُطْر، ويقال: قُتْر بالتاء لُغة فيه.

عَوَّق عن كذا: ثَبَّط عنه.

سَلَقَه: اجْتَرأ عليه وضَرَبَه، ويُقال: صَلَقَه بالصاد. قال الشاعر:

فصَلَقْنا في مُرادٍ صَلْقَةً وصُداءٍ ألْحَقَتْهُم بالثَّلَلْ[1]

وقيل: سَلَقَه: خاطبَه مُخاطبةً بَليغة، ومنه: خطيبٌ سَلّاقٌ ومِسْلاق، ولسانٌ سَلَّاق ومِسْلاق.

النَّحْبُ: النَّذْرُ، والشيءُ الذي يَلتزمُه الإنسان ويَعتقد الوفاءَ به، قال الشاعر[2]:

عَشِيَّةَ فَرَّ الحارثيُّون بعدما قضى نَحْبَه في مُلْتَقى القومِ هَوْبَرُ

وقال جرير[3]:

بطَخْفَةَ جالَدْنا الملوكَ وخيلُنا عَشيَّةَ بِسْطامٍ جَرَيْنَ على نَحْبِ

أي: على أمرٍ عَظيم التزم القيام به، وقد يُسمَّى الموتُ نَحْباً.

---

(١) البيت للبيد، وهو في شرح ديوانه ١٩٣ وتخريجه في ص٣٤٨، الصلقة: الصيحة، والثلل: الهلاك.

(٢) ذو الرمة، والبيت في ديوانه ٤/ ٦٤٧.

(٣) ديوانه ٢/ ٦٣٢ (بشرح ابن حبيب).

الصَّياصي: الحُصون، واحدها صِيْصِيَة، وهي كلُّ ما يُمْتَنَعُ به، ويُقال لقَرْن الثّور والظَّبْي ولشَوْكَة الدِّيك، وهي مِخْلَبُه الذي في ساقه؛ لأنه يَتَحصَّن به، والصَّياصي أيضاً شَوْكُ الحاكَةِ، ويُتَّخذُ من حَديد، ومنه قولُ دُرَيد بن الصِّمَّة:

كوَقْعِ الصَّياصي في النَّسيجِ المُمَدَّدِ(١)

الأُسْوَة: القُدْوة، وتُضمُّ همزتُهُ وتُكْسَر، ويُتَأسَّى بفُلان: يُقْتَدى به، والأُسْوَةُ من الائتِساء كالقُدْوَةِ من الاقتداء؛ اسمٌ وُضِعَ مَوْضعَ المَصْدَر.

التَّبَرُّج؛ قال اللَّيث: تَبَرَّجَتْ: أبْدَتْ مَحاسِنَها من وَجْهِها وجَسَدِها، ويُرَى مع ذلك من عَيْنِها حُسْنُ نَظَر(٢).

وقال أبو عُبيدة: تُخْرِجُ مَحاسنَها مما تَسْتَدْعي به شَهْوةَ الرِّجال(٣).

وأصلُه من البَرَج، في عينه وفي أسْنانه بَرَجٌ؛ أي: سَعَةٌ.

الوَطَر؛ قال أبو عبيدة: كالأَرَب، وأنشد للرَّبيع بن ضَبُع:

وَدَّعَنا قَبْلَ أنْ نُوَدِّعَه ... لمَّا قَضَى من شَبابنا وطَرا(٤)

وقال المبرِّد: الوَطَرُ: الشَّهوةُ والمَحَبَّة؛ يُقال: ما قَضيتُ من لقائك وَطَراً، أي: ما استَمْتَعْتُ بك حتى تَنْتَهي نَفْسي، وأنشد:

---

(١) صدره: فجئت إليه والرماح تنوشه، وهو في ديوانه ٤٨ من قصيدة في رثاء أخيه عبد الله، وتخريجها في ص١٣٣.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ١١/ ٥٥، وعن الأزهري نقله أكثر أصحاب المعاجم.

(٣) الذي في مجاز القرآن ٢/ ١٣٨: أن يبرزن محاسنهن فيظهرنها، وأما ما نسبه إليه أبو حيان فهو من كلام الزجاج ذكره في معاني القرآن ٤/ ٢٢٥، ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة ١١/ ٥٦، وعنه أصحاب المعاجم، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٣٧٩-٣٨٠ قول أبي عبيدة ثم عقبه بقول الزجاج. ونقل الآلوسي في تفسيره ٢١/ ٢٨٦ عن أبي حيان دون تمحيص.

(٤) مجاز القرآن ٢/ ١٣٨، وتفسير الطبري ١٩/ ١١٧، والبيت من قصيدة للربيع في نوادر أبي زيد ٤٤٦، والتيجان ١٣١، والمعمرون والوصايا ٩، وحماسة البحتري ٣٩٩، وأمالي المرتضى ١/ ٢٥٥، وانظر شرح أبيات المغني ٨/ ٩٠، وخزانة الأدب ٧/ ٣٨٤.

وكيف ثوائي بالمدينة بعدما قضى وَطراً منها جميلُ بن مَعْمَرِ[١]

الجِلْباب: ثوبٌ أكبرُ من الخِمار.

* * *

﴿يَتَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١
وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى
تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ
وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ
فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ
قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟
ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ
أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ
وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ
ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾.

هذه السُّورةُ مدنيَّة، وتقدَّم أن نِداءه ﷺ بقوله: يا أيُّها النبيُّ، يا أيُّها الرَّسول؛ هو على سبيلِ التَّشريفِ والتَّكرِمةِ والتَّنْويه بمَحلِّه وفضيلتِه، وجاء نداءُ غيره باسمه كقوله: يا آدمُ يا نوح يا إبراهيم يا موسى يا داود يا عيسى، وحيثُ ذكره على سبيلِ الإخبارِ عنه بأنَّه رسولُه صرَّح باسمه، فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وأعلم أنَّه رسولُه، ولَقَّنهم أن يُسَمُّوه بذلك، وحيث لم يَقْصِد الإعلام بذلك جاء اسمُه كما جاء في النِّداء ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ﴾ [الفرقان: ٣٠] ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٦]، وغير ذلك من الآي[٢].

(١) انظر الكامل ٢/ ٥٦٤.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٤٨.

وأمْرُه بالتَّقوى للمُتَلَبِّس بها أمرٌ بالدَّيمومة عليها، والازدياد منها، والظَّاهر أنه أمرٌ للنَّبي، وإذا كان هو مأموراً بذلك فغيرُه أولى بالأمر.

وقيل: هو خطابٌ له لفظاً وهو لأُمَّته.

ورُوي أنه لما قَدِم المدينة كان يحبُّ إسلامَ اليهود، فبايعه ناسٌ منهم على النِّفاق، وكان يُلينُ لهم جانبَه، وكانوا يُظهرون النَّصائح في طُرُق المُخادَعة، ولخُلُقِه الكريم، وحِرْصِه على ائتلافهم ربَّما كان يَسمعُ منهم، فنزلت تحذيراً له منهم، وتنبيهاً على عَداوتهم[١].

ورُوي أيضاً أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جَهْل وأبا الأعور السُّلَمي قَدِموا في المُوادَعَة التي كانت بينهم وبينه، وقام عبد الله بن أُبيّ ومُعَتِّب بن قُشَير والجَدُّ بن قيس فقالوا له: ارْفُض ذكرَ آلهتنا، وقُلْ إنها تَشْفَعُ وتَنْفَع ونَدَعُك وربَّك، فشَقَّ ذلك عليه وعلى المؤمنين، وهَمُّوا بقتْلهم، فنزلت[٢].

وناسَبَ أنْ نهاه عن طاعة الكفَّار وهم المُتظاهِرون به، وعن طاعة المُنافقين وهم الذين يُظهِرون الإيمانَ ويُبطنون الكفر، فالسَّببان حاويان الطائفَتين، أي: ولا تُطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلَبوا إليك.

ورُوي أن أهلَ مكَّة دعَوه إلى أنْ يَرجعَ إلى دينهم ويُعطوه شَطْرَ أموالهم، ويُزوِّجُه شَيْبَةُ بن ربيعة بنتَه، وخوَّفه منافقو المدينة أنَّهم يقتلونه إن لم يَرْجع، فنزلت[٣].

ومناسبةُ أوَّلِ هذه السُّورةِ لآخر ما قبلَها واضحةٌ؛ وهو أنَّه حَكَى أنهم يَستعجلون الفتحَ وهو الفَصْلُ بينهم، وأخبر تعالى أنهم يومَ الفتح لا يَنْفَعُهم إيمانُهم، فأمره في أوَّلِ هذه السُّورة بتقوى الله، ونهاه عن طاعة الكفَّار والمنافقين فيما أرادوا به.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٤٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٧، وتفسير القرطبي ١٧/ ٥٠، قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف ١٣٢: لم أجده.

(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ٧٦، والماوردي ٤/ ٣٦٩، والقرطبي ١٧/ ٥٠-٥١، وأسباب النزول للواحدي ٣٦٩، والكشاف ٣/ ٢٤٨، وزاد المسير ٦/ ٣٤٧-٣٤٨.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٤٨، وتفسير القرطبي ١٧/ ٥١.

«إن الله كان عليماً» أي: بالصَّواب من الخطأ، والمَصْلحة من المَفْسَدة «حكيماً» لا يَضَعُ الأشياءَ إلا مَواضعَها مَنوطَةً بالحكمة.

أو «عليماً» حيث أمَر بتقواه، وأنها تكون عن صَميم القلب «حكيماً» حيث نَهى عن طاعةِ الكُفّار والمُنافقين.

وقيل: هي تَسْليةٌ للرَّسول، أي: عليماً بمَنْ يتَّقي، حكيماً في هَدْي مَن شاء، وإضْلال مَنْ شاء[١].

ثمَّ أمرَه باتِّباع ما أُوحي إليه وهو القرآن، والاقتصار عليه، وتَرْكِ مَراسم الجاهليَّة.

وقرأ أبو عَمرو: «بما يَعْملون» الأولى والثانية بياء الغَيْبة، وباقي السَّبعة بتاء الخطاب[٢]، فجاز في الأُولى أن يكون من باب الالتفات، وجاز أن يكون مُناسباً لقوله: «واتَّبع».

ثم أمرَه بتَفْويض أمرِه إلى الله.

وتقدَّم الكلام في «كفى بالله» في أوَّل ما وَقَع في القرآن[٣].

رُوي أنه كان في بني فِهْرٍ رجلٌ فَهِمٌ يقال له: أبو مَعْمَر جميلُ بن أُسَيد، وقيل: جَميل[٤] بن مَعْمَر بن حَبيب بن وَهْب بن حارثة بن جُمَح، وفيه يقول الشاعر:

وكيف ثَوائي بالمدينة بعدما ... قضى وَطَراً منها جَميلُ بن مَعْمَرِ

يَدَّعي أنَّ له قَلْبين، ويُقال له: ذو القَلْبَيْن، وكان يقول: أنا أذْكى من محمد وأفْهم، فلما بَلَغَتْه هزيمةُ بدرٍ طاشَ لُبُّه، وحَدَّث أبا سفيان بن حَرْب بحديثٍ كالمُخْتَلّ، فنزلت[٥].

---

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٧، قال الآلوسي ٢١/ ١٨٣: وليس بشيء.
(٢) السبعة ٥١٨، ٥١٩، والتيسير ١٧٧، والنشر ٢/ ٣٤٧.
(٣) في الآية (٦) من سورة النساء.
(٤) في النسخ والمطبوع: حميد، وهو تحريف، والمثبت من المصادر، انظر الحاشية التالية.
(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٤، وتفسير الطبري ١٩/ ٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ٧٧، والماوردي ٤/ ٣٧٠، والبغوي ٥/ ٢٢٩-٢٣٠ (بهامش الخازن)، والقرطبي ١٧/ ٥٢-٥٣، وأسباب =

وقال الحسن: هم جماعةٌ يقول الواحد منهم: لي نفْسٌ تأمُرني ونفسٌ تَنهاني[١].

وقيل: إن بعضَ المنافقين قال: إن محمداً له قلبان؛ لأنه ربَّما كان في شيءٍ فنَزَع في غيره نَزْعَةً، ثم عاد إلى شأنه، فنفى الله ذلك عنه وعن كلِّ أحَد[٢].

قيل: وَجْهُ نَظْمِ هذه الآية بما قبلها أنه تعالى لمَّا أمرَ بالتَّقوى كان من حقِّها أنْ لا يكون في القلب تقوى غير الله؛ فإن المرء ليس له قلبان يَتَّقي بأحدهما الله وبالآخر غيرَه، وهو لا يَتَّقي غيرَه إلا بصرْفِ القَلْب عن جهة الله إلى غيره، ولا يَليق ذلك بمَنْ يتَّقي الله حقَّ تُقاته. انتهى ملخصاً[٣].

ولم يَجعل الله للإنسان قلبَيْن؛ لأنه إمَّا أن يَفْعل أحدُهما مثلَ ما يفعل الآخر من أفعال القلوب، فلا حاجةَ إلى أحدهما، أو غيره فيُؤدِّي إلى اتِّصاف الإنسان بكونه مُريداً كارهاً، عالماً ظانًّا، شاكًّا موقِناً في حالةٍ واحدة، وذكر الجَوْفَ وإنْ كان من المعلوم أن القلبَ لا يكون إلا في الجوف زيادةً للتَّصوير والتجَلِّي للمَدْلول عليه كما قال: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، فإذا سَمع بذلك صَوَّر لنفسه جَوْفاً يشتمل على قلبين؛ فيُسرع إلى إنْكار ذلك.

«وما جَعل أزْواجَكم» لم يجعل تعالى الزَّوجةَ المُظاهَرَ منها أُمّاً لأن «الأمَّ» مَخدومةٌ، مَخْفوضٌ لها جَناحُ الذُّلِّ، والزَّوجةَ مُسْتَخدَمَةٌ مُتَصَرَّفٌ فيها بالاسْتِفراشِ وغيرِهِ كالمَمْلوك، وهما حالتان مُتنافيتان[٤].

وقرأ قالون وقُنْبُل: «اللَّاءِ» هنا وفي «المجادلة» و«الطلاق» بالهمز من غير ياء.

= النزول للواحدي ٣٦٩-٣٧٠، والتعريف والإعلام للسهيلي ١٣٥، والكشاف ٣/ ٢٤٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٨، وزاد المسير ٦/ ٣٤٩، والإصابة ١/ ٢٤٤، وتفسير الآلوسي ٢١/ ١٨٤-١٨٥.

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ١١١، والطبري ١٩/ ٨.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٨، وأخرجه بنحوه عن ابن عباس: أحمد (٢٤١٠)، والترمذي (٣١٩٩)، والطبري ١٩/ ٧. وإسناده ضعيف.

(٣) من تفسير الرازي ٢٥/ ١٩١.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٤٩، وما قبله منه.

ووَرْش بياء مُخْتَلَسَةِ الكسرة. والبَزِّي وأبو عمرو بياء ساكنة بدلاً من الهمزة، وهو بدلٌ مَسْموع لا مَقيس، وهي لغةُ قريش. وباقي السَّبعة بالهَمْز وياء بعدها[1].

وقرأ عاصم: «تُظاهِرون» بالتَّاء للخطاب، وفي «المجادلة» بالياء للغَيْبة مضارع ظاهر، وبشَدِّ الظَّاء والهاء الحَرَمِيَّان وأبو عمرو، وبشدِّ الظاء وألفٍ بعدها ابنُ عامر، وبتخفيفها والألف حمزة والكسائي، ووافق ابنَ عامر الأخوان في «المجادلة»، وباقي السَّبعة فيها بشَدِّهما[2].

وقرأ ابن وَثَّاب فيما نقل ابنُ عطية بضمِّ التَّاء وسكون الظَّاء وكسر الهاء مضارع «أظْهَرَ»[3]. وفيما حكى أبو الفضل الرَّازي عنه بتخفيف الظاء لحَذْفهم تاء المطاوَعة وشدِّ الهاء[4].

وقرأ الحسن: «تُظَهِّرون» بضمّ التاء، وتخفيف الظاء، وشدِّ الهاء، مضارع ظَهَّر مُشدَّدَ الهاء[5].

وقرأ هارون عن أبي عمرو: «تَظْهَرون» بفتح التاء والهاء وسكون الظاء، مضارع ظَهَر مُخَفَّف الهاء[6].

وفي مُصحف أُبيّ: «تَتَظَهَّرون» بتاءين[7]، فتلك تسع قراءات.

والمعنى: قال لها: أنتِ عليَّ كظَهْر أُمِّي، فتلك الأفعالُ مأخوذةٌ من هذا اللَّفظ، كقوله: لَبَّى المُحْرِمِ إذا قال: لَبَّيْكَ، وأَفَّف إذا قال: أُف، وعُدِّي الفعلُ

(١) السبعة ٥١٨، والتيسير ١٧٧-١٧٨، والنشر ١/ ٤٠٤، والمحرر ٤/ ٣٦٨.
(٢) السبعة ٥١٩، والتيسير ١٧٨، والنشر ٢/ ٣٤٧، والمحرر ٤/ ٣٦٨، والدر المصون ٩/ ٩٣.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٨.
(٤) يعني: تَظَهَّرون، والأصل تتظهرون، مضارع تظهّر مشدداً، فحذف إحدى التاءين، قاله السمين في الدر ٩/ ٩٤.
(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٤، ونقلها عن أبي حيان السمين في الدر ٩/ ٩٤، والآلوسي ٢١/ ١٨٨، وفي مختصر في الشواذ ١١٨ القراءة عن الحسن بياء أول الحروف بدل التاء.
(٦) نقلها السمين والآلوسي عن أبي حيان، وذكرها ابن خالويه في مختصر في الشواذ ١١٨ لكن وقع في مطبوعه: يظهرون بالياء، فلعله تصحيف.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٨.

بـ «مِن» لأنَّ الظِّهار كان طلاقاً في الجاهليَّة، فيتجنَّبون المُظاهَرَ منها كما يتجنَّبون المطلّقة، فالمعنى أنه تَباعد منها بجِهة الظِّهار، ونَظيرُهُ: آلى من امرأته، لمَّا ضُمِّن معنى التباعُد عُدِّي بمن، وكَنَوا عن البَطْنِ بالظَّهر إبْعاداً لما يُقارب الفَرْج، ولكونهم كانوا يقولون: يَحْرُم إتيانُ المرأة وظَهْرُها للسَّماء، وأهلُ المدينة يقولون: يَجيء الولدُ إذْ ذاك أحْوَل، فبالغوا في التَّغْليظ في تحريم الزَّوجة، فشَبَّهها بالظَّهر، ثم بالَغ فجعلها كظَهْر أُمِّه[1].

ورُوي أن زيد بن حارثة ـ من كَلْب ـ سُبي صغيراً، فاشتراه حَكيم بن حِزام لعمَّته خَديجة، فوهبَتْه لرسول الله ﷺ، وجاء أبوه وعمُّه بفدائه ـ وذلك قبل بعثة رسول الله ـ فخُيِّر، فاختار رسول الله ﷺ، فأعتقه، وكانوا يقولون: زيد بنُ محمد فنزلت: «وما جَعل أدْعياءكم أبناءكم» الآية، وكانوا في الجاهلية وصَدْراً من الإسلام إذا تَبَنَّى الرَّجُلُ بولد غيره صار يَرِثُه[2].

وأدْعياء جمعُ دَعيّ، فعيل بمعنى مفعول جاء شاذّاً، وقياسه فَعْلَى كجَريح وجَرْحى، وإنما هذا الجمع قياس فَعيل المُعْتلّ اللام بمعنى فاعل، نحو تَقيّ وأتقياء، شبَّهوا دَعِيّاً بتَقيّ فجمعوه جَمْعَه شُذوذاً، كما شَذُّوا في جمع أسير وقَتيل، فقالوا: أُسَراء وقُتَلاء، وقد سُمِع المَقيسُ فيهما فقالوا: أَسْرى وقَتْلى[3].

والبُنُوَّةُ تقتضي التأصُّلَ في النَّسَب، والدَّعوة إلْصاقُ عارِضٍ بالتَّسمية، فلا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلاً غيرَ أصيل.

«ذلكم» أي: دعاؤهم أبناء مُجَرَّدَ قولٍ لا حقيقةَ لمَدْلوله؛ إذْ لا يواطئ اللفظُ الاعتقادَ إذْ يَعلم حقيقةً أنه ليس ابنَه.

«والله يقول الحقَّ» أي: ما يُوافقُ ظاهراً وباطناً «وهو يَهدي السَّبيل» أي: سبيلَ الحقّ وهو قولُهُ: «ادْعوهم لآبائهم» أو سبيلَ الشَّرْع والإيمان.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٥٠.
(٢) ذكره مطولاً ابن سعد في طبقاته ٣/ ٣٩-٤١، والزمخشري ٣/ ٢٤٩، وابن عطية ٤/ ٣٦٨، والقرطبي ١٧/ ٥٥-٥٦. وقوله: فخير فاختار رسول الله ﷺ، ليس في المطبوع.
(٣) الكشاف ٣/ ٢٥٠، وانظر الدر المصون ٩/ ٩٤-٩٥، وروح المعاني ٢١/ ١٨٩.

وقرأ الجمهور: «يَهدي» مضارع هدى. وقتادة بضمِّ الياء وفتح الهاء وشدّ الدال[١].

و«أقْسَطُ» أفعَل التَّفضيل، وتقدَّم الكلام فيه في أواخر «البقرة»[٢] ومعناه: أعْدَل.

ولمَّا أمَر بأنْ يُدْعى المُتَبَنَّى لأبيه إنْ عُلم قالوا: زيد بن حارثة، و«مَواليكم» ولذلك قالوا: سالم مولى أبي حُذَيفة.

وذكر الطبريّ: أن أبا بَكْرَةَ قرأ هذه الآية ثم قال: أنا ممَّن لا يُعرَف أبوه؛ فأنا أخوكم في الدِّين ومَوْلاكم، قال الرَّاوي: ولو علم والله أن أباه حمارٌ لانتمى إليه. ورجالُ الحديث يقولون فيه: نُفَيع بن الحارث[٣].

وفي الحديث: «مَن ادَّعى إلى غير أبيه مُتَعمِّداً حَرَّم الله عليه الجنَّة»[٤].

«فيما أخْطَأتم به» قيل: رَفَع الحَرَجَ عنهم فيما كان قبل النَّهْي. وهذا ضعيف، لا يوصف بالخطأ ما كان قبل النَّهْي[٥].

وقيل: فيما سبق إليه اللّسان إمَّا على سبيل الغَلَط إذْ كان سَبَق ذلك إليهم قبل النَّهي، فجرى ذلك على ألسنتهم غَلَطاً، أو على سبيل التَّحَنُّن والشَّفَقة، إذ كثيراً ما يقول الإنسانُ للصَّغير: يا بُنَيّ، كما يقول للكبير: يا أبي؛ على سبيل التَّوقير والتَّعظيم.

و«ما» عطف على «ما أخْطأتُم» أي: ولكن الجُناح فيما تعمَّدت قلوبُكم، وأُجيز أن تكون «ما» في موضع رفعٍ بالابتداء، أي: ولكن ما تعمَّدت قلوبُكم فيه الجُناح.

---

(١) مختصر في الشواذ ١١٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٩.
(٢) في تفسير الآية (٢٨٢) منها.
(٣) تفسير الطبري ١٩/ ١٣، وقوله: ورجال الحديث... هو من كلام ابن عطية ٤/ ٣٦٩، وعنه نقل كلام الطبري، وانظر الخلاف في اسم أبي بكرة في تهذيب الكمال ٧/ ٣٥٨.
(٤) أخرجه أحمد (١٤٥٤)، والبخاري (٦٧٦٦)، ومسلم (٦٣) من حديث سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة ﭭ.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٩.

«وكان الله غفوراً» للعامِد إذا تاب «رَحيماً» حيث رفع الجُناحَ عن المُخطئ.

وكونُه عليه السَّلام «أوْلى بالمؤمنين من أنفُسهم» أي: أرْأفُ بهم وأعْطَفُ عليهم، إذْ هو يدعوهم إلى النَّجاة وأنفُسُهم تدعوهم إلى الهَلاك، ومنه قوله عليه السَّلام: «أنا آخِذٌ بحُجَزِكم عن النَّار وأنتم تقْتَحِمون فيها تَقَحُّمَ الفَراش»[١]. ومن حيث يُنَزَّل لهم منزلةَ الأب، وكذلك في مصحف أُبيّ وقراءة عبد الله: «وأزواجُه أُمَّهاتُهم وهو أبٌ لهم» يعني في الدِّين[٢].

وقال مجاهد: كلُّ نبيٍّ أبو أُمَّته[٣].

وقد قيل في قول لوط عليه السلام: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ [هود: ٧٨] أنَّه أراد المؤمنات، أي: بناتُه في الدِّين، ولذلك جاء: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] أي: في الدِّين.

وعنه عليه السلام: «ما من مؤمنٍ إلا أنا أوْلى به في الدنيا والآخرة، واقرؤوا إنْ شئتم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فأيُّما مؤمنٍ هَلَك وترك مالاً فلْيَرِثه عَصَبَتُه مَنْ كانوا، وإنْ ترك دَيْناً أو ضَياعاً فإليَّ»[٤].

قيل: وأُطلق في قوله تعالى: «أولى بالمؤمنين» أي: في كلِّ شيء ولم يُقَيّد، فيجب أنْ يكون أحبَّ إليهم من أنفسهم، وحُكمُه أنْفَذُ عليهم من حُكمها، وحقوقُه آثَرُ، إلى غير ذلك مما يجب عليهم في حقِّه[٥]. انتهى.

ولو أُريد هذا المعنى لكان التَّركيب: المؤمنون أولى بالنبيِّ منهم بأنفسهم.

«وأزواجُه أُمَّهاتُهم» أي: مثلُ أمَّهاتهم في التَّوقير والاحترام، وفي بعض الأحكام من تحريم نِكاحِهِنَّ، وغير ذلك مما جَرَيْن فيه مَجرى الأجانب.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٠، وأخرجه أحمد (٧٣٢١)، والبخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤) من حديث أبي هريرة ﷺ، وفيه: تقحمون بدل تقتحمون.

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢/ ١١٢، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٥، وتفسير الثعلبي ٥/ ٨٠، والكشاف ٣/ ٢٥١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٧٠.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٥١.

(٤) أخرجه أحمد (٨٤١٨)، والبخاري (٢٣٩٩)، ومسلم (١٦١٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) الكشاف ٣/ ٢٥١.

وظاهرُ قوله: «وأزْواجُه» كلّ مَن أُطلِقَ عليها أنّها زوجةٌ له عليه السلام؛ مَنْ طَلَّقها ومَنْ لم يُطلّقها، ومَن دخل بها ومَن لم يدخل بها.

وقيل: لا يَثْبُت هذا الحُكمُ لمُطَلَّقته.

وقيل: مَن دخل بها ثَبتَت حُرمتُها قطعاً، وهَمَّ عمرُ برَجْم امرأةٍ فارقها رسولُ الله ﷺ ونكحَت بعده، فقالت له: ولِمَ هذا وما ضَربَ عليَّ حِجاباً، ولا سُمِّيتُ للمسلمين أمّاً؟! فكفَّ عنها[1].

وكان أوّلاً بالمدينة توارثٌ بأُخوَّة الإسلام وبالهجرة، ثم حكم تعالى بأن أُولي الأرحام أحقُّ في التَّوارث من الأخ في الإسلام أو بالهجرة. «في كتاب الله» أي: في اللّوح المحفوظ، أو في القرآن.

«من المؤمنين والمهاجرين» أي: أوْلى من المؤمنين الذين كانوا يَتوارَثون بمُجرَّد الإيمان، ومن المهاجرين الذين كانوا يَتوارثون بالهجرة، وهذا هو الظاهر، فتكون «من» هنا كهي في: زيدٌ أفضلُ من عمرو.

وقال الزمخشري: يجوز أن يكون بياناً لأُولي الأرحام، أي: الأقرباء من هؤلاء بعضُهم أوْلى بأنْ يَرِثَ بعضاً من الأجانب[2]. انتهى.

والظاهر عمُوم قوله: «إلى أوليائكم» فيَشْمل جميعَ أقسامه من قريبٍ وأجنبيّ، مؤمنٍ وكافرٍ، يُحسن إليه، ويَصلُه في حياته، ويوصي له عند الموت. قاله قتادة والحسن وعطاء وابن الحنفيّة.

وقال مجاهد وابن زيد والرُّماني وغيرُهُ: «إلى أوليائكم» مخصوصٌ بالمؤمنين. وسياقُ ما تقدَّم في المؤمنين يَعْضُد هذا، لكن ولايةُ النَّسَب لا تُدْفَع في الكافر، وإنما يدفع أن تُلقي إليه بالمودَّة كوليّ الإسلام[3].

---

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته ١٠/ ١٤١-١٤٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٥١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٠، وانظر الأقوال في تفسير الطبري ١٩/ ١٩-٢١، والثعلبي ٥/ ٨١، والماوردي ٤/ ٣٧٦، والقرطبي ١٧/ ٦٧، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٢٥-٣٢٦.

وهذا الاستثناء في قوله: «إلا أن تفعلوا» هو مما يُفهَم من الكلام، أي: وأولو الأرحام بعضُهم أولى ببعض في النَّفْع بميراثٍ وغيره، وعُدِّي بإلى لأن المعنى: إلا أن توصلوا إلى أوليائكم معروفاً.

«كان ذلك» إشارة إلى ما في الآيتين «في الكتاب» إمَّا اللوح المحفوظ، وإمَّا القرآن على ما تقدَّم. «مَسْطورا» أي: مُثْبَتاً بالأسطار، وهذه الجملة مُستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الأحكام.

ولمّا كان ما سَبق أحكامٌ عن الله تعالى، وكان فيها أشياء مما كانت في الجاهلية، وأشياء في الإسلام نُسِخت؛ أتبعه بقوله: «وإذْ أخَذْنا من النبيين ميثاقَهم» أي: في تبليغ الشَّرائع والدُّعاءِ إلى الله، فلسْتَ بِدْعاً في تبليغك عن الله.

والعامل في «إذْ» قال الحوفي وابن عطية: يجوز أن يكون «مَسْطوراً» أي: مسطوراً في الكتاب وحين أخذنا. وقيل: العامل: واذْكُر حين أخَذْنا[1].

وهذا الميثاق هو في تبليغِ رسالات الله، والدُّعاءِ إلى الإيمان، ولا يمنعهم من ذلك مانع لا من خوفٍ ولا طَمَع.

قال الكلبي: أخَذَ ميثاقَهم بالتَّبليغ. وقال قتادة: بتصديق بعضهم بعضاً، والإعلانِ بأن محمداً رسولُ الله، وإعلان رسول الله أنْ لا نبيَّ بعده.

وقال الزجاج وغيره: الذي أخَذ عليهم وقتَ استخراج البشر من صُلبِ آدم كالذرِّ، قالوا: فأخذ الله حينئذٍ ميثاقَ النبيين بالتَّبليغ، وتصديقِ بعضهم بعضاً، وبجميع ما تضمَّنَتْه النُّبوَّة. ورُوي نحوه عن أُبيٍّ بن كعب[2].

وخُصَّ هؤلاء الخمسة بالذِّكر بعد دخولهم في جُملةِ النبيّين قبلُ وهم أولو العَزْم لشَرَفهم وفضلهم على غيرهم، وقُدِّم محمدٌ ﷺ فيهم لكونه أفضلَهم وأكثرَهم تابعاً، وقُدِّم نوح في آية «الشُّورى» في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ الآية [١٣] لأن إيراده على خلاف الإيراد هنا، أوْرَدَه على طريق وَصْفِ دين الإسلام

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧١.
(٢) انظر تفسير الطبري ١٩/ ٢٣، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٢١٦، وللنحاس ٥/ ٣٢٧، والنكت والعيون ٤/ ٣٧٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٧١، وزاد المسير ٦/ ٣٥٤-٣٥٥.

بالأصالة، فكأنه قال: شَرَع لكم الدِّينَ الأصيلَ الذي بُعث عليه نوحٌ في العهد القديم، وبُعث عليه محمدٌ خاتمُ الأنبياء في العهد الحديث، وبُعث عليه مَن توسَّط بينهما من الأنبياء المَشاهير.

والميثاقُ الثاني هو الأوّل، وكُرِّر لأجل صِفَته.

والغِلَظُ من صِفةِ الأجسام، واستُعير للمعنى مُبالغةً في حُرمتِهِ وعَظَمته وثِقَلِ فَرْطِ تَحَمُّله. وقيل: الميثاقُ الغَليظ: اليمينُ بالله على الوَفاء بما حُمِّلوا[1].

واللام في «لِيَسْأَلَ» قيل: يحتمل أن تكون لام الصَّيْرورة[2]، أي: أخذ المواثيقَ على الأنبياء لِيَصيرَ الأمرُ إلى كذا.

والظاهر أنها لام كي، أي: بعَثْنا الرُّسل وأخذنا عليها المواثيقَ في التَّبليغ لكي يَجعل الله خَلْقَه فرقتين: فرقةً يسألُها عن صِدقها على معنى إقامة الحجَّة، فتجيب بأنها قد صَدَّقت الله في إيمانها وجميعِ أفعالها، فيُثيبها على ذلك، وفرقةً كفرت فينالها ما أعدَّ لها من العذاب، فالصَّادقون على هذا المسؤولون هم المؤمنون، والهاء في «صِدْقِهم» عائدةٌ عليهم، ومفعول «صِدْقِهم» محذوف تقديرُهُ: عن صدقهم عَهْدَه، أو يكون صدقهم في معنى تصديقهم، ومفعوله محذوف، أي: عن تصديقهم الأنبياء، لأن مَن قال للصادق: صَدَقْتَ كان صادقاً في قوله[3].

أو لِيَسألَ الأنبياءَ الذي أجابتْهم به أُمَمهم. حكاه عليُّ بن عيسى.

أو لِيَسألَ الأنبياء عن الوَفاء بالميثاق الذي أخَذَه عليهم. حكاه ابنُ شَجرة.

أو ليسأل الأنبياء عن تبليغهم الرّسالةَ إلى قومهم. قاله مجاهد.

وفي هذا تنبيه؛ أي: إذا كان الأنبياء يُسألون فكيف بمَن سواهم؟

وقال مجاهد أيضاً: «لِيَسأل الصَّادقين» أراد المُؤدِّين عن الرُّسل[4]. انتهى.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٥٢.

(٢) في (ت، يه): الضرورة، وهو تحريف.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧١.

(٤) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٩/ ٢٤، والماوردي ٤/ ٣٧٨، والقرطبي ١٧/ ٧٠.

وسؤالُ الرُّسُل تبكيتٌ للكافرين بهم، كما قال تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

«وأعدّ» معطوف على «أخذنا» لأن المعنى: إن الله أكَّد على الأنبياء الدعوةَ إلى دينه لأجل إثابةِ المؤمنين، وأعدَّ للكافرين عذاباً أليماً، أو على ما دلَّ عليه «لِيَسأَلَ الصَّادقين» كأنه قال: فأثابَ المؤمنين، وأعَدَّ للكافرين. قالهما الزمخشري[١].

ويجوز أن يكون حُذف من الأوَّل ما أُثيب به الصَّادقون وهم المؤمنون، وذُكرت العلَّة، وحُذف من الثاني العلَّة وذُكر ما عُوقبوا به، وكان التقدير: ليَسأل الصَّادقين عن صِدْقهم فأثابهم، ويَسألَ الكافرين عمَّا أجابوا به رُسلَهم، كقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ [القصص: ٦٥-٦٦]، وأعدَّ لهم عذاباً أليماً، فحذف من الأوَّل ما أثبت مُقابلَه في الثاني، ومن الثاني ما أثبت مُقابلَه في الأول، وهذه طريقةٌ بَليغة، وقد تقدَّم لنا ذكرُ ذلك في قوله: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ [البقرة: ١٧١]، وأمْعَنَّا الكلامَ هناك.

❁ ❁ ❁

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ

(١) في الكشاف ٣/ ٢٥٣.

ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُولَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾.

ذَكَّرهم الله تعالى بنعمته عليهم في غزوة الخندق وما اتَّصل بها من أمر بني قُرَيظة، وقد استوفى ذلك أهلُ السِّيَر، ونذكر من ذلك ماله تعلُّقٌ بالآيات التي نفسِّرها.

«وإذْ» معمولةٌ لـ «نِعْمة» أي: إنعامَه عليكم وقتَ مجيء الجنود، والجنود كانوا عشرةَ آلاف؛ قريش ومَن تابعهم من الأحابيش في أربعة آلاف يقودهم أبو سفيان، وبنو أسد يقودهم طُلَيْحة، وغَطَفان يقودهم عُيَيْنَة، وبنو عامر يقودهم عامر بن الطُّفَيل، وسُلَيم يقودهم أبو الأعْور، واليهود: النَّضير رؤساؤهم حُيَيّ بن أخْطَب وابنا أبي الحُقَيق، وبنو قُرَيظة سيِّدُهم كعب بن أسَد، وكان بينه وبين الرسول عَهْدٌ، فنَبذَه بسَعْي حُيَيٍّ بن أخْطَب.

قيل: فاجتمعوا خمسةَ عشر ألفاً وهم الأحزاب، ونزلوا المدينة، فحُفِرَ الخندق بإشارة سَلْمان - وهو من عمل الفُرس - وظَهرت للرَّسول به تلك المعجزةُ العظيمة من كَسْرِهِ الصخرةَ التي أعْوَزت الصحابة ثلاثَ فِرَق، ظهرت مع كلِّ فرقةٍ بَرْقَةٌ أراه الله منها مَدائنَ كِسْرى وما حولها، ومَدائنَ قَيْصَر وما حولها، ومَدائنَ الحبشة وما حولها، وبُشِّر بفَتْح ذلك، وأقام الذَّراري والنساء بالآطام، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون في ثلاثة آلاف، فنزلوا بظَهْرِ سَلْع، والخندق بينهم وبين المشركين، وكان ذلك في شوّال سنة خمس. قاله ابن إسحاق. وقال مالك: سنة أربع(١).

وقرأ الحسن: «وجَنوداً» بفتح الجيم(٢)، والجمهور بالضمِّ؛ بعث الله الصَّبا

---

(١) قال البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٣٩٧: لا اختلاف بينهم في الحقيقة.. فمن قال سنة أربع أراد بعد أربع سنين وقبل بلوغ الخمس، ومن قال سنة خمس أراد بعد الدخول في السنة الخامسة وقبل انقضائها.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٢.

لنُصْرَةِ نبيِّه، فأضَرَّت بهم؛ هدمت بيوتَهم، وأطفأت نيرانَهم، وقَطّعت حبالَهم، وأكفأت قُدورَهم، ولم يمكنْهم معها قَرارٌ، وبعث الله مع الصَّبا ملائكةً تُشَدّد الرِّيح، وتفعل نحو[1] فِعْلها.

وقرأ أبو عمرو في رواية وأبو بكر في رواية: «لم يَرَوها» بياء الغَيْبة، وباقي السَّبعة والجمهور بتاء الخطاب[2].

«من فوقكم» من أعلى الوادي من قبل المشرق غَطَفان «ومن أسْفلَ منكم» من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش، تحزَّبوا وقالوا: نكون جُملةً حتى نَستأصلَ محمداً.

وقال مجاهد: «من فوقكم» يريد أهلَ نَجْدٍ مع عُيَيْنَة بن حِصن «ومن أسفلَ منكم» يريد مكة وسائر تِهامة. وهو قولٌ قريبٌ من الأوّل[3].

وقيل: إنما يُراد[4] ما يَختصُّ ببُقْعة المدينة، أي: نزلت طائفة في أعلى المدينة وطائفة في أسفلها، وهذا قولٌ قريبٌ من القول الأول.

وقد يكون ذلك على معنى المُبالغَة، أي: جاؤوكم من جميع الجهات، كأنه قيل: إذْ جاؤوكم مُحيطين بكم كقوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت ٥٥] المعنى: يَغشاهم مُحيطاً بجميع أبدانهم.

وزَيْغُ الأبصار: مَيْلُها عن مُستوى نَظَرِها فِعْلَ الوالِهِ الجَزِع.

وقال الفرَّاء: زاغت عن كلِّ شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوِّها[5].

(١) في (ت): مثل، وهما بمعنى، وانظر المحرر الوجيز.
(٢) هذه الرواية عن أبي عمرو، وعن أبي بكر شاذة، وقراءتهما كقراءة الجماعة، ولم يذكر عنهما خلاف فيها، وذكر هذه الرواية عن أبي عمرو: ابنُ خالويه في مختصر في الشواذ ١١٨ ثم نقل عن ابن مجاهد قوله: وهو غلط، وابنُ عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٢ ونقل عن أبي حاتم قوله: قراءة العامة: لم تروها بالتاء من فوق.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٢، وأخرجه بنحوه الطبري ١٩/ ٣٠.
(٤) في (ت): إن المراد.
(٥) معاني القرآن ٢/ ٣٣٦.

وبُلوغ القُلوب الحَناجر مُبالغةٌ في اضطرابها ووَجِيبها دون أن تنتقل من مَقَرِّها إلى الحَنْجَرة.

وقيل: تَجِب القلوبُ من شِدَّةِ الفَزَع، فيَتَّصل وَجِيبُها بالحَنْجرة، فكأنها بَلَغَتْها.

وقيل: يجد حُشْوَتَه وقلبَه يَصَّعَّد عُلُوًّا لِيَنْفصل، فالبُلوغُ ليس حقيقةً.

وقيل: القلبُ عند الغضب يَنْدفع، وعند الخوف يجتمع فيتقلَّص فيَلْتصق بالحَنْجَرة.

وقيل: يُفضي إلى أن يُسَدَّ مَخْرَجُ[1] النَّفَس، فلا يَقْدر المرءُ أن يتنفَّس، ويموتُ خوفاً، ومثلُهُ: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨].

وقيل: إذا انتفخت الرِّئةُ من شدَّة الفَزَع أو الغَضَب أو الغَمِّ الشديد رَبَت، وارتفع القلبُ بارتفاعها إلى رأس الحَنْجَرة، ومن ثَمَّ قيل للجَبان: انتفَخَ سَحْرُهُ[2].

والظُّنون: جمعٌ لِما اختَلَفت مُتَعَلّقاته، وإنْ كان لا ينقاس عند سيبويه جمعُ المَصْدر إذا اختلفت مُتَعَلّقاته ويَنقاس عند غيره[3].

وقد جاء الظُّنون جمعاً في أشعارهم؛ أنشد أبو عمرو في كتاب «الألحان»:

إذا الجَوْزاءُ أَرْدَفَتِ الثُّرَيّا ... ظَنَنْتُ بآلِ فاطِمةَ الظُّنونا[4]

فظَنُّ المؤمنين الخُلَّص أن ما وَعَدَهم الله من النَّصر حَقّ، وأنهم سيَظْهرون، وظَنُّ الضعيفِ الإيمان مُضطرب، وظَنُّ المنافقين أن الرسول والمؤمنين سَيُغلَبون، وكل هؤلاء يَشملهم الضَّمير في «وتظنّون».

---

(١) في (ت): مجرى، وهو صحيح أيضاً.

(٢) انظر الأقوال في تفسير الماوردي ٤/ ٣٧٩، والقرطبي ١٧/ ٩٢، والكشاف ٣/ ٢٥٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٧٢، وزاد المسير ٦/ ٣٥٨.

(٣) انظر الكتاب ٣/ ٥٦٧، وارتشاف الضرب ١/ ٤٣٥، وشرح المفصل ٥/ ١٤-١٥.

(٤) البيت لخُزَيمة ـ أو خزيمة ـ بن نهد، من خبر له مع فاطمة بنت يذكر، انظر أمثال أبي عبيد ٣٤٥، والأغاني ١٣/ ٧٨، والدرة الفاخرة ١/ ٢٨١، وجمهرة الأمثال ١/ ١٢٣، ومجمع الأمثال ١/ ٧٥، وفصل المقال ٤٧٣، ومعجم ما استعجم ١/ ١٩، وسمط اللآلي ١٠٠، والأنواء لابن قتيبة ٩٩، والمعارف ٦١٧، وتفسير الطبري ١٣/ ٤١٥، والقرطبي ١٧/ ٩٥، وذكره المفسرون عند تفسير الآية (٩) من سورة الأنفال.

وقال الحسن: ظنوا ظُنوناً مختلفة؛ ظنَّ المنافقون أن المسلمين يُسْتأصلون، وظنَّ المؤمنون أنهم يُبْتَلون[(١)].

وقال ابن عطية: أي: يَكادون يَضْطربون ويقولون: ما هذا الخُلْف للوَعْد، وهذه عبارةٌ عن خَواطر خَطرت للمؤمنين، لا يمكن للبشر دَفعُها، وأما المنافقون فجَلَحوا ونَطَقوا[(٢)].

وقال الزمخشري: ظنَّ المؤمنون الثُّبَّت القلوب بالله أنه يَبتليَهم ويفتنَهم، فخافوا الزَّلَل وضعفَ الاحتمال، والضِّعافُ القلوب الذين هم على حَرْف والمنافقون ظَنُّوا بالله ما حَكى عنهم[(٣)].

وكتب «الظُّنونا، والرَّسولا والسَّبيلا» في المصحف بالألف، فحذفها حمزة وأبو عمرو وقْفاً ووَصْلاً، وابن كثير والكسائي وحفص بحذفها وصلاً خاصة، وباقي السبعة بإثباتها في الحالَين[(٤)].

واختار أبو عُبيد والحُذَّاق أن يوقَف على هذه الكَلِم بالألف ولا توصل، فتحذف أو تثبت؛ لأن حذفَها مخالفٌ لما اجتمعت عليه مصاحفُ الأمصار، ولأن إثباتَها في الوَصْل مَعدوم في لسان العرب نظمِهم ونثرِهم، لا في اضطرار ولا غيره، أما إثباتُها في الوقف ففيه اتِّباعُ الرَّسْم وموافقةٌ لبعض مذاهب العرب؛ لأنهم يُثْبتون هذه الألف في قوافي أشعارهم ومَصاريعها، والفَواصلُ في الكلام كالمَصاريع[(٥)].

وقال أبو علي: هي رؤوس الآي تُشَبَّه بالقوافي من حيث كانت مقاطع كما كانت القوافي مقاطع[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري ١٩/ ٣٥-٣٦.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٣، وجلحوا: جاهروا بالأمر وكاشفوا بالعداوة. القاموس المحيط (جلح).

(٣) الكشاف ٣/ ٢٥٣.

(٤) انظر السبعة ٥١٩، والتيسير ١٧٨، والنشر ٢/ ٣٤٧-٣٤٨، ومعاني القراءات للأزهري ٢/ ٢٧٨.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٩/ ٣٦-٣٧، والثعلبي ٥/ ٩٠، والقرطبي ١٧/ ٩٣-٩٥، والكشاف ٣/ ٢٥٤، وزاد المسير ٦/ ٣٥٨.

(٦) الحجة ٥/ ٤٦٩.

و«هُنالك» ظرفُ مكانٍ للبعيد، هذا أصلُه فيُحمل عليه، أي: في ذلك المكان الذي وقع فيه الحصارُ والقتال «ابتُلي المؤمنون» والعامل فيه ابتُلي.

وقال ابن عطية: «هنالك» ظرف زمان، قال: ومَن قال إن العامل فيه «وتظنُّون» فليس قولُه بالقوي لأن البَداءة ليست مُتمكّنة[(١)].

وابتلاؤهم قال الضحَّاك: بالجوع، وقال مجاهد: بالحِصار، وقيل: بالصَّبر على الإيمان[(٢)].

«وزُلْزِلوا» قال ابن سَلّام: حُرّكوا بالخوف. وقيل: اضطربوا في اليقين.

وقال الضحاك: عن أماكنهم حتى لم يكن لهم إلا موضع الخندق.

وقيل: زُلزِلوا فثَبتوا وصَبروا حتى نُصروا. وقيل: حُرّكوا إلى الفتنة فعُصموا[(٣)].

وقرأ الجمهور: «وزُلْزِلوا» بضمّ الزاي. وقرأ أحمد بن موسى اللؤلؤي عن أبي عمرو بكسر الزاي. قاله ابن خالويه[(٤)].

وقال الزمخشري: وعن أبي عمرو إشمام زاي «زُلْزِلوا»[(٥)]. انتهى.

كأنه يعني إشمامَها الكسر، ووجهُ الكسر في هذه القراءة الشَّاذة أنه أتبع حركةَ الزَّاي الأولى لحركة الثانية، ولم يعتدَّ بالسَّاكن كما يعتد به من قال: مِنْتِن، بكسر الميم إتباعاً لحركة التاء، وهو اسم فاعل من أَنْتَن.

وقرأ الجمهور «زِلْزالاً» بكسر الزاي، والجَحْدَري وعيسى بفتحها، وكذا: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١][(٦)]، ومصدر فَعْلَل من المضاعف يجوز فيه الكسر والفتح نحو: قَلْقَل قَلْقَالاً، وقد يُراد بالمفتوح معنى اسم الفاعل، فصَلْصال بمعنى

(١) المحرر ٤/ ٣٧٣.
(٢) النكت والعيون ٤/ ٣٨٠.
(٣) انظر النكت والعيون ٤/ ٣٨٠-٣٨١، وتفسير القرطبي ١٧/ ٩٥-٩٦. ومن قوله: وقيل اضطربوا... إلى: الخندق، ليس في المطبوع.
(٤) نقله عنه الآلوسي ٢١/ ٢١٤، ولم نقف عليها في مختصر في الشواذ، وانظر الدر المصون ٩/ ٩٩.
(٥) الكشاف ٣/ ٢٥٤.
(٦) مختصر في الشواذ ١١٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ٩١، والقرطبي ١٧/ ٩٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٧٣.

مُصَلْصِل، فإنْ كان غيرَ مُضاعَف فما سُمع منه على فِعلال مكسورُ الفاء، نحو: سَرْهَفَه سِرْهافاً[١].

«وإذْ يقولُ المنافقون» وهم المُظْهِرون الإيمان، المُبْطِنون الكُفر «والذين في قلوبهم مَرَض» هم ضُعفاءُ الإيمان الذين لم يتمكَّن الإيمانُ من قلوبهم، فهم على حَرْف، والعطف دالٌّ على التَّغاير، نَبَّه عليهم على جِهةِ الذَّمِّ.

لمّا ضَرب رسول الله ﷺ الصَّخرة، وبَرَقَت تلك البَوارق، وبُشِّر بفتح فارس والروم واليمن والحبشة قال مُعَتِّب بن قُشَيْر: يَعِدُنا محمد أن نفتح كنوزَ كسرى وقيصَر ومكة ونحن الآن لا يَقْدِر أحدُنا أن يذهبَ إلى الغائط؟! ما يَعِدُنا إلا غُرورا، أي: أمراً يَغُرُّنا ويوقعنا فيما لا طاقةَ لنا به.

وقال غيرُه من المنافقين نحواً من ذلك[٢].

وقولهم: «ما وَعَدَنا الله ورسولُه» هو على سبيل الهُزْء، إذْ لو اعتقدوا أنه رسولُه حقيقةً ما قالوا هذه المقالة، فالمعنى: ورسوله على زَعْمِكم وزَعْمه، وفي مُعَتِّب ونُظَرائه نزلت هذه الآية.

«وإذ قالت طائفةٌ منهم» أي: من المنافقين «لا مُقامَ لكم» في حَوْمَةِ القتال والمُمَانعة «فارْجِعوا» إلى بيوتكم ومنازلكم، أمروهم بالهَرَب عن رسول الله ﷺ. وقيل: «فارجعوا» كُفَّاراً إلى دينكم الأوّل وأسلموه إلى أعدائه.

قال السُّدي: والقائلُ لذلك عبد الله بن أُبَيّ ابن سَلول وأصحابُه.

وقال مقاتل: بنو سَلِمة. وقال أوس بن رومان[٣]: أوس بن قَيْظي وأصحابه.

---

(١) أحسن غذاءه ونعَّمه. القاموس (سرهف).

(٢) انظر تفسير الطبري ١٩/ ٣٨-٤٢، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٣٠، وتفسير الثعلبي ٥/ ٩١، والماوردي ٤/ ٣٨١، والقرطبي ١٧/ ٩٦، والكشاف ٣/ ٢٥٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٧٣، وزاد المسير ٦/ ٣٥٩.

(٣) كذا في النسخ والمطبوع: أوس بن رومان، وعنه في تفسير الآلوسي ٢١/ ٢١٧، وصوابه يزيد بن رومان كما في تفسير الطبري ١٩/ ٤٣، والقرطبي ١٧/ ٩٧، وانظر سائر الأقوال في تفسير الثعلبي ٥/ ٩١، والماوردي ٤/ ٣٨١، والكشاف ٣/ ٢٥٤، وزاد المسير ٦/ ٣٥٩.

وقال الكلبي: بنو حارثة. ويمكن صِحّة هذه الأقوال، فإن فيهم مَن كان منافقاً.

«لا مُقامَ» قرأ السُّلَمي والأعرج واليَماني وحفص بضم الميم، فاحتمل أن يكون مكاناً، أي: لا مكانَ إقامة، واحتمل أن يكون مصدراً، أي: لا إقامة.

وقرأ أبو جعفر وشَيْبَة وأبو رَجاء والحسن وقتادة والنَّخَعي وعبد الله بن مسلم وطَلْحة وباقي السبعة بفتحها[1]، واحتمل أيضاً المكان أي: لا مكانَ قيام، واحتمل المصدر أي: لا قيامَ لكم.

«ويَسْتأذن فريقٌ منهم النبيَّ» هو أوس بن قَيْظي، استأذن في الدُّخول إلى المدينة عن اتِّفاقٍ من عَشيرته.

«يقولون» حال، أي: قائلين «إن بيوتَنا عَوْرة» أي: مُنْكَشِفة للعدوّ، وقيل: خاليةٌ للسُّرَّاق، يُقال: أعْوَرَ المنزلُ انكشَف، قال الشاعر:

لـه الـشَّـدَّةُ الأولـى إذا الـقِـرنُ أعْـوَرا[2]

وقال ابن عباس: الفريق بنو حارثة، وهم كانوا عاهدوا الله لا يُوَلُّون الأدْبار[3]، اعتذروا بأنَّ بيوتهم مُعَرَّضَةٌ للعدوّ، مُمَكَّنةٌ للسُّرَّاق لأنها غيرُ مُحْرَزَة ولا مُحْصَنة، فاستأذنوه ليُحَصِّنوها ثم يَرجعوا إليه، فأكْذبهم الله بأنهم لا يَخافون ذلك، وإنما يريدون الفِرار.

وقرأ ابن عباس وابن يَعْمر وقتادة وأبو رَجاء وأبو حَيْوة وابن أبي عَبْلة وأبو طالوت وابن مقسم وإسماعيل بن سليمان عن ابن كثير: «عَوِرَة» و«بعَوِرَة» بكسر الواو فيهما[4]، والجمهور بإسكانها.

---

(١) السبعة ٥٢٠، والتيسير ١٧٨، والنشر ٢/ ٣٤٨، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٦، وللنحاس ٥/ ٣٣١، وتفسير الطبري ١٩/ ٤٣، والثعلبي ٥/ ٩١، والقرطبي ١٧/ ٩٧، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٠٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٧٣.

(٢) لم أقف على تتمته، وهو في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٧، وتفسير الماوردي ٤/ ٣٨٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٧٤، والصحاح واللسان والتاج (عور).

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٤، وأخرجه الطبري ١٩/ ٤٤.

(٤) مختصر في الشواذ ١١٨، وإعراب القرآن ٣/ ٣٠٦، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٣١، والمحتسب ٢/ ١٧٦، وتفسير الثعلبي ٥/ ٩١، والقرطبي ١٧/ ٩٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٧٤.

قال الزمخشري: ويجوز أن يكون تخفيف «عَوِرَة»[١] وبالكسر هو اسم فاعل.

وقال ابن جنيّ: صِحَّةُ الواو في هذا شاذّة؛ لأنها متحركة قبلها فتحة[٢]. انتهى. فيعني أنها تنقلبُ ألفاً فيقال: عارَة، كما يقال: رجلٌ مالٌ، أي: مَوِل، وإذا كان «عَوِرَة» اسم فاعل فهو من اعْوَرَّ الذي صحَّت عينُهُ، فاسم الفاعل كذلك تصحُّ عينُه، فلا تكون صحّةُ العين على هذا شذوذاً.

وقيل: السكون على أنه مصدر وُصِف به، والبيت المُعْوِر: هو المُنْفَرِد، المُعرَّض لمَن أراده بسوء.

وقال الزجَّاج: عَوِرَ المكانُ يَعْوَرُ عَوَرًا وعَوْرَةً، فهو عَوِر وبيوت عَوِرَة[٣].

وقال الفرّاء: أعْوَرَ المَنْزِل: بدا منه عَوْرة، وأعْوَرَ الفارس: كان فيه مَوضعُ خَلَلٍ للضَّرْب والطَّعْن[٤]، قال الشاعر:

متى تَلْقَهم لم تَلْقَ في البيت مُعْوِراً ولا الضَّيفَ مَسْجوراً ولا الجارَ مُرْمِلا[٥]

وقال الكلبي: «عَوْرَة» خالية من الرِّجال ضائعة، وقال قتادة: قاصِيَة يُخْشى عليها العدوّ، وقال السُّدّي: قصيرة الحيطان يُخاف عليها السُّرَّاق، وقال الليث: العَوْرة: سَوْءةُ الإنسان، وكلُّ أمرٍ يُسْتَحْيا منه فهو عَوْرة، ويقال عَوْرة في التذكير والتأنيث والجمع كالمصدر.

وقال ابن عباس: قالت اليهود لعبد الله بن أُبيّ ابن سَلول وأصحابِه من المنافقين: ما الذي يَحْمِلُكم على قَتْل أنفسكم بيد أبي سفيان وأصحابه، فارجعوا إلى المدينة فأنتم آمنون.

«إنْ يُريدون إلا فِراراً» من الدِّين، وقيل: من القتل، قال الضحّاك: ورجع ثمانون رجلاً من غير إذْن النبيّ ﷺ[٦].

(١) إلى هنا في الكشاف ٣/ ٢٥٤، وما بعده من المحرر الوجيز.
(٢) المحتسب ٢/ ١٧٦، وانظر المحرر ٤/ ٣٧٤.
(٣) معاني القرآن ٤/ ٢١٩-٢٢٠.
(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٧.
(٥) البيت دون نسبة في تفسير الثعلبي ٥/ ٩١، والقرطبي ١٧/ ٩٨.
(٦) تفسير الماوردي ٤/ ٣٨٣، والقرطبي ١٧/ ٩٩.

والضمير في «دُخِلت» الظَّاهر عَوْدُه على البيوت إذْ هو أقربُ مَذْكور، قيل: أو على المدينة، أي: ولو دَخَلها الأحزاب التي يَفرّون خَوْفاً منها، وانثالت على أهاليهم وأولادهم «ثمَّ سُئلوا الفتنة» أي: الردَّة والرُّجوعَ إلى إظهارِ الكفر ومقاتلة المسلمين.

«لأتَوْها» أي: لجؤوا إليها وفعلوا على قراءة القصر، وهي قراءة نافع وابن كثير. وقرأ باقي السبعة: «لآتَوْها» بالمدّ، أي: لأعْطَوْها[١].

«وما تَلَبَّثوا بها» أي: وما أَلْبَثوا إعطاءها «إلا يَسيرا» قَدْرَ ما يكون السؤال والجواب من غير توقّف.

أو وما لَبِثوا[٢] بالمدينة بعد ارتدادهم إلا يَسيرا؛ فإن الله يُهلكهم ويُخرجُهم بالمؤمنين.

قال ابن عطية: «ولو دُخِلت» المدينةُ من أقطارها واشتدَّ الحَرْبُ[٣] الحقيقي، ثم سُئلوا الفتنةَ والحَرْبَ لمحمد ﷺ لطاروا إليها، وأتوها مُجيبين فيها، ولم يَتَلَبَّثوا في بيوتهم لحفظها إلا يَسيراً، قيل: قَدْرَ ما يأخذون سلاحَهم. انتهى.

وقرأ الجمهور: «سُئلوا» وقرأ الحسن: «سُولوا» بواو ساكنة بعد السِّين المضمومة[٤]. قالوا: وهي من سَال يَسال كخاف يَخاف لغة في سأل المهموز العين، وحكى أبو زيد: هما يَتَساوَلان[٥]. انتهى.

ويجوز أن يكون أصلُها الهمز؛ لأنه يجوز أن يكون «سولوا» على قول مَن يقول في ضُرِب: ضُرْبَ، ثم سهّل الهمزة بإبدالها واواً على قول من قال في: بُؤْس بُوس بإبدال الهمزة واواً لضمة ما قبلها.

وقرأ عبد الوارث عن أبي عمرو والأعمش: «سِيلوا» بكسر السِّين من غير همز نحو: قِيلَ.

---

(١) قرأ بالقصر ابن كثير ونافع وابن عامر، انظر السبعة ٥٢٠، والتيسير ١٧٨، والنشر ٢/ ٣٤٨.
(٢) من قوله: أي وما ألبثوا... إلى هنا، ليس في المطبوع.
(٣) في المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٤: الخوف، ولعلها الأشبه.
(٤) مختصر في الشواذ ١١٨-١١٩، والمحتسب ٢/ ١٧٧، والمحرر ٤/ ٣٧٤، وزاد المسير ٦/ ٣٦١.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٤.

وقرأ مجاهد: «سُوْيِلوا» بواو بعد السِّين المضمومة وياء مكسورة بدلاً من الهمزة[١].

وقال الضحَّاك: «ثمَّ سُئلوا الفِتنة» أي: القتال في العَصَبية لأسرعوا إليه، وقال الحسن: الفِتنة الشِّرْك[٢].

والظّاهر عَوْدُ الضَّمير «بها» على الفِتنة، وقيل: يعود على المدينة.

و«عاهدوا» أُجري مجرى اليمين، ولذلك تُلقِّيَ بقوله: «لا يُولُّون الأدْبار» وجواب هذا القَسَم جاء على الغَيْبَة عنهم على المعنى، ولو جاء كما لَفَظوا به لكان التركيب: لا نُولِّي الأدْبار.

والذين عاهَدوا: بنو حارثة وبنو سَلِمة، وهما الطّائفتان اللتان هَمَّا بالفَشَل في يوم أُحد، ثم تابوا وعاهدوا أنْ لا يَفرّوا، فوقع يوم الخندق من بني حارثة ذلك الاستئذان.

قال ابن عباس: عاهدوا بمكَّةَ ليلةَ العَقَبة أن يمنعوه ممَّا يمنعون منه أنفُسَهم[٣].

وقيل: ناسٌ غابوا عن وَقْعة بدر قالوا: لئن أشْهَدَنا الله قتالاً لنُقاتِلَنَّ.

«من قَبْلُ» أي: من قبل هذه الغزوة غزوة الخندق «لا يُولُّون الأدْبار» كناية عن الفِرار والانهزام. «مَسْؤولا» مطلوباً مُقتضًى حتى يُوفَّى به، وفي ذلك تهديدٌ ووَعيد.

«قل لن يَنفعكم الفِرارُ» خطابُ تَوبيخ وإعْلام أنَّ الفِرار لا يُنْجي من القَدَر، وأنه تنقطع أعمارُهم في يَسيرٍ من المدَّة، واليَسير مدَّةُ الآجال، قاله الرَّبيع بن خُثَيْم[٤].

وجواب الشَّرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، أي: إن فَرَرْتم من الموت أو

---

(١) مختصر في الشواذ ١١٨-١١٩، وزاد المسير ٦/ ٣٦١.

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢/ ١١٤، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٣٣، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٠٠.

(٣) ذكره الزمخشري عن ابن عباس ٣/ ٢٥٤، وذكره الثعلبي ٥/ ٩٢، والبغوي ٥/ ٢٤٤ (بهامش الخازن)، وابن الجوزي ٦/ ٣٦٣، والقرطبي ١٧/ ١٠١ عن مقاتل والكلبي، قال البغوي: وهذا القول ليس بمرضي، لأن الذين بايعوا النبي ﷺ ليلة العقبة لم يكن فيهم شاك ولا من يقول هذا القول.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٤، وأخرجه الطبري ١٩/ ٤٨.

القَتْل لا يَنْفَعْكم الفرار؛ لأن مجيء الأجَلِ لا بُدَّ منه، «وإذاً» هنا تقدَّمها حرفُ عطف فلا يَتحتَّم إعمالُها بل يجوز، ولذلك قرأ بعضهم «وإذاً لا يَلْبَثوا خَلْفك» في سورة الإسراء بحذف النُّون[١]، ومعنى خَلْفَك أي: بعد فراقِهم إيَّاك.

و«قليلاً» نعتٌ لمصدر محذوف، أي: تمتيعاً قليلاً، أو لزمانٍ محذوف، أي: زماناً قليلاً.

ومرَّ بعضُ المَرْوانيَّة على حائطٍ مائلٍ فأسرع، فتُليت له هذه الآية فقال: ذلك القليل نَطْلُب[٢].

وقرأ الجمهور: «لا تُمَتَّعون» بتاء الخطاب، وقرئ بياء الغَيْبة[٣].

و«مَنْ ذا» استفهام، رُكِّبت «ذا» مع «مَن» وفيه معنى النَّفي، أي: لا أحدَ يَعْصِمُكم من الله.

قال الزمخشري: فإنْ قلت: كيف جُعلت الرَّحمةُ قَرينةَ السُّوء في العِصمة، ولا عِصْمةَ إلا من السُّوء؟ قلت: معناه: أو يُصيبُكم بسوءٍ إنْ أراد بكم رحمة، فاختُصر الكلام وأُجري مجرى قوله:

مُتَقَلِّداً سيفاً ورُمْحاً[٤]

أو حُمل الثاني على الأول لما في العِصْمة من معنى المَنْع[٥]. انتهى.

أمَّا الوجه الأول ففيه حَذفُ جملةٍ لا ضَرورة تدعو إلى حذفها، والثاني هو الوجه لا سيّما إذا قُدِّر مضافٌ محذوف، أي: يَمْنعكم من مُراد الله.

---

(١) هي قراءة أبي بن كعب كما في مختصر في الشواذ ٧٧؛ وسلفت في الآية (٧٦) من سورة الإسراء.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٥٤-٢٥٥.
(٣) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٤ دون نسبة، وذكر القرطبي ١٧/ ١٠١ أنها رواية الساجي عن يعقوب الحضرمي.
(٤) صدره: ورأيت زوجك في الوغى، وهو لابن الزبعرى، وسلف في تفسير الآية (٧) من سورة البقرة، أراد: وحاملاً أو ومعتقلاً رمحاً.
(٥) الكشاف ٣/ ٢٥٥.

«والقائلين لإخوانهم» كانوا ـ أي: المنافقون ـ يُثَبِّطون إخوانهم من ساكني المدينة من أنصار رسول الله ﷺ يقولون: ما محمدٌ وأصحابه إلا أَكَلَةُ رأس، ولو كانوا لحْماً لالْتَهَمَهم أبو سفيان وأصحابهُ، فَخلُّوهم.

وقيل: هم اليهود؛ كانوا يقولون لأهل المدينة: تعالَوا إلينا وكونوا معنا.

وقال ابن زيد: انصرف رجلٌ من عند رسول الله ﷺ يومَ الأحزاب، فوجد شقيقَه عنده شِواءً ونَبيذاً، فقال له: أنت ها هنا ورسول الله ﷺ بين الرِّماح والسُّيوف؟[1] فقال: هَلُمَّ إليَّ فقد أُحيط بك وبصاحبك، والذي يُحلَف به لا يَستقبلها محمدٌ أبداً، فقال: كَذبتَ، والذي يُحْلَف به لأُخبِرَنَّه بأمرك، فذهب ليُخبره فوَجد جبريل قد نزل بهذه الآية.

وقال ابن السَّائب: هي في عبد الله بن أُبيّ ومُعَتِّب بن قُشَيْر ومَن رجع من المنافقين من الخندق إلى المدينة، فإذا جاءهم المنافق قالوا له: وَيْحَك، اجلس ولا تخرج، ويكتبون إلى إخوانهم في العسكر أن ائتونا فإنا ننتظركم، وكانوا لا يأتون العسكر إلا أن يجدوا بُدّاً من إتيانه، فيأتون ليَرى الناس وجوهَهم، فإذا غُفل عنهم عادوا إلى المدينة، فنزلت[2].

وتقدَّم الكلام في «هَلُمَّ» في أواخر «الأنعام»[3].

وقال الزمخشري: و«هَلُمَّ إلينا» أي: قَرِّبوا أنفسَكم إلينا، قال: وهو صوتٌ سُمِّي به فعلٌ مُتَعدٍّ مثل: أَحْضِر وقَرِّب[4]. انتهى.

والذي عليه النحويون أن «هَلُمَّ» ليس صوتاً، وإنما هو مَرَكَّبٌ مختلَفٌ في أصل تركيبه، فقيل: هو مركبٌ من «ها» التي للتنبيه و«المُم»[5]، وهو مذهب البصريين،

---

(١) في النسخ: والصفوف، والمثبت من المطبوع والمصادر.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٥٠-٥١، والثعلبي ٥/ ٩٣، والماوردي ٤/ ٣٨٤-٣٨٥، والقرطبي ١٧/ ١٠٢-١٠٣، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٣٥، والكشاف ٣/ ٢٥٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٧٥، وزاد المسير ٦/ ٣٦٤.

(٣) في تفسير الآية (١٥٠) منها.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٥٥.

(٥) تحرفت في النسخ إلى: والميم، وفي المطبوع: ولُمَّ، وهو صحيح أيضاً بمعنى اقصِدِ

وقيل: من «هَل» و«أَمَّ» والكلام على ترجيح المختار منهما مذكور في النحو.

وأما قوله: سُمِّي به فعلٌ متعدٍّ؛ ولذلك قَدَّر «هَلُمَّ إلينا» أي: قَرِّبوا أنفسَكم إلينا، والنحويون يقولون: إنه متعدٍّ ولازم، فالمتعدي كقوله: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ [الأنعام: ١٥٠] أي: أَحْضِروا شُهداءكم، واللازم كقوله: «هلم إلينا» أي: أقبِلوا إلينا.

«ولا يأتون البأسَ» أي: القتالَ «إلا قليلاً» أي: إتياناً قليلاً، يَخرجون مع المؤمنين يُوهمونهم أنهم معهم، ولا تراهم يقاتلون إلا شيئاً قليلاً إذا اضطروا إليه كقوله: ﴿مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠] وقِلَّته إمَّا لقِصَر زمانه، وإمَّا لقِلَّة غَنائه، وأنه رياءٌ وتلميعٌ لا تحقيق.

«أَشِحَّةً» جمع شَحيح وهو البخيل، وهو جمعٌ لا يَنْقاس، وقياسُه في الصِّفَةِ المضعَّفةِ العين واللام أَفْعِلاء، نحو خَليل وأَخِلَّاء، فالقياس أشِحّاء، وهو مسموع أيضاً.

ومتعلَّق الشُّحِّ بأنفسهم، أو بإخوانهم، أو بأموالهم في النَّفَقات في سبيل الله، أو بالغَنيمة عند القَسْم، أقوال. والصّواب أن يَعُمَّ شُحُّهم كُلَّ ما فيه منفعةٌ للمؤمنين.

وقال الزمخشري: «أشِحَّة عليكم» في وقت الحرب، أضِنَّاء بكم يَتَرفْرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذَّابِّ عنه، المناضلِ دونه عند الخوف «يَنظرون إليك» في تلك الحالة كما يَنظُر المغشيُّ عليه من مُعالَجة سَكَراتِ الموت حَذَراً أو خَوَراً ولِواذاً بك، فإذا ذهب الخوف، وحِيزَت الغنائم، ووَقَعت القِسْمة؛ نقلوا ذلك الشُّحّ وتلك الضِّنَّة والرَّفْرَفة عليكم إلى الخير - وهو المال والغنيمة - ونَسُوا تلك الحالة الأولى، واجترؤوا عليكم، وضَربوكم بألسنتهم، وقالوا: وَفِّروا قسمتَنا فإنَّا قد شاهَدناكم وقاتلْنا معكم، وبمكاننا غَلَبْتم عدوَّكم، وبنا نُصِرتم عليهم[1]. انتهى. وهو تكثيرٌ وتَحميلٌ للَّفظ ما لا يَحتملُه كعادته.

= وأقبل، وانظر روح المعاني ٢١/ ٢٢٧، وارتشاف الضرب ٥/ ٢٣٠٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٧٥.

(١) الكشاف ٣/ ٢٥٥.

وقرأ الجمهور: «أشِحَّةً» بالنَّصب، قال الفرَّاء: على الذَّمِّ، وأجاز نَصْبَه على الحال، والعامل يُعَوِّقون أشِحَّةً.

وقال الطبري: حال من «هَلُمّ إلينا». وقال الزجاج: حال من «ولا يأتون» وقيل: حال من «المُعَوِّقين». وقيل: من «القائلين». ورُدَّ القولان بأنَّ فيهما تفريقاً بين الموصول وما هو من تمام صِلَته[١].

وقرأ ابن أبي عَبْلَة: «أشِحَّةٌ» بالرفع على إضمار مبتدأ، أي: هم أشحَّةٌ[٢].

«فإذا جاء الخوفُ» من العدوّ، وتُوُقِّع أنْ يُسْتأصَل أهلُ المدينة لاذَ هؤلاء المنافقون بك «يَنظرون» نَظَر الهَلوعِ المُخْتَلِط النَّظَر، الذي يُغْشى عليه من الموت.

و«تدور» في موضع الحال، أي: دائرةً أعينُهم.

«كالذي» في موضع الصِّفة لمصدر محذوف، وهو مَصدرٌ مُشَبَّه، أي: دوراناً كدَورانِ عين الذي يُغشى عليه، فبعد الكاف محذوفان وهما دَوران وعَيْن.

ويجوز أن يكون في موضع الصِّفة لمَصْدر من «يَنْظرون إليك» نَظَراً كنَظَر الذي يُغْشى عليه.

وقيل: إذا جاء الخوفُ من القتال، وظَهر المُسْلمون على أعدائهم؛ رأيتَهم يَنظرون إليك تدورُ أعينُهم في رؤوسهم، وتَجولُ وتضطربُ رجاءَ أن يَلوح لهم مَضْرِب، لأنَّهم يَحضرون على نيَّة شَرٍّ لا على نيَّة خير. والقول الأول هو الظاهر.

«سَلقوكم» قال قتادة: بَسَطوا ألسنَتَهم فيكم. قال يزيد بن رُومان: في أذى المؤمنين وسَبِّهم وتَنَقُّص الشَّرْع. وقال قتادة: في طَلَب العَطاء من الغَنيمة والإلْحاف في المسألة. وقيل: السَّلْق في مُخادعَة المؤمنين بما يُرضيهم من القول على جهةِ المُصانَعَة والمُجامَلَة[٣].

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٨، وتفسير الطبري ١٩/ ٥٢، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٢٠، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٠٨، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٠٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٧٥.

(٢) ذكرها السمين في الدر ٩/ ١٠٥، والآلوسي ٢١/ ٢٢٩.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٥٤-٥٥، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٣٦، وتفسير الثعلبي ٥/ ٩٣، =

وقرأ الجمهور: «سَلَقوكم» بالسّين، وابن أبي عَبْلَة بالصَّاد[١].

وقرأ ابن أبي عَبْلَة: «أشِحَّةٌ» بالرَّفع[٢]، أي: هم أشِحَّةٌ، والجمهور بالنَّصب على الحال من «سَلَقوكم»، وعلى الخَبَر يدلُّ على عُموم الشُّحِّ في قوله أوَّلاً: «أشِحَّةً عليكم»، وقيل في هذا: أشِحَّةً على مال الغَنائم، وقيل: على مالِهم الذي يُنفقونه، وقيل: على الرَّسول بظَفَره[٣].

«أولئك لم يؤمنوا» إشارةٌ إلى المنافقين، أي: لم يكن لهم قطُّ إيمان.

والإحباط: عدمُ قَبول أعمالهم فكانت كالمُحْبَطَة.

وقال الزمخشري: فإن قلت: هل يَثْبُت للمُنافق عملٌ حتى يَرِدَ عليه الإحباط؟ قلت: لا ولكنه تعليمٌ لمن عسى يَظنُّ أن الإيمان باللسان إيمانٌ وإن لم يواطئه القلب، وأنَّ ما يَعملُه المنافق من الأعمال يُجدي عليه، فبَيَّن أن إيمانَه ليس بإيمان، وأنَّ كلَّ عملٍ يُوجد منه باطل[٤]. انتهى.

وفي كلامه استعمال عسى صِلةً لمَن، وهو لا يجوز.

وقال ابن زيد عن أبيه: نزلت في رجلٍ بَدْريٍّ نافق بعد ذلك، ووقع في هذه المعاني، فأحبط الله عملَه في بدرٍ وغيرها[٥].

«وكان ذلك» أي: الإحباط، أو حالُهم من شُحِّهم ونَظَرهم، «يسيراً» لا يُبالى به، ولا له أثَرٌ في دَفْع خيرٍ، ولا جَلْب شرٍّ.

وقال الزمخشري: وكلُّ شيءٍ عليه يسير، معناه: أن أعمالهم حقيقةٌ بالإحباط،

= والماوردي ٤/ ٣٨٦، والقرطبي ١٧/ ١٠٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٧٦، وزاد المسير ٦/ ٣٦٦، وقولا قتادة عندهم قول واحد، فرقه أبو حيان فأصبح عنده قولين.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٦، وزاد ابن الجوزي ٦/ ٣٦٦ نسبته إلى أبي بن كعب وأبي الجوزاء وأبي عمران الجوني.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٦.

(٣) تفسير الماوردي ٤/ ٣٨٦، وزاد المسير ٦/ ٣٦٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٠٦.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٥٥.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٦، وأخرجه الطبري ١٩/ ٥٥-٥٦، قال ابن عطية: وهذا فيه ضعف.

تدعو إليه الدَّواعي، ولا يَصرفُ عنه صارف[١]. انتهى. وهي ألفاظ المعتزلة.

«يحسبون الأحزابَ لم يذهبوا» أي: هم من الجَزَع بحيث هزم الله الأحزاب فرحلوا، وهم[٢] يحسبون أنهم لم يَرْحلوا.

«وإنْ يأتِ الأحزابُ» كَرَّةً ثانية تَمَنَّوا لخَوْفهم بما مُنُوا به هذه الكرَّة أنهم مُقيمون في البَدْو مع الأعراب، وهم أهل العَمود يَرْحلون من قطرٍ إلى قطر «يسألون» مَن قَدِمَ من المدينة عمَّا جَرى عليكم من قتال الأحزاب، يتعرَّفون أحوالَكم بالاستخبار لا بالمُشاهدة فَرَقاً وجُبْناً، وغَرَضُهم من البَداوة أن يكونوا سالمين من القتال «ولو كانوا فيكم» ولم يَرجعوا إلى المدينة وكان قتالٌ لم يقاتلوا إلا قليلاً تَعِلَّةً ورِياءً وسُمْعةً، قال ابن السَّائب: رَمياً بالحجارة خاصةً دون سائر أنواع القتال[٣].

وقرأ الجمهور: «بادون» جمع سَلامة لباد، وقرأ عبد الله وابن عباس وابن يَعْمر وطَلحة «بُدًّى»[٤] على وزن فُعَّل، كغازٍ وغُزًّى، وليس بقياس في مُعتلّ اللام، بل شُبِّه بضارب وقياسُه فُعَلَة كقاضٍ وقُضاة. وعن ابن عباس: «بَدَوْا» فعلاً ماضياً[٥]، وفي رواية صاحب «الإقليد»: «بَدِيّ» بوزن عَديّ[٦].

وقرأ الجمهور: «يسْألون» مضارع سَأل.

وحكى ابن عطيّة أن أبا عمرو وعاصماً والأعمش قرؤوا: «يَسَلون» بغير همز، نحو قوله: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ٢١١][٧]، ولا يُعرف ذلك عن أبي عمرو وعاصم، ولعلّ ذلك في شاذهما، ونقلها صاحب «اللّوامح» عن الحسن والأعمش.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٥٥.
(٢) من قوله: يحسبون الأحزاب... إلى هنا، ليس في المطبوع.
(٣) زاد المسير ٦/ ٣٦٧.
(٤) مختصر في الشواذ ١١٩، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٠٩، ومعاني القرآن له ٥/ ٣٣٧، والمحتسب ٢/ ١٧٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٧٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٠٦.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٦-٣٧٧.
(٦) الكشاف ٢/الورقة ١٨٢، والمطبوع ٣/ ٢٥٦. وذكرها السمين ٩/ ١٠٧، والآلوسي ٢١/ ٢٣٤، ووقع في طبعة الرسالة خطأ في الضبط يصحح من هنا.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٧.

وقرأ زيد بن علي وقتادة والجَحْدري والحسن ويعقوب بخلاف عنهما: «يسَّاءلون» بتشديد السين والمدّ وأصله: يتساءلون، فأُدغمت التاء في السين، أي: يسأل[1] بعضهم بعضاً، أي: يقول بعضُهم لبعض: ماذا سَمعتَ، وماذا بلغك؟ أو يتساءلون الأعرابَ، كما تقول: تَراءيْنا الهلال.

ثم سلّى الله نبيَّه عنهم، وحَقَّر شأنَهم بأنْ أخبر أنَّهم لو حضروا ما أغْنَوا وما قاتلوا إلا قتالاً قليلاً، وقال الثعلبي[2]: هو قليلٌ من حيث هو رياء، ولو كان لله كان كثيراً.

* * *

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾.

الظاهر أن الخطاب في قوله: «لقد كان لكم» للمؤمنين؛ لقوله قبلُ: «ولو كانوا فيكم»، وقوله بعد: «لِمَن كان يَرْجو الله واليومَ الآخر»، والمعنى أنه ﷺ لكم فيه الاقتداء، فكما نَصَرَكم ووازَرَكم حتى قاتل بنفسه عدوَّكم فكُسِرت رَباعِيته الكريمة،

(١) من قوله: يسّاءلون... إلى هنا، ليس في المطبوع. والقراءة رواية رويس عن يعقوب، انظر النشر ٢/ ٣٤٨، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٩، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٠٩، وتفسير الطبري ١٩/ ٥٨، والثعلبي ٥/ ٩٤، والقرطبي ١٧/ ١٠٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٧٧.

(٢) في النسخ خلا (يه): البعلبكي، وكذا في روح المعاني ٢١/ ٢٣٤، وليس في المطبوع، والمثبت من (يه)، وهو الصواب، وكلام الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ٥/ ٩٤، وعنه في المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٧.

وشُجَّ وجهُه الكريم، وقُتل عمُّه، وأوذي ضروباً من الإيذاء يَجب عليكم أن تنصروه وتُوازروه، ولا ترغبوا بأنفسكم عن نَفْسه، ولا عن مكانٍ هو فيه، وتَبذُلوا أنفسَكم دونه، فما حصلَ لكم من الهداية للإسلام أعظمُ من كلِّ ما تفعلونه معه ﷺ من النُّصْرة والجهاد في سبيل الله، ويَبْعُد قولُ من قال إنه خطاب للمنافقين.

«واليوم الآخر» يوم القيامة، وقيل: يوم السِّياق.

و«أسوة» اسم كان و«لكم» الخبر، ويتعلّق «في رسول الله» بما تَعلَّق به لكم، أو يكون في موضع الحال لأنه لو تأخَّر جاز أن يكون نعتاً لأُسوة، أو يتعلّق بـ «كان» على مذهب مَن أجاز في كان وأخواتها الناقصة أن تعمل في الظَّرف[1] والمجرور، ويجوز أن يكون «في رسول الله» الخبر، و«لكم» تبيين، أي: لكم أعني.

«لمَن كان يرجو الله» قال الزمخشري: بدلٌ من «لكم» كقوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥][2]. انتهى.

ولا يجوز على مذهب جمهور البصريين أن يُبْدَل من ضمير المتكلِّم ولا من ضمير المخاطَب اسمٌ ظاهر في بدل الشيء من الشيء، وهما لعَيْنٍ واحدة، وأجاز ذلك الكوفيون والأخفش، ويدلُّ عليه قول الشاعر:

بكُم قريشٍ كُفينا كلَّ مُعْضِلَةٍ وأَمَّ نَهْجَ الهُدى مَن كان ضِلِّيلا[3]

وقرأ الجمهور: «إسْوة» بكسر الهمزة، وعاصم بضمّها[4].

والرَّجاء بمعنى الأمل أو الخوف، وقُرِن الرَّجاءُ بذكر الله، والمؤتسي برسول الله هو الذي يكون راجياً ذاكراً.

---

(١) في (ت): الجار، وانظر روح المعاني ٢١/ ٢٣٥.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٥٦.
(٣) انظر في المسألة وبيت الشعر كشف المشكلات وإيضاح المعضلات للباقولي ١٠٧٣، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٩٣، وشرح التسهيل ٣/ ٣٣٤-٣٣٥، وشرح الكافية الشافية ٣/ ١٢٨٤، وارتشاف الضرب ١٩٦٥، وشذور الذهب ٤٤٣.
(٤) السبعة ٥٢١، والتيسير ١٧٨، والنشر ٢/ ٣٤٨.

ولمّا بيّن تعالى حالَ المنافقين وقولَهم: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢] بيَّن حالَ المؤمنين وقولَهم ضدَّ ما قال المنافقون، وكان الله قد وَعَدهم أن يُزَلزلهم حتى يستنصروه في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٢١٤] الآية، فلمّا جاء الأحزاب، ونهضَ بهم للقتال واضطربوا قالوا: «هذا ما وعَدَنا الله ورسولُهُ» وأيقنوا بالجنّة والنَّصْر.

وعن ابن عباس: قال النبي ﷺ لأصحابه: إن الأحزابَ سائرون إليكم تِسْعاً أو عَشْراً، أي: في آخر تسع ليالٍ أو عشر، فلمَّا رأَوْهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك(١).

وقيل: الوَعْد هو ما جاء في الآية، وما وَعَده عليه السلام حين أمَر بحفرِ الخَنْدق، فإنه أعلَمهم بأنّهم يَحْضرون، وأمَرهم بالاستعداد لذلك، وأعلمهم أنهم سيُنْصَرون بعد ذلك، فلما رأَوا الأحزاب قالوا ذلك، فسلَّموا لأوَّل الأمر، وانتظروا آخرَه، وهذا إشارةٌ إلى الخَطْب أو البلاء.

«إيماناً» بالله ومواعيده «وتَسْليما» لأقداره. «وما زادهم» أي: شهود ذلك الموعود «إلا إيماناً» أي: بما وقع، وبما أخبر به الرسول مما لم يقع كفتح مكة وفارس والروم، فالزيادة فيما يؤمن به، لا في نفس الإيمان.

وقرأ ابن أبي عَبْلَة: «وما زادوهم» بالواو وضمير الجمع، ويعود على الأحزاب(٢).

وتقول: صَدَقْتُ زيداً الحديثَ، وصَدَقْتُ زيداً في الحديث، وقد عُدِّيت صَدَق هذه في ما يتعدَّى بحرف الجر، وأصلُه ذلك، ثم يُتَّسع فيه فيُحذف الحرف ويَصل الفعل إليه بنفسه، ومنه قولُهم في المثَل: صَدَقَني سِنَّ بَكْرِه، أي: في سنِّ بَكْره(٣)،

(١) الكشاف ٣/ ٢٥٦، وقال ابن حجر في تخريج أحاديثه ص١٣٣: لم أجده.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٧. ومن قوله: ومواعيده... إلى: بما وقع، ليس في المطبوع.
(٣) المثل في أمثال أبي عبيد ٤٩ (٥٨)، وجمهرة الأمثال ١/ ٥٧٥، والمستقصى ٢/ ١٤٠، وفصل المقال ٤٠، ومجمع الأمثال ١/ ٣٩٢، والبكر: الفَتيّ من الإبل، قال الأصمعي: وأصله أن رجلاً ساوم رجلاً في بكر أراد شراءه، فسأل البائع عن سنه، فأخبره بالحق، فقال المشتري: صدقني سن بكره، فذهبت مثلاً، قال أبو عبيد القاسم: وهذا المثل نرويه عن

فـ «ما عاهدوا» إما أن يكون على إسقاط الحرف، أي: فيما عاهدوا والمفعول الأول محذوف، والتقدير: صدقوا الله، وإما أن يكون صَدق يتعدَّى إلى واحد كما تقول: صَدَقني أخوك؛ إذا قال لك الصِّدق، وكذلك كَذَبني أخوك؛ إذا قال لك الكذب، فكان المعاهَد عليه مصدوقاً مَجازاً، كأنهم قالوا للمعاهَد عليه: سنَفي لك، وهم وافون به فقد صَدقوه، ولو كانوا ناكِثين لكَذَبوه ولكان مكذوباً.

وهؤلاء الرِّجال قال مقاتل والكلبي: هم أهلُ العَقَبَة السَّبعون أهلُ البَيْعة.

وقال أنس: نزلت في قومٍ لم يَشهدوا بدراً، فعاهدوا أنْ لا يتأخَّروا عن رسول الله ﷺ، فوَفَوا.

وقال يزيد بن رومان: بنو حارثة.

«فمنهم مَن قضى نَحْبَه» قال ابن عباس: نَحْبَه: موتَه، وقال الحسن: مات على ما عاهد، وقيل: منهم أنس بن النَّضْر ومَن استشهد في ذات الله تعالى. ويقال لمَن مات: قضى نحْبه[1]، وهذا تجوز، كأن الموت أمرٌ لا بدَّ أنْ يقعَ بالإنسان، فسُمِّي نَحْباً لذلك.

وقال مجاهد: قضى نَحْبَه: أي عَهْده، وقال أبو عبيدة: نَذْرَه[2].

وقال الزمخشري: «فمنهم مَن قضى نَحْبَه» يحتمل مَوتَه شهيداً، ويحتمل وَفاءه بنَذْره من الثَّبات مع رسول الله ﷺ[3].

وقالت فرقة: الموصوفون بقضاء النَّحْب جماعةٌ من الصحابة؛ وَفَوا بعهود الإسلام على التَّمام، فالشُّهداء منهم، والعشرة الذين شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة

= علي بن أبي طالب رضي الله عنه... وقد روي عن الأحنف. اهـ. وانظر كلاماً آخر في المثل في المصادر.

(١) من قوله: قال ابن عباس... إلى هنا، ليس في المطبوع.

(٢) انظر مجاز القرآن ٢/ ١٣٥، وتفسير الطبري ١٩/ ٦٢-٦٧، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٣٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ٩٥-٩٦، والماوردي ٤/ ٣٨٩-٣٩٠، والقرطبي ١٧/ ١١٢-١١٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٧٨، وزاد المسير ٦/ ٣٦٩-٣٧٢.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٥٧.

منهم، إلى من حَصَل في هذه المَرْتَبة ممن لم يُنَصَّ عليه، ويُصَحِّح هذا القول قولُ رسول الله ﷺ وقد سُئل: مَن الذي قضى نَحْبَه، وهو على المنبر؟ فدخل طلحة بن عُبيد الله فقال: «هذا ممَّن قضَى نَحْبَه»[١].

«ومنهم مَن يَنْتظر» إذا فُسِّر قضاءُ النَّحْبِ بالشَّهادة كان التقدير: ومنهم مَن ينتظر الشهادة، وإذا فُسِّر بالوفاء بعهود الإسلام كان التقدير: ومنهم مَن ينتظر الحُصولَ في أعلى مَراتبِ الإيمان والصَّلاح.

وقال مجاهد: ينتظر يوماً فيه جهاد، فيَقضي نَحْبَه[٢].

«وما بَدَّلوا» لا المُسْتَشْهَدون، ولا مَن يَنتظر، وقد ثَبتَ طلحةُ يوم أُحُد حتى أُصيبت يدُه، فقال رسول الله ﷺ: «أَوْجَبَ طلحة»[٣]، وفيه تَعريضٌ لمَنْ بَدَّل من المنافقين حين وَلَّوا الأدبار، وكانوا عاهدوا لا يُوَلُّون الأدبار.

«ليَجْزي الله الصَّادقين» أي: الذين صَدقوا ما عاهدوا الله عليه «بصِدْقهم» أي: بسَبب صِدْقِهم.

«ويُعَذِّبَ المنافقين إنْ شاء» وعَذابُهم مُتَحَتِّم، فكيف يَصحُّ تعليقُه على المشيئة، وهو قد شاء تَعذيبَهم إذا وافَوا[٤] على النِّفاق؟ فقال ابن عطية: تعذيب المنافقين ثَمَرةُ إدامتهم الإقامةَ على النِّفاق إلى موتهم، والتوبة موازيةٌ لتلك الإقامة، وثَمَرَةُ التوبة تركُهم دون عذاب، فهما درجتان: إقامةٌ على نفاق، أو توبةٌ منه، وعنهما ثَمَرتان: تعذيبٌ أو رحمة، فذَكر تعالى على جهةِ الإيجاز واحدةً من هاتين، وواحدةً من هاتين، ودلَّ ما ذَكر على ما ترك ذِكرَه، ويَدُلُّك على أن معنى قوله: «ليُعَذِّب» أي: ليُديمَ على النِّفاق قولُهُ: «إن شاء» ومعادلتُه بالتوبة، وحرف «أو»[٥]. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/٣٧٨، وأخرج الحديث: ابن أبي عاصم في السنة إثر الحديث (١٣٩٩)، والترمذي (٣٢٠٣) و(٣٧٤٢)، والطبري ١٩/٦٦.
(٢) أخرجه الطبري ١٩/ ٦٢-٦٣.
(٣) أخرجه الثعلبي ٥/٩٦ من حديث عائشة ﵂، وانظر مسند أحمد (١٤١٧).
(٤) في الدر المصون ٩/١١٢ نقلاً عن أبي حيان: ماتوا.
(٥) المحرر الوجيز ٤/٣٧٨.

وكأنَّ ما ذكر يؤول إلى أن التقدير: ليُقيموا على النِّفاق فيموتوا عليه إنْ شاء فيُعذِّبَهم، أو يتوبَ عليهم فيرحَمَهم، فحذف سببَ التَّعذيب وأثبت المسبَّب وهو التعذيب، وأثبت سببَ الرَّحمة والغُفران وحذف المسبَّب وهو الرَّحمة والغفران، وهذا من الإيجاز الحَسَن.

وقال الزمخشري: ويُعذِّبهم إنْ شاء إذا لم يتوبوا، ويتوبُ عليهم إذا تابوا. انتهى[١].

ولا يجوز تعليقُ عذابِهم إذا لم يتوبوا بمشيئته تعالى؛ لأنه تعالى قد شاء ذلك وأخبر به أنه يُعذِّب المنافقين حتماً لا مَحالة.

واللام في «لِيَجْزِيَ» قيل: لام الصَّيْرورة، وقيل: لام التَّعليل، وتتعلَّق بقوله: «وما بَدَّلوا تَبْديلا».

قال الزمخشري جُعل المنافقون كأنَّهم قَصدوا عاقبَة السُّوء وأرادوها بتَبْديلهم، كما قصد الصَّادقون عاقبةَ الصِّدقِ بوفائهم؛ لأن كلا الفريقين مَسوقٌ إلى عاقبته من الثَّواب والعقاب، فكأنهما استويا في طلبهما، والسعي لتحصيلهما[٢].

وقال السدِّي: المعنى: إنْ شاء أنْ يُميتَهم على نفاقهم، أو يتوبَ عليهم بنَقْلهم من النِّفاق إلى الإيمان[٣].

وقيل: يُعذِّبهم في الدنيا إنْ شاء، ويتوب عليهم إنْ شاء.

«إن الله كان غفوراً» للحَوْبَةِ «رحيماً» لقَبول التوبة.

«ورَدَّ الله الذين كفروا» الأحزابَ عن المدينة وعن المؤمنين إلى بلادهم.

«بغَيْظهم» أي: مَغيظِين، فهو حالٌ، والباء للمُصاحَبة، «ولم ينالوا» حالٌ ثانية، أو من الضَّمير في «بغيظهم» فيكون حالاً مُتداخِلة.

وقال الزمخشري: ويجوز أن تكون الثانية بياناً للأولى أو استئنافاً[٤]. انتهى.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٥٧.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٥٧.
(٣) انظر تفسير الماوردي ٤/ ٣٩٠.
(٤) الكشاف ٣/ ٢٥٧.

ولا يَظهر كونُها بياناً للأولى ولا الاستئناف؛ لأنها تَبقى كالمُفْلَتَة مما قبلها.

«وكفى الله المؤمنين القتال» بإرسال الرِّيح والجنود - وهم الملائكة - فلم يكن قتالٌ بين المؤمنين والكفّار.

وقيل: المراد عليّ بن أبي طالب وقومٌ معه، بَرزوا للقتال، ودَعَوا إليه، وقتل عليٌّ من الكفار عَمرو بنَ عَبْدِ ودّ مُبارزةً حين طلب عمرو المبارَزة، فخرج إليه عليٌّ فقال: إني لا أُوثِرُ قتلَك لصُحْبتي لأبيك، فقال له علي: فأنا أوثر قتلَك، فقتله عليٌّ مُبارزةً.

واقتحم نَوْفَلُ بن الحارث[1] من قريش الخندقَ بفَرسه، فقُتل فيه.

وقُتل من الكفار أيضاً مُنَبِّه بن عُثمان بن عُبَيْد[2] بن السَّبَّاق.

واستُشهد من المسلمين في غزوة الخندق سعد بن مُعاذ، وأنس بن أوس[3] بن عَتيك، وعبد الله بن سَهْل[4] وأبو عمرو، وهم من بني عبد الأشْهَل[5]، والطُّفيل بن النُّعمان، وثَعْلَبة بن عَنَمة، وهما من بني سَلِمة، وكعب بن زيد من بني دينار[6] بن النجّار، أصابه سَهْمٌ غَرْبٌ[7] فقتله.

---

(١) كذا في النسخ (أ ت ز٢ يه د٢ ع ح)، وهو خطأ، صوابه: نوفل بن عبد الله بن المغيرة، وهو من بني مخزوم بن يقظة، انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٣، وطبقات ابن سعد ٢/ ٦٤، وتاريخ الطبري ٢/ ٥٧٤، وجمهرة أنساب العرب ١٤٤-١٤٥، ومغازي الواقدي ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٩٦.

(٢) في النسخ: عثمان وعبيد، وهو تحريف، صوابه من السيرة وتاريخ الطبري ومغازي الواقدي ٤٩٦.

(٣) في النسخ خلا (يه): أويس، والمثبت من (يه).

(٤) في النسخ: سهيل، وهو تصحيف.

(٥) كذا في النسخ: سعد بن معاذ وأنس بن أوس وعبد الله بن سهل وأبو عمرو، أربعة من الصحابة، وهو خطأ صوابه ما في مغازي الواقدي ٤٩٥-٤٩٦، وسيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٢ وتفسير الآلوسي ٢١/ ٢٥٣: ومن بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ، وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو، وعبد الله بن سهل، ثلاثة نفر.

(٦) في النسخ: ذبيان، وهو تصحيف، صوابه من سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٣، ومغازي الواقدي ٤٩٦، وجمهرة ابن حزم ٣٥٠.

(٧) قال ابن هشام: سهمُ غربٍ وسهمٌ غربٌ، بإضافة وغير إضافة، وهو الذي لا يعرف من أين جاء ولا مَن رمى به.

ولـم تَغْزُ قريشٌ المسلمين بعد الخندق، وكفى الله مُداوَمَةَ القتال وعودتَه بأنْ هزَمَهم؛ وذلك بقُوَّته وعِزَّته.

وعن أبي سعيد الخُدري: حُبِسْنا يومَ الخَنْدق فلم نُصلّ الظهرَ ولا العصرَ ولا المغربَ ولا العشاء، حتى كان بعد هُوِيٍّ من الليل كُفينا، وأنزل الله تعالى: «وكفى الله المؤمنين القتال» فأمر رسول الله ﷺ بلالاً، فأقام وصلَّى الظُّهر فأحسنها، ثم كذلك كلَّ صلاةٍ بإقامةٍ إقامة[1].

«وأنزل الذين ظاهروهم» أي أعانوا[2] قريشاً ومَن معهم من الأحزاب.

«من أهل الكتاب» هم يهود بني قُرَيظة، قول الجمهور. وعن الحسن: بنو النَّضير[3].

وقَذْفُ الرُّعبِ سببٌ لإنزالهم ولكنه قدم المُسَبَّب، لمّا كان السُّرورُ بإنزالهم أكثر، والإخْبارُ به أهمُّ قُدِّم.

وقال رجل: يا رسول الله، مرَّ بنا دِحْيةُ الكَلْبيّ على بَغْلةٍ بيضاء عليها قطيفةُ ديباج، فقال: «ذلك جبريل عليه السلام بُعث إلى بني قُرَيْظة يُزلزلُ بهم حصونَهم، ويَقذِفُ الرُّعْبَ في قلوبهم».

ولمّا رَجَعت الأحزاب جاء جبريل وقت الظُّهر فقال: إن الله يأمُرُك بالخروج إلى بني قُرَيْظة، فنادى في الناس: «لا يُصَلِّيَنَّ أحدٌ العصرَ إلا في بني قُرَيظة، فخرجوا إليها، فمُصَلٍّ في الطريق ـ ورأى أنَّ ذلك خَرجَ مَخرجَ التأكيد والاستعجال ـ ومُصَلٍّ بعد العشاء، وكلٌّ مُصيب، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ـ وقيل: إحدى وعشرين، وقيل: خمسة عشر ـ فنزلوا على حُكم سعد بن مُعاذ الأوْسيِّ لحِلْفٍ كان بينهم؛ رَجَوْا حُنُوَّه عليهم، فحَكم أن تُقتَل المقاتِلَة، وتُسبى الذُّرِّيَّةُ والعيالُ والأموال، وأن تكون الأرضُ والثّمارُ للمهاجرين دون الأنصار، فقالت له الأنصار في ذلك فقال: أردتُ أن يكون لهم أموالٌ كما لكم أموال، فقال له رسول الله ﷺ: «لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعةِ أرْقِعَة».

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١١١٩٨).

(٢) في (ت): أعانوهم.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٩، قال الآلوسي ٢١/ ٢٥٣: وعلى الأول المعوَّل.

ثم استنْزلهم، وخَنْدقَ لهم في سوق المدينة، وقدَّمهم فضربَ أعناقَهم، وهم بين ثمان مئة إلى تسع مئة، وقيل: كانوا ست مئة مقاتل وسبع مئة أسير.

وجيء بحُيَيّ بن أخْطَب النَّضيري ـ وهو الذي كان أدخلهم في الغَدْر برسول الله ﷺ فدخلَ عندهم وفاءً لهم، فنزل فيمَن نزل على حُكم سعد ـ فلما قُرِّبَ وعليه حُلَّتان فُقَّاحِيَّتان[1]؛ مجموعةٌ يداه إلى عُنُقه أبْصَر رسول الله ﷺ فقال له: يا محمد، والله ما لمُتُ نفسي في عَداوتك، ولكنْ مَن يَخذُل الله يُخْذَل، ثم قال: أيُّها الناس، إنه لا بأس، أمرُ الله وقَدَرُه، مَلْحَمةٌ كُتبت على بني إسرائيل، ثم تقدَّم فضُربت عُنُقه، وقال فيه بعضُ بني ثَعْلَبة[2]:

لعَمْرُك ما لامَ ابنُ أخْطَبَ نفسَه ولكنَّه مَن يَخْذُل الله يُخْذَلِ
لأجْهَدَ حتى أبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَها وقَلْقَلَ يَبْغي العِزَّ كلَّ مُقَلْقَلِ

وقتل من نسائهم امرأة وهي لُبَابة امرأة الحَكَم القُرَظيّ، كانت قد طَرَحَت الرَّحى على خَلَّاد بن سُوَيد فقتَلَته، ولم يُستَشهد في حصار بني قُرَيظة غيرُه، ومات في الحِصار أبو سِنان بن مِحْصَن أخو عُكَّاشة بن مِحْصَن. وكان فتحُ قُرَيظة في آخر ذي القعدة سنة خمسٍ من الهجرة[3].

وقرأ الجمهور: «وتأسِرون» بتاء الخطاب وكسر السين، وأبو حَيْوَة بضمّها، واليَماني بياء الغيبة، وابنُ أنس عن ابن ذَكْوان بياء الغَيبة في «تَقْتُلون وتأسِرون»[4].

«وأوْرَثَكم» فيه إشْعار أنه انتقل إليهم ذلك بعد موت أولئك المقتولين، ومن نَقْلهم[5] «أرضَهم» وقُدِّمت لكثرة المَنْفَعة من النَّخْل والزَّرع، ولأنهم باستيلائهم

(١) قال السهيلي في الروض الأنف ٣/ ٢٨٤: نسبت إلى الفُقَّاح وهو الزَّهر.
(٢) هو جَبَل بن جَوّال الثعلبي، انظر المصادر في الحاشية التالية.
(٣) انظر في غزاة بني قريظة: مغازي الواقدي ٤٩٦-٥٢٩، وسيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٣-٢٥٤، وتاريخ الطبري ٢/ ٥٨١-٥٨٩، ٥٩٣، وتفسيره ١٩/ ٧٢-٨٠، وتفسير الثعلبي ٥/ ٩٦-١٠٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٧٩-٣٨٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٨٢-٨٩.
(٤) مختصر في الشواذ ١١٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨٠.
(٥) في (د٢، ز٢): نفلهم، وفي (يه): قبلهم، والمثبت من (أ، ت، ح، ع).

عليها ملكوها أوّلاً «وديارهم» لضرورة الحاجة إلى سكناها، ولأنها هي المستولى[١] عليها ثانياً و«أموالَهم» ليُستعان بها في قُوَّة المسلمين للجهاد، ولأنها كانت في بيوتهم فوقع الاستيلاء عليها ثالثاً.

«وأرضاً لم تَطَؤوها» وَعْدٌ صادقٌ في فتح البلاد كالعراق والشام واليمن ومكة وسائر فتوح المسلمين.

وقال عكرمة: أخبر تعالى أنه قد قضى بذلك. وقال الحسن: أراد الرُّوم وفارس. وقال قتادة: كنا نتحدَّث أنها مكة. وقال مقاتل ويزيد بن رُومان وابن زيد: هي خيبر، وقيل: اليمن.

ولا وجه لهذه التَّخصيصات، ومن بِدَع التفاسير أنه أراد نساءهم[٢].

وقرأ الجمهور: «لم تَطَؤوها» بهمزة مضمومة بعدها واو.

وقرأ زيد بن علي: «لم تَطوها» بحذف الهمزة[٣]؛ أبدل همزة تطأ ألفاً على حدِّ قوله[٤]:

إنّ السِّباعَ لتَهْدَا في مَرابِضِها والنَّاسُ لا يُهْتَدى من شرِّهم أبدا

فالتقت ساكنةً مع الواو فحذفت، كقولك: لم تَرَوْها.

وختم تعالى هذه الآية بقُدرته على كلِّ شيء فلا يُعجزه شيء، وكأن في ذلك إشارةً إلى فَتْحه على المسلمين الفتوحَ الكثيرة، وأنّه لا يُستبعد ذلك، فكما مَلَّكهم هذه فكذلك هو قادر على أن يُمَلِّكَهم غيرَها من البلاد.

❀ ❀ ❀

---

(١) من قوله: عليها ملكوها.. إلى هنا، ليس في المطبوع.

(٢) انظر الأقوال السالفة في: تفسير الطبري ١٩/ ٨٢-٨٣، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٤٢-٣٤٣، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٠٣، والماوردي ٤/ ٣٩٣، والقرطبي ١٧/ ١١٦، والكشاف ٣/ ٢٥٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨٠، وزاد المسير ٦/ ٣٧٥.

(٣) ذكرها الكرماني في القراءات الشاذة ورقة ١٩٤، وهي قراءة أبي جعفر من العشرة، انظر النشر ١/ ٣٩٧.

(٤) هو إبراهيم بن هرمة، وسلف البيت في تفسير الآية (٦٢) من سورة البقرة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾.

سببُ نزولها أن أزواجه ﷺ تغايَرْنَ، وأرَدْنَ زيادةً في كُسْوةٍ ونَفَقَة فنزلت.

ولمَّا نصرَ الله نبيَّه، وفرَّق عنه الأحزاب، وفتح عليه قُرَيظةَ والنَّضير ظنَّ أزواجُه أنه اختُصَّ بنفائس اليهود وذخائرهم، فقَعَدْنَ حوله وقلْنَ: يا رسول الله، بناتُ كسرى وقيصر في الحُليّ والحُلَل، والإماء والخَوَل؛ ونحن على ما تراه من الفاقةِ والضِّيق، وآلَمْنَ قلبَه بمُطالبتهنَّ له بتوسعةِ الحال، وأن يُعاملَهنَّ بما يُعامل به الملوكُ والأكابر أزواجَهم، فأمره الله أن يَتلوَ عليهنَّ ما نزل في أمرهنّ، وأزواجُه إذْ ذاك تسع: عائشة بنت أبي بكر، وحَفْصة بنت عمر، وأمُّ حَبيبة بنت أبي سفيان، وسَوْدَة بنت زَمْعَة، وأمُّ سَلَمة بنت أبي أمية، وهؤلاء من قريش، ومن غير قريش: مَيمونة بنت الحارث الهلاليّة، وزينب بنت جَحْش الأسدية، وجُوَيرية بنت الحارث المُصْطَلقية، وصَفية بنت حُيَيّ بن أَخْطَب الخَيْبَريّة.

وقال أبو القاسم الصَّيْرَفي[1]: لمَّا خُيِّر رسول الله ﷺ بين مُلكِ الدُّنيا ونعيمِ

(١) في تفسير الماوردي ٤/ ٣٩٥، وزاد المسير ٦/ ٣٧٧: أبو القاسم الصيمري.

الآخرة، فاختار الآخرة، وأُمِر بتخيير نسائه ليَظهر صدقُ موافقتهنّ، وكان تحته عشرُ نساء ـ زاد الحِميريّة ـ فاخترْنَ الله ورسولَه إلا الحميرية[١].

ورُوي أنه قال لعائشة وبَدأ بها وكانت أحبَّهن إليه: «إني ذاكرٌ لكِ أمراً، ولا عليك أن لا تَعْجَلي فيه حتى تستأمري أبوَيْك» ثم قرأ عليها القرآن فقالت: أفي هذا أسْتَأمِرُ أبوَيَّ؟! فإني أُريد الله ورسولَه والدَّارَ الآخرة، لا تُخبر أزواجَك أني اخترتُك، فقال: «إنما بَعَثني الله مُبلّغاً ولم يبعثْني مُتَعَنِّتاً»[٢].

والظاهر أنهنَّ إذا اختَرْنَ الحياةَ الدُّنيا وزينتَها مَتَّعَهُنَّ رسول الله وطَلَّقَهنّ، وأنه ليس باختيارهنّ ذلك يقع الفراقُ دون أن يُوقعَه هو.

وقال الأكثرون: هي آيةُ تخيير، فإذا قال لها: اختاري، فاختارت زوجَها؛ لم يكن ذلك طلاقاً.

وعن عليّ: تكون واحدةً رَجْعيَّة، وإنْ اختارت نفسَها وقعتْ طلقةً بائنةً عند أبي حنيفة وأصحابه، وهو قول عليّ، وواحدة رجعيَّة عند الشافعي وهو قولُ عمر وابنِ مسعود، وثلاث عند مالك[٣].

وأكثرُ الناسِ ذهبوا إلى أن الآيةَ في التَّخيير في الطلاق، وقال بعضهم: في الآية تخييرهن بين الدنيا والآخرة، لا تخييرٌ في الطلاق، وهو قول علي والحسن وقتادة[٤]، قال هذا القائل: وأما أمرُ الطَّلاق فمُرجَأ، فلو[٥] اختَرْنَ أنفسهنَّ نَظَر هو كيف يُسَرِّحُهنّ، وليس فيها تخييرٌ في الطلاق، لأن التَّخيير يتضمَّنُ ثلاثَ تطليقات، وهو قد قال: «وأُسَرِّحْكنَّ سَراحاً جميلاً» وليس مع بَتِّ الطَّلاق سَراحٌ جميل. انتهى.

---

(١) قوله: وكان تحته عشر نساء... هو من كلام سعيد بن جبير كما في تفسير الماوردي ٤/ ٣٩٥، وانظر تفسير الآلوسي ٢١/ ٢٦٨.

(٢) أخرجه أحمد (١٤٥١٥)، ومسلم (١٤٧٨) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

(٣) هذا التفصيل مبسوط بأوسع مما هنا في الكشاف ٣/ ٢٥٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨٠-٣٨١، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٢٩-١٣٠.

(٤) النكت والعيون ٤/ ٣٩٤، وزاد المسير ٦/ ٣٧٧، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٢٨. وقوله: وقال بعضهم... إلى في الطلاق، ليس في المطبوع.

(٥) في النسخ خلا (يه): فإن، والمثبت من (يه)، وهو موافق لما في المحرر الوجيز ٤/ ٣٨٠ وعنه ينقل.

والذي يدلُّ عليه ظاهرُ الآية وما ذكرناه[١] أوّلاً من أنه عَلَّق على إرادتهنّ زينةَ الحياة الدُّنيا؛ وقوعُ التَّمتيع والتَّسريح منه، والمعنى في الآية: إنْ كان عِظَم[٢] هَمِّكُنَّ ومَطلَبكنّ التَّعمُّقَ في الدُّنيا، ونَيْلَ نَعيمها وزينتها[٣].

وتقدَّم[٤] الكلام في «فتَعالَيْنَ» في قوله: ﴿تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ في «آل عمران»[٥].

«أُمَتِّعْكُنَّ» قيل: المتعةُ واجبةٌ في الطّلاق، وقيل: مندوبٌ إليها، والأمر في قوله: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، يقتضي الوجوب في مذهب الفقهاء، وتقدَّم الكلام في ذلك وفي تفصيل المذاهب في سورة البقرة[٦].

والتَّسْريحُ الجميل إمّا في دون البَتِّ، أو جميل الثَّناء والمعتَقَد وحسن العِشرة إنْ كان باتًّا[٧].

وقرأ الجمهور: «أُمَتِّعْكُنَّ» بالتشديد، من مَتَّع. وزيد بن عليّ بالتخفيف، من أمتَعَ[٨].

ومعنى «أَعَدَّ» هَيَّأ ويَسَّر، وأوقعَ[٩] الظّاهر مَوقعَ المُضْمَر تنبيهاً على الوَصْف الذي ترتَّب لهنَّ به الأجرُ العظيم وهو الإحسان، كأنه قال: أعَدَّ لكنَّ، لأن مَن أراد الله ورسولَه والدَّار الآخرة كان مُحسناً.

وقرأ حُميد الخزَّاز: «أُمَتِّعُكُنَّ وأُسَرِّحُكُنَّ» بالرفع على الاستئناف[١٠]، والجمهور بالجَزْم على جواب الأمر، أو على جواب الشَّرْط، ويكون «فتَعالَيْن»

(١) في النسخ خلا (يه): هو ما ذكرناه، والمثبت منها.
(٢) في النسخ غير (يه): عظيم، والمثبت منها، وهما بمعنى.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٨١.
(٤) هنا يبدأ الجزء الخامس من نسخة دار الكتب المصرية، ورمزها (د٣).
(٥) الآية (٦١) من آل عمران.
(٦) في الآية (٢٣٦) منها.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٣٨١.
(٨) مختصر في القراءات الشاذة للكرماني ورقة ١٩٤.
(٩) في (ت، يه): ووقع.
(١٠) مختصر في الشواذ لابن خالويه ١١٩.

جملةُ اعتراضٍ بين الشَّرط وجَزائه[١]، ولا يضرُّ دخولُ الفاء على جملة الاعتراض، ومثلُ ذلك قول الشاعر:

واعْلَم فعِلْمُ المَرْءِ يَنْفَعُهُ أنْ سوف يأتي كلُّ ما قُدِرا[٢]

ثم نادى نساءَ النبيِّ لِيَجْعَلْنَ بالهُنَّ مما يُخاطَبنَ به، إذْ كان أمراً يُجعل له البال.

وقرأ زيد بن علي والجَحْدري وعَمرو بن فائد الأسواري ويعقوب: «مَن تأتِ» بتاء التأنيث[٣] حملاً على معنى مَن، والجمهور بالياء حملاً على لفظ مَن.

«بفاحشةٍ مُبَيِّنةٍ» كبيرةٍ من المعاصي، ولا يُتَوهَّم أنها الزِّنا لعصمة رسول الله ﷺ من ذلك، ولأنه وَصفها بالتبيين، والزِّنا مما يُتَستَّر به، وينبغي أنْ تُحمَل الفاحشةُ على عقوق الزوج وفسادِ عِشرته.

ولما كان مكانُهنَّ مَهبِطَ الوحي من الأوامر والنَّواهي لَزِمَهنَّ بسبب ذلك، وكونهن تحت الرسول، أكثر ممَّا يَلزمُ غيرَهنَّ، فضوعف لهنَّ الأجرُ والعذاب.

وقرأ نافع وحمزة وعاصم والكسائي: «يُضاعَف» بألف وفتح العين، والحسن وعيسى وأبو عَمرو بالتشديد[٤] وفتح العين، والجحدري وابن كثير وابن عامر بالنون وشدِّ العين مكسورة، وزيد بن علي وابن مُحَيْصن وخارجة عن أبي عمرو بالألف والنون والكسر، وفرقة بياء الغيبة والألف والكسر[٥].

ومَن فتح العين رفع العَذاب، ومَن كسرها نَصَبه.

«ضِعْفَين» أي: عَذابَيْن، فيُضاف إلى عذاب سائر الناس عذابٌ آخر.

---

(١) في (يه): وجوابه، وهو صحيح أيضاً، وانظر الدر المصون ٩/ ١١٥، وروح المعاني ٢١/ ٢٦٥.

(٢) البيت دون نسبة في الإيضاح للقزويني ١/ ٢٠٦، وشرح أبيات مغني اللبيب ٦/ ٢٣١.

(٣) المحتسب ٢/ ١٧٩، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٠٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨١، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٣٥، والمشهور عن يعقوب بالياء كقراءة الجمهور.

(٤) في (ز٢، يه): بالشد. وهما بمعنى.

(٥) السبعة ٥٢١، والتيسير ١٧٩، والنشر ٢/ ٢٤٨، ومختصر في الشواذ ١٢٠، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٠٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٣٦.

وقال أبو عُبيدة وأبو عمرو فيما حكى الطبريُّ عنهما أنه يُضاف إلى العذاب عذابان، فتكون ثلاثة[١].

وكونُ الأجْرِ مَرَّتين بضِدِّ هذا القول؛ لأن العذابَ في الفاحشة بإزاء الأجر في الطَّاعة.

«وكان ذلك» أي: تضعيفُ العذاب عليهنَّ «على الله يَسيراً» أي: سهلاً، وفيه إعلامٌ بأن كَونَهنَّ نساءَه مع مُقارفة الذَّنْب لا يغني عنهن شيئاً، وكيف[٢] يُغني عنهنَّ وهو سببُ مُضاعَفَة العذاب؟!

«ومَن يَقْنُت» أي: يُطِع ويَخْضَع بالعبودية لله وبالمُوَافقة لرسوله.

وقرأ الجمهور: «ومَنْ يَقْنُت» بياء المذكَّر حملاً على لفظ «مَنْ»، «وتعملْ» بالتاء حملاً على المعنى، «نُؤتِها» بنون العَظَمة.

وقرأ الجحدري والأسواري ويعقوب في رواية: «ومَنْ تَقْنُت» بتاء التأنيث حملاً على المعنى، وبها قرأ ابن عامر في رواية، ورواها أبو حاتم عن أبي جعفر وشَيْبة ونافع. وقال ابن خالويه ما سَمِعتُ أن أحداً قرأ: «ومَنْ يَقْنُت» إلا بالياء[٣].

وقرأ السُّلَمي وابن وثَّاب وحمزة والكسائي بياء من تحت في ثلاثتها[٤].

وذكر أبو البقاء أن بعضهم قرأ: «ومَنْ تَقْنُت» بالتاء حملاً على المعنى «ويعمل» بالياء حملاً على لفظ مَن، قال: فقال بعض النحويِّين: هذا ضعيف لأن التَّذكيرَ أصلٌ لا يُجْعَل تَبَعاً للتأنيث، وما عَلَّلوه به قد جاء مثلُه في القرآن وهو قوله تعالى: ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾[٥] [الأنعام: ١٣٩]. انتهى.

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٩١، وكلام أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٣٦-١٣٧، وانظر المحرر الوجيز ٤/ ٣٨٢ وقد ضعف قولهما الطبري وأكثر المفسرين.
(٢) في (أ، ت، ح، د٢، ز٢، ع) والمطبوع: وهو، والمثبت من (د٣، يه) وهو الصحيح، وانظر الكشاف ٣/ ٢٥٩.
(٣) نقله ابن خالويه في مختصره في الشواذ ١١٩ عن ابن مجاهد.
(٤) انظر في القراءات: السبعة ٥٢١، والتيسير ١٧٩، والنشر ٢/ ٣٤٨، ومختصر في الشواذ ١١٩، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٠٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٣٥.
(٥) إملاء ما منّ به الرحمن ٢/ ١٩٢.

وتقدَّم الكلامُ على «خالِصَةً» في الأنعام.

والرِّزْقُ الكريم: الجنّة، قال ابن عطية: ويجوز أن يكون في ذلك وَعْدٌ دُنْياويّ، أي: أن رزقَها في الدنيا على الله، وهو كريمٌ من حيث هو حَلال وقَصْد وبرضى من الله في نَيْله.

وقال بعض المفسِّرين: العذابُ الذي توعَّد به ضعفَين هو عذابُ الدنيا ثم عذاب الآخرة، وكذلك الأجْر. وهو ضعيف[١]. انتهى.

وإنما ضُوعفَ أجرُهنَّ لطَلَبهنّ رضا رسول الله؛ بحُسن الخُلُق، وطيب المُعاشَرة، والقناعة، والتَّوَفُّر على عبادة الله.

«يا نِساءَ النبيِّ لسْتُنَّ كأحدٍ من النساء» أي: ليس كلُّ واحدةٍ منكن كشَخْصٍ واحدٍ من النساء، أي: من نساء عَصْرِكنَّ، وليس النَّفيُ مُنصبًّا على التَّشبيه في كونهنّ نِسْوة، تقول: ليس زيدٌ كآحاد الناس، لا تُريد نَفْيَ التَّشبيه عن كونه إنساناً، بل في وَصْفٍ أخصَّ موجودٍ فيه وهو كونهُ عالماً أو عاملاً أو نَسيباً، فالمعنى: أنه يوجد فيكنَّ من التَّميُّز ما لا يوجد في غيركنّ، وهو كونكنَّ أمَّهات المؤمنين، وزوجات خير المرسَلين، ونزل القرآن فيكنّ، فكما أنه عليه السلام ليس كأحدٍ من الرجال ـ كما قال عليه السلام: «لستُ كأحدكم»[٢] ـ كذلك زوجاتهُ اللاتي تشَرَّفْنَ به[٣].

وقال الزمخشري: أحَدٌ في الأصل بمعنى وَحَد، وهو الواحد، ثم وُضع في النَّفي العام مستوياً فيه المُذَكَّر والمؤنَّث والواحد وما وراءه، والمعنى: لستنَّ كجماعةٍ واحدة من جماعات النّساء، أي: إذا تُقُصِّيَت أُمَّةُ النساء جماعةً جماعة لم توجد منهنَّ جماعةٌ واحدة تُساويكنَّ في الفَضْل والسَّابقة، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ١٥٢]، يريد بين جماعةٍ واحدةٍ منهم تسويةً بين جميعهم في أنهم على الحقِّ المُبين[٤]. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٨٢.
(٢) أخرجه أحمد (٤٧٢١) و(٧٢٢٩) و(١١٢٥١) و(١٣٠٨٨) من حديث ابن عمر وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأنس بن مالك ﷺ.
(٣) التفسير الكبير للرازي ٢٥/ ٢٠٨.
(٤) الكشاف ٣/ ٢٥٩-٢٦٠.

أمَّا قوله: أَحَدٌ في الأصل بمعنى وَحَد وهو الواحد فصحيح، وأما قوله: ثم وضع... إلى قوله وما وراءه فليس بصحيح؛ لأن الذي يُستعمَل في النَّفي العام مَدلولُه غيرُ مدلول واحد؛ لأن واحداً ينطلق على كل شيء اتَّصف بالوحدة، وأحَد المستعمل في النَّفي العام مخصوصٌ بمَن يَعقل، وذكر النحويون أن مادَّته همزة وحاء ودال، ومادَّة أحد بمعنى واحد أصلُه واو وحاء ودال، فقد اختلفا مادَّةً ومدلولاً.

وأما قوله: لستن كجماعة واحدة؛ فقد قلنا: إن قوله: «لسْتُنّ» معناه: ليست كلُّ واحدة منكنّ، فهو حكمٌ على كلِّ واحدةٍ واحدة، ليس حكماً على المجموع من حيث هو مجموع، وقلنا: إن معنى «كأحدٍ» كشخصٍ واحد، فأبقينا أحداً على موضوعه من التَّذكير، ولم نتأوَّله بجماعةٍ واحدة.

وأما: «ولم يُفَرِّقوا بين أحدٍ منهم» فاحتمل أن يكون الذي للنَّفي العام؛ ولذلك جاء في سياق النَّفي فعَمّ، وصَلُحت البَيْنيَّة للعموم، واحتمل أن يكون أحَدٌ بمعنى واحد، ويكون قد حُذف معطوف، أي: بين واحدٍ وواحد من رُسُله كما قال الشاعر[1]:

فما كان بين الخيرِ لو جاء سالماً ... أبو حُجُرٍ إلا لَيالٍ قَلائلُ

أي: بين الخير وبيني[2].

«إنِ اتَّقَيْتُنَّ» جعل فضلهنّ على النساء مشروطاً بالتقوى، أي: لستُنَّ مثلَهنّ إنِ اتَّقيتُنَّ الله، وذلك لما انْضافَ مع تقوى الله من صُحبة الرَّسول، وعظيمِ المَحلِّ منه، ونزولِ القرآن في بيوتهنّ وفي حَقِّهنّ.

وقال الزمخشري: «إنِ اتَّقَيْتُنَّ» إنْ أردْتُنَّ التَّقوى، وإن كنتنَّ مُتَّقيات «فلا تَخْضَعْنَ بالقول» فلا تُجِبْنَ بقولكنَّ خاضِعاً، أي: لَيِّناً خَنِثاً مثل كلام المُريبات والمومسات «فيَطْمَعَ الذي في قلبه مَرَضٌ» أي: رِيْبةٌ وفُجور[3]. انتهى.

(١) هو النابغة الذبياني، والبيت في ديوانه ١١٩ (بشرح ابن السكيت)، وسلف في تفسير الآية (٦٨) من سورة البقرة.
(٢) نقل كلام الزمخشري ورد أبي حيان: السمين في الدر ٩/١١٨-١١٩، والآلوسي ٢١/ ٢٧٧، ٢٧٨-٢٧٩، ٢٨٠، وردّا على أبي حيان كلامه، فانظره إن شئت.
(٣) الكشاف ٣/ ٢٦٠.

فعلى القول الأوَّل يكون «إنِ اتَّقيتُنَّ» قَيداً في كونهنَّ لسْنَ كأحدٍ من النساء، ويكون جوابُ الشَّرط محذوفاً، وعلى ما قاله الزمخشري يكون «إن اتَّقيتُنَّ» ابتداء شرط وجوابُه «فلا تَخْضَعْنَ» وكِلا القولَين فيهما حملُ «إن اتَّقَيْتُنَّ» على تقوى الله تعالى، وهو ظاهرُ الاستعمال، وعندي أنه محمولٌ على أنَّ معناه: إن استَقْبَلْتُنَّ أحداً فلا تَخْضَعْنَ، واتَّقى بمعنى استَقْبَلَ معروفٌ في اللغة، قال النابغة:

سَقَط النَّصِيفُ ولم تُرِدْ إسْقاطَه ... فتَناوَلَتْهُ واتَّقَتْنا باليَدِ[١]

أي: استَقْبَلَتْنا باليد، ويكونُ هذا المعنى أبلَغَ في مَدْحِهنّ؛ إذ لم يُعَلِّق فَضيلَتَهنَّ على التَّقوى، ولا عَلَّقَ نَهْيَهُنَّ عن الخُضوع بها، إذْ هُنَّ مُتَّقياتٍ لله في أنفسهنّ، والتعليق يقتضي ظاهرُه أنهنَّ لَسْنَ مُتَحَلِّياتٍ بالتّقوى[٢].

قال ابن عباس: لا تَرَخَّصْنَ بالقول. وقال الحسن: لا تَكَلَّمْنَ بالرَّفث. وقال الكلبي: لا تَكَلَّمْنَ بما يَهوَى المُريب. وقال ابن زيد: الخُضوع بالقول: ما يُدْخِل في القلوب الغَزَل. وقيل: لا تُلِنَّ للرِّجال القولَ[٣].

أمرَ تعالى أن يكون الكلامُ جَزْلاً، لا على وجهٍ يُظْهرُ في القلب عَلاقةً بما يَظْهَرُ عليه من اللّين كما كانت الحالُ عليه في نساء العَرَب من مكالَمةِ الرِّجال برَخيم الصَّوت ولِيِّنه مثل كلام المومِسات، فنَهاهنَّ عن ذلك[٤]، وقال الشاعر:

بتَكَلُّمٍ لو تستطيع كلامَه ... لَدَنَتْ له أرْوى الهِضاب الصُّخَّدِ
لو أنَّها عَرَضَتْ لأشْمَطَ راهبٍ ... عَبَدَ الإلهَ صَرُوْرَةٍ مُتَعَبِّدِ
لَرَنَا لرؤيتها وحُسْنِ حديثها ... ولخالها رَشَداً وإن لم يَرْشُدِ[٥]

---

(١) ديوان النابغة ٣٤ (بشرح ابن السكيت). والنصيف: الخِمار.

(٢) قال السمين في الدر المصون ٩/ ١٢٠ بعد نقل كلام أبي حيان: هذا خروج عن الظاهر من غير ضرورة، وأما البيت فالاتقاء أيضاً على بابه، أي: صانت وجهها بيدها عنا. وانظر كلام الآلوسي ٢١/ ٢٨٠ فما بعدها.

(٣) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٩/ ٩٤، والماوردي ٤/ ٣٩٨-٣٩٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨٣.

(٤) تفسير القرطبي ١٧/ ١٣٨.

(٥) الأبيات للنابغة، وهي في ديوانه ٣٢-٣٤، قال شارحه ابن السكيت: الأروى: الأنثى من =

وقرأ الجمهور: «فَيَطْمَعَ» بفتح الميم ونصب العين جواباً للنَّهي، وأبان بن عثمان وابن هُرْمُز بالجزم[(١)]، فكُسرت العين لالتقاء الساكنين.

نُهِينَ عن الخضوع بالقول، ونُهي المريضُ القلب عن الطَّمع، كأنه قيل: لا تَخْضَعْنَ فلا يَطْمَع.

وقراءةُ النَّصْب أبلغ؛ لأنها تقتضي أن الخضوعَ بسبب الطَّمع.

وقال أبو عمرو الدَّاني: قرأ الأعرج وعيسى بن عمر: «فيَطْمِعَ» بفتح الياء وكسر الميم[(٢)]، ونقلها ابن خالويه عن أبي السمَّال قال: وقد رُوي ذلك عن ابن مُحَيْصن، وذكر أن الأعرج ـ وهو ابن هُرْمُز ـ قرأ: «فيُطْمِعَ» بضمِّ الياء وفتح العين وكسر الميم[(٣)]، أي: فيُطمِعَ هو، أي: الخُضوعُ بالقول، و«الذي» مفعول، أو «الذي» فاعل والمفعول محذوف، أي: فيُطمِعَ نفسه.

والمرض؛ قال قتادة: النِّفاق، وقال عكرمة: الفِسقُ والغَزَل[(٤)].

«وقُلْنَ قولاً مَعْروفاً» وهو الذي لا تُنكرهُ الشريعة ولا العُقول، قال ابن عباس: المرأة تُنْدَب إذا خالَطَت الأجانب والمُحرَّم عليها بالمُصاهرة إلى الغِلْظَة في القَول من غير رَفْعِ الصَّوت، فإنَّها مأمورةٌ بخَفْض الكلام.

وقال الكلبي: مَعْروفاً: صحيحاً بلا هُجْرٍ ولا تمريض. وقال الضحاك: عَفيفاً، وقيل: خَشِناً بلا تأنيث. وقيل: معروفاً؛ أي: قولاً أُذِنَ لكم فيه. وقيل: ذكرَ الله وما يحتاج إليه من الكلام[(٥)].

= الوعول، والصخد: الحارة، والصرورة: الذي لم يذنب قط، أو الذي لم يتزوج قط، لرنا لبهجتها: أدام النظر إليها. ورواية الديوان: ولخاله، أي: الحديث، وفي نسخ البحر مجتمعة: ولخالها، يريد هذه المتكلم عنها.

(١) المحتسب ٢/ ١٨١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨٣.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٨٣. وانظر إعراب القرآن ٣/ ٣١٣، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٣٨.

(٣) انظر مختصر في الشواذ ١١٩، وذكر الزمخشري قراءة ابن محيصن، ونقل السمين في الدر ٩/ ١٢٠، والآلوسي ٢١/ ٢٨٢ عن أبي حيان هذا كله.

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ٩٥، والماوردي ٤/ ٣٩٩، والقرطبي ١٧/ ١٣٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨٣.

(٥) انظر تفسير الماوردي ٤/ ٣٩٩، والقرطبي ١٧/ ١٣٩، والكشاف ٣/ ٢٦٠.

وقرأ الجمهور: «وقِرْنَ» بكسر القاف، من وَقَرَ يَقِرُ إذا سَكَن، وأصله: اِوْقِرْنَ، مثل عِدْنَ من وَعَد.

وذكر أبو الفتح الهَمْداني في كتاب «التبيان» وجهاً آخر قال: قارَ يَقارُ إذا اجتمع، ومنه القارَةُ لاجتماعها، ألا ترى إلى قول عَضَل والدِّيش[١]: اجتمعوا فكونوا قارَةً[٢]، فالمعنى: اجْمَعْنَ أنفُسَكنّ في بيوتكن «وقِرْنَ» أمرٌ من قار، كما تقول: خِفْنَ من خاف، أو من القَرار تقول: قَرَرْتُ بالمكان، وأصلُه: واقْرَرْنَ، حُذفت الرَّاء الثانية تخفيفاً، كما حذفوا لام ظَلِلْت، ثم نُقلت حركتُها إلى القاف فذهبت ألف الوصل.

وقال أبو عليّ: أُبدلت الرَّاء [ياءً]، ونُقلت حركتها إلى القاف، ثم حُذفت الياء لسُكونها وسكون الراء بعدها[٣]. انتهى. وهذا غايةٌ في التَّمَحُّل[٤] كعادته.

وقرأ عاصم ونافع بفتح القاف[٥]، وهي لغة للعرب يقولون: قَرِرْت بالمكان بكسر الراء، أَقَرُّ بفتح القاف، حكاه أبو عُبيد[٦] والزجَّاج وغيرهما، وأنكرها قومٌ منهم المازنيّ وقالوا: بكسر الراء من قُرَّة العين، وبفتحها من القَرار[٧].

وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة: «واقْرِرْن» بألف الوصل وكسر الراء الأولى[٨].

وتقدَّم لنا الكلام على قَرَرْتُ وأنه بالفتح والكسر من القَرار ومن القُرَّة[٩].

أمرَهُنَّ تعالى بمُلازمة بيوتهنّ، ونَهاهنَّ عن التَّبَرُّج وأعلم تعالى أنه فِعْلُ الجاهليَّة الأولى.

---

(١) ابني الهون بن خزيمة، انظر اللسان (ديش، عضل)، وجمهرة أنساب العرب ١٩٠.
(٢) ذكره الزمخشري ٣/ ٢٦٠ عن أبي الفتح الهمداني.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٨٣ وما بين معكوفين منه، وانظر الحجة للفارسي ٥/ ٤٧٥.
(٤) في (ت): التحيل.
(٥) انظر قراءة الجمهور وعاصم ونافع في السبعة ٥٢١-٥٢٢، والتيسير ١٧٩، والنشر ٢/ ٣٤٨.
(٦) في الغريب المصنف ٢/ ٢٣ وذكر أنها لغة الحجاز.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٣٨٣، وانظر معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٢٥، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢١٣، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٣٩-١٤٠، وشرح الكافية الشافية ٤/ ٢١٧١.
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٣٨٣، وزاد المسير ٦/ ٣٧٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٤١.
(٩) في تفسير مفردات الآية (٢٢) من سورة مريم.

وكانت عائشة إذا قرأت هذه الآية بكَتْ حتى تَبُلَّ خِمارَها، تتذكَّر خروجَها أيّامَ الجَمل تطلُب بدم عثمان[١].

وقيل لسَوْدَة: لم لا تَحُجّين وتَعتمرين كما يَفعل أخواتك؟ فقالت: قد حَجَجْتُ واعتَمرْتُ، وأمرني الله أن أَقَرَّ في بيتي، فما خَرجَت من باب حُجْرتها حتى أُخرِجَت جنازتُها[٢].

«ولا تَبَرَّجْنَ» قال مجاهد وقتادة: التَّبَرُّج: التَّبَخْتُر والتَّغَنُّج والتَّكَسُّر. وقال مُقاتل: تُلْقي الخِمارَ على وَجْهها ولا تَشُدُّه. وقال المبرِّد: تُبدي من محَاسنها ما يَجب عليها سَتْرُه[٣].

و«الجاهليَّة الأولى» تدلُّ على أنَّ ثمَّ جاهليَّةً مُتقدِّمة وأخرى متأخِّرة، فقيل: هما ابنان لآدم، سكن أحدُهما الجبل، فذكورُ أولادِه صِباح وإناثُهم قِباح، والآخر السَّهل وأولادُه على عكس ذلك، فسَوَّى[٤] لهم إبليسُ عيداً يجتمع جميعُهم فيه، فمال ذكور الجبَل إلى إناث السَّهْل وبالعكس، فكثُرت الفاحشةُ، فهو تبرُّجُ الجاهلية الأولى.

وقال عكرمة والحكم بن عُتَيْبة: ما بين آدم ونوح، وهي ثمان مئة سنة، كان الرجال صباحاً والنساء قِباحاً، فكانت المرأةُ تدعو الرجلَ إلى نفسها، وقاله ابن عباس.

وقال أيضاً: الجاهلية الأولى: ما بين إدريس ونوح، كانت ألف سنة، تجمع المرأةُ بين زوجٍ وعشيق.

وقال الكَلْبيّ وغيره: ما بين نوح وإبراهيم، قال مقاتل: زَمَن نُمروذ بغايا يَلْبَسْنَ أرقَّ الدُّروع ويَمْشين في الطُّرق.

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد ٢٠٥ - ومن طريقه الثعلبي في تفسيره ٥/ ١٠٦ - وابن سعد في الطبقات ١٠/ ٧٩.

(٢) أخرجه الثعلبي ٥/ ١٠٧، ونقله عنه ابن عطية ٤/ ٣٨٣، والقرطبي ١٧/ ١٤٣.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٩٧، والثعلبي ٥/ ١٠٧، والماوردي ٤/ ٣٩٩-٤٠٠، والقرطبي ١٧/ ١٤١، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣١٤.

(٤) في (د٣، يه): فسوّل، وفي المصادر: اتخذ لهم عيداً.

وقال الزمخشري: والجاهليّة الأولى هي القديمة التي يُقال لها الجاهليَّة الجَهْلاء، وهي الزمان الذي وُلد فيه إبراهيم؛ كانت المرأة تَلْبَس الدّرعَ من اللؤلؤ، فتمشي وَسْطَ الطريق تَعرِضُ نفسَها على الرّجال[١].

وقال أبو العالية: زمنَ داود وسليمان، كان للمرأة قميصٌ من الدُّرِّ غير مخيط الجانبين، تَظْهر منه الأعكانُ والسَّوْءَتان.

وقال المبرِّد: كانت المرأة تجمع بين زوجها وخِلْمها[٢]، للزَّوج نصفُها الأسفل، وللخِلْم نصفُها الأعلى، يتمتَّع به في التَّقْبيل والتَّرَشُّف.

وقيل: ما بين موسى وعيسى.

وقال الشعبي: ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام.

وقال مقاتل: الأولى زمن إبراهيم، والثانية زمن محمد عليهما السلام قبل أن يُبعث.

وقال الزجاج: الأشبه قولُ الشعبي؛ لأنهم هم الجاهلية المعروفون، كانوا يتَّخذون البَغايا، وإنما قيل: الأولى لأنه يُقال لكلِّ مُتَقدِّم ومُتقدِّمة أوْلى وأوَّل، وتأويلُه أنهم تَقدَّموا على أُمَّة محمد ﷺ، فهم أُوْلى وهم أوَّل من أُمَّة محمد عليهما السلام[٣].

وقال عمر لابن عباس: وهل كانت الجاهليَّةُ إلا واحدة؟ فقال ابن عباس: وهل كانت أولى إلا ولها آخرة؟ فقال عمر: لله دَرُّك يا ابن عباس[٤].

وقال الزمخشري: والجاهلية الأُخرى: ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام، ويجوز أن تكون الجاهلية الأولى جاهليةُ الكُفر قبل الإسلام، والجاهلية الأخرى جاهلية الفُسوق والفجور في الإسلام، فكأن المعنى: ولا تُحْدِثْنَ بالتَّبَرُّج جاهليةً في الإسلام تتشبَّهْنَ بها بأهل جاهلية الكفر، ويَعْضُده ما رُوي أن رسول الله ﷺ قال

(١) الكشاف ٣/ ٢٦٠.

(٢) صديقها وصاحبها.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٢٥.

(٤) انظر الأقوال في الجاهلية الأولى في: تفسير الطبري ١٩/ ٩٨-١٠٠، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٤٧، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٠٧، والماوردي ٤/ ٤٠٠، والكشاف ٣/ ٢٦٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨٣، وزاد المسير ٦/ ٣٨٠-٣٨١، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٤١-١٤٢.

لأبي الدرداء: «إنَّ فيك جاهليَّةً» قال: جاهليَّةُ كُفرٍ أم إسلام؟ فقال: «بل جاهلية كفر»[١]. انتهى.

والمعروف في الحديث أنه ﷺ إنما قال: «إنك امرُؤٌ فيك جاهلية» لأبي ذرّ ﵁[٢].

وقال ابن عطية: والذي يَظهر عندي أنه أشار إلى الجاهلية التي لَحِقْنَها، فأُمِرْنَ بالنُّقلةِ عن سيرتهنّ فيها، وهي ما كان قبل الشَّرع من سيرة الكُفْر، ولأنهم كانوا لا غَيْرَةَ عندهم، فكان أمرُ النّساء دون حُجْبة، وجعلها أُوْلى بالإضافة إلى حالة الإسلام، وليس المعنى أنَّ ثَمَّ جاهليةً أُخرى، وقد مَرَّ اسمُ الجاهليَّة على تلك المدة التي قبل الإسلام فقالوا: جاهليّ في الشعراء، وقال ابن عباس في «البخاري»[٣] سمعتُ أبي في الجاهلية... إلى غير هذا[٤]. انتهى.

«وأَقِمْنَ الصَّلاة» أمَرَهُنَّ أمراً خاصًّا بالصَّلاة والزكاة؛ إذ هما عَمود الطَّاعة البَدَنيَّة والمالية، ثم جاء بهما في عموم الأمر بالطَّاعة، ثم بيَّن أن نَهْيَهنَّ وأمْرَهنَّ ووَعْظهنَّ إنما هو لإذْهاب المَأْثَم عنهنَّ، وتَصوُّنهنَّ بالتّقوى، واستعار الرِّجْسَ للذُّنوب والطُّهرَ للتقوى لأن عِرْضَ المُقْترِف للمعاصي يَتدَنَّس بها ويَتَلَوَّث كما يتلوَّث بَدَنُه بالأرْجاس، وأما الطَّاعات فالعِرْضُ معها نَقيٌّ مَصونٌ كالثَّوب الطَّاهر، وفي هذه الاستعارة تنفيرٌ عمَّا نَهى الله عنه، وترغيبٌ فيما أمَرَ به.

والرِّجْسُ يَقع على الإثْم، وعلى العَذاب، وعلى النَّجاسة، وعلى النَّقائص، فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت، وقال الحسن: الرِّجْسُ هنا الشِّرْك، وقال السُّدي: الإثْم، وقال ابن زيد: الشَّيطان، وقال الزجَّاج: الفِسْق، وقيل: المعاصي كلها. ذكره الماوردي، وقيل: الشّك، وقيل: البُخْل والطَّمَع، وقيل: الأهواء والبِدَع[٥].

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٦٠، وأخرج الحديث بهذا اللفظ الطبري ١٩/ ٩٩-١٠٠ من قول ابن زيد، فهو منقطع. وانظر كلام أبي حيان الآتي.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٤٣٢)، والبخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١) من حديث أبي ذر.

(٣) برقم (٣٨٤٠).

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٨٤، وعنه تفسير القرطبي ١٧/ ١٤٢-١٤٣.

(٥) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٩/ ١٠١، والثعلبي ٥/ ١٠٧-١٠٨، والماوردي ٤/ ٤٠٠-٤٠١، وزاد المسير ٦/ ٣٨١، ومعاني الزجاج ٤/ ٢٢٦.

وانتصب «أهلَ» على النّداء، أو على المدح، أو على الاختصاص، وهو قليلٌ في المخاطَب، ومنه: «بك اللهَ نرجو الفَضْلَ»، وأكثر ما يكون في المتكلِّم نحو قوله:

نحنُ بناتِ طارقْ نمشي على النَّمارِقْ[(١)]

ولما كان «أهلَ البيت» يَشمَلُه وإياهنَّ غُلِّب المُذكَّر على المؤنَّث، فجاء الخطاب: «عنكم، ويُطَهِّرَكُم».

وقولُ عكرمة ومقاتل وابن السّائب إن أهلَ البيت في هذه الآية مختصٌّ بزوجاته ﷺ ليس بجيد؛ إذْ لو كان كما قالوا لكان التركيب: عنكنَّ ويُطَهِّرَكنَّ، وإنْ كان هذا القولُ مرويًّا عن ابن عباس فلعله لا يصحُّ عنه.

وقال أبو سعيد الخدري: هو خاصٌّ برسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين. وروي نحوه عن أنس وعائشة وأمّ سَلَمَة.

وقال الضحَّاك: هم أهلُه وأزواجُه.

وقال زيد بن أرْقَم والثّعلبيّ: بنو هاشم الذين يُحْرَمون الصَّدَقة: آل عبّاس، وآل عليّ، وآل عَقيل، وآل جعفر[(٢)].

ويَظهر أنهم زوجاتُه وأهلُه، فلا تخرج الزَّوجات عن أهل البيت، بل يَظهر أنَّهن أحقُّ بهذا الاسم لملازمتهنّ بيتَه ﷺ.

وقال ابن عطية: والذي يَظهر أن زوجاته لا يَخرُجْنَ عن ذلك البتّة، فأهلُ البيت زوجاتُه وبنتُه وبنوها وزوجُها[(٣)].

---

(١) الرجز لهند بنت بياضة، تمثلت به هند بنت عتبة وهي تحرض المشركين يوم أحد، انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٦٨، وأدب الكاتب ٩٠، والأغاني ١٥/ ١٩٠، والزاهر لابن الأنباري ١/ ٣٤٣، وثمار القلوب ١/ ٤٦١ (طبعة البشائر)، ومعجم ما استعجم ١/ ٧١، وشرح أبيات مغني اللبيب ٦/ ١٨٨.

(٢) انظر الأقوال في: تفسير الطبري ١٩/ ١٠١-١٠٨، والثعلبي ٥/ ١٠٨-١١٠، والماوردي ٤/ ٤٠١، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٤٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨٤، وزاد المسير ٦/ ٣٨١، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٤٦-١٤٧، وأسباب النزول للواحدي ٣٧٣-٣٧٤.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٨٤.

وقال الزمخشري: وفي هذا دليلٌ بَيِّنٌ على أن نساء النبيِّ من أهل بيته، ثم ذَكَّرهُنَّ أن بيوتهنَّ مَهابِطُ الوحي، وأمَرهُنَّ أن لا يَنسَيْنَ ما يُتلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرَيْن: هو آياتٌ بيِّناتٌ تدلُّ على صِدْقِ النبوَّة لأنه مُعجزةٌ بنَظْمه، وهو حكمةٌ وعلومٌ وشرائع، «إن الله كان لطيفاً خبيراً» حين عَلم ما يَنفعُكم ويُصلحكم في دينكم فأنزله عليكم، أو علم مَن يَصلُح لنُبوَّته، ومَن يَصلح لأنْ يَكونوا أهلَ بيته، أو حيث جعلَ الكلامَ جامعاً بين الغَرضَيْن[1]. انتهى.

واتّصال «واذْكُرْنَ» بما قبلَه يدلُّ على أنهنَّ من أهل البيت، ومَن لم يُدخلهنّ قال: هي ابتداءُ مُخاطَبة.

«واذكُرْنَ» إمّا بمعنى احْفَظْنَ وتَذَكَّرْنَه، وإمَّا اذكُرْنَه لغيرِكنَّ وارْوِيْنَه حتى يُنْقَل.

و«من آيات الله» هو القرآن «والحِكمة» هي ما كان من حديثه وسُنَّته ﷺ غير القرآن، ويحتمل أن يكون وَصْفًا للآيات، وفي قوله: «لطيفاً» تأنيس[2]، وفي «خبيراً» تحذيرٌ ما.

وقرأ زيد بن عليّ: «ما تُتْلى» بتاء التأنيث[3]، والجمهور بالياء.

ورُوي أن نساءه عليه الصلاة والسلام قُلْنَ: يا رسول الله، ذكرَ الله الرّجالَ في القرآن ولم يذكُرْنا، وقيل: السَّائلة أمُّ سَلَمة.

وقيل: لما نزل في نسائه ما نزل قال نساء المسلمين: فما نزل فينا شيء؟ فنزلت: «إن المسلمين» الآية[4].

وهذه الأوصافُ العشرة تقدَّم شَرْحُها[5].

(١) الكشاف ٣/ ٢٦٠-٢٦١.
(٢) في النسخ: تليين، والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ٣٨٥ وعنه ينقل المصنف.
(٣) مختصر في القراءات الشاذة ورقة ١٩٤، وذكرها الآلوسي ٢١/ ٣١٤.
(٤) انظر تفسير الطبري ١٩/ ١٠٩-١١١، والثعلبي ٥/ ١١١-١١٢، والماوردي ٤/ ٤٠٢، والقرطبي ١٧/ ١٤٩، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٤٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨٥، والكشاف ٣/ ٢٦١، وزاد المسير ٦/ ٣٨٣-٣٨٤، وأسباب النزول ٣٧٥.
(٥) انظر تفسير الآية (١٧) من سورة آل عمران، والآية (٣١) من سورة الأحزاب.

بدأ أوّلاً بالانقياد الظَّاهر، ثم بالتَّصديق، ثم الأوْصافُ التي بعدهما تَنْدرج في الإسلام وهو الانقياد، وفي الإيمان وهو التَّصديق، ثم ختمها بخُلَّة المُراقبة وهي ذكرُ الله كثيراً، ولم يذكر لهذه الأوصاف مُتعلَّقاً إلا في قوله: «والحافظين فُروجَهم، والذاكرين الله» نصَّ على مُتَعَلَّق الحفظ لكونه منزلةَ العُقَلاء، ومُرَكَّبَ الشَّهوة الغالبة، وعلى مُتَعَلَّق الذكر بالاسم الأعظم وهو لَفظُ الله؛ إذ هو العَلَم المحتوي على جميع أوصافه، ليتذكَّر المسلم مَن يَذكرُه وهو الله تعالى، وحذف من الحافِظات والذَّاكرات المفعول لدلالة ما تقدَّم، والتقدير: والحافظاتِها والذاكراتِه.

«أعدّ الله لهم» غَلَّب الذكور فجمع الإناثَ معهم وأدْرَجهم في الضَّمير، ولم يأتِ التَّركيب: لهم ولهنَّ.

❁ ❁ ❁

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن
يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ
أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن
تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ
أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ
ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ
رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن
رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ
لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ
وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى
ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ
ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾.

قال الجمهور: ابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم: خَطب الرَّسول لزيدٍ زينبَ بنت جَحْش، فأبَتْ وقالت: لستُ بناكحته، فقال: «بلى فانكحيه، فقد رضيتُه لكِ» فأبت فنزلت، وذُكر أنها وأخاها عبد الله كَرِها ذلك، فلمّا نزلت الآيةُ رَضيا.

وقال ابن زيد: وَهَبَتْ أمُّ كُلثوم بنت عُقْبَة بن أبي مُعَيْط ـ وهي أوَّلُ امرأةٍ هاجرت ـ للنبيِّ ﷺ نفسَها، فقال: «قد قَبلتُكِ وزوَّجْتُك زيدَ بنَ حارثة» فسَخِطت هي وأخوها وقالا: إنما أرَدْناه فزوَّجَنا عَبْدَه، فنزلت(١)، والسَّببُ الأوَّلُ أصحّ.

ومناسبةُ هذه الآية أنه لمَّا ذَكر تلك الأوصاف السَّابقة من الإسلام فما بعده عَقَّب ذلك بما صَدر من بعض المُسلمين، إذْ أشار الرسول بأمرٍ ووَقَع منهم الإباءُ له، فأنكر عليهم؛ إذْ طاعتُهُ عليه السَّلام من طاعة الله، وأمْرُهُ من أمره.

و«الخِيَرَةُ» مصدر من تَخَيَّر على غير قياس، كالطِّيَرَة من تَطَيَّر، وقُرئ بسكون الياء ذكره عيسى بن سليمان(٢).

وقرأ الحِرْميَّان والعَرَبيَّان وأبو جعفر وشَيْبَة والأعْرَج وعيسى: «أنْ تكون» بتاء التأنيث، والكوفيُّون والحسن والأعمش والسُّلَميّ بالياء(٣).

ولمَّا كان قوله: «المؤمنِ ولا مؤمنة» يَعمُّ في سياق النَّفي جاء الضَّمير مجموعاً على المعنى في قوله: «لهم»، مُغَلَّباً فيه المذكَّر على المؤنّث.

وقال الزمخشري: كان من حقِّ الضَّمير أن يُوَحَّد كما تقول: ما جاءني من رجلٍ ولا امرأةٍ إلا كان من شأنه كذا(٤). انتهى.

وليس كما ذكر؛ لأن هذا عطفٌ بالواو، فلا يجوز إفرادُ الضَّمير إلا على تأويل الحَذْف، أي: ما جاءني من رجلٍ إلا كان من شأنه كذا، وتقول: ما جاءني زيد ولا عَمرو إلا ضَربا خالداً، ولا يجوز إلا ضَرب إلا على الحَذف كما قلنا.

«وإذْ تقول» الخطاب للرَّسول ﷺ «للذي أنْعمَ الله عليه» بالإسلام وهو أجلُّ

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ١١٢-١١٤، والثعلبي ٥/ ١١٣-١١٤، والماوردي ٤/ ٤٠٤-٤٠٥، والقرطبي ١٧/ ١٥١-١٥٢، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٥٠، والكشاف ٣/ ٢٦١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨٥-٣٨٦، وزاد المسير ٦/ ٣٨٥.

(٢) مختصر في الشواذ ١١٩، وقرأ بها أبو مجلز وأبو رجاء وابن السميفع كما في زاد المسير ٦/ ٣٨٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٥٣.

(٣) السبعة ٥٢٢، والتيسير ١٧٩، والنشر ٢/ ٣٤٨، ومعاني القراءات للأزهري ٢/ ٢٨٣، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ٢٠٠-٢٠١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨٦.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٦٢.

النِّعَم، وهو زيد بن حارثة الذي كان الرسول تَبَنَّاه «وأنْعَمْتَ عليه» وهو عِتْقُه، وتقدَّم طَرَفٌ من قصَّته في أوائل السُّورة[١] «أمْسِكْ عليك زَوْجَك» وهي زينب بنت جحش، وتقدَّم أن الرسول كان خَطَبها له ـ وقيل: أنْعَمَ الله عليه بصُحبتك ومَوَدَّتك، وأنعمتَ عليه بتَبَنِّيه ـ فجاء زيد فقال: يا رسول الله، إني أُريد أنْ أفارقَ صاحبتي، فقال النبي ﷺ: «أرابَك منها شيء؟» قال: لا والله، ولكنَّها تَعَظَّم عليَّ لشَرَفها، وتُؤذيني بلسانها، فقال: «أمْسِكْ عليك زوجَك» أي: لا تُطَلِّقها، وهو أمرُ نَدْبٍ «واتَّقِ الله» أي: في مُعاشَرتها، فطلَّقها وتزوَّجها رسول الله ﷺ بعد انقضاء عدَّتها، وعلَّل تزويجَه إيَّاها بقوله: «لكي لا يكون على المؤمنين حَرَجٌ» في أنْ يَتزوَّجوا زوجاتِ مَن كانوا تَبَنَّوْه إذا فارقوهم، وأنَّ هؤلاء الزوجات ليست داخلات فيما حُرِّم في قوله: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ﴾ [النساء: ٢٣][٢].

وقال عليُّ بن الحسين: كان قد أوحى الله إليه أنّ زيداً سيُطَلِّقُها، وأنه يتزوَّجُها بتزويج الله إياها، فلما شكا زيدٌ خُلُقَها، وأنَّها لا تُطيعُهُ، وأعلمَه بأنه يُريد طلاقَها قال له: «أمْسِكْ عليك زوجَك واتَّقِ الله» على طريق الأدب والوصيَّة، وهو يعلم أنه سيُطلّقها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يُرِدْ أنْ يأمُرَه بالطَّلاق ولِما عَلم من أنه سيطلّقها، وخَشي رسولُ الله أن يَلْحَقَه قولٌ من الناس في أنْ يتزوَّج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله على هذا القَدْر في شيءٍ قد أباحَهُ الله، بأن قال: أمسِكْ مع علمه أنَّه يُطَلّق، وأعْلَمه أن الله أحقُّ بالخَشْيَةِ أي: في كلِّ حال[٣]. انتهى.

وهذا المرويُّ عن علي بن الحسين هو الذي عليه أهلُ التحقيق من المفسِّرين؛ كالزُّهري، وبكر بن العَلاء القُشَيْري[٤]، والقاضي أبي بكر بن العَربيّ[٥] وغيرِهم.

---

(١) في تفسير الآية (٤) منها.

(٢) ذكر هذا الخبر المفسرون جميعاً عند تفسيرهم لهذه الآية.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٨٦، وعنه القرطبي ١٧/ ١٥٧، وأخرج قول علي بن الحسين مختصراً الطبري ١٩/ ١١٦-١١٧.

(٤) في النسخ والمطبوع: وبكر بن العلاء والقشيري، وهو خطأ صوابه من المفهم ١/ ٤٠٦، وإكمال المعلم ١/ ٥٣٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٥٧، وروح المعاني ٢١/ ٣٢٠ (طبعة الرسالة)، والسير ١٥/ ٥٣٧.

(٥) أحكام القرآن ٣/ ١٥٣١.

والمراد بقوله: «وتخشى الناس» إنما هو إرجافُ المنافقين في تزويج نساء الأبناء، والنبيُّ ﷺ مَعصومٌ في حركاته وسَكَناته، ولبعض المفسِّرين كلامٌ في الآية يقتضي الغَضَّ من مَنصب النبوَّة ضَرَبْنا عنه صَفْحاً.

وقيل: قولُه: «واتَّقِ الله وتُخفي في نفسك ما الله مُبْديه» خطابٌ من الله عز وجل، أو من النبيّ ﷺ لزيد، فإنه أخفى الميلَ إليها، وأظْهَرَ الرَّغْبَةَ عنها لما توهم أن رسول الله ﷺ تكون من نسائه. انتهى.

وللزمخشري في هذه الآية كلامٌ طويل، وبعضُه لا يَليق ذكرُه مما فيه غير صواب مما جرى فيه على مذهب الاعتزال وغيره؛ واخترتُ منه ما نَصُّه قال: كم من شيءٍ يَتحفَّظ منه الإنسان، ويستحيي من إطلاعِ الناس عليه وهو في نفسه مُباح مُتَّسع، وحَلالٌ مُطلَق، لا مقالَ فيه، ولا عَيبَ عند الله، ورُبَّما كان الدُّخول في ذلك المُباح سُلَّماً إلى حصول واجبات يَعظُم أثرُها في الدِّين، ويَجلُّ ثوابُها، ولو لم يَتَحفَّظ منه لأطلقَ كثيرٌ من النَّاس فيه ألسنتَهم إلا من أوتي فضلاً وعلماً، وديناً ونظراً في حقائق الأشياء ولُبابها دون قُشورها، ألا ترى أنَّهم كانوا إذا طَعِموا في بيوت رسول الله ﷺ بَقُوا مُرْتَكزين في مجالسهم لا يَريمون، مُستأنسين بالحديث، وكان رسول الله ﷺ يؤذيه قُعودُهم، ويُضيِّقُ صدرَه حديثُهم، والحياء يَصدُّه أن يأمُرَهم بالانتشار، حتى نزلت ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ولو أبرز رسول الله ﷺ مَكنونَ ضَميره، وأمرهم أن ينتشروا لشَقَّ عليهم، ولكان بعضُ القالَةِ، فهذا من ذلك القَبيل؛ لأن طُموحَ قلب الإنسان إلى بعض مُشتَهياتِه من امرأة أو غيرها غيرُ موصوفٍ بالقُبح في العقل ولا في الشَّرع، وتناول المُباح بالطَّريق الشرعي ليس بقبيحٍ أيضاً، وهو خطبةُ زَينب ونكاحُهَا من غير استنزال زيدٍ عنها، ولا طَلَبِ إليه، وَلم يكن مُستَنْكَراً عندهم أن ينزلَ الرجلُ منهم عن امرأته لصديقه، ولا مُستهجَناً إذا نزل عنها أن يَنكِحَها الآخر؛ فإن المهاجرين حين دخلوا المدينة اسْتَهم الأنصار بكلِّ شيء، حتى إن الرجل منهم إذا كانت له امرأتان نزلَ عن إحداهما وأنكحها المهاجِر، فإذا كان الأمر مُباحاً من جميع جهاته، ولم يكن فيه وجهٌ من وجوه القُبحِ، ولا مَفْسدةٌ ولا مَضَرَّةٌ بزيد ولا بأحد، بل كان مُسْتَجِرّاً مَصالح، ناهيك بواحدة منها أن بنت عمة رسول الله ﷺ

أمِنَت الأيْمةَ والضَّيعةَ، ونالت الشَّرَف، وعادت أُمًّا من أمَّهات المؤمنين، إلى ما ذكر الله عز وجل من المَصلَحة العامّة في قوله: «لكي لا يكون» الآية. انتهى ما اخترناه من كلام الزمخشري[1].

وقوله: «أمْسِكْ عليك زوجَك» فيه وصولُ الفعل الرَّافع الضميرَ المتّصل إلى الضّمير المجرور وهما لشخص واحد، فهو كقوله:

هَـــــوِّن عـــــلـــــيـــــك[2]

و:

دَعْ عـنـك نَـهْـبـاً صِـيـحَ فـي حَـجَـراتـه[3]

وذكروا في مثل هذا التركيب أن «على وعن» اسمان، ولا يجوز أن يكونا حَرفين لامتناع: فَكِّر فيك، واعتنِ بك، بل هذا مما تكون فيه النَّفْس، أي: فكِّر في نفسك، واعتن بنفسك، وقد تكلَّمنا على هذا في قوله: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ﴾ [مريم: ٢٥]، ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ﴾ [القصص: ٣٢][4].

وقال الحوفيّ: «وتخفي في نفسك» مستأنف «وتخشى» معطوف على وتُخفي.

وقال الزمخشري: واو الحال[5]، أي: تقول لزيد: أمسِكْ عليك زوجَك مُخفياً في نفسك إرادةَ أنْ لا يُمْسِكَها، وتُخفي خاشياً قالةَ الناس. أو واو العطف، كأنه قيل: وإذْ تجمعُ بين قولك أمسكْ وإخفاءِ خلافِه وخشيةِ الناس انتهى.

(١) الكشاف ١/ ٢٦٣.
(٢) تمامه: فإن الأمور بكف الإله مقاديرُها، وهو للأعور الشني، وسلف في تفسير الآية (٢٥) من سورة مريم.
(٣) تمامه: ولكن حديثاً ما حديث الرواحل، وهو لامرئ القيس، وسلف في تفسير الآية (٢٥) من سورة مريم.
(٤) انظر ارتشاف الضرب ١٧٣٢-١٧٣٣، وما في حواشيه من مصادر.
(٥) في الكشاف ٣/ ٢٦٣: فإن قلت: الواو في: وتخفي في نفسك وتخشى الناس والله أحق ما هي؟ قلت: واو الحال.

ولا يكون «وتُخفي» حالاً إلا على إضمار مبتدأ، أي: وأنت تُخفي؛ لأنه مُضارع مُثبَت، فلا يدخل عليه الواو إلا على ذلك الإضمار، وهو مع ذلك قليلٌ نادر لا تُبنى على مثله القواعد، ومنه قولهم: قمتُ وأَصُكُّ عينَه، أي: وأنا أَصُكُّ عينَه.

«والله أحقُّ أن تخشاه» تقدّم إعرابُ نظيره في «التوبة»[(١)].

«فلما قضى زيدٌ منها وَطَرا» أي: حاجةً، قيل: وهو الجِماع، قاله ابن عباس[(٢)].

روى أبو عِصْمَة نوح بن أبي مريم[(٣)] بإسنادٍ رفعَه إلى زينب أنها قالت: ما كنتُ أمتنعُ منه، غير أن الله تعالى منعني منه.

وقيل: إنه مُذ تزوَّجها لم يتمكَّن من الاستمتاع بها.

ورُوي أنه كان يتورَّم ذلك منه حين يُريد أن يَقْرَبَها[(٤)].

وقال قتادة: الوَطَر هنا الطَّلاق[(٥)].

وقرأ الجمهور: «زوَّجناكَها» بنون العَظَمة، وجعفر بن محمد وابن الحنفيَّة، وأخواه الحسن والحسين وأبوهم عليّ: «زوَّجْتُكها» بتاء الضمير للمتكلم[(٦)].

ونفى تعالى الحَرَج عن المؤمنين في إجْراء أزواج المُتَبَنِّين مَجرى أزواج البَنين في تحريمهنّ عليهم بعد انقطاع علائق الزَّواج بينهم وبينهن.

«وكان أمرُ الله» أي مُقتضى أمرِ الله، أو مُضَمَّنُ أمرِهِ، قال ابن عطية: وإلا فالأمرُ قديمٌ لا يُوصَف بأنه مفعول، ويَحتمل على بُعْد أن يكون الأمرُ واحدَ الأمور، أي: التي شأنُها أن تُفْعَل.

---

(١) في تفسير الآية (١٣) منها.

(٢) تفسير القرطبي ١٧/ ١٦٢.

(٣) قال فيه البخاري: منكر الحديث، وقال مسلم وغيره: متروك الحديث، وقال الحاكم: وضع أبو عصمة حديث فضائل القرآن الطويل، ميزان الاعتدال (٨٦٣٢).

(٤) في (يه): يتقرب منها، وانظر الأقوال في تفسير القرطبي ١٧/ ١٥٥.

(٥) تفسير الماوردي ٤/ ٤٠٦، والقرطبي ١٧/ ١٦٢، والطبري ١٩/ ١١٨.

(٦) الكشاف ٣/ ٢٦٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨٧، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٦٠.

وقال الزمخشري: وكان أمرُ الله الذي يُريد أن يكونَه مفعولاً مُكوَّناً لا مَحالَة، وهو مَثَلٌ لِما أراد كونَه من تزويج رسول الله ﷺ زينب. ويجوز أن يُراد بأمر الله المكوّن؛ لأنه مفعول يكن.

ولمّا نَفى الحَرَج عن المؤمنين فيما ذكر، وانْدَرَجَ الرَّسولُ فيهم إذْ هو سيّد المؤمنين؛ نفى عنه الحَرَج بخصوصه، وذلك على سبيل التَّكريم والتَّشريف، ونفى الحَرَجَ عنه مرَّتين: إحداهما بالاندراج في العموم، والأخرى بالخصوص.

«فيما فَرَض الله له» قال الحسن: فيما خَصَّه الله به من صِحَّة النِّكاح بلا صَداق. وقال قتادة: فيما أَحَلَّ له.

وقال الضحَّاك: في الزّيادة على الأربع، وكانت اليهود عابوه بكثرة النِّكاح وكثرةِ الأزواج، فرَدَّ الله عليهم[1] بقوله: «سُنَّةَ الله» أي: في الأنبياء بكثرة النِّساء حتى كان لسليمان عليه السلام ثلاث مئة حُرَّة وسبع مئة سُرِّيَّة، وكان لداود مئةُ امرأة وثلاث مئة سُرِّيَّة[2].

وقيل: الإشارة إلى أن الرسول جُمِعَ بينه وبين زينب، كما جُمِعَ بين داود وبين التي تزوَّجها بعد قتل زوجها[3].

وانتصب «سُنَّةَ الله» على أنه اسمٌ موضوع مَوضعَ المَصْدر، قاله الزمخشري[4]. أو على المصدر، أو على إضمار فعل تقديره الْزَم أو نحوه، أو على الإغراء كأنه قال: فعليه سُنَّةَ الله، قاله ابن عطية[5].

(١) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٩/ ١١٩، والماوردي ٤/ ٤٠٧، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٥٤، وزاد المسير ٦/ ٣٩٢.

(٢) تفسير الماوردي ٤/ ٤٠٨، والكشاف ٣/ ٢٦٤، وزاد المسير ٦/ ٣٩٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٦٤، وليس في ذلك نصّ صحيح يرجع إليه، وإنما هو من الإسرائيليات وأقوال أهل الكتاب.

(٣) تفسير الثعلبي ٥/ ١١٧ ـ وعنه المحرر الوجيز ٤/ ٣٨٧، والقرطبي ١٧/ ١٦٤ ـ وتفسير الماوردي ٤/ ٤٠٨. قال الآلوسي ٢١/ ٣٢٨: وهذا مما لا يلتفت إليه، والقصة عند المحققين لا أصل لها.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٦٤.

(٥) في المحرر الوجيز ٤/ ٣٨٧-٣٨٨.

وقوله: أو على الإغراء ليس بجيِّد؛ لأن عاملَ الاسم في الإغراء لا يجوز حذفُه، وأيضاً فتقديرُه: فعليه سُنَّةَ الله بضمير الغائب، ولا يجوز ذلك في الإغراء إذْ لا يُغرى غائب، وما جاء من قولهم: عليه رجلاً ليَسْني؛ له تأويل، وهو مع ذلك نادرٌ[1].

و«الذين خَلَوا» الأنبياء بدليل وَصْفهم بعدُ بقوله: «الذين يُبَلِّغون رسالات الله».

«وكان أمرُ الله» أي: مأموراتهُ والكائناتُ عن أمره فهي مَقدورة، وقوله: «قَدَراً» أي: ذا قَدَر، أو عن قَدَر، أو قضاءً مَقضيّاً وحُكماً مَبتوتاً.

و«الذين» مجرور صفة للذين خَلوا، أو مرفوع، أو منصوب على إضمار هم، أو على أمْدَح.

وقرأ عبد الله: «الذين بَلَّغوا» جعله فعلاً ماضياً[2].

وقرأ أبيّ: «رسالةَ الله» على التَّوحيد[3]، والجمهور: «يُبَلِّغون رسالات» جمعاً.

«وكفى بالله حسيباً» أي: مُحاسِباً على جميع الأعمال والعقائد، أو مُحْسِباً، أي: كافياً.

ثم نفى تعالى كون رسوله أبا أحدٍ من رجالهم، ولا يثبت بينه وبين مَن تبنَّاه من حُرمة المُصاهَرة والنّكاح ما ثبت بين الأب وولده، هذا مقصودُ هذه الجملة، وليس المقصود أنه لم يكن له ولدٌ فيحتاج إلى الاحتجاج في أمر بَنيه بأنهم كانوا ماتوا، ولا في أمر الحسن والحسين بأنهما كانا طفلَين.

وإضافةُ «رجالِكم» إلى ضمير المخاطَبين يُخرج مَن كان من بَنيه؛ لأنهم رجالُه لا رجال المخاطَبين.

وقرأ الجمهور: «ولكنْ رسولَ» بتخفيف لكن ونصب رسول على إضمار كان؛ لدلالة كان المتقدّمة عليه، قيل: أو على العطف على «أبا أحدٍ».

(١) نقله السمين في الدر ١٢٧/٩، والآلوسي في روح المعاني ٣٢٧/٢١، وتعقباه فانظره إن أحببت.
(٢) المحرر الوجيز ٣٨٨/٤.
(٣) مختصر في الشواذ ١١٩.

وقرأ عبد الوارث عن أبي عمرو بالتشديد والنصب على أنه خبر لكن، والخبر محذوف تقديره: ولكنّ رسولَ الله وخاتمَ النبيين هو، أي: محمد ﷺ[1].

وحَذف خبر لكنّ وأخواتها جائزٌ إذا دلَّ عليه الدَّليل، ومما جاء في ذلك قول الشاعر:

فلو كُنتَ ضَبِّيًّا عَرَفْتَ قَرابتي ولكنَّ زَنْجيًّا عظيمَ المَشافِرِ[2]

أي: أنت لا تعرفُ قَرابتي.

وقرأ زيد بن عليّ وابن أبي عَبْلَة بالتخفيف ورفع «رسول، وخاتَم»، أي: ولكن هو رسولُ الله[3]، كما قال الشاعر[4]:

ولستُ الشَّاعرَ السَّفْسافَ فيهم ولكنْ مِدْرَهُ الحَرْبِ العَوانِ

أي: ولكنْ أنا مِدْرَه.

وقرأ الجمهور: «وخاتِم» بكسر التاء، بمعنى أنه خَتَمهم، أي: جاء آخِرَهم.

---

(١) مختصر في الشواذ ١٢٠، وإعراب القراءات السبع ٢/ ٢٠٣ كلاهما لابن خالويه، والمحتسب ٢/ ١٨١، وذكرها الزمخشري في الكشاف ٣/ ٢٦٤، وابن عطية في المحرر ٤/ ٣٨٨، وعنه القرطبي ١٧/ ١٦٥ دون نسبة.

(٢) قال السمين في الدر المصون ٩/ ١٢٨: وهذا البيت يروونه أيضاً: ولكنَّ زنجيٌّ، بالرفع شاهداً على حذف اسمها، أي: ولكنك. اهـ.
وسلف برواية الرفع في تفسير الآية (٧٤) من سورة البقرة، قال البغدادي في الخزانة ١٠/ ٤٤٦: واعلم أن قافية البيت اشتهرت كذا عند النحويين، وصوابه:
ولكنَّ زنجياً غلاظاً مشافره
وهو من قصيدة هجا بها الفرزدق أيوب بن عيسى الضبي، والسبب في هذا ما حكاه صاحب الأغاني...

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٨٨، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٦٥، وذكرها دون نسبة ابن خالويه في مختصر في الشواذ ١٢٠، وإعراب القراءات السبع ٢/ ٢٠٣، والفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٤٤، والزجاج في معاني القرآن ٤/ ٢٣٠، والنحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣١٧، والطبري ١٩/ ١٢٢، والزمخشري ٣/ ٢٦٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٣٩٣.

(٤) هدبة بن خشرم، وسلف البيت في تفسير الآية (٣٧) من سورة يونس.

وروي عنه أنه قال: «أنا خاتم ألف نبيّ»[(١)] وعنه: «أنا خاتم النبيِّين» في حديث البناء واللَّبِنَة[(٢)].

وروي عنه عليه السّلام ألفاظٌ تقتضي نصًّا أنه لا نبيَّ بعده ﷺ[(٣)]، والمعنى أنه لا يُنَبَّأ أحدٌ بعده، ولا يرد نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان لأنه ممن نُبِّئ قبله، وينزل عاملاً على شريعة محمد ﷺ، مُصَلِّياً إلى قبلته كأنه بعضُ أمَّته.

قال ابن عطية: وما ذكره القاضي ابن الطيِّب في كتابه المسمَّى بـ «الهداية» من تجويز الاحتمال في ألفاظ هذه الآية ضعيف، وما ذكره الغَزَّالي في هذه الآية وهذا المعنى في كتابه الذي سماه بـ «الاقتصاد» إلحادٌ عندي، وتَطَرُّقٌ خبيثٌ إلى تشويش عقيدة المسلمين في خَتْم محمد ﷺ النبوَّةَ، فالحَذرَ الحذرَ منه، والله الهادي برحمته[(٤)].

وقرأ الحسن والشَّعبي وزيد بن عليّ والأعرج بخلاف وعاصم بفتح التاء[(٥)] بمعنى أنهم به خُتموا، فهو كالخاتَم والطَّابَع لهم.

ومَن ذهب إلى أن النُّبُوَّةَ مُكْتَسَبة لا تنقطع، أو إلى أن الوَليّ أفضلُ من النبيِّ فهو زنديقٌ يجبُ قتلُهُ، وقد ادَّعى النبوَّةَ ناسٌ فقتلَهم المسلمون على ذلك، وكان في عصرنا شخصٌ من الفقراء ادَّعى النبوَّة بمدينة مالَقَة، فقتله السلطان ابنُ الأحمر ملك

---

(١) أخرجه أحمد (١١٧٥٢) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.
(٢) أخرجه أحمد (٩١٦٧)، والبخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦) (٢٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٣) منها قوله ﷺ: «وإنه لا نبي بعدي» ضمن حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه أحمد (٧٩٦٠)، والبخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢)، وسلف في تفسير الآية (٦٩) من سورة النساء.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٨٨، وعنه تفسير القرطبي ١٧/ ١٦٦، والقاضي ابن الطيب هو أبو بكر الباقلاني، وكتابه هداية المسترشدين والمقنع في معرفة أصول الدين، انظر الكلام عليه في مقدمة إعجاز القرآن له ص٤٤، وانظر ص٢٢٥-٢٢٦ من كتاب الغزالي الاقتصاد في الاعتقاد.
(٥) السبعة ٥٢٢، والتيسير ١٧٩، وإعراب القراءات السبع ٢/ ٢٠١، ومعاني القراءات ٢/ ٢٨٣، والنشر ٢/ ٣٤٨، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٤٤، وتفسير الثعلبي ٥/ ١١٩، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣١٧، وتفسير الطبري ١٩/ ١٢٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨٨.

الأندلس بغَرْناطة[١]، وصُلِبَ إلى أن تناثَرَ لحمه.

«وكان الله بكل شيء عليماً» هذا عام، والمقصد هنا علمُه تعالى بما رآه الأصلحَ لرسوله، وبما قدَّره في الأمر كلِّه.

ثم أمر المؤمنين بذكره بالثَّناء عليه، وتحميده وتَقْديسه، وتنزيهه عما لا يَليق به، والذِّكر الكثير قال ابن عباس هو أن لا ينساه أبداً، والتسبيح مُنْدَرِج في الذِّكر؛ لكنه خُصَّ لأنه تنزيهه تعالى عما لا يَليق به، فهو أفضل أو من أفضل الأذكار.

وعن قتادة: قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعن مجاهد: هذه الكلمات يقولها الطَّاهر والجُنُب[٢].

و«بُكْرَةً وأصيلاً» يقتضيهما اذكروا وسَبِّحوا، والنَّصبُ بالثاني على طريق الإعمال، والوقتان كنايةٌ عن جميع الزمان، ذُكر الطَّرَفان إشعاراً بالاستغراق.

وقال ابن عباس: أي: صَلُّوا صلاةَ الفجر والعشاء، وقال الأخفش: ما بين العَصْر إلى العشاء، وقال قتادة: الإشارة بهذين الوقتَيْن إلى صلاة الغَدَاة وصلاة العَصْر[٣].

ويجوز أن يكون الأمرُ بالذكر وإكثاره تكثيرَ الطَّاعات، والإقبالَ على الطَّاعات؛ فإن كلَّ طاعةٍ وكلَّ خيرٍ من جُملة الذِّكر، ثم خُصَّ من ذلك التَّسبيح بُكرةً وأصيلاً، وهي الصلاةُ في جميع أوقاتها لفضل الصَّلاة على غيرها، أو صَلاة الفجر والعشاء لأن أداءها أشَقُّ[٤].

ولمّا أمَرَهم بالذّكر والتسبيح ذكر إحسانَه تعالى بصَلاته عليهم هو وملائكتُهُ،

---

(١) في (يه): بحضرة أرناطة.

(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ١١٩، والكشاف ٣/ ٢٦٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨٨، وزاد المسير ٦/ ٣٩٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٦٧.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ١٢٤، والثعلبي ٥/ ١١٩، والماوردي ٤/ ٤٠٩، والقرطبي ١٧/ ١٦٨، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٥٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨٨، وزاد المسير ٦/ ٣٩٧-٣٩٨.

(٤) في الكشاف ٣/ ٢٦٥ وعنه ينقل: أو صلاة الفجر والعشاءين لأن أداءها أشق.

قال الحسن: «يُصَلّي عليكم» يَرْحَمُكُم، وقال ابن جُبير: يَغفر لكم، وقال أبو العالية: يُثني عليكم، وقيل: يترأف بكم.

وصلاةُ الملائكة الاستغفار كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧] وقال مقاتل: الدُّعاء.

والمعنى هو الذي يَتَرَحَّم عليكم حيث يدعوكم إلى الخير، ويأمُركم بإكثار الذّكر والطاعة؛ ليُخْرِجَكم من ظُلمات المعصية إلى نور الطّاعة، وقال ابن زيد: من الضَّلالة إلى الهُدى، وقال مقاتل: من الكُفر إلى الإيمان، وقيل: من النار إلى الجنة، حكاه الماوردي، وقيل: من القبور إلى البَعْث[١].

«وملائكتُه» معطوفٌ على الضّمير المرفوع المُسْتَكنّ في «يُصلّي» وأغنى الفَصْلُ بالجار والمجرور عن التّأكيد.

وصلاةُ الله غيرُ صلاة الملائكة، فكيف اشتركتا في العطف وهما مختلفان؟ وإنما كان ذلك بأنهما مختلفان قد اشتركا[٢] في قَدْرٍ مُشْتَرَك، وهو إرادةُ وصولِ الخير إليهم، فالله تعالى يُريد برحمته إيَّاهم إيصالَ الخير إليهم، وملائكته يُريدون بالاستغفار ذلك.

وقال الزمخشري: جُعِلوا لكونهم مُستجابي الدَّعوة كأنهم فاعلون الرَّحمة والرَّأفةَ، ونظيرُهُ قولُهم: حَيَّاك الله، أي: أحياك وأبقاك، وحَيَّيْتُك أي: دعوتُ لك بأنْ يُحييَك الله؛ لأنك لاتِّكالك على إجابة دَعْوتك كأنك تُبقيه على الحقيقة، وكذلك عَمَّرَك الله وعَمَّرْتُك، وسَقاك الله وسَقَيْتُك، وعليه قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٥٦] أي: ادْعوا له بأنْ يُصلّي عليه، «وكان بالمؤمنين رَحيماً» دليلٌ على أنَّ المُراد بالصَّلاة الرَّحمة[٣]. انتهى.

وما ذكره من قوله: كأنهم فاعلون، فيه الجمعُ بين الحقيقة والمَجاز، وما ذكرناه من أنَّ الصَّلاتَين اشتركا[٤] في قَدْرٍ مُشْتَرَكٍ أولى.

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ١٢٦، والماوردي ٤/ ٤١٠، وزاد المسير ٦/ ٣٩٨.

(٢) من قوله: فكيف اشتركتا... إلى هنا، ليس في المطبوع. وقوله: مختلفان؛ كذا في النسخ، والوجه: مختلفتان.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٦٥، ٢٦٦.

(٤) كذا في النسخ، والوجه: اشتركتا.

«تحيَّتُهم يومَ يَلْقَوْنه» أي: يومَ القيامة «سَلام» أي: يُحَيِّيهم الله؛ يقول للمؤمنين: السَّلامُ عليكم، مَرْحباً بعبادي الذين أرْضَوني باتِّباع أمري، قاله الرَّقاشيّ.

وقيل: تُحييهم الملائكة بالسَّلامة من كلِّ مكروه.

وقال البراء بن عازب: معناه أنَّ مَلَكَ الموت لا يقبض رُوحَ المؤمن حتى يُسَلِّمَ عليه.

وقال ابن مسعود: إذا جاء مَلَك الموت لقَبْض روح المؤمن قال: ربُّك يُقرئك السلام.

قيل: فعلى هذا الهاء في قوله: «يَلْقَوْنه» كنايةٌ عن غير مَذْكور.

وقيل: سَلامُ الملائكة عند خُروجهم من القبور.

وقال قتادة: يومَ دخولهم الجنَّة يُحَيِّي بعضُهم بعضاً بالسَّلام، أي: سَلِمْنا وسَلِمْتَ من كلِّ مَخُوف[1].

وقيل: تُحَيِّيهم الملائكةُ يومئذٍ، وقيل: هو سَلام مَلَك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتُهم بالجنَّة.

والتحيَّةُ مصدرٌ في هذه الأقوال أُضيف إلى المفعول، إلا في قول من قال: يُحيِّي بعضُهم بعضاً، فإنه مصدرٌ مُضافٌ للمُحيِّي والمُحَيَّا لا على جهة العَمَل، لأن الضميرَ الواحد لا يكون فاعلاً مفعولاً، ولكنه كقوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨] أي: للحُكْم الذي جَرى بينهم ونُسِب إليهم، فكذلك هي التحيَّة الجاريةُ بينهم هي سَلام.

وفرَّق المُبرّد بين التحيَّة والسَّلام فقال: التحيَّةُ تكون لكلِّ دُعاء، والسَّلام مَخْصوص، ومنه ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٧٥][2].

---

(١) انظر الأقوال في: تفسير الطبري ١٩/ ١٢٥، والثعلبي ٥/ ١٢٠، والقرطبي ١٧/ ١٧٠، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣١٩، والكشاف ٣/ ٢٦٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨٩، وزاد المسير ٦/ ٣٩٨-٣٩٩.

(٢) نقله عن المبرد النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣١٩.

والأَجْرُ الكريم: الجنَّة. «شاهداً» على مَن بُعِثْتَ إليهم، وعلى تكذيبهم وتصديقهم، أي: مَقبولاً قولُك عند الله، وشاهداً بالتَّبليغ إليهم، وبتبليغ الأنبياء قبلك.

وانتصب «شاهداً» على أنه حالٌ مُقَدَّرة إذْ كان وقتَ الإرْسال لم يكن شاهداً عليهم، وإنما يكون شاهداً عند تَحَمُّل الشهادة أو عند أدائها، أو لأنه لقُرْب زمان البِعْثَة، وإيمان مَن آمن، وتكذيب مَن كذَّب كأنَّ ذلك وَقع في زمانٍ واحدٍ.

«وداعياً إلى الله» قال ابن عباس: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وقال ابن عيسى: إلى الطَّاعة[1].

«بإذنه» أي: بتَسْهيله وتَيْسيره، ولا يُراد به حقيقةَ الإذْن لأنَّه قد فُهِم من قوله: «إنا أرسلناك داعياً» أنَّه مأذونٌ له في الدُّعاء، ولمَّا كان دُعاءُ المُشْرِك إلى التَّوحيد صَعباً جدًّاً قيل: بإذنه، أي: بتَسْهيله تعالى.

«وسِراجاً مُنيراً» جَلا به ظُلُماتِ الشِّرْك، واهتدى به الضَّالُّون، كما يُجْلى ظلامُ الليل بالسِّراج المنير ويُهتدى به، أو أَمَدَّ الله بنور نُبوَّته نورَ البَصائر، كما يُمدّ بنور السِّراج نور الأبصار، ووصفه بالإنارة لأن من السُّرُج ما لا يَضيء إذا قلَّ سَليطُهُ[2]، ودقَّت فَتيلَتُهُ.

وقال الزجَّاج: هو معطوف على «شاهداً» أي: وذا سِراجٍ مُنير، أي: كتابٍ نَيِّر[3].

وقال الفرَّاء: إن شئتَ كان نَصْباً على معنى وتالياً سراجاً منيراً[4].

وقال الزمخشري: ويجوز على هذا التَّفسير أنْ يُعْطَف على كاف «أرْسَلْناك»[5]. انتهى.

---

(١) النكت والعيون للماوردي ٤/ ٤١٠.

(٢) زيته، وهذا كله منقول من الكشاف ٣/ ٢٦٦.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٣١ على تحريف فيه يصحح من هنا، وعن الزجاج نقله القرطبي ١٧٣/١٧.

(٤) ذكره السمين في الدر ٩/ ١٣٠، والآلوسي في تفسيره ٢١/ ٣٦٨، ولم نقف عليه في معاني القرآن للفراء.

(٥) الكشاف ٣/ ٢٦٦.

ولا يَصِحُّ هذا الذي قاله إذْ يصير المعنى: أرْسَلْنا ذا سِراجٍ مُنير وهو القرآن، ولا يوصَف بالإرْسال القرآن، إنَّما يوصَف بالإنْزال، وكذلك أيضاً إذا كان التَّقدير: وتالياً يصير المعنى: أرْسَلْنا تالياً سِراجاً مُنيراً، ففيه عَطْفُ الصِّفةِ التي للذَّات على الذّات، كقولك: رأيتُ زيداً والعالِم، إذا كان العالِم صفةً لزيد، والعطفُ مُشْعِرٌ بالتَّغايرُ، ولا يَحْسُن مثلُ هذا التَّخريج في كلام الله وثَمَّ حملٌ على ما تقتضيه الفَصاحةُ والبلاغة.

ولمّا ذكر تعالى أنه أرسل نبيَّه شاهداً... إلى آخره تضمَّن ذلك الأمرَ بتلك الأحوال، فكأنه قال: فاشْهَدْ وبَشِّر وأنْذِر وادْعُ وأنِرْ، ثم قال: وبَشِّر المؤمنين، فهذا متَّصلٌ بما قبلَه من جهة المعنى، وإنْ كان يَظهر أنه مُنقَطع من الذي قبلَه.

والفَضْلُ الكبير: الثَّواب، من قولهم للعَطايا: فُضول وفَواضِل، أو المَزيد على الثَّواب، وإذا ذُكِر المُتَفَضَّلُ به وكِبَرُه فما ظَنُّك بالثَّواب، أو ما فُضِّلوا به على سائر الأُمم، وذلك من جهته تعالى، أو الجنَّة وما أُوتوا فيها، ويفسِّره ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الشورى: ٢٢].

«ولا تُطِع الكافرين والمنافقين» نَهْيٌ له عليه السَّلام عن السَّماع منهم في أشياء كانوا يَطلبونها مما لا يجب، وفي أشياء يَنتصحون بها وهي غشّ.

«ودَعْ أذاهم» الظَّاهرُ إضافتُهُ إلى المفعول، لمَّا نَهى عن طاعتهم أمرَ بترْكه إذايتَهم وعقوبتَهم، ونُسخ منه ما يَخصُّ الكافرين بآية السَّيف، «وتوكَّل على الله» فإنه يَنْصرُك ويخذُلهم، ويجوز أن يكون مُضافاً للفاعل، أي: ودَعْ إذايتَهم إيّاك، أي: مُجازاة الإذايةَ من عِقابٍ وغيره حتى تُؤمَرَ، وهذا تأويل مجاهد(١).

❋ ❋ ❋

(١) انظر الكشاف ٣/ ٢٦٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٧٤.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾.

لمّا ذكر تعالى قصَّةَ زيد وزينب وتطليقَه إياها؛ وكانت مَدْخولاً بها واعتدَّت وخطَبها الرسول ﷺ بعد انقضاء عِدَّتها: بيَّن حالَ مَن طُلِّقت قبلَ المَسِيس، وأنَّها لا عِدَّة عليها، ومعنى «نَكَحْتُم» عَقَدْتُم عليهنَّ، وسُمِّي العَقْدُ نِكاحاً لأنه سببٌ إليه، كما سُمِّيت الخَمْرُ إثماً لأنها سببٌ له، قالوا: ولَفْظُ النِّكاح في كتاب الله لم يَرِد إلا في العَقْد، وهو من آداب القرآن، كما كُنِّي عن الوَطْءِ بالمُماسَّة والمُلامَسَة والقُرْبان والتَّغشِّي والإتْيان(١)، قيل: إلا في قوله: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠] فإنه بمعنى الوَطْء، وقد تقدَّم الكلامُ عليه في «البقرة»(٢).

والكتابيّات وإنْ شاركت المؤمنات في هذا الحُكم فتخصيصُ المؤمنات بالذِّكر تنبيهٌ على أنَّ المؤمن لا يَنبغي أن يَتخيَّر لنُطْفَتِهِ إلا المؤمنة.

وفائدةُ المجيء بـ «ثمَّ» وإنْ كان الحُكمُ ثابتاً لمَن تزوَّجت وطُلِّقت على الفور، ولمَن تأخَّر طلاقُها، قال الزمخشري: نَفْيُ التَّوهُّم عمَّن عسى يَتوهَّم تفاوتَ الحُكم بين أنْ يُطلّقها وهي قريبةُ العَهْد من النِّكاح وبين أن يَبْعُدَ عَهْدُها بالنِّكاح، وتتراخى بها المُدَّة في حَبالَةِ الزَّوج ثم يُطلّقها(٣). انتهى. واستعمل صِلةً لمَن عسى، وهو لا يجوز.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٦٧.
(٢) في تفسير الآية (٢٣٠) منها.
(٣) الكشاف ٣/ ٢٦٧ وما قبله منه.

أو لُوحِظ في ذلك الغالب؛ فإنَّ مَنْ أقدم على العَقد على امرأة إنَّما يكون ذلك لرَغْبة، فَيبْعُد أنْ يُطَلِّقها على الفَوْر، لأن الطَّلاق مُشْعرٌ بعدم الرَّغْبة، فلا بدَّ أن يَتخلَّل بين العقدِ والطَّلاق مُهْلَةٌ يَظهر فيها للزَّوج نَأْيُه عن المرأة، وأنَّ المَصْلحةَ في ذلك له.

والظّاهر أن الطَّلاق لا يكون إلا بعد العَقْد، فلا يَصحُّ طلاقُ مَن لم يَعْقِد عليها عينها أو قبيلتها أو البلد، وهو قول الجمهور من الصَّحابة والتابعين.

وقالت طائفةٌ كبيرة منهم مالك يصحُّ ذلك.

والظّاهر أن المَسيس هنا كنايةٌ عن الجِماع، وأنه إذا خَلا بها ثم طَلَّقها لا تَعْتَدّ، وعند أبي حنيفة وأصحابه حُكمُ الخَلْوة الصَّحيحة حُكمُ المَسيس.

والظَّاهر أن المُطلَّقة رَجعيَّةً إذا راجَعها زوجُها قبل أن تنقضيَ عدَّتُها، ثم فارقها قبل أن يَمَسَّها لا تُتمُّ عِدَّتَها من الطَّلْقة الأولى، ولا تستقبل عدَّةً، لأنها مُطلَّقةٌ قبل الدُّخول بها، وبه قال داود.

وقال عطاء وجماعة: تَمضي في عدَّتها من طلاقها الأوَّل، وهو أحد قولَي الشافعي.

وقال مالك: لا تبني على العدَّة من الطَّلاق الأول، وتستأنف العدَّةَ من يوم طَلَّقها الطَّلاق الثاني، وهو قول جمهور فقهاء الأمصار.

والظَّاهر أيضاً أنها لو كانت بائناً غير مَبْتوتة فتزوَّجها في العدَّة، ثم طَلَّقها قبل الدُّخول كالرَّجْعيَّة في قول داود؛ ليس عليها عدَّة لا بقيَّةَ عدَّةِ الطَّلاقِ الأوَّل، ولا استئنافَ عِدَّةٍ للثاني، ولها نصفُ المَهْر.

وقال الحسن وعطاء وعكرمة وابن شهاب ومالك والشافعي وعثمان البَتِّي وزُفَر: لها نصفُ الصَّداق، وتُتمُّ بقيَّةَ العِدَّة الأولى.

وقال الثوري والأوزاعي وأبو حنيفة وأبو يوسف: لها مهرٌ كاملٌ للنّكاح الثاني وعدَّةٌ مستقبلة، جعلوها في حكم المَدْخول بها لاعتِدادها من مائه[1].

(١) جمع أبو حيان هذه المسائل من المحرر الوجيز ٤/ ٣٩٠، والكشاف ٣/ ٢٦٧، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٧٥-١٧٧.

وقرأ الجمهور: «تَعْتَدُّونها» بتشديد الدَّال، افتعل من العَدّ[١]، أي: تستوفون عدَدَها، من قولك: عَدَّ الدَّراهم فاعتَدَّها، أي: استَوْفى عَدَدها، نحو قولك: كِلْتُه فاكْتالَه وزِنْتُه فاتَّزنَه.

وعن ابن كثير وغيره من أهل مكة بتخفيف الدَّال، ونقلها عن ابن كثير ابنُ خالويه[٢] وأبو الفضل الرَّازي.

وقال ابن عطيَّة: وروى ابنُ أبي بَزَّةَ عن ابن كثير بتخفيف الدَّال، من العُدْوان، كأنه قال: فمالكم عِدَّةٌ تُلْزمونَها عُدواناً وظلماً لهنَّ، والقراءة الأولى أشهر عن ابن كثير، وتخفيف الدَّال وَهْمٌ من ابن أبي بَزَّة[٣]. انتهى.

وليس بوَهْم إذْ قد نقلها عن ابن كثير ابنُ خالويه وأبو الفضل الرَّازي في كتاب «اللوامح في شواذّ القراءات»، ونقلها الرَّازي المذكور عن أهل مكة وقال: هو من الاعتِداد لا مَحالة، لكنَّهم كَرهوا التضعيف فخفَّفوه، فإن جُعلت من الاعتِداء الذي هو الظُّلم ضَعُفَ؛ لأن الاعتداء يتعدَّى بعلى. انتهى.

وإذا كان يتعدَّى بعلى فيجوز أنْ يحذف على ويَصِل الفعلُ إلى الضمير نحو قوله:

تَحِنُّ فتُبدي ما بها من صَبابَةٍ وأُخفي الذي لولا الأسى لَقَضاني[٤]

أي: لقَضى عليَّ.

وقال الزمخشري: وقرئ: «تَعْتَدُونها» مخفَّفاً، أي: تعتدون فيها كقوله: ويوماً شَهِدْناه، والمُراد بالاعتداء ما في قوله: ﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ﴾ [البقرة: ٢٣١][٥]. انتهى.

---

(١) في (يه): العدد، وهما بمعنى.

(٢) في مختصر في الشواذ ١٢٠.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٩٠، وكذا قال بوهم هذه القراءة الأزهري في معاني القراءات ٢/ ٢٨٤، وذكر ابن مجاهد في السبعة ٥٢٢-٥٢٣ أن ابن أبي بزة غلط وروجع فرجع عنها، ونقله عن ابن مجاهد ابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٢٠٣.

(٤) سلف في تفسير الآية (١٠٩) من سورة المائدة.

(٥) الكشاف ٣/ ٢٦٧، وفيه: ويوم شهدناه، وكذا نقل عنه السمين في الدر ٩/ ١٣٢ بخفضٍ

ويعني أنه اتَّصل بالفعل، لما حُذف حرف الجر وصل الفعل إلى ضمير العِدَّة كقوله:

ويوماً شهدناه سُلَيماً وعامراً

أي: شَهِدنا فيه، وأمَّا على تقدير على فالمعنى: تَعْتَدون عليهنَّ فيها.

وقرأ الحسن بإسكان العين كغيره، وتشديد الدَّال جمعاً بين السَّاكنَين[(١)].

وقوله: «فما لكم» يَدُلُّ على أن العِدَّةَ حقُّ الزَّوج فيها غالب، وإنْ كانت لا تَسقط بإسقاطه لِما فيه من حقّ الله تعالى.

والظَّاهر أنَّ مَن طُلِّقت قبل المَسيس لها المتعةُ مُطلقاً؛ سواء كانت مَمْهورةً أم مَفْروضاً لها.

وقيل: يختصُّ هذا الحكم بمَن لا مُسَمًّى لها.

والظَّاهر أن الأمر في «فمَتِّعوهنَّ» للوجوب، وقيل: للنَّدْب، وتقدَّم الكلامُ مُشْبعاً في المتعة في «البقرة»[(٢)].

والسَّراح الجَميل: هو كلمةٌ طَيِّبةٌ دون أذىً ولا مَنْعِ واجب، وقيل: أن لا يُطالبَها بما آتاها.

ولمَّا بَيَّن تعالى بعضَ أحكامِ أنكِحةِ المؤمنين أتْبعَهَ بذِكْر طَرَفٍ من نساء النبي ﷺ.

والأُجور: المُهور لأنه أجْرٌ على الاستمتاع بالبُضْع وغيره مما يجوز به الاستمتاع.

= ويوم، وهو قطعة من بيت شعر تمامه:

سُلَيماً وعامراً قليل سِوى الطعن النهال نوافله

وسلف في البحر برواية الخفض في تفسير الآية (٧٨) من سورة الحج.

وبرواية نصب يوماً ـ وكذلك نقل الآلوسي ٢١/ ٣٧٨ ـ سلف في تفسير الآية (١٠٣) من سورة هود.

(١) ذكرها السمين ٩/ ١٣٣، والآلوسي ٢١/ ٣٧٩.

(٢) في تفسير الآية (٢٣٦) منها.

وفي وَصْفِهِنَّ بـ «اللاتي آتيتَ أُجورهُنّ» تنبيهٌ على أن الله اختار لنبيِّه الأفضل والأولى؛ لأن إيتاء المهر أولى وأفضل من تأخيره لِيَتَفَصَّى الزَّوجُ من عُهدة الدَّين وشَغْلِ ذِمَّته به، ولأن تأخيرَه يقتضي أنه يَستمتع به مجَّاناً دون عوضٍ تَسلَّمتْه، والتَّعجيل كان سنَّةَ السَّلَف لا يُعرف منهم غيرُهُ، ألا ترى إلى قوله عليه السلام لبعض الصَّحابة حين شكا حالةَ التَّزوُّج: «فأين دِرْعُك الحُطَميَّة؟»[١] وكذلك تخصيصُ ما مَلَكتْ يمينُه بقوله: «ممَّا أفاء الله عليك» لأنها إذا كانت سَبْيَةَ مالكها ممَّا غَنَّمه الله من أهل دار الحَرْب كانت أحلَّ وأطْيب مما يَشتري من الجَلَب، فما سُبي من دار الحرب قيل فيه: سَبْيٌ طِيَبَة، وممَّن له عَهْد قيل فيه: سَبْيٌ خِبْثَة، وفَيْءُ الله لا يُطلق إلا على الطَّيِّب دون الخبيث.

والظَّاهر أن قوله: «إنَّا أَحْلَلْنا لك أزواجَكَ» مخصوصٌ لفظُ «أزواجكَ» بمَن كانت في عِصْمته كعائشة وحَفْصة، ومَن تزوَّجها بمَهْر.

وقال ابن زيد: أي: مَنْ تزوَّجتَها بمَهْر، ومَن تتزوَّج، وجميع النّساء، حتى ذوات المَحارم، من مَمْهورة ورَقيق ووَاهِبة مخصوصة به، ثم قال بعد: «تُرجي مَن تشاء منهنّ» أي: من هذه الأصناف كلّها، ثم الضمير بعد ذلك يَعُمُّ إلى قوله: «ولا أنْ تَبَدَّل بهنّ من أزواج» فينقطع من الأوّل، ويعود على أزواجه التِّسع فقط. وفي التَّأويل الأوَّل تضييق.

وعن ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يتزوَّج في أيّ الناس شاء، وكان ذلك يَشُقُّ على نسائه، فلما نزلت هذه الآية وحُرِّم عليه بها النِّساء إلا مَن سُمِّي سُرَّ نساؤه بذلك[٢].

ومِلك اليمين إنما تَعَلَّقه في النَّادر[٣]، وبناتُ العَمّ ومَن ذُكر معهنّ يسير، ومَن يمكن أن يتزوَّج منهن مَحصورٌ عند نسائه، ولا سيّما وقد قُرِنّ بشرط الهجرة،

(١) أخرجه أحمد (٦٠٣)، والنسائي ٦/ ١٢٩-١٣٠ من حديث علي، وأبو داود (٢١٢٥)، والنسائي ٦/ ١٣٠، وابن حبان (٦٩٤٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٩١، وعنه القرطبي ١٧/ ١٧٩، وأخرجه الطبري ١٩/ ١٣٤.

(٣) في المحرر الوجيز ٤/ ٣٩١ (وعنه ينقل): إنما يفعله في النادر من الأمر.

والواهبةُ أيضاً من النّساء قليل؛ فلذلك سُرّوا بانْحصار الأمر، ثم مَجيء «تُرجي مَن تشاء منهنّ» إشارة إلى ما تقدَّم، ثم مجيء «ولا أنْ تَبَدَّل بهنَّ من أزواج» إشارة إلى أزواجه اللواتي تقدَّم النَّصُّ عليهن بالتحليل، فيأتي الكلامُ مُتَّسِقاً مُطَّرِداً أكثر من اطّراده على التأويل الآخَر.

«وبناتِ عَمّك» قالت أمُّ هانئ بنت أبي طالب: خَطَبني رسولُ الله ﷺ، فاعتَذَرْتُ إليه فعَذَرني، ثم نزلت هذه الآية فَحَرَّمَتْني عليه لأني لم أُهاجر معه، وإنما كنتُ من الطُّلَقاء(١).

والتخصيص بـ «اللاتي هاجَرْنَ معك» لأن مَن هاجَرْنَ معه من قَرابته غير المَحارم أفضل من غير المهاجرات.

وقيل: شَرْطُ الهجرة في التَّحليلَ مَنْسوخ.

وحكى الماورديّ في ذلك قولَين: أحدهما أنَّ الهجرةَ شرطٌ في إحلال الأزواج على الإطلاق، والثاني أنه شرطٌ في إحلال قَراباته المذكورات في الآية دون الأجنبيّات(٢).

والمَعيَّة هنا: الاشتراكُ في الهجرة لا في الصُّحبة فيها، يُقال: دَخَل فلانٌ معي وخرج معي، أي: كان عملُه كعملي وإنْ لم يَقترنا في الزَّمان، ولو قلت: خَرجْنا معاً اقتضى المعنيَيْن: الاشتراك في الفعل، والاقتران في الزَّمان، وأفرد العَمَّ والخال لأنه اسمُ جنس، والعمةُ والخالة ليستا كذلك، وهذا عُرْفٌ لغويّ. قاله أبو بكر بن العربي القاضي(٣).

«وامرأةً مؤمنةً» قال ابن عباس وقتادة: هي مَيْمونة بنت الحارث، وقال عليّ بن الحسين والضحّاك ومقاتل: هي أمُّ شَريك، وقال عروة والشعبي: هي زينب بنت خُزَيمة أمُّ المساكين امرأةٌ من الأنصار، وقال عروة أيضاً: هي خَوْلَة بنت حَكيم بن الأوْقَص السُّلَمِيّة. واختُلف في ذلك فعن ابن عباس: لم

(١) أخرجه ابن سعد ١٠/ ١٤٧، والترمذي (٣٢١٤)، والطبري ١٩/ ١٣٠-١٣١.
(٢) النكت والعيون ٤/ ٤١٤، وعنه زاد المسير ٦/ ٤٠٤.
(٣) في أحكام القرآن ٣/ ١٥٤٤-١٥٤٥، وعنه تفسير القرطبي ١٧/ ١٨١.

يكن عند رسول الله ﷺ أحدٌ منهنَّ بالهِبة، وقيل: الموهوبات أربع: ميمونة بنت الحارث ومَن ذُكر معها قبلُ[(١)].

وقرأ الجمهور: «وامرأةً مؤمنةً» بالنّصب «إنْ وهَبَت» بكسر الهمزة، أي: أحْلَلْناها لك إنْ وَهَبَتْ «إنْ أراد»، فهما شرطان، والثاني في معنى الحال شرطٌ في الإحلال هبتَها نفسَها وفي الهبة إرادة استنكاح النبي، كأنه قال: أحْلَلْناها لك إنْ وَهَبت لك نفسَها وأنت تُريدُ أنْ تستنكحها، لأن إرادته هي قَبول الهِبةِ وما به تتمّ، وهذان الشَّرطان نظيرُ الشرطَيْن في قوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤].

وإذا اجتمع شَرْطان فالثاني شرطٌ في الأوّل، متأخِّرٌ في اللفظ متقدِّمٌ في الوقوع ما لم تدلّ قَرينة على التَّرتيب، نحو: إنْ تزوجتُك إنْ طلّقتُك فعَبْدي حُرٌّ. واجتماع الشَّرْطَين مسألةٌ فيها خلافٌ وتفصيل، وقد استوفينا ذلك في «شرح التسهيل» في باب الجوازم[(٢)].

وقرأ أبو حَيْوَة: «وامرأةٌ مؤمنةٌ» بالرفع على الابتداء والخبر محذوف، أي: أحْلَلْناها لك»[(٣)].

وقرأ أُبيّ والحسن والشَّعبي وعيسى وسلّام: «أنْ» بفتح الهمزة[(٤)]، وتقديره: لأنْ وَهبتْ، وذلك حُكْمٌ في امرأةٍ بعينها فهو فعل ماض، وقراءةُ الكسر استقبالٌ في كلِّ امرأةٍ كانت تَهَبُ نفسَها دون واحدةٍ بعينها.

---

(١) انظر الأقوال السابقة في تفسير الطبري ١٩/ ١٣٤-١٣٦، والثعلبي ٥/ ١٢٢، والماوردي ٤/ ٤١٤-٤١٥، والقرطبي ١٧/ ١٨١-١٨٣، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٦١، والكشاف ٣/ ٢٦٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٩١-٣٩٢، وزاد المسير ٦/ ٤٠٥-٤٠٦.

(٢) طبع من التذييل والتكميل شرح التسهيل لأبي حيان ثمانية أجزاء، ولم يطبع ما يتعلق بالجوازم، وانظر مختصره ارتشاف الضرب ١٨٨٤-١٨٨٥.

(٣) مختصر في الشواذ ١٢٠.

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ١٣٣، ومختصر في الشواذ ١٢٠، والمحتسب ٢/ ١٨٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٢٠، ومعاني القرآن له ٥/ ٣٦٢، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٢٢، والقرطبي ١٧/ ١٨٣، والكشاف ٣/ ٢٦٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٩٢.

وقرأ زيد بن عليّ: «إذْ وَهَبَتْ»[١] إذْ ظرفٌ لما مضى، فهو في امرأةٍ بعينها.

وعَدَلَ عن الخطاب إلى الغَيْبة في «للنبيّ إنْ أراد النبيُّ» ثمّ رجع إلى الخِطاب في قوله: «خالصةً لك» للإيْذان بأنه مما خُصَّ به وأوثر، ومجيئه على لفظ النبيّ للدَّلالة على أن الاختصاص تَكرِمةٌ له لأجل النُّبوَّة، وتكريرهُ تفخيمٌ له وتقريرٌ لاستحقاقه الكرامةَ لنبوَّته.

واستنكاحُها: طلَبُ نكاحِها والرَّغبةُ فيه.

والجمهور على أن التَّزويج لا يجوز بلفظ الإجارة، ولا بلفظ الهِبة.

وقال أبو الحسن الكَرْخي: يجوز بلفظ الإجارة؛ لقوله: «اللاتي آتيتَ أُجورَهنَّ» وحُجَّةُ مَن منع أن عقد الإجارة مؤقت وعقد النكاح مؤبد فتنافيا.

وذهب أبو حنيفة وصاحباه إلى جواز عَقْد النّكاح بلفظ الهِبة إذا وَهَبَتْ فأشهد على نفسه بمَهْر؛ لأن رسول الله ﷺ وأمَّته سواء في الأحكام إلا فيما خَصَّه الدَّليل.

وحجّةُ الجمهور أنه عليه السلام خُصَّ بمعنى الهبةِ ولفظِها جميعاً لأن اللفظ تابعٌ للمعنى، والمدعي للاشتراك في اللَّفظ يحتاج إلى دليل[٢].

وقرأ الجمهور: «خالصةً» بالنَّصب، وهو مصدرٌ مؤكِّد كوَعْد الله وصِبْغة الله، أي: خَلَص لك إحلالُ ما أحلَلْنا لك خالصةً بمعنى خُلوصاً، ويجيء المصدرُ على فاعل وعلى فاعلة، وقال الزمخشري: والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزَيْن، كالخارج والقاعِد، والعاقِبة والكاذبة[٣]. انتهى.

وليس كما ذكر، بل هما عَزيزان، وتمثيله كالخارج يُشير إلى قول الفرزدق:

---

(١) ذكرها السمين في الدر ٩/ ١٣٥، والآلوسي ٢١/ ٣٩٥.
(٢) انظر أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٣٦٥، والكشاف ٣/ ٢٦٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٩٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٨٥.
(٣) الكشاف ٣/ ٢٦٨.

ولا خـــارِجـــاً مـــن فـــيَّ زُورُ كـــلامِ[١]

والقاعد إلى أحد التأويلَيْن في قوله: أقاعداً وقد سار الرَّكْب، والكاذبة إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢]، وقد تُتأوَّل هذه الألفاظ على أنها ليست مصادر.

وقرئ «خالصةٌ» بالرَّفع، فمَن جعله مصدراً قدَّره: ذلك خُلوصٌ لك وخصوصٌ من دون المؤمنين[٢].

والظَّاهر أن قولَه: «خالصةً لك» من صفة الواهبة نفسَها لك، فقراءة النصب على الحال. قاله الزجَّاج[٣]، أي: أحْلَلْناها خالصةً لك، والرفع خبرُ مبتدأ، أي: هي خالصةٌ لك، أي: هِبةُ النّساء أنفسهنَّ مختصٌّ بك لا يجوز أنْ تهبَ المرأةُ نفسَها لغيرك، وأجمعوا على أن ذلك غير جائزٍ لغيره عليه الصلاة والسلام.

ويظهر من كلام أُبيٍّ بن كعب أن معنى قوله: «خالصةً لك» يُرادُ به جميعُ هذه الإباحة؛ لأن المؤمنين قُصِروا على مَثْنى وثُلاثَ ورُباع[٤].

وقال الزمخشري: والدَّليلُ على أنها وردت في أثر الإحلالات الأربع مخصوصةً برسول الله ﷺ على سبيل التَّوكيد لها قولُهُ: «قد عَلِمْنا ما فَرَضْنا عليهم في أزواجهم وما مَلكتْ أيمانُهم» بعد قوله: «من دون المؤمنين» وهي جملة اعتراضية، وقوله: «لكيلا يكونَ عليك حَرَجٌ» مُتَّصلٌ بـ «خالصةً لك من دون المؤمنين» في الأزواج والإماء[٥]، وعلى أيِّ حَدٍّ وصفةٍ يجب أن يُفرَضَ عليهم، ففَرَضَه وعَلم المصلحةَ في اختصاص رسول الله ﷺ بما اختَصَّه به ففعل.

(١) صدره: على حَلْفَةٍ لا أشتمُ الدهرَ مُسلماً
وهو في ديوانه ٧٦٩، والكتاب ١/ ٣٤٦، وكتاب الشعر ٣٦٨، وشرح أبيات مغني اللبيب ٦/ ٢٤١، ومختار تذكرة أبي علي الفارسي ٢٨٩ والمصادر في حواشيها.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٦٩.
(٣) في معاني القرآن ٤/ ٢٣٣.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٩٢، وأخرج كلام أبيّ: الطبري ١٩/ ١٣٤.
(٥) في الكشاف ٣/ ٢٦٩: من دون المؤمنين، ومعنى هذه الجملة الاعتراضية أن الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء.

ومعنى «لكيلا يكونَ عليك حَرَجٌ» أي: لئلا يكون عليك ضِيقٌ في دينك حيث اختَصَصْناك بالتنزيه واختيار ما هو أولى وأفضل في دُنياك؛ حيث أحْلَلْنا لك أجناسَ المَنْكوحات، زِدْنا لك الواهبةَ نفسَها، ومَن جعل «خالصةً» نعتاً للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأةُ خالصة لك من دونهم. انتهى.

والظّاهر أن «لكيلا» مُتعلّقٌ بقوله: «أحْلَلْنالك أزواجَك» وقال ابن عطية: «لكيلا يكون» أي: بَيَّنَّا هذا البيانَ وشَرَحْنا هذا الشَّرح لكي لا يكونَ عليك حَرَجٌ، ويُظَنَّ بك أنك قد أَثِمْتَ عند ربِّك، ثم آنَسَ جميعَ المؤمنين بغفرانه ورحمته[١].

وقال الزمخشري: «غَفوراً» للواقع في الحَرَج إذا تاب «رحيماً» بالتَّوسِعَة على عباده[٢]. انتهى. وفيه دَسيسةُ الاعتزال.

وقيل: «قد علمنا ما فَرَضْنا عليهم» الآية معناه: أنَّ ما ذَكَرْنا فَرْضَك وحُكْمَك مع نسائك، وأما حكم أمَّتك فعندنا عِلمُهُ، ونُبَيِّنُه لهم، وإنما ذَكر هذا لئلّا يَحمل واحدٌ من المؤمنين نفسَه على ما كان للنبي ﷺ، فإن له في النّكاح والتَّسَرّي خصائصَ ليست لغيره[٣].

وقال مجاهد: «ما فَرَضْنا عليهم» هو أنْ لا يُجاوزَ أربعاً. وقال قتادة: هو الوَليُّ والشُّهود والمَهْر. وقيل: «ما فَرَضْنا» من المَهْر والنَّفَقة والكسوة[٤].

«وما مَلَكت أيمانُهم» قيل: لا يَثْبُتُ الملك إلا إذا كانت ممَّن يجوز سَبْيُها. وقيل: ما أبَحْنا لهم من ملك اليمين مع الأربع الحرائر من غير عددٍ مَحصور، والمعنى: قد عَلِمنا صَلاحَ كلٍّ منك ومن أمَّتك، وما هو الأصلحُ لك ولهم، فشَرَّعنا في حَقِّك وحَقِّهم على وَفْق ما علمنا.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٩٢.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٦٩.
(٣) التفسير الكبير ٢٥/ ٢٢٠.
(٤) تفسير الطبري ١٩/ ١٣٧، والثعلبي ٥/ ١٢٢، والماوردي ٤/ ٤١٥، والقرطبي ١٧/ ١٨٩، ومعاني القرآن ٥/ ٣٦٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٢٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٩٢، وزاد المسير ٦/ ٤٠٦.

رُوي أن أزواجَه عليه السلام لمّا تغايَرْن وابتغَيْنَ زيادةَ النّفقةِ هَجَرهُنَّ شهراً، ونزل التَّخييرُ، فأشفقْنَ أن يُطلِّقَهنَّ فقُلْنَ: يا رسول الله، افْرِض لنا من نفسك ومالك ما شئت[1].

وتقدَّم الكلام في معنى «تُرْجي» في قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ في سورة براءة [الآية:١٠٦].

والظَّاهر أن الضمير في «منهنّ» عائدٌ على أزواجه عليه السلام.

والإرجاء: الإيواء، قال ابن عباس والحسن: في طلاق مَن تشاء ممَّن حَصَل في عِصْمتك، وإمساك مَن تشاء.

وقالت فرقة: في تزوُّج مَن تشاء من الواهبات وتأخير مَن تشاء.

وقال مجاهد وقتادة والضحاك: وتُقَرِّب من شئتَ في القِسْمةِ لها من نفسك، وتؤخّر عنكَ مَن شئت، وتُقِلُّ لمَن شئتَ وتُكثِرُ لمن شئت، لا حَرَجَ عليك في ذلك، فإذا عَلِمْنَ أن هذا حُكمُ الله وقضاؤه زالت الأَنَفَةُ والغَيْرةُ عنهنَّ، ورَضِينَ وقَرَّت أعينُهنّ، وهذا مناسبٌ لما رُوي في سبب هذه الآية المتقدِّم ذِكرُه[2].

«ومَن ابتَغَيْتَ ممَّن عَزَلْت» أي: ومَن طَلَبْتَها من المَعْزولات وهُنَّ المُفْرَدات[3] فلا جُناحَ عليك في رَدّها وإيوائها إليك.

ويجوز أن يكون ذلك توكيداً لما قبلَه، أي: ومَن ابتغيتَ ممَّن عزلْتَ ومَنْ عزلتَ سواء، لا جُناحَ عليك، كما تقول: مَن لقيَكَ ممَّن لم يلْقَك جميعُهم لك شاكر، تريد: مَن لَقِيَك ومَنْ لم يلْقَك[4].

وفي هذا الوجه حذفُ المعطوف، وغَرابةٌ في الدَّلالة على هذا المعنى بهذا التركيب، والرَّاجح القولُ الأوَّل.

---

(١) أخرجه الطبري ١٩/ ١٣٩.

(٢) انظر الأقوال في: تفسير الطبري ١٩/ ١٣٨-١٤٠، والثعلبي ٥/ ١٢٣، والماوردي ٤/ ٤١٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٩٣، وزاد المسير ٦/ ٤٠٧.

(٣) في (يه): المؤخرات.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٩٣.

وقال الحسن: المعنى مَن مات من نسائك اللواتي عندك أو خلَّيتَ سبيلَها فلا جُناحَ عليك في أن تستبدِلَ عوَضها من اللاتي أحلَلْتُ لك، فلا تزداد على عِدَّةِ نسائك اللاتي عندك.

وقال الزمخشري: بمعنى: تترك مُضاجَعة مَن تشاءُ منهنّ، وتُضاجع مَن تشاء، أو تُطلّقُ مَن تشاء وتُمسك مَن تشاء، أو لا تَقسم لأيَّتهنّ شئتَ وتقسم لمَن شئت، أو تترك تَزَوُّجَ مَن تشاء من نساءِ أُمَّتك وتتزوَّجُ مَن شئت.

وعن الحسن: كان النبيُّ ﷺ إذا خَطَبَ امرأةً لم يكن لأحدٍ أن يَخطُبها حتى يَدَعَها.

وهذه قسمةٌ جامعةٌ لما هو الغَرَض؛ لأنه إمَّا أن يُطلّقَ وإما أن يُمْسِكَ، فإذا أمسكَ ضاجعَ أو تركَ، وقسَم أو لم يَقْسِم، وإذا طَلَّق وعَزلَ فإمَّا أنْ يُخَلّي المعزولةَ لا يبتغيها أو يبتغيها.

ورُوي أنه أرجأ منهن سَوْدَة وجُوَيْرية وصَفِيّة ومَيْمونة وأمَّ حَبيبة، فكان يقسِم لهنَّ ما شاء كما شاء، وكانت ممَّن أوى إليه عائشةُ وحفصةُ وأمُّ سَلَمَة وزَيْنَب، أرجأ خمساً وآوى أربعاً.

ورُوي أنه كان يُسَوِّي بينهنَّ مع ما أُطلِقَ له وخُيِّر فيه؛ إلا سَوْدَةَ فإنها وَهَبت ليلَتَها لعائشة وقالت: لا تُطلِّقْني حتى أُحشَرَ في زُمْرَةِ نسائك[١]. انتهى.

«ذلك» التَّفويضُ إلى مَشيئتِكَ «أدْنَى» إلى قُرَّةِ عُيونهنّ، وانتفاءِ حُزنهنَّ، ووجودِ رِضاهُنَّ إذْ علمنَ أن ذلك التَّفويضَ من عند الله، فحالةُ كلٍّ منهنَّ كحالةِ الأُخرى في ذلك.

وقرأ الجمهور: «أنْ تَقَرَّ أعيُنُهنَّ» مَبنيًّا للفاعل، من قَرَّتِ العينُ، وابن مُحَيصن: «تُقِرَّ» من أقَرَّ «أعيُنَهنَّ» نَصْب، وفاعل تُقِرَّ ضميرُ الخِطاب، أي: أنت[٢].

---

(١) الكشاف ٣/٢٦٩، وانظر تفسير الطبري ١٩/١٤٠-١٤١، والثعلبي ٥/١٢٣، والماوردي ٤/٤١٦، والقرطبي ١٧/١٩٠، ومعاني القرآن للنحاس ٥/٣٦٥، والمحرر الوجيز ٤/٣٩٣.

(٢) مختصر في الشواذ ١٢٠، والمحرر الوجيز ٤/٣٩٣، وزاد المسير ٦/٤٠٨.

وقرئ: «تُقَرَّ» مبنيًّا للمفعول «أعينُهنَّ» رَفْعٌ[١].

وقرأ الجمهور: «كلُّهنَّ» بالرفع تأكيداً لنون «يَرْضَيْنَ»، وأبو أُناس جُوَيَّة بن عائذ بالنَّصْب تأكيداً لضمير النَّصب في «آتَيْتَهُنَّ»[٢].

«والله يَعلم ما في قلوبكم» عام، قال ابن عطية: والإشارة به ههنا إلى ما في قلب رسول الله ﷺ من محبةِ شخصٍ دون شخص، ويدخل في المعنى المؤمنون[٣].

وقال الزمخشري: وَعيدٌ لمن لم تَرْضَ منهن بما دَبَّر الله من ذلك وفَوَّض إلى مشيئة رسوله، وبعث على تواطؤ قلوبهنَّ، والتصافي بينهن، والتوافُقِ على طلب رضا رسول الله ﷺ، وما فيه طيبُ نَفْسِهِ[٤]. انتهى.

«وكان الله عليماً» بما انطوت عليه القلوب «حليماً» يَصفحُ عمَّا يَغلِبُ على القلب من المسؤول إذ هي مما لا يُملَك غالباً.

واتَّفقت الروايات على أنه عليه الصلاة والسلام كان يَعْدِل بينهن في القسْمة حتى مات، ولم يستعمل شيئاً مما أُبيح له ضبطاً لنفسه، وأخذاً بالفضل، غير ما جَرى لسَوْدة مما ذكرناه.

«لا تَحِلُّ لك النساءُ من بعدُ» الظاهر أنها مُحْكَمةٌ، وهو قول أُبيّ بن كعب وجماعة منهم الحسن وابن سيرين واختاره الطبري[٥].

و«من بعدُ» المحذوف منه[٦] مُختلَفٌ فيه، فقال أُبيّ وعكرمة والضحَّاك: من بعد اللواتي أحلَلْنا لك في قوله: «إنا أحْلَلْنا لك أزواجَكَ»، فعلى هذا المعنى:

---

(١) ذكرها الزمخشري ٣/ ٢٦٩، والقرطبي ١٧/ ١٩٢.

(٢) مختصر في الشواذ ١٢٠، والمحتسب ٢/ ١٨٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٩٣، وأبو أناس له ترجمة في طبقات القراء لابن الجزري ١/ ١٩٩.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٩٣.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٦٩.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٩/ ١٤٧-١٤٨، ١٥٠، وأحكام القرآن للرازي ٣/ ٢٦٨، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٥٨٩-٥٩١، وتفسر القرطبي ١٧/ ١٩٧.

(٦) في (يه): منهم.

لا تَحِلُّ لك النساءُ من بعدِ النساءِ اللاتي نُصَّ عليهن أنهن يَحْلِلْن لك من الأصناف الأربعة؛ لا أعرابيَّة ولا عَرَبية ولا كتابيَّة ولا أمة بنِكاح.

وقال ابن عباس وقتادة: من بعد التِّسع؛ لأنَّ التِّسعَ نِصابُ رسول الله من الأزواج، كما أن الأربعَ نِصابُ أُمتِهِ منهنَّ، قالا: لمّا خُيِّرْنَ فاختَرْنَ الله ورسولَه جازاهُنَّ الله أن حَظَر عليه النساءَ غيرَهُنَّ وتَبْديلَهُنَّ، ونَسخ بذلك ما أباحَهُ له قبلُ من التَّوسِعةِ في جميع النساء.

وقال مجاهد وابن جُبَير ورُوي عن عكرمة: «من بعدُ» أي: من بعد إباحةِ النساءِ على العُموم، «ولا تَحِلُّ لك النِّساءُ» أي: غيرُ المُسْلِمات من يهوديَّةٍ ولا نَصرانيَّة، وكذلك «ولا أنْ تَبَدَّلَ بهنَّ من أزواج» أي: بالمُسْلمات من أزواجٍ يهوديَّات ونَصرانيات.

وقيل في قوله: «ولا أنْ تَبَدَّلَ» هو من البَدَل الذي كان في الجاهليَّة، كان يقول الرَّجلُ للرجل: بادِلْني بامرأتك وأُبادلك بامرأتي، فيَنزلُ كلٌّ واحدٍ منهما عن امرأته للآخَر، قال معناه ابنُ زيد وأنه كان في الجاهلية.

وأنكر هذا القولَ الطبريُّ وغيرُهُ في معنى الآية[1]، وما فعلَتِ العربُ قطُّ هذا، وما رُوي من حديث عُيَيْنَةَ بن حِصْن أنه قال لرسول الله ﷺ حين دَخَل عليه بغير استئذان وعنده عائشة: مَن هذه الحُمَيْراء؟! فقال: «عائشة»، فقال عُيينة: يا رسول الله، إن شئتَ نزلتُ لك عن سيِّدةِ نساءِ العرَبِ جَمالاً ونَسَباً[2]، فليس بتَبْديل، ولا أراد ذلك، وإنما احتَقَر عائشةَ لأنها كانت صَبِيَّة.

ومِن في «من أزواج» زائدةٌ لتأكيد النَّفي، وفائدتُهُ استغراقُ جِنْس الأزواج بالتَّحريم.

---

(١) انظر الأقوال السالفة وإنكار الطبري في: تفسير الطبري ١٩/ ١٤٧-١٥٣، والثعلبي ٥/ ١٢٤-١٢٥، والماوردي ٤/ ٤١٦-٤١٧، والقرطبي ١٧/ ١٩٧-١٩٩، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٦٨-٣٦٩، والناسخ والمنسوخ له ٢/ ٥٩١-٥٩٢، والكشاف ٣/ ٢٧٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٩٤، وزاد المسير ٦/ ٤٠٩-٤١٠.

(٢) أخرجه البزار (٢٢٥١) (كشف الأستار)، والدارقطني في سننه (٣٥١٣)، والثعلبي ٥/ ١٢٥ من حديث أبي هريرة ﷺ، وفيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة متروك، انظر تهذيب التهذيب.

وقيل: الآية مَنْسوخة، واختُلف في الناسخ، فقيل: بالسّنة، قالت عائشة: ما مات حتى أُحِلَّ له النساء. ورُوي ذلك عن أمِّ سَلَمة، وهو قولُ عليٍّ وابنِ عباس والضَّحَّاك.

وقيل: بالقرآن وهو قولُهُ: «تُرجي مَن تشاء منهنَّ» الآية. قاله هِبةُ الله الضَّرير في «النَّاسخ والمنسوخ» له، وقال: ليس في كتاب الله ناسِخٌ تقدَّمَ المنسوخَ سوى هذا، قال ابن عطية: وكلامُهُ يُضَعَّف من جِهات[1]. انتهى.

وقيل: قولُهُ: «إنا أحْلَلْنا لك أزواجَك» الآية، فترتيب النُّزول ليس على ترتيبِ كتابةِ المصحف[2].

وقد رُوي عن ابن عباس القولان: أنها مُحكمة، وأنَّها منسوخة.

«ولو أعجَبَكَ حُسْنُهنَّ» قيل: منهن أسماءُ بنت عُمَيْس الخَثْعَميَّة امرأةُ جعفر بن أبي طالب[3].

والجملةُ قال الزمخشري: في موضعِ الحالِ من الفاعل، وهو الضمير في «تَبَدَّلَ»، لا من المفعول الذي هو «من أزواج» لأنه مُوغِلٌ في التنكير، وتقديره: مَفروضاً إعجابُك بهنَّ[4]. انتهى.

وتقدَّم لنا[5] في مثل هذا التَّركيب أنه معطوفٌ على حالٍ محذوفةٍ، أي: ولا أنْ تَتَبدَّلَ بهنَّ من أزواجٍ على كلِّ حالٍ، ولو في هذه الحال التي تقتضي التَّبَدُّلَ وهي حَالةُ الإعجابِ بالحُسْنِ.

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٩/ ١٥٤-١٥٥، والثعلبي ٥/ ١٢٥، والقرطبي ١٧/ ١٩٦-١٩٧، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٦٧-٣٦٨، والناسخ والمنسوخ له ٢/ ٥٨٦-٥٨٨، والكشاف ٣/ ٢٧٠، وزاد المسير ٦/ ٤١١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٩٣ وعنه نقل كلام هبة الله الضرير.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٧٠.

(٣) ذكره البغوي ٣/ ٥٣٩، والقرطبي ١٧/ ١٩٩ عن ابن عباس، وضعفه ابن العربي في أحكام القرآن ٣/ ١٥٥٨، وذكره الثعلبي ٥/ ١٢٥، والزمخشري ٣/ ٢٧٠، وابن عطية ٤/ ٣٩٤ دون نسبة.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٧٠.

(٥) في تفسير الآية (٢٢١) من سورة البقرة.

قال ابن عطية: وفي هذا اللفظ «أعجَبَكَ حُسْنُهنَّ» دليلٌ على جوازِ أنْ ينظرَ الرّجُلُ إلى مَنْ يريد زواجَها[١]. انتهى.

وقد جاء ذلك في السُّنَّةِ من حديثِ المُغيرةِ بن شُعبة وحديث محمد بن مَسْلَمة[٢].

«إلا ما ملَكَتْ يمينُك» أي: فإنه يحلُّ لك.

و«ما» إنْ كانت موصولةً واقعةً على الجنس فهو استثناء من الجِنس، يُختار فيه الرفعُ على البَدَل من النساء، ويجوز النصبُ على الاستثناء، وإن كانت مصدريَّةً ففي موضع نصب لأنه استثناء من غير الجنس الأول، قاله ابن عطية[٣]. وليس بجيِّد لأنه قال: والتقدير: إلا مِلكَ اليمين، ومِلك بمعنى مَمْلوك، فإذا كان بمعنى مملوك صار من جملةِ النساء؛ لأنه لم يُرِدْ حقيقةَ المصدر، فيكون الرّفعُ هو أرجَح، ولأنه قال: وهو في موضع نصب، ولا يتحتَّم أن يكون في موضع نصب ولو فرضْنا أنه من غير الجنس حقيقةً، بل الحجاز تنصِب، وتميم تُبدِل، لأنه مُستثنىً يمكن توجُّهُ العامل عليه، وإنما يكون النصبُ مُتَحَتِّماً حيث كان المستثنى لا يمكن توجُّه العاملِ عليه، نحو: ما زاد المالُ إلا النقصَ، فلا يمكن توجُّهُ الزيادة على النقص ولأنه قال: استثناء من غير الجنس، وقال: ملك بمعنى مملوك فناقض.

«وكان الله على كل شيءٍ رَقيبا» أي: راقِباً، أو مُراقِباً[٤]، ومعناه: حافظٌ وشاهدٌ ومُطَّلعٌ، وهو تحذيرٌ عن مُجاوزة حُدوده، وتَخَطّي حَلاله إلى حرامه.

❊ ❊ ❊

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٩٤.

(٢) أخرج خبر المغيرة بن شعبة أحمد في مسنده (١٨١٣٧)، والثعلبي ٥/ ١٢٥-١٢٦، وانظر تمام تخريجه في المسند، وأخرج خبر محمد بن مسلمة أحمد في مسنده (١٦٠٢٨)، والثعلبي ٥/ ١٢٦، وإسناده ضعيف كما ذكر محققو المسند، وذكرهما ابن عطية ٤/ ٣٩٤، والقرطبي ١٧/ ١٩٩، ٢٠٠.

(٣) في المحرر الوجيز ٤/ ٣٩٤.

(٤) وقع في (ت) خرم ينتهي عند تفسير الآية (١٢) من سورة سبأ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾﴾.

في الصّحيحين عن أنس أنه ﷺ لمّا تزوَّج زينبَ بنت جَحْش دعا القومَ فطَعِموا، ثم جلسوا يتحدّثون، فأخذ كأنه يَتهيَّأ للقيام، فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، وقام من القوم مَن قام وقَعد ثلاثةٌ، فجاء فدخل، فإذا القوم جلوسٌ فرجع، وإنهم قاموا فانطلقوا، وجئتُ فأخبرتُه أنّهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، وذهبتُ أدخلُ فأُلقي الحجابُ بيني وبينه، وأنزل الله عليه هذه الآية[1].

وقال ابن عباس: كان ناسٌ يتحيَّنون طعامَه عليه الصلاة والسلام، فيدخلون عليه قبلَ الطَّعام إلى أن يُدرِك، ثم يأكلون ولا يخرجون، وكان يتأذَّى بهم، فنزلت[2].

وأما سببُ الحِجاب فعُمر؛ قال: يا رسول الله، إن نساءك يدخلُ عليهنَّ البَرُّ والفاجر، فلو أمَرتهنَّ أن يَحْتجبْنَ، فنزلت[3].

وقال مجاهد: طَعِم معه بعضُ أصحابه ومعهم عائشة، فمسَّت يدُ رجلٍ منهم يدَ

(١) صحيح البخاري (٤٧٩١)، وصحيح مسلم (١٤٢٨) (٩٢)، وأخرجه أحمد (١٢٠٢٣).
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٩٥، وزاد المسير ٦/ ٤١٣، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٠٣. وأدرك الطعامُ: نضج.
(٣) قطعة من حديث أنس ﷺ، أخرجه أحمد (١٥٧)، والبخاري (٤٠٢).

عائشة، فكره ذلك عليه السلام، فنزلت آيةُ الحجاب[١].

ولما كان نزولُ الآية في شيءٍ خاصٍّ وَقَع للصحابة لم يدلَّ ذلك على أنه لا يجوز دُخولُ بيوت النبيِّ إلا إنْ كان عن إذْنٍ إلى طعام غيرِ ناظرينَ إناه، بل لا يجوزُ دخولُ بيوته عليه السلام إلا بإذْنٍ؛ سواء كان لطعامٍ أم غيره، وأيضاً فإذا كان النَّهْيُ إلا بإذنٍ إلى طعامٍ وهو ما تَمَسُّ الحاجةُ إليه؛ فَلأنْ يحتاجَ إلى الإِذْنِ فيما لا تَمَسُّ الحاجةُ إليه بجهةِ الأَوْلَى.

و«بيوتَ» جمع وإنْ كانت الواقعةُ في بيتٍ واحدٍ خاصٌّ يَعُمُّ جميعَ بيوته.

و«إلا أنْ يُؤذَنَ» قال الزمخشري: إلا أن يُؤذَنَ في معنى الظَّرف، تقديرُهُ: وقتَ أنْ يؤذَنَ لكم، «وغيرَ ناظِرينَ» حالٌ من «لا تَدْخلوا» وَقَعَ الاستثناءُ على الوقتِ والحالِ معاً، كأنه قيل: لا تدخلوا بيوتَ النبيِّ إلا وقتَ الإذْنِ، ولا تدخلوها إلا غيرَ ناظرين إناه[٢]. انتهى.

أمَّا أنْ يؤذَنَ[٣] في معنى الظَّرْف، وتقديره: وقتَ أنْ يؤذَنَ لكم، وأنَّه أوقع الاستثناءَ على الوقتِ فليس بصحيح، وقد نصُّوا على أنَّ «أنْ» المصدريَّة لا تكون في معنى الظَّرف، تقول: أجيئُكَ صياحَ الدِّيك وقدومَ الحَاجِّ، ولا يجوز: أجيئُكَ أنْ يصيحَ الدِّيك ولا أن يَقدمَ الحاجّ.

وأمَّا أنَّ الاستثناءَ وقعَ على الوقتِ والحالِ معاً فلا يجوز على مذهب الجمهور، لا يقعُ بعد إلَّا في الاستثناء إلا المُستثنى أو المُستثنى منه أو صفةُ المستثنى منه، وأجاز الأخفشُ والكسائيُّ ذلك في الحال، أجازا: ما ذهب القومُ إلا يومَ الجمعةِ راحلين عنّا، فيجوزُ ما قاله الزمخشري في الحال.

وأما قوله: إلا أنْ يُؤذنَ؛ فلا يتعيَّنُ أن يكون ظرفاً؛ لأنه يكونُ التقدير: إلا بأنْ يؤذنَ لكم، فتكون الباء للسَّبب، كقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ [الأعراف: ٥٧]، أو للحال، أي: مَصحوبينَ بالإِذْن.

(١) أخرجه الطبري ١٩/ ١٦٧، والثعلبي ٥/ ١٢٨، والواحدي في أسباب النزول ٣٧٩.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٧٠.
(٣) في المطبوع: فقوله إلا أن يؤذن.

وأمّا «غير ناظِرين» فحالٌ، والعاملُ فيه محذوف، تقديره: ادخلوا بالإذن غيرَ ناظِرين، كما قُدِّر في قوله: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ [النحل: ٤٤]، أي: أرسلناهم بالبيِّنات والزُّبُر، دلَّ عليه «لا تدخلوا» كما دلَّ على أرسلناهم قولُهُ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ [النحل: ٤٣].

ومعنى «غيرَ ناظِرين إناه» أي: غيرَ مُنتظِرين وقتَه، أي: وقتَ استوائه وتَهيئته.

وقرأ الجمهور: «غيرَ» بالنصب على الحال، وابنُ أبي عَبْلَة بالكسر صفةً لـ «طعام»[١]. قال الزمخشري: وليس بالوَجْهِ لأنه جَرى على غير مَنْ هو له، فمن حقِّ ضمير ما هو له أن يبرز إلى اللفظ فيقال: غيرِ ناظِرين إناه أنتم، كقوله: هندٌ زيدٌ ضاربتُهُ هي[٢]. انتهى.

وحذفُ هذا الضَّمير جائزٌ عند الكوفيين إذا لم يُلْبِس[٣].

وإِنَى الطَّعامِ: إدْراكُهُ، يقال: أَنَى الطَّعامُ إنىً؛ كقولك: قَلاه قِلىً، وقيل: وَقْتُه، أي: غيرَ ناظِرين ساعةَ أكْلِهِ.

وقرأ الجمهور: «إناه» مُفرداً، والأعمش[٤]: «آناءه» جمع إنىً بمَدَّةٍ بعد النُّون[٥].

ورتَّب تعالى الدخول على أنْ يُدْعَوا، فلا يُقدِمون على الدُّخول حتى يُدْعَوا، ثم أمر بالانتشار إذا طَعِموا.

«ولا مُستأنِسين لحديثٍ» معطوفٌ على «ناظِرينَ إناه» فهو مجرور، أو معطوف على «غيرَ» فهو منصوبٌ، أي: لا تدخلوها لا ناظِرين ولا مُستأنِسين. وقيل: ثَمَّ حالٌ محذوفةٌ، أي: لا تدخلوا هاجِمين ولا مستأنسين، فيُعطَف عليه.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٧١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٩٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٠٦.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٧١.
(٣) انظر الإنصاف لابن الأنباري ١/ ٥٧ فما بعدها، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٥٥.
(٤) وقع هنا في (د٣) خرم ينتهي عند تفسير الآية السادسة من سورة سبأ.
(٥) قيدها السمين في الدر ٩/ ١٣٩ بقوله: جمعاً على أفعال، فأبدلت الهمزة الثانية ألفاً.. والقراءة في المحرر الوجيز ٤/ ٣٩٦.

واللام في «الحديثِ» إمَّا لامُ العِلَّة؛ نُهوا أن يُطيلوا الجلوسَ يَستأنسُ بعضُهم ببعض لأجلِ حديثٍ يُحدِّثُهُ به، أو اللامُ المُقَوِّيةُ لطَلب اسمِ الفاعل للمفعول، فنُهوا أن يَستأنِسوا حديثَ أهل البيت، واستئناسُهُ: تَسَمُّعُه وتَوَجُّسُه.

«إنَّ ذلكم» أي: انتظارَكم واستئناسَكم «يُؤذي النبيَّ فيَستحي منكم» أي: من إنْهاضِكم من البيوت، أو من إخراجِكم منها بدليل قوله: «والله لا يَستحي من الحقّ» يعني أنَّ إخراجَكم حقٌّ ما ينبغي أن يُستحيا منه.

ولما كان الحياء ممَّا يَمنعُ الحَيِيَّ من بعض الأفعال قيل: لا يستحيي من الحقّ، بمعنى لا يَمتنع، وجاء ذلك على سبيل المُقابَلة لقوله: «فيستحي منكم».

وعن عائشة[١] وابن عباس: حَسْبُكَ في الثُّقَلاء أنَّ الله لم يَحْتَمِلْهم.

وقرئت هذه الآيةُ بين يدي إسماعيل بن أبي حَكيم فقال: هذا أدبٌ أدَّبَ الله به الثُّقَلاء[٢].

وقرأت فرقةٌ: «فيستحي» بكسر الحاء مضارع استحى، وهي لغةُ بني تميم. واختلفوا ما المحذوفةُ: أعينُ الكلمةِ أم لامُها؟ فإنْ كان العين فوزنُها يَسْتَفِل، وإنْ كان اللام فوزنُها يَسْتَفِع، والتَّرجيحُ مَذكورٌ في النحو. وقرأ الجمهور بياءين وسكون الحاء[٣].

والمَتاع: عامٌّ في ما يمكن أن يُطلَب على عُرف السُّكنى والمُجاوَرَة من المَواعين[٤] وسائر المَرافق للدِّين والدنيا.

«ذلكم» أي: السُّؤال من وراء الحِجاب «أطهَرُ» يريدُ من الخواطر التي تَخْطُر

---

(١) كذا في النسخ والمطبوع، والكشاف ٣/ ٢٧١، وتفسير الآلوسي ٢١/ ٤٢٤، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٣٩٥، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٠٣: ابن أبي عائشة، والصواب: ابن عائشة كما في تفسير الثعلبي ٥/ ١٢٧، وتخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ١٣٦، وهو عبيد الله بن محمد بن حفص القرشي، يعرف بالعَيْشي وبالعائشي وبابن عائشة لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله. انظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٤٧.

(٢) أخرجه الثعلبي ٥/ ١٢٧، وذكره ابن عطية ٤/ ٣٩٥، والقرطبي ١٧/ ٢٠٣.

(٣) سلف ذكر القراءتين في تفسير الآية (٢٦) من سورة البقرة.

(٤) جمع ماعون، وهو المعروف.

للرِّجال في أمر النساء، والنساء في أمرِ الرجال؛ إذ الرُّؤيةُ سببُ التَّعلُّق والفتنةِ، ألا تَرى إلى قول الشاعر:

والـمَـرْءُ مـا دام ذا عَـيـنٍ يُـقَـلِّـبُـهـا … في أعْيُنِ العِيْنِ مَوقوفٌ على الخَطَرِ
يَـسُـرُّ مُـقْـلَـتَـه مـا سـاء مُـهْـجَـتَـه … لا مَرْحباً بانتفاعٍ جاء بالضَّررِ[(١)]

وذُكر أن بعضهم قال: أَنُنْهى أنْ نُكَلِّمَ بناتِ عَمِّنا إلا من وراء حجاب؟! لئن مات محمدٌ لأتزوَّجَنَّ فُلانة[(٢)].

وقال ابن عباس: بعض الصحابة، وفلانة عائشة[(٣)].

وحكى مكِّي[(٤)] عن مَعْمَر أنه قال: هو طَلْحةُ بن عُبيد الله، قال ابن عطية: وهذا عندي لا يَصِحُّ على طلحة، الله عَصَمه منه[(٥)].

وفي «التّحرير» أنه طلحة، فنزل: «ولا أنْ تَنْكِحوا أزواجَه من بعده أبداً» فتابَ، وأعتق رَقَبَةً، وحَمل على عَشرة أبعِرَةٍ في سبيل الله، وحجَّ ماشياً[(٦)].

ورُوي أن بعضَ المنافقين قال حين تزوَّج رسولُ الله ﷺ أمَّ سَلَمة بعد أبي سَلَمة وحَفْصَة بعد خُنَيْس بن حُذَافة: ما بالُ محمدٍ يتزوجُ نِساءنا؟! والله لو قد مات لأجَلْنا السِّهامَ على نسائه، فنزلت الآية[(٧)].

ولما تُوفيّ رسول الله ﷺ وارتدَّت العرب ثم رَجعت تزوَّج عكرمة بن أبي جهل

(١) نسبهما ابن الجوزي في ذم الهوى ١٠١ لعبد المحسن بن غالب الصوري، وهما دون نسبة في صيد الخاطر ٣٢١، والمدهش ٢٩٦، والداء والدواء ١٩٦، وروضة المحبين ٩٥.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٧١، وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٢٢ عن معمر، عن قتادة أن رجلاً قال..، وأخرجه الطبري ١٩/ ١٧٠ من قول ابن زيد.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٩٦، وزاد المسير ٦/ ٤١٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٠٩.
(٤) في الهداية ٩/ ٥٨٦٤، وكذا حكى النحاس في معاني القرآن ٥/ ٣٧٣ عن معمر.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٣٩٦.
(٦) تفسير القرطبي ١٧/ ٢٠٩، ونقل عن شيخه أبي العباس قوله في المفهم ٤/ ١٤٩: وقد حكي هذا القول عن بعض فضلاء الصحابة، وحاشاهم عن مثله، وإنما الكذب في نقله، وإنما يليق مثل هذا القول بالمنافقين الجهال.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٣٩٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢١٠.

قُتَيْلَة بنت الأشْعَث بن قيس[١]، وكان رسول الله ﷺ قد تَزَوَّجها ولم يَبْنِ بها، فصَعُب ذلك على أبي بكر وقَلِقَ، فقال له عمر: مَهْلاً يا خليفةَ رسول الله، إنها ليست من نسائه؛ إنه لم يُخَيِّرها، ولا أرْخى عليها حِجاباً، وقد أبانَتْها منه رِدَّتُها مع قومها، فسَكن أبو بكر[٢].

وذهب عمر إلى أنَّه لا يَشْهَدُ جنازة زينب بنت جحش إلا ذو مَحْرَم منها مُراعاةً للحجاب، فدَلَّتْهُ أسماءُ بنت عُمَيْس على سترها في النَّعْشِ في القُبَّة، وأعلمتْه أنها رأتْ ذلك في بلاد الحَبَشة، فصَنَعه عمر[٣].

ورُوي أنه صُنِع ذلك في جنازة فاطمة بنت رسول الله ﷺ[٤].

«وما كان لكم أنْ تُؤذوا رسولَ الله» عامٌّ في كل ما يَتأذَّى به «ولا أنْ تَنكِحوا» خاصٌّ بعد عام؛ لأن ذلك كان يكون أعظمَ الأذى، فحرَّم الله نكاحَ أزواجِه بعد وفاته.

«إنَّ ذلكم» أي: إذايتَه ونكاحَ أزواجِه «كان عند الله عظيماً» وهذا من إعْلامِ تعظيمِ الله لرسوله، وإيجابِ حُرمتِهِ حيّاً ومَيتاً، وإعلامُهُ بذلك مما طَيَّب به نَفْسَه؛ فإنَّ نحوَ هذا مما يُحَدِّث به المرءُ نفسه، ومن الناس مَن تُفرِطُ غَيْرَتُهُ على حُرْمته حتى يتمنَّى لها الموتَ لئلا تُنكَح من بعده، وخصوصاً العرب فإنهم أشدُّ الناسِ غَيرةً.

وحكى الزمخشري أن بعضَ الفتيان قَتَل جاريةً كان يُحبُّها في حكاية قال:

---

(١) ذكر ابن سعد ١٠/ ١٤٢، وابن عبد البر في الاستيعاب (٣٥٣٣)، والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٨ أنها قتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس، قال ابن عبد البر: وفيها اختلاف كثير جداً، وانظر الإصابة، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢٦٠.

(٢) أخرجه الطبري ١٩/ ١٧٠، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٦٥٤م)، والثعلبي في الكشف والبيان ٥/ ١٢٩ من طريق داود بن أبي هند، عن الشعبي مرسلاً، وعند الطحاوي: قتيلة بنت قيس، وانظر الحاشية السابقة، وذكره ابن عطية ٤/ ٣٩٦، والقرطبي ١٧/ ١٢٤-١٢٥.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٩٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢١٢. وأخرجه ابن سعد في الطبقات ١٠/ ١٠٨.

(٤) أخرجه ابن سعد ١٠/ ٢٩، وذكره ابن عطية والقرطبي.

تَصَوُّراً لما عسى يَتَّفِقُ من بقائها بعدَه، وحصولِها تحت يدِ غيره. انتهى. فقال: لما عسى، فجعل عسى صلةً للموصول، وقد كَثُر منه هذا وهو لا يجوز.

وعن بعض الفقهاء أن الزوجَ الثاني في هَدْمِ الثلاث يَجري مجرى العقوبة، فصِين رسول الله ﷺ عما يلاحِظُ ذلك[1].

«إنْ تُبدوا شيئاً أو تُخفوه» وَعيدٌ لمَن تَقَدَّم التَّعريضُ به في الآية ممَّن أُشير إليه بقوله: «ذلكم أطْهَرُ» ومَن أُشير إليه «وما كان لكم أنْ تُؤذوا» فقيل: إنْ تُبدوا شيئاً على ألسِنتكم، أو تُخفوه في صدوركم مما يَقع عليه العِقاب فالله يَعلَمُهُ، فيُجازي عليه.

وقال: «شيئاً» ليَدخل فيه ما يُؤذيه عليه السلام من نكاحِهنّ وغيرِهِ، وهو صالحٌ لكلِّ بادٍ وخافٍ.

ورُوي أنه لما نزلت آيةُ الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: أوَ نحن يا رسول الله أيضاً نُكلّمهنّ من وراء حِجاب؟ فنزلت: «لا جُناحَ عليهنَّ»[2] أي: لا إثْمَ عليهنّ. قال قتادة: في تَرْك الحِجاب. وقال مجاهد: في وَضْع الجِلْباب وإبداءِ الزِّينة.

وقال الشعبي: لم يُذْكَر العمُّ والخالُ وإنْ كانا من المَحارم لئلّا يَصفانها للأبناء ولَيسوا من المَحارم.

وقد كَرِه الشَّعبي وعكرمة أن تضعَ المرأةُ خمارَها عند عمِّها أو خالها[3].

وقيل: لأنهما يَجريان مَجرى الوالدَين، وقد جاءت تسميةُ العمِّ أباً[4].

وذكر هنا بعضَ المَحارم، والجميعَ في سورة النور[5].

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٧٢ وفيه الخبران.

(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ١٢٩، والماوردي ٤/ ٤٢١، والكشاف ٣/ ٢٧٢، وزاد المسير ٦/ ٤١٧، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢١٣.

(٣) أخرج الأقوال السالفة الطبري ١٩/ ١٧١-١٧٣.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٧٢.

(٥) في تفسير الآية (٣١) منها.

ودخل في «ولا نسائهنَّ» الأُمّهات والأخوات وسائر القرابات، ومَن يتَّصل بهنّ من المُتَصَرِّفات لهنّ.

وقال ابن زيد وغيره: أرادَ جميعَ النساء المؤمنات. وتخصيصُ الإضافةِ إنما هي في الإيمان[١].

وقال مجاهد: من أهل دينهنّ[٢]، وهو كقول ابن زيد.

والظاهرُ من قوله: «أو ما ملَكَتْ أيمانُهنَّ» دخولُ العَبيد والإماء دون ما مَلك غيرُهن، وقيل: مخصوصٌ بالإماء. وقيل: جميع العبيد ممَّن في مِلكهنّ أو مِلك غيرهنّ.

وقال النَّخَعي: يُباحُ لعبدها النَّظَرُ إلى ما يُواريه الدِّرعُ من ظاهر بَدَنها.

وإذا كان عند المكاتَبِ ما يُؤدّي فقد أمر رسول الله ﷺ بضَرْب الحجابِ دونَه، وفَعلَتْه أمُّ سَلَمة مع مُكاتَبها نَبْهان[٣].

«واتَّقِينَ الله» أمْرٌ بالتَّقوى، وخُروجٌ من الغَيْبة إلى الخِطاب، أي: واتَّقِينَ الله فيما أُمِرْتُنَّ به من الاحتجاب، وأنزل الله فيه الوحيَ من الاستِتار، وكأنّ في الكلام جُملةً حُذفت تقديره: اقتَصِرْنَ على هذا، واتَّقِينَ الله فيه أنْ تَتَعَدَّيْنَه إلى غيره.

ثم توعَّد بقوله: «إن الله كان على كل شيءٍ» من السرِّ والعَلَن، وظاهرِ الحجاب وباطنِهِ، وغير ذلك «شهيداً» لا تتفاوتُ الأحوالُ في علمه.

وقرأ الجمهور: «وملائكتَه» نصباً. وابنُ عباس، وعبد الوارث عن أبي عمرو رفعاً[٤]، فعند الكوفيِّين غير الفَرَّاء: هو عطفٌ على موضع اسم «إنَّ»، والفرَّاء

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٩٧، وأخرجه الطبري ١٩/ ١٧٣.

(٢) ذكره الماوردي ٤/ ٤٢٠بنحوه.

(٣) النكت والعيون ٤/ ٤٢٠-٤٢١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٩٧، وزاد المسير ٦/ ٤١٨.

(٤) مختصر في الشواذ ١٢٠، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٣٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٩٨، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢١٥.

يَشترطُ خَفاءَ إعراب اسم «إنَّ»، وعند البصريين هو على حذف الخبر، أي: يُصلّي على النبيِّ وملائكتُه يُصَلُّون[١].

وتقدَّم الكلام على كيفيَّة اجتماعِ الصلاتَين في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

فالضّمير في «يُصلُّون» عائد على الله وملائكته. وقيل: في الكلام حذفٌ، أي: يُصلّي وملائكته يُصلُّون؛ فِراراً من اشتراك الضَّمير.

والظاهرُ وجوبُ الصَّلاةِ والسلام عليه، وقيل: سُنَّة.

وإذا كانت الصلاةُ واجبةً فقيل: كلَّما جَرى ذِكرُهُ. وقيل: في كلِّ مَجلسٍ مَرَّةً وإنْ تكرَّر ذكرُهُ. وقيل: في كلِّ دُعاءٍ في أوَّله وفي آخره. وقيل: في العُمُرِ مَرَّةً[٢].

وقد وردَ في الحديث في الصَّلاة عليه فضائلُ كثيرة[٣].

ورُوي أنه لما نزلت هذه الآية قال قومٌ من الصَّحابة: هذا السَّلامُ عليك يا رسول الله عَرفناه، فكيف نُصلّي عليك؟ قال: «قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمد، كما صلَّيتَ على إبراهيم وآلِ إبراهيم، وارْحَم محمداً وآلَ محمد، كما رَحِمْتَ وباركتَ على إبراهيم، في العالَمينَ إنك حميدٌ مَجيد». وفي بعض الروايات زيادةٌ ونقصٌ[٤].

---

(١) انظر ارتشاف الضرب ٣/١٢٨٨-١٢٨٩، والدر المصون ٩/١٤١، وروح المعاني ٢١/٤٣٧-٤٣٨.

(٢) انظر الكشاف ٣/٢٧٣، وتفسير القرطبي ١٧/٢١٥-٢١٦. وقوله: وإن تكرر... إلى هنا، من (يه).

(٣) منها ما رواه أحمد (٦٥٦٨) و(٨٨٥٤)، ومسلم (٣٨٤) و(٤٠٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشرا». وانظر تفسير القرطبي ١٧/٢١٨-٢١٩.

(٤) المحرر الوجيز ٤/٣٩٨، وذكر القرطبي في تفسيره أكثر الأحاديث ١٧/٢١٦-٢١٧، منها حديث كعب بن عُجرة ﷺ، أخرجه أحمد (١٨١٠٤)، والبخاري (٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦).

«إن الذين يؤذون الله ورسولَه» قال ابن عباس: نزلت في الذين طَعنوا عليه حين اتَّخذَ صَفيَّةَ بنت حُيَي زوجاً. انتهى[١].

والطَّعنُ في تأمير أسامةَ بن زيد إذايةٌ له عليه السَّلام.

وإيذاءُ الله والرَّسول: فعلُ ما نَهى الله ورسولُهُ عنه من الكُفرِ والمعاصي، وإنكارُ النبوَّة، ومُخالفةُ الشرعِ، وما يُصيبون به الرسولَ من أنواع الأذى.

ولا يُتصوَّر الأذى حقيقةً في حقِّ الله، فقيل: هو على حَذْفِ مُضاف، أي: يؤذون أولياءَ الله، وقيل: المُراد يؤذون رسولَ الله، وقيل في أذى الله: هو قولُ اليهودِ والنَّصارى والمُشركين: يدُ الله مَغْلولة، وثالثُ ثَلاثة، والمسيحُ ابنُ الله، والملائكةُ بناتُ الله، والأصنامُ شُركاؤه.

وعن عكرمة: فعلُ أصحابِ التَّصاوير الذين يرومون تكوينَ خَلْقٍ مثل خلقِ الله.

وقيل في أذى رسول الله قولُهم: ساحر، شاعر، كاهن، مجنون. وقيل: كَسْرُ رَباعِيَته، وشَجُّ وَجْهِهِ يومَ أُحُد[٢].

وأطلقَ إيذاءَ الله ورسولِهِ، وقَيَّدَ إيذاءَ المؤمنين بقوله: «بغير ما اكتسبوا» لأن إيذاءَهما لا يكون إلا بغير حقٍّ؛ بخلافِ إيذاءِ المؤمنين فقد يكون بحقٍّ.

ومعنى «بغير ما اكتسبوا» بغير جِنايةٍ واستحقاقِ أذى.

وقال مقاتل: نزلت في ناسٍ من المنافقين يؤذون عليًّا كرَّم الله وَجْهَه ويُسْمِعونه.

وقيل: في الذين أَفِكوا على عائشة.

وقال الضحَّاك والسُّدي والكَلْبي: في زُناةٍ كانوا يَتْبعون النساء وهنَّ كارهات.

وقيل: في عمر، رأى من الزّينةِ على جاريةٍ من جَواري الأنصار ما كَره،

---

(١) من عادة المصنف أن يقول: انتهى، عند نقله عمن سبقه كالزمخشري وابن عطية، وهنا لم يرد نقل عن أحد. وأخرج قول ابن عباس: الطبري ١٩/١٧٨-١٧٩.

(٢) انظر ما سلف من أقوال في تفسير الطبري ١٩/١٧٨، والثعلبي ٥/١٣١-١٣٢، والماوردي ٤/ ٤٢٢-٤٢٣، والقرطبي ١٧/ ٢٢٢-٢٢٣، والكشاف ٣/ ٢٧٣، والمحرر الوجيز ٤/٣٩٨، وزاد المسير ٦/ ٤٢٠.

فضَرَبها، فآذى أهلُها عمر باللّسان، فنزلت. قاله ابن عباس.

ورُوي أن عمر قال يوماً لأُبيّ: قرأتُ البارحةَ: «والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكْتَسَبوا» ففَزِعتُ منها، وإني لأَضرِبُهم وأَنْهَرُهم، فقال له أُبيّ: لستَ منهم، إنما أنت مُعلِّم ومُقَوِّم[1].

❋ ❋ ❋

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ
أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى
قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾
مَّلْعُونِينَۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُۖ وَلَن
تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ
ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا
يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا
ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ
مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ
مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا
ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ
ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى
ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾﴾.

كان دَأْبُ الجاهليَّة أن تَخرُجَ الحُرَّةُ والأمةُ مَكشوفَتَي الوجه في دِرْعٍ وخِمار، وكان الزُّناةُ يتعرَّضون إذا خَرجْنَ بالليل لقضاء حوائجهنَّ في النَّخيلِ والغِيطانِ للإماء، وربَّما تعرَّضوا للحُرَّةِ بِعلَّةِ الأمَة يقولون: حسِبناها أمةً، فأُمِرْنَ أنْ يُخالِفْنَ

(١) انظر الأقوال في: تفسير الثعلبي ٥/ ١٣٢، والماوردي ٤٢٣، والقرطبي ١٧/ ٢٢٦-٢٢٧، وأسباب النزول ٣٨٢، والكشاف ٣/ ٢٧٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٩٨، وزاد المسير ٦/ ٤٢١.

بزِيِّهنَّ عن زِيِّ الإماء بلُبسِ الأرْدِيةِ والمَلاحِف، وسترِ الرؤوس والوجوه ليُحتشَمْنَ ويُهَبْنَ، فلا يَطمعُ فيهن طامع.

ورُوي أنه كان في المدينةِ قومٌ يجلسون على الصُّعُدات لرؤية النساء ومعارضتهنَّ ومُراوَدَتهنَّ، فنزلت[١].

قيل: والجَلابيب: الأَرْدِيَةُ التي تَسترُ من فوق إلى أسفل. وقال ابن جُبَير: المَقانِع. وقيل: المَلاحِف. وقيل: الجِلبابُ: كلُّ ثوبٍ تَلْبَسُه المرأةُ فوق ثيابها. وقيل: كلُّ ما تَسْتَتر به من كِساء أو غيره، قال أبو زُبَيْد:

مُجَلْبَبٌ[٢] من سَوادِ الليلِ جِلبابا[٣]

وقيل: الجِلْباب أكبرُ من الخِمار[٤].

وقال عكرمة: تُلقي جانبَ الجِلبابِ على نَحْرِها ولا يُرى.

وقال عَبيدة السَّلْماني: تُغطّي وَجْهَها إلا بقَدْر ما تُبصِر.

وقال ابن سِيرين: سألتُ عَبيدة السَّلْماني عن ذلك فقال: أنْ تضعَ رِداءها فوق

(١) تفسير الطبري ١٩/ ١٨٣، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٧٧-٣٧٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٣٢، وأسباب النزول ٣٨٢-٣٨٣، والكشاف ٣/ ٢٧٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٩٩، وزاد المسير ٦/ ٤٢٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٣٠.

(٢) في النسخ الخطية، ونسخ الآلوسي وطبعته المنيرية: تجلببت، والمثبت من المصادر.

(٣) نسب لأبي زبيد في الكشاف ٣/ ٢٧٤، وليس في ديوانه الذي جمعه نوري القيسي (شعراء إسلاميون)، وهو بلا نسبة في العين ٦/ ١٣٢، وتهذيب اللغة ١١/ ٩٢، واللسان وتاج العروس (جلب)، وتفسير الآلوسي ٢١/ ٤٦٧ (طبعة الرسالة).
وورد هذا الشطر عجز بيت للخنساء في التعازي والمراثي للمبرد ١٠٦ من قصيدة عدتها (١١) بيتاً، وصدره:

يعدو به سابحٌ نَهْدٌ مَراكِلُه

وهو في ديوانها بشرح ثعلب ص١٥١، وروايته:

يعدو به سابح نهد مراكله إذا اكتسى من سواد الليل جلبابا

ولا شاهد فيه بهذه الرواية.

(٤) انظر الأقوال في الجلباب في: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٢٥، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٢٣-٤٢٤، والكشاف ٣/ ٢٧٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٩٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٣٠.

الحاجب، ثم تُديرُه حتى تضَعَه على أنفها.

وقال السُّدِّي: تُغطّي إحدى عَينيها وجَبهتَها والشِّقَّ الآخر إلا العين. انتهى.

وكذا عادةُ بلادنا الأندلس؛ لا يظهر من المرأة إلا عينُها الواحدة.

وقال الكسائيّ: يَتقَنَّعْنَ بمَلاحِفهنَّ مُنضَمَّة عليهنّ. أراد بالانْضِمام معنى الإدناء.

وقال ابن عبَّاس وقتادة: وذلك أنْ تَلوِيَه فوق الجبين وتشدَّه، ثم تَعطفُه على الأنف وإنْ ظهرت عيناها، لكنه يَستُرُ الصَّدرَ ومُعظمَ الوَجه[1].

والظاهرُ أن قوله: «ونساءِ المؤمنين» يَشمَلُ الحَرائرَ والإماء، والفتنةُ بالإماء أكثر لكثرةِ تَصرُّفِهنَّ بخلاف الحرائر، فيحتاج إخراجهنّ من عُموم النساء إلى دليلٍ واضح.

ومِن في «من جَلابيبهنَّ» للتَّبعيض، و«عليهنَّ» شاملٌ لجميع أجسادِهنَّ، أو «عليهنّ» على وُجوههنّ؛ لأن الذي كان يَبدو منهن في الجاهلية هو الوجه.

«ذلك أدْنى أنْ يُعْرَفْنَ» أي: أولى أنْ يُعرَفْنَ لتَسَتُّرهنَّ بالعفَّة، فلا يُتعرَّض لهنَّ، ولا يُلْقَينَ بما يَكْرَهْنَ؛ لأن المرأةَ إذا كانت في غايةِ التَّسَتُّر والانضمام لم يُقْدَم عليها، بخلاف المُتَبَرِّجة فإنها مَطموعٌ فيها.

«وكان الله غفوراً رحيماً» تأنيسٌ للنّساء في تَرْكِ الاستتارِ قبل أن يُؤمَرْنَ بذلك.

ولما ذكرَ حالَ المُشركِ الذي يؤذي الله ورسولَه، والمُجاهِرِ الذي يؤذي المؤمنين؛ ذكر حالَ المُسِرِّ الذي يُظهِرُ الحقَّ ويُضمِرُ الباطلَ وهو المُنافق. ولما كان المؤذون ثلاثةً باعتبار إذايتهم لله ولرسوله وللمؤمنين؛ كان المُسِرُّون ثلاثةً: مُنافق، ومَن في قلبه مَرضٌ، ومُرْجِف، فالمُنافق يؤذي سِرّاً، والثاني يؤذي المؤمنَ باتِّباع

(١) الأقوال في: تفسير الطبري ١٩/ ١٨١-١٨٣، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٧٨-٣٧٩، والنكت والعيون ٤/ ٤٢٤، والكشاف ٣/ ٢٧٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٩٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٣٠.

نسائه، والثالث يُرْجِفُ بالرَّسول يقول: غُلِب، سيُخْرَج من المدينة، سيؤخَذ، هُزِمت سَراياه[١].

وظاهرُ العَطفِ التَّغايرُ بالشَّخص، فيكون المعنى: لئن لم يَنْتَهِ المنافقون عن عداوتهم وكيْدهم، والفَسَقَةُ عن فُجورِهم، والمُرْجِفون عمَّا يؤلِّفون من أخبار السُّوء ويُشِيْعونه.

ويجوز أن يكون التَّغايُرُ بالوَصْف، فيكون واحداً بالشَّخص ثلاثةً بالوَصْف؛ كما جاء: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، فذكر أوصافاً عشرةً والموصوف بها واحد. ونصَّ على هذين الوَصْفَين من المنافقين لشدَّةِ ضَرَرِهما على المؤمنين.

قال عكرمة: الذين في قلوبهم مَرَضٌ: هو الغَزَلُ وحبُّ الزِّنا، ومنه: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وقال السّدي: المرض: النِّفاق، ومنه: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠]. وقال ابن عباس: هم الذين آذَوا عُمر.

وقال الكلبي: مَن آذى المسلمين. وقال ابن عباس: المُرجِفون: مُلْتَمسو الفِتَن.

وقال قتادة: الذين يؤذون قلوبَ المؤمنين بإيْهام القتلِ والهزيمة.

«لنُغْرِيَنَّك بهم» أي: لَنُسَلِّطَنَّك عليهم. قاله ابن عباس. وقال قتادة: لَنُحَرِّشَنَّك بهم[٢].

«ثمَّ لا يُجاوِرونَك فيها» أي: في المدينة.

و«ثمَّ لا يُجاوِرونَك» معطوفٌ على «لَنُغْرِيَنَّك»، ولم يكن العطفُ بالفاء لأنه لم يقصد أنه مُتَسَبِّبٌ عن الإغْراء، بل كونه جواباً للقسَم أبْلَغ، وكان العطفُ بـ «ثُمَّ» لأنَّ

(١) التفسير الكبير ٢٥/ ٢٣٠-٢٣١.

(٢) انظر الأقوال في: تفسير الطبري ١٩/ ١٨٤-١٨٦، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٧٩-٣٨٠، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٢٤-٤٢٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٩٩-٤٠٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٣٣.

الجَلاء عن الوطن كان أعظمَ عليهم من جميع ما أُصيبوا به، فتَراخَت حالةُ الجَلاء عن حالةِ الإغْراء.

«إلا قليلاً» أي: جِواراً قليلاً، أو زَماناً قليلاً، أو عَدداً قليلاً، وهذا الأخيرُ استثناءٌ من المَنْطوق وهو ضميرُ الرّفعِ في «يُجاورونك». أو ينتصب قليلاً على الحال، أي: إلا أذِلّاءَ قليلين، والأوَّلُ استثناءٌ من المصدر الدَّالِّ عليه «يُجاوِرونك»، والثاني من الزمان الدَّالِّ عليه «يُجاوِرونك» والمعنى أنَّهم يَضطرُّون إلى طَلَب الجَلاء عن المدينة خَوْفَ القتلِ.

وانتصب «مَلْعونين» على الذَّمِّ. قاله الطَّبريّ[1]. وأجاز ابن عطية أن يكون بدلاً من «قليلاً» قال: هو من أقِلّاء الذي قَدَّرْناه. وأجاز هو أيضاً أن يكون حالاً من الضمير في «يُجاوِرونك» قال: كأنه قال: يَنْتَفون مَلْعونين، فلمَّا تَقَدَّر «لا يُجاوِرونك» تقديرَ يَنْتَفون حَسُن هذا[2]. انتهى.

وقال الزمخشري والحوفي وتبعهما أبو البقاء[3]: يجوز أن يكون حالاً من الضمير في «لا يُجاورونك» كما قال ابن عطية.

قال الزمخشري وهذا نصُّه: «مَلْعونين» نصبٌ على الشَّتْم أو الحال، أي: لا يُجاورونك إلا مَلعونين، دخل حرفُ الاستثناء على الظَّرْفِ والحال معاً، كما مَرَّ في قوله: ﴿إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾... ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ولا يَصحُّ أنْ يَنتصب عن «أُخِذوا» لأنَّ ما بعدَ كلمةِ الشَّرط لا يَعمل فيما قبلها[4]. انتهى.

وتقدَّم الكلامُ معه في مَجيء الحال مما قبل إلّا مذكورةً بعدما استُثني بإلا، فيكون الاستثناءُ منصبًّا عليهما، وأنَّ جمهورَ البَصريّين مَنعوا من ذلك[5].

وأما تجويزُ ابنِ عطيَّة أن يكون بَدلاً؛ فالبدَلُ بالمُشْتقِّ قليلٌ.

---

(١) في تفسير الطبري ١٩/ ١٨٦: ونصب قوله: ملعونين على الشتم.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٠، وعنه نقل قول الطبري السالف.
(٣) في إملاء ما منّ به الرحمن ٢/ ١٩٤، وسيرد كلام الزمخشري.
(٤) الكشاف ٣/ ٢٧٥.
(٥) انظر تفسير الآية (٥٣) من سورة الأحزاب.

وأما قول الزمخشري: لأنَّ ما بعد كلمةِ الشَّرْط لا يَعملُ فيما قبلها؛ فليس هذا مُجمعَاً عليه لأنَّ ما بعد كلمةِ الشَّرط شيئان: فعلُ الشَّرط والجواب، فأمَّا فعلُ الشَّرط فأجاز الكسائيُّ تقديمَ معمولِهِ على الكلمة، أجاز[1]: زيداً إنْ تَضربْ أضْرِبْه، وأمّا الجواب فقد أجاز أيضاً تقديم مَعموله عليه نحو إنْ يَقُمْ زيدٌ عَمراً يَضْرِبْ.

وأجاز الكسائي والفراء تقديم معمول فعل الجواب على الأداة، نحو: خيراً إن أوتينا نُصِبْ[2].

وقد حُكي عن بعض النحويين أنه قال: المعنى: أينما ثُقِفوا أُخذوا ملعونين.

والصحيح أن «مَلْعونين» صفةً لقليل، أي: إلا قليلين ملعونين، ويكون «قليلاً» مستثنى من الواو في «لا يُجاوِرونك» والجملة الشَّرطيّةُ صفةٌ أيضاً، أي: مَقهورين مَغلوباً عليهم.

ومعنى «ثُقِفوا»: حُصِروا وظُفِرَ بهم. «أُخِذوا» أُسِروا، والأَخِيذُ: الأسير.

وقرأ الجمهور: «وقُتِّلوا» بتشْديد التاء، وفرقة بتخفيفها، فيكون «تَقْتيلاً» مصدراً على غير الصَّدر[3].

والظاهر أن المنافقين انتَهَوْا عمَّا كانوا يؤذون به الرسولَ والمؤمنين، وتَستَّر جميعُهم، وكَفُّوا خوفاً من أنْ يقعَ بهم ما وقع القسَمُ عليه وهو الإغراءُ، والجَلاء، والأَخْذُ والقَتْلُ.

وقيل: لمَ يمتثلوا الانتهاءَ جُملةً، ولا نَفَذ عليهم الوعيدُ كاملاً، ألا ترى إلى إخراجهم من المسجد، ونَهْيه عن الصَّلاةِ عليهم، وما نزل فيهم في سورة براءة؟[4]

---

(١) في (يه): نحو.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١/ ٤٢٣، وشرح التسهيل ٤/ ٨٤، وشرح الكافية الشافية ٣/ ١٦٠٠-١٦٠١، والإنصاف لابن الأنباري ٤٩٦، وارتشاف الضرب ١٨٧٨، وشرح الرضي على الكافية ٤/ ١٠٠. وقوله: وأجاز الكسائي والفراء... نصب، ليس في المطبوع.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٠.

(٤) زاد المسير ٦/ ٤٢٣.

وأبعَدَ مَن ذَهب إلى أنه لم يَنْتَهِ هؤلاء الأصناف، ولم يُنْفِذ الله الوعيْدَ عليهم. ففيه دليلٌ على بُطلانِ القولِ بإنفاذِ الوعيد في الآخرة، ويكون هذا الوعيدُ مَعْذُوقاً[1] وَمَشْروطاً بالمَشيئة.

«سُنَّةَ الله» مصدر مؤكِّد، أي: سَنَّ الله في الذين يُنافقون الأنبياءَ أنْ يُقَتَّلوا حيثما ظُفِر بهم.

وعن مقاتل: كما قُتل أهلُ بدرٍ وأُسروا[2] ف «الذين خَلَوْا» يَشْمَلُ أتباعَ الأنبياء الذين نافقوا، ومَن قُتِل يومَ بدرٍ.

«يَسْأَلُك النّاسُ» أي: المشركون عن وقتِ قيام السَّاعةِ استعجالاً على سبيل الهُزْءِ، واليهودُ على سبيل الامتحان؛ إذْ كانت مُعمًّى وقتُها في التَّوراة، فنزلت الآيةُ بأنْ يَرُدَّ العلم فيها إلى الله إذْ لم يُطْلِع عليها مَلَكاً ولا نبيًّا.

ولـمَّا ذَكرَ حَالهم في الدنيا أنَّهم مَلْعونون مُهانون مَقتولون بَيَّن حالَهم في الآخرة.

«وما يُدريك» ما استفهامٌ في مَوْضع رَفْعٍ بالابتداء، أي: وأيُّ شيءٍ يُدريك بها؟ ومعناه النَّفي، أي: ما يُدْريك بها أحدٌ.

«لعلَّ الساعةَ تكون قريباً» بَيَّن قُربَ السَّاعة، وفي ذلك تَسْليَةٌ للمُمْتَحَن، وتهديدٌ للمُسْتَعجِل.

وانتصب «قريباً» على الظَّرف، أي: في زمانٍ قريب، إذ استعماله ظَرْفاً كثير. ويُستعَمل أيضاً غيرَ ظَرْف؛ تقول: إنَّ قريباً منك زيد، فجاز أن يكون التقدير: شيئاً قريباً، أو تكون الساعة بمعنى الوقت، فذَكَّر قريباً على المعنى، أو على أنْ يكون التقدير: لعلَّ قيامَ السَّاعةِ، فلُوحِظ السَّاعة في «تكون» فأَنَّث، ولُوحِظَ المُضاف المحذوف وهو قيام في «قريباً» فذَكَّر.

---

(١) سلف استعمال أبي حيان لهذه الكلمة في تفسير الآية (٣٥) من سورة الأنعام، عذقه إلى كذا: نسبه إليه. تاج العروس (عذق).

(٢) الكشاف ٣/ ٢٧٥.

«يومَ تُقَلَّب وُجُوهُهم في النَّار» يجوز أن ينتصب «يوم» بقوله: «لا يَجِدون» ويكون «يقولون» استئنافُ إخبارٍ عنهم، أو تمَّ الكلامُ عند قوله: «ولا نَصيرا» وينتصب «يوم» بقوله: «يقولون» أو بمحذوف أي: اذْكُر، و«يقولون» حال.

وقرأ الجمهور: «تُقَلَّبُ» مَبنيًّا للمفعول. والحسن وعيسى وأبو جعفر الرُّؤاسيّ بفتح التاء، أي: تَتَقَلَّب، وحكاها ابن عطية عن أبي حَيْوَة[1].

وقال ابن خالويه عن أبي حَيْوة: «نُقَلِّب» بالنون «وجوهَهم» بالنصب، وحكاها ابن عطية عن أبي حَيْوَة أيضاً وخارجة[2]، زاد صاحب «اللّوامح» أنها قراءةُ عيسى البَصْرة.

وقرأ عيسى الكوفة كذلك إلا أنَّ بَدَلَ النُّون تاء، وفاعل «تُقَلِّبُ» ضميرٌ يعود على سَعيرٍ أو على جَهَنَّم؛ أُسْنِد إليها اتِّساعاً[3].

وقراءةُ ابن أبي عَبْلَة: «تَتَقَلَّب بتاءَين»[4].

وتقليبُ الوجوه في النَّار: تحريكُها في الجِهات، أو تَغْييرُها عن هيئاتها، أو إلقاؤها في النار مَنْكوسِين. والظَّاهر هو الأول.

والوَجْهُ أشرفُ ما في الإنسان؛ فإذا قُلِّبَ في النار كان تَقليبُ ما سواه أوْلى، وعُبِّر بالوجه عن الجُملة، وتمنِّيهم حيث لا يَنفع، وتَشَكِّيهم من كُبَرائهم لا يُجدي.

وقرأ الجمهور: «سادَتَنا» جمعاً على وزن فَعَلَة؛ إذْ أصله: سَوَدَة، وهو شاذٌّ في جمع فَيْعِل، فإنْ جعلْتَه جمع سائد قَرُبَ من القياس.

وقرأ الحسن وأبو رَجاء وقتادة والسُّلَمي وابن عامر والعامَّة في المسجد الجامع

---

(١) مختصر في الشواذ ١٢٠، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٣٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٣٨ وزاد نسبتها إلى شيبة.
(٢) مختصر في الشواذ ١٢٠، والمحتسب ٢/ ١٨٤، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٣٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٠، وزاد القرطبي ١٧/ ٢٣٨ نسبتها إلى عيسى الهمداني وابن أبي إسحاق.
(٣) المحتسب ٢/ ١٨٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٣٨.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٠.

بالبصرة: «ساداتِنا»[١] على جمع الجمع بالألف والتاء، وهو لا ينقاس كبُيوتات ومَواليات بني هاشم.

وسادَتُهم: رُؤساءُ الكُفرِ الذين لَقَّنوهم الكفرَ وزَيَّنوه لهم. قال قتادة: سَادتنا: رؤساؤنا. وقال طاوس: أشرافنا، وقال أبو أسامة: أمراؤنا[٢]، قال الشاعر:

سَـــلـيـــلُ قُــرومٍ ســـادَةٍ ثـــم ذادَةٍ يَبُذُّونَ أهلَ الجَمْعِ يومَ المُحَصَّبِ[٣]

ويُقال: ضَلَّ السَّبيلَ وضَلَّ عن السَّبيل، فإذا أدْخَلْتَ همزةَ النَّقْلِ تعدَّى لثانٍ.

وتقدَّم الكلامُ على إثبات الألف في «الرَّسولا، والسَّبيلا» في قوله: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠].

ولمَّا لم يُجْدِ تَمَنِّيهم الإيمانَ وطاعة الله ورسوله، ولا قام لهم عُذْرٌ في تَشَكِّيهم ممَّن أضلَّهم دَعَوا على ساداتهم «رَبَّنا آتِهم ضِعْفَيْن من العذاب» ضِعْفاً على ضَلالهم في أنفُسهم، وضِعْفاً على إضلال مَن أضَلُّوا.

وقرأ الجمهور: «كَثيرا» بالثاء المُثَلَّثة.

وقرأ حُذيفة بن اليَمان وابنُ عامر وعاصم والأعْرَج بخلافٍ عنه بالباء[٤].

«كالذين آذَوْا موسى» قيل: نزلت في شأنِ زيد وزينب، وما سُمع فيه من قالَةِ بعض الناس[٥].

وقيل: المُرادُ حديثُ الإفْك. قال: «ما أُوذِي[٦] نبيٌّ مثلَ ما أُوذِيْتُ».

---

(١) السبعة ٥٢٣، والتيسير ١٧٩، والنشر ٢/ ٣٤٩ وهي قراءة يعقوب، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٠، وتفسير الطبري ١٩/ ١٨٩، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٢٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٣٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠١، وزاد المسير ٦/ ٤٢٤، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٣٩.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ١٨٩، والنكت والعيون ٤/ ٤٢٥.

(٣) أورد الجاحظ في البيان ١/ ٤٣ هذا البيت من قصيدة في رثاء أبي دواد بن حريز الإيادي، ولم يسمّ قائلها، ونسبها الخالديان في الأشباه والنظائر ص ١٠٥ لأبي دؤاد الإيادي.

(٤) السبعة ٥٢٣، والتيسير ١٧٩، والنشر ٢/ ٣٤٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠١.

(٥) الكشاف ٣/ ٢٧٦.

(٦) في (أ) والمطبوع: الإفك على ما أوذي، والمثبت من (ح د٢ ز٢ ع يه)، وفي النهر الماد ٧/ ٢٥٠ (بهامش البحر): الإفك. قيل ما أوذي.
=

وفي حديث الرَّجُل الذي قال لقَسْمٍ قَسَمه رسول الله: إنَّ هذه لَقِسْمَةٌ ما أُريد بها وجهُ الله، فغَضِب وقال: «رَحِم الله أخي موسى، لقد أُوذي بأكثرَ من هذا فصَبر»[(١)].

وإذايةُ موسى قولُهم: إنَّه أبْرَصُ، أو آدَر[(٢)]، أو إنّه حَسَد أخاه هارون وقَتَله، أو حديث المُؤمِسَة المُسْتَأجَرة لأنْ تقول: إن موسى زنى بها، أو ما نَسَبوه إليه من السِّحْر والجُنون. أقوال[(٣)].

«ممّا قالوا» أي: من وَصْم ما قالوا، وما موصولة أو مصدرية.

وقرأ الجمهور: «وكان عند الله» الظَّرْف مَعمولاً لـ «وَجيها» أي: ذا وَجْهٍ ومَنزلةٍ عند الله تعالى تُميطُ عنه الأذى، وتَدفَعُ التُّهَم.

وقرأ عبد الله والأعمش وأبو حَيْوَة: «عَبْداً» من العُبودَة «لله»[(٤)] جر بلام الجر. و«عَبْداً» خبر كان، و«وَجيهاً» صفةٌ له.

قال ابن خالويه: صَلَّيتُ خلف ابن شَنَبوذ في شهر رمضان، فسمعتُه يقرأ: وكان عبداً لله على قراءة ابن مسعود[(٥)].

= وأخرج الحديث أبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٣٣ من رواية أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أوذي أحد مثل ما أوذيت في الله».
وأخرج أحمد (١٢٢١٢)، والترمذي (٢٤٧٢)، وابن ماجه (١٥١)، وابن حبان (٦٥٦٠) من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد...».

(١) أخرجه أحمد (٣٦٠٨)، والبخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٢) أخرج أحمد (٨١٧٣)، والبخاري (٢٧٨)، ومسلم (٣٣٩) من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر...».
والآدر: الذي في خُصيته نفخة، وهي التي تُسميها الناس القيلة.

(٣) انظرها في تفسير الطبري ١٩/ ١٩٤، والماوردي ٤/ ٤٢٧، والثعلبي ٥/ ١٣٥-١٣٦، والقرطبي ١٧/ ٢٤١-٢٤٢، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٨١-٣٨٢، والكشاف ٣/ ٢٧٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠١، وزاد المسير ٦/ ٤٢٥-٤٢٦.

(٤) مختصر في الشواذ ١٢٠، والمحتسب ٢/ ١٨٥، والكشاف ٣/ ٢٧٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠١، وزاد المسير ٦/ ٤٢٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٤٢-٢٤٣.

(٥) مختصر في الشواذ ١٢٠، وتحرفت فيه القراءة إلى: وكان عبدُ الله، وذكر المحقق أن في نسخة (أ) منه: عبداً لله.

قال ابن زيد: وَجيهاً: مَقْبولاً. وقال الحسن: مُستَجابَ الدَّعوة، ما سأل شيئاً إلا أُعطي إلا الرُّؤية في الدنيا[1]. وقال قُطْرُب: رَفيعَ القَدْرِ. وقيل: وَجاهَتُه أنَّه كلَّمه ولُقِّبَ كَليم الله.

والسَّديد تقدَّم شرحُه في أوائل «النساء»[2].

وقال ابن عباس هنا: صَواباً. وقال مقاتل وقتادة: سَديداً في شأن زيد وزينب والرَّسول.

وقال ابن عباس وعكرمة أيضاً: لا إله إلا الله. وقيل: ما يوافق ظاهرُه باطنَه.

وقيل: ما هو إصلاحٌ؛ من تَسْدِيد السَّهمِ لِيُصيبَ الغَرَض. وقيل: السَّديد يَعُمُّ الخيرات.

ورُتِّب على القول السَّديد صَلاحُ الأعمال، وغُفرانُ الذُّنُوب[3].

قال الزمخشري: وهذه الآيةُ مُقَرِّرةٌ للتي قبلَها، بُنيت تلك على النَّهيِ عمَّا يُؤذى به رسولُ الله، وهذه على الأمر باتِّقاءِ الله في حفظ اللسان؛ ليَترادَف عليهم النَّهيُ والأمرُ، مع إتباعِ النَّهي ما يتضمَّنُ الوعيدَ من قصَّة موسى، وإتباعِ الأمر الوَعْدَ البليغَ، فيَقوى الصَّارفُ عن الأذى والدَّاعي إلى تَرْكه[4]. انتهى. وهو كلامٌ حَسَن.

«إنَّا عَرَضْنا الأمانةَ» لمَّا أرْشَدَ المؤمنين إلى ما أرْشَد من ترك الأذى، واتِّقاء الله، وسَدادِ القَول، ورتَّب على الطاعة ما رتَّب: بَيَّنَ أنَّ ما كُلِّفَه الإنسان أمرٌ عظيم، فقال: «إنا عَرَضْنا الأمانةَ» تعظيماً لأمر التَّكليف.

---

(١) في النكت والعيون ٤/ ٤٢٧ أن هذا من كلام ابن سنان، وقول الحسن فيه: أنه مستجاب الدعوة.

(٢) في الآية (٩) منها.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ١٩٦، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٢٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٣٦، والماوردي ٤/ ٤٢٧-٤٢٨، والقرطبي ١٧/ ٢٤٣-٢٤٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠١، وزاد المسير ٦/ ٤٢٧.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٧٦.

والأمانةُ: الظاهر أنها كلُّ ما يُؤتَمَن عليه من أمرٍ ونَهْي، وشأنِ دينٍ ودنيا، فالشَّرْعُ كلُّه أمانة. وهذا قول الجمهور؛ ولذلك قال أبيُّ بن كَعْب: من الأمانة[1] أن اؤتُمِنَت المرأةُ على فَرْجها. وقال أبو الدَّرداء: غُسلُ الجَنابة أمانة.

والظَّاهر عَرْضُ الأمانةِ على هذه المخلوقات العِظام، وهي الأوامرُ والنَّواهي، فتُثاب إنْ أحْسَنت، وتُعاقَب إنْ أساءت، فأَبَت وأشْفَقَت، ويكون ذلك بإدْراك خَلَقه الله فيها، وهذا غيرُ مُستحيل إذْ قد سَبَّح الحَصَى في كفِّه عليه الصَّلاة والسَّلام، وحنَّ الجِذْعُ إليه، وكَلَّمتْه الذِّراع[2]، فيكون هذا العَرْضُ والإباء حقيقةً؛ قال ابن عباس: أُعطيت الجمادات فَهْماً وتَمييزاً، فخُيِّرت في الحَمْل.

وذَكَر الجبالَ مع أنَّها من الأرض لزيادة قُوَّتها وصَلابتها تعظيماً للأمر.

وقال ابن الأنباريُّ: عُرِضت بمَسْمَعٍ من آدمَ عليه الصَّلاة والسَّلام، وأُسْمِع من الجَمادات الإباءُ ليَتحقَّقَ العَرْضُ عليه، فيتَجاسَرَ على الحَمْلِ غَيرةً، ويَظهَرَ فَضْلُهُ على الخلائقِ، حِرصاً على العُبوديَّة، وتشريفاً على البَرِيَّة بعُلوِّ الهِمَّةِ.

وقيل: هو مَجاز، فقيل: من مَجازِ الحَذْف، أي: على مَن فيها من الملائكة. وقيل: من باب التَّمثيل.

قال الزمخشري: إن ما كُلِّفَه الإنسان بلَغ من عِظَمِه وثِقَل مَحْمِلِه أنه عُرِض على أعْظَمِ ما خلق الله من الأجْرام وأقواه وأشَدّه أنْ يَتَحَمَّلَه ويَستَقِلَّ به، فأبى حَمْلَه والاستقلالَ به، وحَمَلَه الإنسانُ على ضَعْفه ورَخاوَةِ قُوَّته. «إنه كان ظَلوماً جَهولاً» حيث حَمل الأمانةَ، ثمَّ لم يَفِ بها. ونحو هذا من الكلام كثيرٌ في لسان العرب، وما جاء به القرآن إلا على طُرُقِهم وأساليبهم؛ من ذلك قولُ العرب: لو قيل للشَّحْم: أين تَذهب؟ لقال: أُسَوِّي العِوَج[3]، وكم وكم لهم من أمثال على أَلْسِنَةِ

---

(١) في النسخ: الآية، والمثبت من المطبوع والمصادر، انظر تفسير عبد الرزاق ٢/ ١٢٥، والطبري ١٩/ ٢٠٠، والثعلبي ٥/ ١٣٧، والماوردي ٤/ ٤٢٨، والقرطبي ١٧/ ٢٤٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٢٩.

(٢) سلف تخريج هذه الآثار في تفسير الآية (٢٠) من سورة المائدة.

(٣) ذكره الزمخشري في المستقصى ٢/ ٢٩٧ وقال: يُضرب في تغطية السمن للعيوب، والمثل عامي.

البَهائم والجَمادات. وتصوُّر مُقاوَلَة الشَّحْمِ مُحال، ولكن الغَرض أنَّ السِّمَنَ في الحيوان مما يُحَسِّن قَبيحه، كما أن العَجَف مما يُقَبِّح حُسْنه، فصَوَّرَ أثَرَ السِّمَن فيه تصويراً هو أوقعُ في نَفْسِ السَّامع، وهي به آنَسُ، وله أَقْبَلُ، وعلى حقيقته أوقَفُ، وكذلك تصويرُ عِظَم الأمانةِ، وصُعوبةِ أمرِها، وثِقَل مَحْمِلها، والوَفاءِ بها.

فإن قلت: قد عُلم وَجْهُ التَّمثيلِ في قولهم للذي لا يَثْبُتُ على رأي واحدٍ: أراكَ تُقَدِّمُ رِجْلاً وتُؤخِّرُ أُخرى، لأنه مُثِّلَت حالُهُ في تَمَيُّلِه وتَرَجُّحِه بين الرَّأْيَيْن وتَرْكِهِ المُضِيِّ على أحدِهما بحال مَن يَتَردَّد في ذَهابه فلا يَجمَع رجلَيه للمُضيِّ في وَجْهِه، وكلُّ واحدٍ من المُمَثّلِ والمُمَثَّلِ به شيءٌ مُستقيمٌ داخلٌ تحت الصِّحَّةِ والمعرفة، وليس كذلك ما في الآية؛ فإنَّ عَرْضَ الأمانةِ على الجَماد وإباءَه وإشفاقَه مُحالٌ في نفسه غيرُ مستقيم، فكيف صحَّ بناءُ التّمثيلِ على المُحال؟ وما مثالُ هذا إلا أن تُشَبِّه شيئاً والمُشَبَّه به غيرُ معقول. قلت: المُمَثَّل به في الآية وفي قولهم: لو قيل للشَّحم: أين تذهب؟ وفي نظائره مَفْروضٌ، والمَفْروضات تُتَخَيَّل في الذِّهن كما المُحَقَّقات، مُثّلت حالُ التَّكليفِ في صُعوبته وثِقَلِ مَحْمله بحالةِ المَفْروضَةِ لو عُرضت على السَّماوات والأرضِ والجِبال فأبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنها وأَشْفَقْنَ منها[1]. انتهى.

وقال أيضاً: إن هذه الأجْرام العِظام قد انقادت لأمرِ الله انقيادَ مِثْلها، وهو ما يَتأتَّى من الجَمادات، حيث لم تمتنع على مَشيئته إيجاداً وتكويناً وتَسويةً على هيئاتٍ مختلفةٍ وأشكالٍ مُتنوِّعة، كما قال: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وأما الإنسان فلم يكن حالُهُ ـ فيما يَصحُّ منه من الانقيادِ لأوامر الله ونواهيه، وهو حيوانٌ عاقلٌ صالحٌ للتَّكليفِ ـ مثلَ حالِ تلك الجَمادات فيما يَصحُّ منها ويَليقُ بها من الانقياد.

والمُراد بالأمانة: الطَّاعةُ؛ لأنها لازِمةُ الوجود، كما أن الأمانةَ لازمةُ الأداء، وعَرضُها على الجَمادات وإباؤها وإشْفاقُها مَجاز، وحَمْلُ الأمانةِ من قولك: فلانٌ حامِلٌ للأمانة ومُحْتَمِلٌ لها، تُريد أنه لا يُؤدِّيها إلى صاحبها حتى تزولَ عن ذِمَّته

(١) الكشاف ٣/ ٢٧٧.

ويَخرجَ عن عُهدتها؛ لأنَّ الأمانة كأنها راكِبةٌ للمؤتَمَن عليها وهو حامِلُها، ألا تراهم يقولون: رَكِبَتْه الدُّيون، ولي عليه حقٌّ، فأبَيْنَ إلا أن يُؤدِّينَها، وأبى الإنسانُ إلا أنْ يكونَ مُحتَمِلاً لها لا يؤدِّيها، ثمَّ وَصَفَه بالظُّلم لكونه تارِكاً لأداء الأمانة، وبالجهلِ لإخطائه ما يُسْعِدُه مع تمكُّنه منه، وهو أداؤها[1]. انتهى. وفيه بعضُ حَذْفٍ.

وقال قوم: الآيةُ من المَجاز، أي: إنا إذا قايَسْنا ثِقَلَ الأمانةِ بقُوَّةِ السَّماوات والأرض والجبال رأينا أنها لا تُطيقها، وأنها لو تكلَّمت لأبَتْها وأشْفقَت منها، فعَبَّر عن هذا المعنى بقوله: «إنَّا عَرَضْنا» الآية، وهذا كما تقول: عَرَضْتُ الحِمْلَ على البَعير فأباه، وأنت تريد بذلك قايَسْتُ قُوَّتَه بثِقَل الحِمْل فرأيتُ أنها تَقْصُر عنه[2].

ونحوه قولُ ابنِ بَحْر: معنى عَرَضْنا: عارَضْناها وقابَلْناها بها.

«فأبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنها» أي: قَصَّرْنَ ونَقَصْنَ عنها، كما تقول: أبَت الصَّنْجَةُ[3] أن تحمِلَ ما قابَلَها.

«وحَمَلها الإنسانُ» قال ابن عباس وابن جُبَيْر: الْتَزَمَ القيامَ بحقِّها.

«الإنسانُ» آدم، والظَّاهرُ أنه نوعُ الإنسان، ليس مخصوصاً بمُعَيَّنٍ ولا بوَصفٍ، والأمانة عامَّةٌ، فيتوافقا عموماً.

وهو في ذلك ظَلومٌ لنفسِه، جَهولٌ بقَدْرِ ما دَخَل فيه[4].

قال ابن عباس: ما تمَّ له يومٌ حتى أُخرج من الجنَّة. وقاله الضحاك.

وقال الحسن: «وحَملَها» معناه: خان فيها، و«الإنسان»: الكافر والمُنافق والعاصي على قَدْره.

وقال ابن مسعود وابن عباس أيضاً: ابنُ آدم قابيل الذي قتل أخاه هابيل، وكان

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٧٦-٢٧٧.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٢-٤٠٣.
(٣) صنجة الميزان: كِفَّتُه، معرب. معجم متن اللغة.
(٤) قوله: وهو في ذلك ظلوم... هو من تمام قول ابن عباس وابن جبير كما في المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٢. وقوله: والظاهر أنه نوع الإنسان... عموماً، ليس في المطبوع.

قد تَحمَّل لأبيه أمانةً أن يَحْفَظ الأهلَ بعده، وكان آدمُ سافر عنهم إلى مكَّة في حديثٍ طويل ذكره الطَّبريُّ[١] وغيره.

وقال أبو إسحاق: عَرْضُ الأمانة: وَضْعُ شواهدِ الوَحدانيَّة في المَصْنوعات، والحَمْلُ: الخيانةُ، كما تقول: حَمَل خُفِّي واحتَمَلَه أي: ذَهب به، قال الشاعر:

إذا أنتَ لم تَبْرَحْ تُؤدِّي أمانةً وتَحملُ أُخرى أحْرَجَتْكَ الوَدائعُ[٢]

انتهى.

وليس: وتَحمِلُ أُخرى نصًّا في الذَّهاب بها، بل يَحتمل أنَّك تَتَحمَّل أُخرى، فتُؤدِّي واحدةً وتتحمَّل أُخرى، فلا تزال دائماً ذا أماناتٍ، فتُحْرَجُ إذْ ذاك.

واللام في «لِيُعَذِّبَ» لامُ الصَّيرورة؛ لأنه لم يَحْملها لأنْ يُعَذَّبَ، لكنه حَملها فآلَ الأمرُ إلى أنْ يُعذِّب مَن نافق وأشْرك، ويتوبَ على مَن آمن.

وقال الزمخشري: لام التَّعليل على طريق المَجاز؛ لأن التعذيبَ نتيجةُ حملِ

(١) في تفسيره ١٩/ ٢٠٣-٢٠٤، وانظر الأقوال في معاني القرآن ٥/ ٣٨٤-٣٨٧، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٢٩، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٣٦-١٣٧، والماوردي ٤/ ٤٢٩-٤٣٠، والقرطبي ١٧/ ٢٥٠-٢٥١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٢، وزاد المسير ٦/ ٤٢٨-٤٢٩.

(٢) كذا نقل المصنف عن أبي إسحاق ـ وهو الزجاج ـ وعن أبي حيان نقل الآلوسي ٢١/ ٤٨٩-٤٩٠، والذي في معاني القرآن للزجاج ـ وعنه أكثر المفسرين ـ ٤/ ٢٣٨: وكل من خان الأمانة فقد احتملها، وكذلك كل من أثم فقد احتمل الإثم... فالسماوات والأرض والجبال أبين أن يحملن الأمانة وأدينها، وأداؤها طاعة الله فيما أمر به والعمل به وترك المعصية.

ولم يذكر الزجاج البيت الذي استشهد به المصنف، وهو لبيهس العذري في المؤتلف والمختلف للآمدي ص٨٦، والتنبيه والإيضاح لابن بري ١/ ٢٥٨، والحور العين لنشوان الحميري ص٣٧١، واللسان (فرح)، وبلا نسبة في العين ٣/ ٢١٣، وسيرة ابن هشام ١/ ٥٠٢، والأضداد لابن الأنباري ١٩٧، والزاهر ١/ ٤٣٥، وديوان الأدب ٢/ ٢٨٩، والصحاح (فرح)، وغريب الحديث لابن سلام ١/ ١٥٦، ومقاييس اللغة ٤/ ٥٠٠، وتهذيب اللغة ٥/ ٢٠ و٩٣، والصداقة والصديق ٢٦٦، والمخصص ١٢/ ٣١٤، والتبصرة لابن الجوزي ١/ ٢٣٣، وتفسير الثعلبي ٤/ ٥٥١، والماوردي ٣/ ٣٢٢، والقرطبي ١٦/ ٣١٨، واللسان (حمل).

وروايته عند جميعهم خلا الماوردي: أفرحتك، وفسروها بـ أثقلتك.

الأمانةِ، كما أن التَّأديبَ في: ضَرَبْتُهُ للتّأديب نتيجةُ الضَّربِ.

وقرأ الأعمش: «ويتوبُ» يعني بالرفع بجَعْلِ العِلَّةِ قاصرةً على فعل الحامل، ويبتدئُ: ويتوبُ.

ومعنى قراءةِ العامَّةِ: ليُعَذِّبَ الله حاملَ الأمانةِ، ويتوبَ على غيره ممَّن لم يَحملْها؛ لأنه إذا تِيْبَ على الوافي كان ذلك نوعاً من عَذابِ الغادِر[١]. انتهى.

وذكر صاحب «اللّوامح» أن الحسن قرأ: «ويتوبُ» بالرَّفع[٢].

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٧٧-٢٧٨، وقراءة الأعمش ذكرها ابن خالويه في مختصر في الشواذ ١٢١.

(٢) ذكر قراءة الحسن: النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٢٩، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٣، والقرطبي ١٧/ ٢٥١.

[مفردات سورة سبأ]

المَزْقُ: خَرْقُ الشيء، يُقال منه: ثَوبٌ مَمْزُوق ومَزِيق ومُتَمَزِّق ومُمَزَّق: إذا صار قِطَعاً بالياً، ومنه قولُ المُمَزَّق العَبْديّ:

فإنْ كنتُ مأكولاً فكُنْ خيرَ آكِلٍ وإلّا فأدْرِكْني ولمَّا أُمَزَّقِ(١)

السَّابِغات: الدُّروع، وأصله الوصفُ بالسُّبوغ، وهو التَّمام والكمالُ، وغَلب على الدُّروع فصار كالأَبْطَح، وقال الشاعر:

عليها أُسودٌ ضارياتٌ لَبوسُهم سَوابغُ بِيضٌ لا يُخَرِّقُها النَّبْلُ(٢)

السَّرْدُ: إتْباعُ الشَّيء بالشيء من جِنْسه، قال الشَّمَّاخ:

فَظَلَّتْ تِباعاً(٣) خَيْلُنا في بيوتكم كما تابَعَتْ سَرْدَ العِنانِ الخَوارِزُ(٤)

ويُقال للدِّرْع: مَسْرودة؛ لأنه تُوبع فيها الحَلَق بالحَلَق، قال الشاعر(٥):

---

(١) البيت في الأصمعيات ١٦٦ من قصيدة له، وتخريجها ثمة.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمي، وسلف في تفسير الآية (٨٠) من سورة الأنبياء.

(٣) في هامش (د٢): سراعاً، وهي رواية في البيت، وكذا ذكرها الآلوسي في روح المعاني ٢٢/ ٣٥.

(٤) البيت في تفسير القرطبي ١٧/ ٢٦٥، والآلوسي، وعجزه في غريب القرآن لابن قتيبة ٣٥٤، وغريب الحديث له ٢/ ٤٥٣، وأساس البلاغة (سرد)، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٤١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٨.
ورواية صدره في الديوان ١٩٤: شككن بأحساء الذناب على هدى، وفي جمهرة أشعار العرب ٢/ ٨٣٤:

ركبن الذنابى فاتبعن به الهدى

(٥) هو أبو ذؤيب الهذلي، وسلف البيت في تفسير كلمة قضى من قوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا﴾ الآية (١١٧) من سورة البقرة.

وعليهما مَسْرُودتانِ قَضاهما داوُد أو صَنَعُ السَّوابِغِ تُبَّعُ

ويُقال لصانع ذلك: سَرَّاد وزَرَّاد، تُبدَل من السين الزَّاي، كما قالوا: سِراط وزِراط، ويُقال للإشْفَى: مِسْرَد ومِسْراد، وسرَد القرآن؛ إذا حَدَرَ فيه، والكلامَ: إذا تابَعه مُستعجِلاً فيه.

أسال: من سالَ الوادي والدَّمع: جَرى بسرعةٍ ما فيه من الماء والدَّمع.

القِطْر: النُّحاس، وقيل: الفِلِزُّ: النُّحاسُ والحديدُ وما جَرى مُجراه.

الجِفان: جَمعُ جَفْنَة، وهي معروفة.

الجَوابي: الحِياضُ العِظام، واحدُها جابية؛ لأنه يُجْبى فيها الماء أي: يُجمَع، قال الشاعر:

بِجِفَانٍ تَعْتَري نادِيَنَا من سَدِيفٍ حين هاجَ الصِّنَّبِرْ
كالجَوابي لا تَنِي مُتْرَعَةً لِقِرى الأضيافِ أو للمُحْتَضِر[(١)]

وقال الأعشى:

نَفى الذَّمَّ عن آلِ المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ كجَابِيَةِ الشَّيْخِ العِراقيِّ تَفْهَقُ[(٢)]

وقال الأفوَه الأَوْدِيّ:

(١) البيتان لطرفة بن العبد، وهما في ديوانه ٦٦ بشرح الأعلم الشنتمري، قال: تعتري: تُلم به وتأتيه. النادي: مجلس القوم ومتحدَّثهم. السديف: قطع السنام. الصنبر: أشد ما يكون من البرد. الجوابي: جمع جابية، وهي الحوض العظيم يُجبى فيه الماء، شبه الجفان بها في سعتها وعظمتها. المترعة: المملوءة. لا تني: لا تفتر. القرى: القيام بالضيف. المحتضر: النازل على الماء.

(٢) ديوان الأعشى ٢/ ٧٧ (بتحقيق الرضواني)، والكامل ٩، وأمالي القالي ٢/ ٢٩٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٠، والخزانة ٧/ ١٦٥. تفهق: تمتلئ.
قال ابن عطية: ويروى السيح بالسين من غير نقط وبالحاء من غير نقط أيضاً، وهو الماء الجاري على وجه الأرض، ويروى بالشين والخاء منقوطين، فيقال: أراد كسرى، ويقال: أراد شيخاً من فلاحي سواد العراق غير معين، وذلك أنه لضعفه يدخر الماء في جابية فهي تفهق أبداً، فشبهت الجفنة بها لعظمها، وانظر كلام المبرد والبغدادي.

وقُـدورٍ كـالـرُّبـا راسِـيَـةٍ   وجِـفـانٍ كـالـجَـوابـي مُـتْـرَعَـهْ[١]

القِدْرُ: إناءٌ يُطْبَخ فيه من فخَّار أو غيره، وهو على شكلٍ مَخْصوص.

المِنْسَأة: العَصا، تُهمز ولا تُهمز، ووزْنُها مِفْعَلَة، من نَسَأْتُ أي: أخَّرْتُ وطَرَدْتُ، ويقال: مِنساءة بالمَدِّ والهَمْز على وزن مِفْعَالَة، كما قالوا مِيْضَأة ومِيْضاءة، وقال الشاعر:

ضَـرَبْـنـا بـمِـنْـسَـاءَةٍ وَجْـهَـه   فـصـار بـذاك مَـهِـيـنـاً ذَلـيـلا[٢]

وقال آخر:

إذا دَبَبْتَ عـلـى الـمِـنْـسَـاةِ مـن هَـرَمٍ   فـقـد تـبـاعَـدَ عـنـك الـلَّـهْـوُ والـغَـزَلُ[٣]

وقياسُ تخفيفِ هَمْزتها أن يكون بَيْنَ بين، وأمَّا إبدالُها ألفاً أو حذفُها فغيرُ قياسٍ.

العَرِم: إمَّا صِفةٌ للسَّيل أُضيف فيه الموصوفُ إلى صِفته، كقولهم: مَسْجدُ الجامعِ، وإمَّا اسمٌ لشيء، ويأتي القول فيه في تفسير المُرَكَّبات.

الخَمْطُ: قال أبو عبيدة: كلُّ شَجرةٍ مُرَّةٍ ذات شَوك[٤].

وقال ابن الأعرابيّ: الخَمْطُ: ثَمَرُ شَجَرةٍ على صورةِ الخَشْخاشِ لا يُنْتَفَعُ به[٥].

وقال القُتَبيّ: يقال للحُماضَة: خَمْطَة[٦].

---

(١) ديوان الأفوه ٣٩٦ (ضمن شعراء مذحج)، والدر المصون ٩/ ١٦٢، وروح المعاني ٢٢/ ٤٦، ورواية الديوان: كالزبى، قال محققه: الزبى: جمع زبية، وهي حفرة تحفر للأسد إذا أرادوا صيده، وأصلها الرابية لا يعلوها الماء.

(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ١٥٠، والقرطبي ١٧/ ٢٨٣، والآلوسي ٢٢/ ٥١، وعندهم: بمنسأة.

(٣) البيت دون نسبة في مجاز القرآن ٢/ ١٤٥، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٥٥، والبيان والتبيين ٣/ ٣١، وتفسير الطبري ١٩/ ٢٣٩، والمحتسب ٢/ ١٨٧، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٥٠، والماوردي ٤/ ٤٤١، والقرطبي ١٧/ ٢٨٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١١، واللسان (نسأ).

(٤) انظر مجاز القرآن ٢/ ١٤٧.

(٥) تهذيب اللغة ٧/ ٢٦٠.

(٦) كذا في النسخ، وفي أدب الكاتب لابن قتيبة ١٦٧، وعنه معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٠٨، والهداية لمكي ٩/ ٥٩١١، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٩٥: يقال للحامضة خمطة.

وقال أبو عُبيد: اللَّبَنُ إذا أَخَذَ شيئاً من الرِّيح فهو خامِط[١] وخَمِيط.

وتَخَمَّط الفَحْلُ: هَدَرَ، والرَّجُلُ: تَغَضَّب وتَكَبَّر، والخَمْرُ[٢]: أَخَذَت ريحَ الإِدْراكِ كرائحةِ التُّفَّاح ولم تُدْرِك بَعْد، ويقال: هي الخامِطَة. قاله الجوهريّ.

الأَثْل: شَجَرٌ، وهو ضَرْبٌ من الطَّرْفاء. قاله أبو حَنيفة اللُّغَويّ في كتاب «النبات» له[٣]، ويأتي ما قال فيه المفسِّرون.

السِّدْر: قال الفرَّاء: هو السَّمُر[٤]. وقال الأزهريّ: السِّدْرُ سِدْران: سِدْرٌ لا يُنْتَفَعُ به، ولا يَصْلُح وَرَقُه للغسول، وله ثَمرةٌ عَفِصَةٌ لا تؤكَل، وهو الذي يُسَمَّى الضَّال، وسِدْرٌ يَنْبُتُ على الماء، وثَمَرُه النَّبِق، وَرَقُه غسولٌ يُشْبه وَرَقَ شَجَرِ العُنَّاب[٥].

التَّناوُش: تَناولٌ سَهْلٌ لشيءٍ قَريب، يُقال: ناشَه يَنُوشُهُ وتَناوَشَه القومُ، وتَناوَشُوا في الحَرْب: ناشَ بعضُهم بعضاً بالسِّلاح[٦]. وقال الرَّاجز:

فَهْي تَنوش الحَوْضَ نَوْشاً من عَلا
نَوْشاً به تَقْطَعُ أَجْوازَ الفَلا[٧]

---

(١) في النسخ (أ ح د٢ ز٢ ع يه): حامض، والمثبت من المطبوع، والصحاح (خمط)، والغريب المصنف لأبي عبيد ١/ ٩٥، وتهذيب اللغة ٧/ ٢٦٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٩٥، واللسان (خمط)، ووقع فيه النقل عن أبي عبيدة وهو تحريف.

(٢) في الصحاح (خمط): والخَمْطَةُ: الخمر، وكذا نقل عنه القرطبي ١٧/ ٢٩٥.

(٣) لم نقف عليه في مطبوع كتاب النبات، ونقله عنه ابن عطية في المحرر ٤/ ٤١٤.

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٥٩.

(٥) تهذيب اللغة ١٢/ ٣٥٣، وعنه القرطبي ١٧/ ٢٩٦.

(٦) الكشاف ٣/ ٢٩٦.

(٧) نسب الرجز أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٥٠، وابن بري في التنبيه والإيضاح ٢/ ٣٢٧-٣٢٨، وابن منظور في اللسان (نوش) إلى غيلان بن حريث، ونسبه ابن منظور في اللسان (علا) إلى أبي النجم العجلي، وهو في ديوانه ٤٦٢-٤٦٣ (مجمع اللغة).
والرجز دون نسبة في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٥، وكتاب سيبويه ٣/ ٤٥٣، وإصلاح المنطق ٤٣٢، وغريب الحديث للحربي ٨٨٤، وأدب الكاتب ٥٠٣، والكامل ٣/ ١٤٣٣، ومجالس ثعلب ٥٨٧، والصحاح (نوش)، وتهذيب اللغة ١١/ ٤١٧، والزاهر ١/ ٢٤٣، =

وأمَّا بالهَمْز فقال الفرَّاء: من نَأَشْتُ أي: تَأَخَّرْتُ، قال الشاعر:

تَمنَّى نَئيشاً أنْ يكونَ أطاعَني وقد حَدَثَتْ بعدَ الأمورِ أمورُ[1]

وقال آخر:

وجِئتَ نَئيشاً بعدَما فاتَكَ الخَبَرْ[2]

نئيشاً: أخيراً.

* * *

سورة سبأ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ① يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ

= وتفسير الطبري ١٩/ ٣١٥-٣١٦، والثعلبي ٥/ ١٦٥، والماوردي ٤/ ٤٥٩، والقرطبي ١٧/ ٣٣٦، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٢٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٦، وخزانة الأدب ٩/ ٤٣٧.

قال ابن بري: قوله: فهي؛ الضمير للإبل، وتنوش الحوض: تتناول ماءه، وقوله: من علا، أي: من فوق، يريد أنها عالية الأجسام طوال الأعناق، وذلك النوش الذي تناله هو الذي يعينها على قطع الفلوات، والأجواز: جمع جَوْز، وهو الوسط.

(١) نسبه الزمخشري في المستقصى ١/ ٣٠٢، والبصري في الحماسة ٨٦٦، وابن بري في التنبيه والإيضاح ٢/ ٣٢٥، وابن منظور في اللسان (نأش) لنهشل بن حَرّي، والبيت دون نسبة في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٥، وتفسير الطبري ١٩/ ٣١٥، والثعلبي ٥/ ١٦٥، والقرطبي ١٧/ ٣٣٨، وغريب الحديث للحربي ٨٨٣، والزاهر ١/ ٢٤٤، والصحاح (نأش)، وتهذيب اللغة ١١/ ٤١٧، والكشاف ٣/ ٢٩٦. نئيشاً: أخيراً، والضمير للمولى في قوله في البيت قبله:

ومولى عصاني واستبد برأيه كما لم يُطع فيما أشار قصيرُ

(٢) صدره كما في تفسير القرطبي ١٧/ ٣٣٨: قعدتَ زماناً عن طلابك للعُلا

وعجزه دون نسبة في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٥، وغريب الحديث للحربي ٨٨٣، وتهذيب اللغة ١١/ ٤١٧، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٦٥، واللسان (نوش).

ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا
يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي
كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ
كَرِيمٞ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ﴿٥﴾ وَيَرَى
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ
﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ
جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ
ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ
ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٩﴾﴾.

هذه السُّورة قال في «التَّحرير»: مكِّيةٌ بإجماعهم. وقال ابن عطية: مكيَّة إلا قوله: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ [سبأ: ٦]، فقالت فرقة: مدنيَّةٌ فيمَن أسلم من أهل الكتاب كعبد الله بن سَلام وأشباهِه(١). انتهى.

وسببُ نزولها: أنَّ أبا سُفيان قال لكُفَّار مكَّةَ لمَّا سَمعوا: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٧٣]: محمدٌ يَتوَعَّدُنا بالعَذابِ بعد أنْ نموت، ويُخَوِّفُنا بالبَعْث، واللَّاتِ والعُزَّى لا تأتينا السَّاعةُ أبداً ولا نُبعَث، فقال الله: «قُل» يا محمد «بلى وربِّي» لَتُبْعَثُنَّ. قاله مُقاتل(٢).

وباقي السُّورة تَهديدٌ لهم وتخويف.

ومِن ذِكْر هذا السَّبب ظَهرت المُناسبةُ بين هذه السُّورة والتي قبلَها.

«الحمدُ لله» مُسْتَغرقٌ لجميع المَحامد. «وله الحَمْدُ في الآخرة» ظاهرُه الاستغراق.

ولمّا كانت نِعَمُ الآخرةِ مُخبَراً بها غيرَ مَرْئيَّةٍ لنا في الدُّنيا ذَكرها ليُقاسَ نِعَمُها بنِعَمِ الدُّنيا قِياسَ الغائب على الشَّاهد وإن اختَلَفتا في الفَضيلة والدَّيمومة.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٤.

(٢) ذكره ابن عطية ٤/ ٤٠٥، والقرطبي ١٧/ ٢٥٣ دون نسبة.

وقيل: أل فيه للعَهْد، والإشارةُ إلى قوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ١٠]، أو إلى قوله: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤][(١)].

وقال الزمخشري: الفَرْقُ بين الحَمْدَيْن: وجوبُ الحَمْدِ في الدنيا؛ لأنه على نِعْمةٍ مُتَفَضَّلٍ بها، وهو الطريقُ إلى تحصيلِ نِعْمةِ الآخرة وهي الثَّواب، وحَمْدُ الآخرةِ ليس بواجب؛ لأنه على نِعمةٍ واجِبةِ الإيصال إلى مُسْتَحِقِّها، إنما هو تَتِمَّةُ[(٢)] سُرورِ المؤمنين، وتكمِلَةُ اغتباطِهم يَلْتَذُّون به. انتهى. وفيه بعضُ تلخيص.

«يَعلم ما يَلِجُ في الأرض» من المياه. وقال الكلبي: من الأموات والدَّفائن، «وما يَخرج منها» من النَّبات. وقال الكلبي: من جَواهر المَعادن «وما يَنزلُ من السَّماء» من المَطَر والثَّلْج والبَرَد والصَّاعِقَة والرِّزْق والمَلَك «وما يَعْرُجُ فيها» من أعمال الخَلْق. وقال الكلبي: وما يَنزل وما يَعْرُجُ من الملائكة. وقيل: من الأقضية والأحوال والأدعية والأعمال. وقيل: من الإنْعام والعَطاء[(٣)].

وقرأ عليّ والسُّلَميّ: «وما يُنَزِّلُ» بضمِّ الياء وفتح النُّون وشدِّ الزاي، أي: الله تعالى[(٤)].

و«بلى» جوابٌ للنَّفي السَّابق من قولهم: «لا تأتينا السَّاعةُ» أي: بلى لَتَأتيَنَّكم.

وقرأ الجمهور: «لَتأتيَنَّكم» بتاء التَّأنيث، أي: الساعةُ التي أنكرتُم مَجيئَها.

وقرأ طَلْق عن أشياخه بياء الغَيْبة[(٥)]، أي: لَيَأتيَنّكم البَعْثُ؛ لأن مَقصودَهم من نفي السَّاعة أنهم لا يُبْعَثون.

وقال الزمخشري: أو على معنى السَّاعة أي: اليوم، أو على إسناده إلى الله

---

(١) في (به): تتميم، وانظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٤.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٧٨.
(٣) انظر النكت والعيون ٤/ ٤٣٢.
(٤) ذكرها عن السلمي ابن عطية في المحرر ٤/ ٤٠٤، وفي مختصر في الشواذ ١٢١، والكشاف ٣/ ٢٧٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٥٣ أن قراءة علي: ننزل بالنون والتشديد.
(٥) مختصر في الشواذ ١٢١، والمحتسب ٢/ ١٨٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٤٤-٢٤٥.

على معنى: لَيَأتيَنّكم أمرُ عالمِ الغَيْب، كقوله: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، أي: أمرُه[١].

ويَبْعُد أنْ يكونَ ضميرَ السَّاعة؛ لأنه مَذْهوبٌ به مَذْهَبَ التَّذكير لا يكون إلا في الشّعر نحو قوله:

ولا أرضَ أبْـــقَــــلَ إبْـــقــــالَــــهـــا[٢]

ثم أكّد الجوابَ بالقَسَم على البَعْث، وأتْبَعَ القَسَمَ بقوله: «عالمِ الغيبِ» وبما بعده ليُعْلَم أنَّ إتْيانها من الغَيب الذي تفرَّد به تعالى.

وجاء القَسَم بقوله: «وربّي» مُضافاً إلى الرَّسول ليَدُلّ على شِدَّة القسم؛ إذْ لم يأتِ به في الاسم المُشتَرَك بينه وبين مَن أنكر السَّاعةَ وهو لَفظُ الله.

وقرأ نافع وابنُ عامر ورُوَيْس وسَلّام والجَحْدَريّ وقَعْنَب: «عالمُ» بالرَّفع[٣] على إضْمار هو، وجَوَّز الحَوْفيُّ وأبو البَقاء أن يكون مبتدأً والخبر «لا يَعْزُب»[٤]. وقال الحَوْفيّ: أو خَبرُه محذوف، أي: عالمُ الغيب هو[٥].

وباقي السبعة: «عالمِ» بالجرّ. قال ابن عطية وأبو البقاء: وذلك على البَدَل، وأجاز أبو البقاء أن تكون صِفَةً[٦]، ويعني أن «عالمِ الغيب» يجوز أن يتعرَّف، وكذا كُلُّ ما أُضيف إلى معرفةٍ مما كان لا يَتعرَّف بذلك يجوز أن يَتعرَّف؛ إلا إضافة الصِّفة المُشَبَّهة، فلا تتعرَّف بإضافة، ذكر ذلك سيبويه في كتابه[٧]، وقلَّ مَن يَعرفه.

---

(١) في الكشاف ٣/ ٢٧٩: ووجه من قرأ بالياء أن يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم، أو يسند إلى عالم الغيب، أي: ليأتينكم أمره كما قال تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ﴾.
(٢) صدره: فلا مُزنةٌ وَدَقَت وَدْقَها، وهو لعامر بن جوين الطائي كما في المذكر والمؤنث للمبرد ١٠٢، والكامل ٨٤١، وسلف في تفسير الآية (١٤) من سورة الإسراء.
(٣) السبعة ٥٢٦، والتيسير ١٨٠ عن نافع وابن عامر، والنشر ٢/ ٣٤٩ عنهما وعن رويس.
(٤) إملاء ما منّ به الرحمن ٢/ ١٩٥.
(٥) ذكرهما الآلوسي ٢٢/ ١٢-١٣، والسمين في الدر ٩/ ١٤٨ وقال: وفيه بُعد.
(٦) الإملاء ٢/ ١٩٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٥.
(٧) الكتاب ١/ ٤٢٥.

وقرأ ابن وَثَّاب والأعمش وحمزة والكسائي: «عَلَّامِ» على المُبالَغة والخَفْض[١].

وتقدّمت قراءة «يَعْزُبُ» في «يونس»[٢].

وقرأ الجمهور: «ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ» برفع الرَّاءين، واحتمل أن يكون معطوفاً على «مِثْقالُ»، وأن يكون مبتدأ والخبر في قوله: «إلا في كتاب». وعلى الاحتمال الأوّل يكون «إلا في كتابٍ مُبين» توكيداً لما تضمَّن النفيُ في قوله: «لا يَعْزُبُ» وتقديره: لكنَّه في كتاب مُبين، وهو كنايةٌ عن ضَبطِ الشيء والتَّحَفُّظ به، فكأنه في كتاب وليس ثمَّ حقيقةُ كتاب. وعلى التَّخريج الأوّل يكون الكتاب هو اللوحُ المَحْفوظ.

وقرأ الأعمش وقتادة بفتح الرَّاءين[٣]. قال ابن عطية: عطفاً على «ذَرَّة» ورُويت عن أبي عمرو، وعَزاها أيضاً إلى نافع[٤].

ولا يتعيَّن ما قال، بل تكون «لا» لنَفْي الجِنْس وهو مبتدأ، أعني مَجموعَ لا وما بُني معها على مذهب سيبويه[٥]، والخبر: «إلا في كتابٍ مُبين» وهو من عطف الجُمَل، لا من عطف المُفردات كما قال ابن عطيَّة.

وقال الزمخشري جواباً لسؤال مَن قال: هلّا جاز عطفُ «ولا أصغرُ» على «مِثْقالُ» وعطفُ «ولا أصغرَ» على «ذَرَّةٍ»؟ قلت[٦]: يأبى ذلك حرفُ الاستثناء؛

---

(١) السبعة ٥٢٦، والتيسير ١٧٩، والنشر ٢/ ٣٤٩، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٣٩.
(٢) في الآية (٦١) منها.
(٣) مختصر في الشواذ ١٢١، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٥، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٥٥، وزاد المسير ٦/ ٤٣٣ ونسبها إلى ابن السميفع والنخعي والأعمش.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٥. وذكر ابن غلبون في التذكرة ٢/ ٦٢١ أن حسيناً الجعفي روى عن أبي عمرو أنه نصبهما. ا هـ. وأما قراءة نافع وأبي عمرو المشهورة عنهما فهي كقراءة الجمهور بالرفع.
(٥) الكتاب ٢/ ٢٧٥.
(٦) لفظ الزمخشري ٣/ ٢٧٩-٢٨٠: فإن قلت: هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كأنه قيل: لا يعزب عنه مثقال ذرة وأصغر وأكبر، وزيادة لا لتأكيد النفي، وعطف المفتوح علي

إلا إذا جعلتَ الضميرَ في «عنه» للغيب، وجعلتَ الغيبَ اسماً للخَفِيَّات قبل أن تُكتَبَ في اللَّوح؛ لأن إثباتَها في اللوح نوعٌ من البُروزِ عن الحِجاب، على معنى أنه لا يَنْفَصلُ عن الغيبِ شيءٌ ولا يَزِلُّ عنه إلا مَسطوراً في اللّوح. انتهى.

ولا يُحتاج إلى هذا التأويل إذا جَعلْنا الكتابَ المُبين ليس اللوحَ المَحفوظ.

وقرأ زيد بن عليّ: «ولا أصغرِ من ذلك ولا أكبرِ» بخَفْض الرَّاءين بالكَسْر[1]. كأنه نَوى مُضافاً إليه محذوفاً، التقدير: ولا أصغرِه ولا أكبرِه، و«من ذلك» ليس متعلّقاً بأفْعَل، بل هو تَبْيينٌ؛ لأنه لما حذف المضاف إليه أُبهم لفظاً، فبيَّنه بقوله: «من ذلك» أي: أعني من ذلك. وقد جاءت من مع كون أفعَل التَّفضيل مُضافاً في قول الشاعر:

نحن بغَرْسِ الوَدِيِّ أعْلَمُنا   منَّا بركْضِ الجِيادِ في السَّدَفِ[2]

وخُرِّج على أنه أراد: أعلمُ مِنَّا، فأضاف ناوياً اطِّراحَ المُضاف إليه، فاحتَملتْ قراءةُ زيدٍ هذا التَّوجيهَ الآخَر: أنه لمّا أضاف أصغرَ وأكبرَ إلى مضاف إليه نوى اطِّراحه، فأتى بمن الدَّاخلة على المفضّل عليه، وأبقى أصغر وأكبر على إعرابهما حالةَ الإضافة. وهذا كلُّه توجيهُ شُذوذ.

وناسَبَ وَصْفُه تعالى بعالِم الغَيب، وأنه لا يَفوتُ علمَه شيءٌ من الخَفِيَّات، فانْدَرَجَ في ذلك وقتُ قيامِ السَّاعة، وصار ذلك دليلاً على صِحَّةِ ما أقسَم عليه؛ لأنَّ

= ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كأنه قيل: لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ؟ قلت. وانظر الدر المصون ٩/ ١٤٩.

(١) ذكرها السمين في الدر ٩/ ١٤٩، والآلوسي ٢٢/ ١٦.

(٢) البيت في أمثال أبي عبيد ١٤١، والفاخر ٧١، والصحاح (سدف)، وتهذيب اللغة ١٢/ ٤٣٣، وجمهرة الأمثال ٢/ ٣٣١، والمستقصى ٢/ ٣٧١، ومجمع الأمثال ١/ ٩٤، وفصل المقال ٢١٠، واللسان (سدف)، وشرح شواهد المغني للسيوطي ٨٤٥ منسوباً إلى سعد القرقرة، ونسبه ابن عصفور في الضرائر ٢٨٣ إلى قيس بن الخطيم، وهو في زيادات ديوانه ٢٣٦، ونسبه صاحب اللسان (ودى) إلى الأنصاري، وهو دون نسبة في غريب الحديث لابن سلام ٥/ ٢٢٨، ومقاييس اللغة ٣/ ١٤٨، ومغني اللبيب (٨١١)، وشرح أبياته للبغدادي ٦/ ٣٣٥، والخزانة ٩/ ٢١٩. الودي: صغار النخل. السدف: الظلمة والضوء، أضداد، وروي عند بعضهم: السلف، وهي الأرض.

مَن كان عالماً بجميع الأشياء كُلِّها وجُزئها، وكانت قُدرتُهُ تامَّةً كان قادراً على إعادةِ ما فَنِيَ، وجمعِ الأرواح والأشباح.

قيل: وقوله: «مِثْقالُ ذَرَّةٍ في السَّماوات» إشارةٌ إلى علمِهِ بالأرواح «ولا في الأرض» إشارةٌ إلى علمه بالأشباح، وكما أبْرَزَهما من العَدَم إلى الوجود أوَّلاً فكذلك يُعيدُهما ثانياً.

وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف تكون ـ يعني اليمين ـ مُصَحِّحةً لما أنكروه؟ قلت: هذا لو اقتصر على اليمين ولم يُتْبعها بالحُجَّةِ القاطعة وهو قوله: «ليَجْزي» فقد وَضع الله في العقول، ورَكَّب في الغَرائز وجوبَ الجَزاء، وأنَّ المُحْسِنَ لا بُدَّ له من ثَواب، والمُسيءَ لا بُدَّ له من عقاب[1]. انتهى. وفي السُّؤال بعضُ اختصار، وفيه دَسيسةُ الاعتزال.

والظَّاهر أن قوله: «ليَجْزيَ» مُتعلّقٌ بقوله: «لا يَعْزُب» وقيل: بقوله: «لَتَأتِيَنَّكم» وقيل: بالعامل في «كتابٍ مُبين» أي: إلا مُسْتَقِرٌّ في كتابٍ مُبين ليَجْزيَ[2].

وقرأ الجمهور: «مُعاجِزين» مُخفَّفاً. وابن كثير وأبو عمرو والجَحْدَريّ وأبو السَّمَّال مُثَقَّلاً[3]. وتقدَّم في «الحجّ» [الآية: ٥١] أي: مُعجزينَ قدرة الله في زَعْمِهم.

وقال ابن الزُّبير: معناه: مُثَبِّطين عن الإيمان مَن أرادَه، مُدْخِلين عليه العَجْزَ في نَشاطه، وهذا هو سَعْيُهم في الآيات، أي: في شأن الآيات.

وقال قتادة: مُسابِقين، يَحسَبون أنهم يَفوتوننا. وقال عكرمة: مُراغِمين. وقال ابن زيد: مُجاهِدين في إبْطَالِها[4].

وقرأ ابن كثير وحَفْص وابن أبي عَبْلَة: «أليم» هنا وفي «الجاثية» بالرَّفع صفةً

(١) الكشاف ٣/ ٢٧٩.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٥.
(٣) السبعة ٤٣٩، والتيسير ١٥٨، والنشر ٢/ ٣٢٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٥، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٥٥.
(٤) تفسير الطبري ١٩/ ٢١٣، والثعلبي ٥/ ١٣٩، والماوردي ٤/ ٤٣٣، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٩٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٥.

للعَذاب. وباقي السَّبعة بالجرِّ صفةً للرِّجز[١]. والرِّجْزُ: العذابُ السيِّئ.

والظَّاهر أن قوله: «والذين سَعَوا» مبتدأ، والخبر في الجملة الثانية وهي «أولئك». وقيل: هو منصوبٌ عطفاً على «الذين آمنوا» أي: وليَجْزيَ الذين سَعَوا.

واحتمل أن تكون الجملتان المُصَدَّرتان بـ «أولئك» هما نَفْسُ الثَّواب والعقاب، واحتمل أن تكونا مُستأنفَتَين، والثَّوابُ والعقاب غير ما تَضَمَّنتا مما هو أعظم، كرضا الله عن المؤمن دائماً، وسَخَطه على الكافر دائماً.

والظاهر أن قوله: «ويَرى» استئنافُ إخبارٍ عمَّن أُوتي العلم، أي: يَعلمون القرآنَ المُنْزَل عليك هو الحقّ.

وقيل: «ويَرى» منصوبٌ عطفاً على «ليَجْزيَ» وقاله الطبريّ والثَّعلبيّ[٢].

وتقدَّم الخلاف في الذين أوتوا العلم في ذكر المكان الذي نزلت فيه هذه السورة.

وقال الزمخشري: أي: وليَعلَمَ أولو العلم عند مَجيءِ السَّاعة أنه الحقُّ علماً لا يُزادُ عليه في الإيقان، ويَحتجُّوا به على الذين كَذّبوا وتَولَّوا. ويجوز أن يُريد: وليَعلَم مَن لم يؤمن من الأحْبار أنه هو الحقّ، فيزدادوا حَسْرةً وغَمًّا. انتهى.

وإنما قال: عند مجيء الساعة لأنه عَلَّق «ليَجْزي» بقوله: «لَتَأتيَنَّكم»[٣] فبنى التَّخريج على ذلك.

وقرأ الجمهور: «الحقَّ» بالنصب مفعولاً ثانياً لـ «يَرى» و«هو» فَصْل.

وابن أبي عَبْلَة بالرَّفع[٤]، جعل «هو» مبتدأً، و«الحَقُّ» خبرَه، والجملة في

(١) السبعة ٥٢٦، والتيسير ١٨٠، والنشر ٢/ ٣٤٩ وهي قراءة يعقوب من العشرة. ولم نقف على قراءة ابن أبي عبلة.
(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٢١٣، والثعلبي ٥/ ١٣٩، وانظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٥.
(٣) هنا ينتهي الخرم في نسخة (د٣) المشار إليه في تفسير الآية (٥٢) من سورة الأحزاب.
(٤) ذكرها السمين في الدر المصون ٩/ ١٥٣، والآلوسي في روح المعاني ٢٢/ ١٨، وذكر ابن خالويه في مختصر في الشواذ ١٢١ أن أبا مُعاذ حكى هذه القراءة.

موضع المفعول الثاني لـ «يرى»، وهي لغةُ تميم، يجعلون ما هو فَصْلٌ عند غيرهم مبتدأً. قاله أبو عُمر الجَرْميّ[(١)].

والظَّاهر أن الفاعل بـ «يَهْدي» هو ضمير «الذي أُنزِل إليك» وهو القرآن، وهو استئنافُ إخبارٍ.

وقيل: هو في موضع الحالِ على إضمار: وهو يَهدي.

ويجوز أنْ يكون معطوفاً على «الحقِّ» عطفَ الفعل على الاسم، كقوله: ﴿صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ﴾ [الملك: ١٩] أي: وقابضاتٍ، كما عُطف الاسمُ على الفعل في قوله:

فـألْـفَـيْـتُـه يـومـاً يُـبـيـرُ عَـدُوَّه   وبـحـرَ عَـطـاءٍ يَـسـتـخِـفُّ الـمَـعـابِـرا[(٢)]

عطف: وبحرَ على يُبير.

وقيل: الفاعل بـ«يَهدي» ضميرٌ عائدٌ على الله. وفيه بُعد.

«وقال الذين كفروا» هم قُريش، قال بعضُهم لبعض على جِهةِ التَّعجُّب[(٣)] والاستهزاء، كما يقول الرجل لمَن يُريد أنْ يُعَجِّبَه: هل أدُلُّك على قصَّةٍ غَريبةٍ نادِرةٍ؟!

لما كان البَعْثُ عندهم من المُحال جَعلوا مَن يُخبر عن وقوعه في حَيِّز مَن يُتَعَجَّب منه، وأتَوا باسمه عليه السَّلام نَكرةً في قولهم: «هل نَدُلُّكم على رَجُلٍ» ـ وكان اسمُه أشهرَ عَلَم في قريش بل في الدُّنيا، وإخبارُه بالبعثِ أشهرَ خبرٍ ـ لأنهم أخرجوا ذلك مَخرجَ الاستهزاء والتَّحلِّي ببعض الأحاجي المعمولة للتَّلَهِّي والتَّعمِية؛ فلذلك نَكَّروا اسمَه.

---

(١) انظر التذييل والتكميل في شرح التسهيل لأبي حيان ٢/ ٣٠٢-٣٠٣.

(٢) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ١٣٤ (بشرح ابن السكيت)، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ١/ ٢٤٩، ولابن أبي الربيع ٢/ ١٠٢٠، والمقاصد الشافية للشاطبي ٥/ ١٨٩. يبير عدوه: يهلكهم، والمعابر: السفن التي يعبر فيها، يقول: يستخف ذلك البحر السفن لكثرة مائه. قاله شارح الديوان.

(٣) في (يه): التعجيب. وانظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٦.

وقرأ الجمهور: «يُنَبِّئُكُم» بالهمز. وزيد بن عَليّ بإبدال الهمزة ياءً مَحْضَةً[١]. وحكى عنه الزمخشري: «يُنْبِئُكُم»[٢] بالهمز من أَنْبَأ.

و«إذا» جوابُها محذوف تقديرُهُ: تُبعثون، وحُذف لدلالة ما بَعدَه عليه، وهو العامل في «إذا» على قول الجمهور. وقال الزجَّاج ذلك، وقال أيضاً هو والنَّحّاس: العامل «مُزِّقتُم»، قال ابن عطية: وهو خطأ وإفسادٌ للمعنى[٣]. انتهى.

وليس بخَطأ ولا إفسادٍ للمعنى، وإذا الشَّرطيّة مُخْتَلَفٌ في العامل فيها، وقد بَيَّنا في ما كتبناه في «شرح التَّسهيل» أنَّ الصَّحيح أنْ يَعملَ فيها فعلُ الشَّرط كسائر أدوات الشَّرط[٤].

والجملة الشَّرطيةُ يحتمل أن تكون معمولةً لـ «يُنَبِّئكُم» لأنه في معنى: يقول لكم إذا مُزِّقْتُم كلَّ مُمَزَّقٍ: تُبْعَثون. ثم أكَّد ذلك بقوله: «إنَّكم لفي خَلْقٍ جَديد».

ويحتمل أن يكون «إنكم لفي خلقٍ جديد» مَعمولاً لـ «يُنَبِّئكُم»، و«يُنَبِّئكم» مُعَلَّقٌ، ولولا اللام في خبر «إنَّ» لكانت مفتوحةً، فالجملة سدَّت مَسَدَّ المفعولَين، والجملةُ الشرطيَّةُ على هذا التقدير اعتراضٌ. وقد منع قوم التَّعليق في باب أَعْلَم، والصَّحيح جَوازُه، قال الشاعر:

حَذارِ فقد نُبِّئْتُ إنك للذي ... ستُجْزَى بما تَسعى فتَسْعَدُ أو تَشْقى[٥]

و«مُمَزَّق» مَصْدر جاء على زِنَةِ اسمِ المفعول على القياس في اسم المَصْدر من كلِّ فِعلٍ زائدٍ على الثَّلاثة، كقوله:

---

(١) ذكرها السمين ٩/ ١٥٥، والآلوسي ٢٢/ ٢١.

(٢) الكشاف ٢/الورقة ١٩٤، ووقع في مطبوعه ٣/ ٢٨٠: ينبيكم. وانظر الدر المصون ٩/ ١٥٥.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٤١، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٦.

(٤) التذييل والتكميل في شرح التسهيل ٧/ ٣١٥، وارتشاف الضرب ١٤١١. قال السمين في الدر المصون ٩/ ١٥٤ بعد ذكر كلامه: لكن الجمهور على خلافه.

(٥) البيت في شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ١٠٣، والتذييل والتكميل ٦/ ١٦٠ لأبي حيان دون نسبة.

أَلـم تـعـلَـم مُـسَـرَّحِـيَ الـقَـوافـي فـلا عِـيًّـا بـهـنَّ ولا اجـتِـلابـا[(١)]

أي: تَسْريحي القَوافي.

وأجاز الزمخشريّ أن يكون ظرفَ مكان، أي: إذا مُزِّقْتُم في كلِّ مكانٍ من القبور وبُطونِ الطَّير والسِّباعِ، وما ذَهَبت به السُّيولُ كلَّ مَذْهَب، وما تَسْفيْه الرِّياح فَطَرَحَتْه كلَّ مَطْرَح[(٢)]. انتهى.

و«جَديد» عند البَصْرِيِّين بمعنى فاعل، تقول: جَدَّ فهو جادٌّ وجَديد، وبمعنى مفعول عند الكوفيّين، من جَدَّه إذا قَطَعه.

والظاهر أن قولَه: «أفْتَرى» من قولهم بعضِهم لبعض، أي: أهو مُفْتَرٍ على الله كَذِباً فيما يَنْسُبُ إليه من أمرِ البَعْثِ، أم به جُنونٌ يُوهِمُه ذلك ويُلقيه على لسانه؟! عادَلوا بين الافتراء والجنون؛ لأن هذا القولَ عندهم إنما يَصْدُر عن أحدِ هذين، لأنه إنْ كان يَعتقد خلافَ ما أنْبَأ به فهو مُفْتَرٍ، وإنْ كان لا يَعْتقده فهو مجنون.

ويحتمل أن يكون من كلام السَّامع المُجيب لمَنْ قال: «هل نَدُلّكم» رَدَّد بين الشَّيئين ولم يَجْزم بأحدِهما حيث جَوَّز هذا وجوز هذا، ولم يجزم بأنه افتِراءٌ مَحْضٌ احتِرازاً من أنْ يَنْسُب الكذبَ لعاقلٍ نِسْبةً قَطعيَّةً؛ إذ العاقلُ حتى الكافر لا يَرضى بالكذب لا من نفسه ولا من غيره، وأضْرَبَ تعالى عن مَقالتهم. والمعنى: ليس الرَّسولُ كما نَسَبتُم إليه، بل أنتم في عَذابِ النار، أو في عذاب الدُّنيا بما تُكابِدونَه من إبْطال الشَّرع وهو مُحَقّ، وإطفاءِ نور الله وهو مُتَمّ.

ولما كان الكلامُ في البَعْث قال: «بل الذين لا يؤمنون بالآخرة» فرَتَّب العذابَ على إنكارِ البعث.

---

(١) البيت لجرير، وهو في الكتاب ١/ ٢٣٣، ٣٣٦، والكامل ٢٦١، والمقتضب ١/ ٧٥ و٢/ ١٢١، والكشاف ٣/ ٢٨٠، وأمالي ابن الشجري ١/ ٦٢، وروايته في الديوان ٢/ ٦٥١ (بشرح ابن حبيب):

ألـم تُـخْـبَـر بـمَـسْـرَحـي الـقـوافـي

(٢) الكشاف ٣/ ٢٨٠-٢٨١.

وتقدَّم الكلامُ في وَصْفِ الضَّلال بالبُعْد[١]، وهو من أوصاف المُحال استُعير للمعنى، ومعنى بُعْدِه أنه لا تَنقضي حَيْرَةُ المُتَلَبِّس[٢] به.

«أفلم يَرَوْا» أي: هؤلاء الكفَّار الذين لا يؤمنون بالآخرة «إلى ما بين أيديهم» أي: حيثما تَصَرَّفوا فالسَّماءُ والأرضُ قد أحاطتا بهم، لا يَقْدِرون[٣] أن يَنْفُذوا من أقطارهما، ولا يخرجوا عن مَلَكوت الله فيهما.

وقال الزمخشري: أَعَمُوا فلم يَنظروا؟[٤] جَعل بين الفاء والهمزة فعلاً ماضياً يصحُّ العطفُ عليه، وهو خلافُ ما ذَهب إليه النحويُّون من أنه لا مَحْذوفَ بينهما، وأنَّ الفاء للعَطْفِ على ما قبلَ همزة الاستفهام، وأنَّ التقدير: فألَمْ، لكنْ همزةُ الاستفهام لمّا كان لها الصَّدرُ قُدِّمَتْ، وقد رَجع الزمخشريُّ إلى مذهب النحويّين في ذلك، وقد رَدَدْنا عليه هذا المذهبَ فيما كتبناه في «شرح التَّسهيل»[٥].

وَقَفَهم تعالى على قُدرته الباهرة، وحَذَّرهم إحاطتَها بهم على سبيلِ الإهلاكِ لهم، وكأن ثمَّ حالاً محذوفةً، أي: أفلا يرون إلى ما يُحيط بهم من سماءٍ وأرضٍ مَقْهوراً تحت قُدرتنا نتصَرَّف فيه كما نُريد؟

«إنْ نَشَأ نَخْسِفْ بهم الأرضَ» كما فعلْنا بقارون «أو نُسْقِطْ عليهم كِسَفاً من السَّماء» كما فعلْنا بأصحاب الظُّلَّة. أو: «أفلم يَرَوا إلى ما بين أيديهم وما خلْفَهم» مُحيطاً بهم وهم مقهورون تحته «إنْ نَشَأ».

«إنَّ في ذلك» النَّظَرِ إلى السَّماء والأرض، والفكرِ فيهما، وما يَدُلّان عليه من قُدرة الله «لآيةً» لَعَلامَةً ودِلالةً «لكلِّ عبدٍ مُنيب» راجعٍ إلى ربِّه، مطيعٍ له. قال مجاهد: مُخْبِت. وقال الضحَّاك: مستقيم. وقال أبو رَوْق: مُخلص في التوحيد. وقال قتادة: مُقبل إلى ربه بقلبه؛ لأن المُنيب لا يَخْلو من النَّظَر في آيات الله على

(١) في الكلام على الآية (٦٠) من سورة النساء وما تضمنته من ألوان البلاغة وذلك بعد نهاية الآية (٧٣) من سورة النساء.
(٢) في (أ ع د٢ ز٢): الملتبس، والمثبت من (يه).
(٣) في (ز٢): لا يستطيعون.
(٤) الكشاف ٣/ ٢٨١.
(٥) لعله في القسم الذي لم يطبع منه.

أنه قادرٌ على كلِّ شيءٍ من البعث ومن عقاب مَنْ يكفُر به[١].

وقرأ الجمهور: «إنْ نَشَأْ نَخْسِفْ، نُسْقِطْ» بالنون في الثلاثة.

وحمزة والكسائي وابن وَثَّاب وعيسى والأعمش وابن مُصَرِّف بالياء فيهنّ.

وأدغم الكسائي الفاء في الباء في «يَخْسف بهم»[٢].

قال أبو علي: وذلك لا يجوز لأن الباء أضعفُ في الصَّوت من الفاء فلا تُدْغَم فيها، وإن كانت الباءُ تُدْغَم في الفاء نحو: اضْرِبْ فلاناً، وهذا كما تُدْغَم الباء في الميم كقولك: اضْرِبْ مالكاً، ولا تُدغَم الميم في الباء كقولك: اضْمُمْ بكْراً؛ لأن الباء انْحطَّت عن الميم بفَقْدِ الغُنَّة التي في الميم[٣].

وقال الزمخشري: وقرأ الكسائي: «يَخْسِف بهم» بالإدغام، وليست بقويّة[٤]. انتهى.

والقراءةُ سُنَّةٌ مُتَّبَعَة، ويوجد فيها الفصيحُ والأفْصَح، وكلٌّ ذلك من تيسيره تعالى القرآنَ للذِّكر، فلا التِفاتَ إلى قول أبي عليّ ولا الزمخشريّ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾.

ومُناسبةُ قصَّةِ داودَ وسُليمان عليهما السَّلام لما قبلَها هي أن أولئك الكُفَّار

(١) انظر النكت والعيون ٤/ ٤٣٥، والكشاف ٣/ ٢٨١.

(٢) السبعة ٥٢٧، والتيسير ١٨٠، والنشر ٢/ ٣٤٩، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٤٠، والقرطبي ١٧/ ٢٥٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٦.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٧ وعنه نقل كلام أبي علي، وانظر الحجة ٦/ ٨-٩.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٨١.

أنكروا البَعْثَ لاستحالتِه عندهم، فأُخبروا بوقوع ما هو مُستحيلٌ في العادَةِ مما لا يُمكنُهم إنكارُهُ؛ إذْ طَفَحَت ببعضه أخبارُهم وأشعارُهم[١] على ما يأتي ذكرُهُ إنْ شاء الله من تَأويبِ الجبالِ والطَّير مع داود، وإلانةِ الحديد وهو الجِرْم المستعصي، وتَسْخيرِ الرِّيح لسُليمان، وإسالةِ النُّحاس له كما ألانَ الحديدَ لأبيه، وتسخيرِ الجنِّ فيما شاء من الأعمال الشَّاقّة.

وقيل: لمّا ذَكر مَن يُنيبُ من عباده ذَكَر من جُملتهم داود، كما قال: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]، وبَيَّن ما آتاه الله على إنابته فقال: «ولقد آتينا داودَ منّا فَضْلاً»[٢].

وقيل: ذَكَرَ نعمتَه على داود وسليمان عليهما السلام احتجاجاً على ما مَنَح محمداً ﷺ، أي: لا تستَبْعِدوا هذا، فقد تَفَضَّلْنا على عَبيدنا قديماً بكذا وكذا، فلما فَرَغَ التمثيلُ لمحمد عليه السَّلام رجعَ التمثيلُ لهم بسَبأ وما كان من هَلاكهم بالكُفْرِ والعُتُوِّ. انتهى[٣].

والفضْلُ الذي أُوتي داود: الزَّبور. أو العَدلُ في القضاء. أو الثِّقةُ بالله. أو تَسخيرُ الجبالِ والطَّيرِ، وتَليينُ الحديد. أقوال[٤].

«يا جبالُ» هو على إضمار القول، إمَّا مَصدراً، أي: قولَنا: يا جبالُ، فيكون بدلاً من «فَضْلاً»، وإمَّا فعلاً، أي: قُلْنا، فيكون بدلاً من «آتينا»، وإما على الاستئناف، أي: قُلْنا: يا جبال[٥].

وجَعَلَ الجبالَ مُنَزَّلَةً مَنْزِلَةَ العُقلاء الذين إذا أمرَهم أطاعوا وأذْعنوا، وإذا دعاهم سَمعوا وأجابوا إشعاراً بأنه ما من حَيَوان وجَمادٍ، وناطقٍ وصامتٍ إلا وهو مُنقادٌ

(١) في النسخ والمطبوع: وشعراؤهم، والمثبت من روح المعاني ٢٢/ ٢٩ فقد نقل عن أبي حيان.
(٢) التفسير الكبير ٢٥/ ٢٤٥.
(٣) من المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٧.
(٤) انظرها في تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٥، والقرطبي ١٧/ ٢٦٠.
(٥) في روح المعاني ٢٢/ ٣٢: وجوز أبو حيان الاستئناف وليس بذاك.

لمَشِيئته، غيرُ مُمْتَنِع على إرادته، ودِلالةً على عِزَّة الرُّبوبيَّةِ وكبرياء الإلاهيَّةِ، حيث نادى الجبالَ وأمَرها[١].

وقرأ الجمهور: «أوِّبي» مضاعف[٢] آبَ يؤوب، ومعناه: سَبِّحي معه. قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد.

وقال مُؤرِّج وأبو مَيْسَرة: «أوِّبي»: سَبِّحي بلُغةِ الحَبَشة[٣]، أي: يُسَبِّحُ هو وتُرَجِّع هي معه التَّسبيح، أي: تَرُدُّه بالذِّكر، وضُعِّف الفعل للمُبالغة. قاله ابن عطية[٤].

ويظهر أنَّ التَّضعيف للتَّعديَةِ وليس للمُبالغةِ؛ إذْ أصله آبَ، وهو لازمٌ بمعنى رَجَع اللازم، فعُدِّي[٥] بالتَّضْعيف، إذْ شَرحوه بقولهم: رَجِّعي معه التَّسبيح[٦].

قال الزمخشري: ومعنى تَسبيح الجبال أن الله يَخلقُ فيها تسبيحاً كما خلَق الكلامَ في الشَّجَرة، فيُسْمَع منها ما يُسْمَع من المُسَبِّح مُعْجِزَةً لداود.

وقيل: كان يَنوحُ على ذَنْبه بتَرْجيعٍ وتَحْزين، وكانت الجبالُ تُسْعِدُهُ على نَوْحِهِ بأصدائها، والطَّيرُ بأصواتها[٧]. انتهى.

وقولُهُ: كما خلقَ الكلامَ في الشجرة؛ يعني أن الذي سَمع موسى هو ممَّا خَلَقه الله في الشجرة من الكلام، لا أنه كلامُ الله حقيقةً، وهو مذهب المعتزلة.

وأمَّا قولُهُ: تُسْعِدُه أي: الجبالُ على نوحه بأصدائها فليس بشيء؛ لأن الصَّدى ليس بصوتِ الجبال حقيقةً، والله تعالى نادى الجبالَ وأمَرَها بأن تُؤوِّب معه، والصَّدى لا تُؤمَر الجبال بأنْ تفعلَه؛ إذْ ليس فِعلاً لها، وإنما هو من آثارِ صوتِ المُتَكلِّم على ما يَقوم عليه البُرْهان.

(١) الكشاف ٣/ ٢٨١.
(٢) في (يه): مضعف.
(٣) قال ابن عطية: وهذا ضعيف غير معروف.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٧، وانظر الأقوال في تفسير الطبري ١٩/ ٢٢٠-٢٢١، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٩٥، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٤٠، والماوردي ٤/ ٤٣٥، والقرطبي ١٧/ ٢٦١.
(٥) في (يه): يعدى.
(٦) قال السمين في الدر ٩/ ١٥٨ بعد نقل كلامه: ولا دليل، لأنه تفسير معنى.
(٧) الكشاف ٣/ ٢٨١.

وقال الحسن: معنى «أوِّبي معه»: سِيري معه أين سار[١].

والتَّأويبُ: سَيْرُ النَّهار، كأنَّ الإنسانَ يَسيرُ الليل، ثم يُرَجِّع السَّيرَ بالنَّهار، أي: يُرَدِّدُه، وقال تَميم بن مُقْبِل[٢]:

لَحِقْنا بحيٍّ أَوَّبوا السَّيْرَ بعدما دَفَعْنا شُعاعَ الشَّمسِ والطَّرْفُ يَجْنَحُ

وقال آخر[٣]:

يَومانِ يومُ مُقاماتٍ وأنْدِيَةٍ ويومُ سَيْرٍ إلى الأعداء تَأْويبِ

وقيل: «أوِّبي»: تَصَرَّفي معه على ما يَتَصَرَّف فيه، فكان إذا قرأ الزَّبور صَوَّتَت الجبالُ معه، وأصْغَت إليه الطَّيرُ، فكأنها فَعَلَت ما فَعل[٤].

وقرأ ابن عباس والحسن وقتادة وابن أبي إسحاق: «أُوْبِي»[٥] أمراً من آبَ، أي: ارْجِعي معه في التَّسبيح أو في السَّير على القولَين.

وأمْرُ الجبالِ كأمرِ الواحدةِ المؤنَّثةِ؛ لأن جَمْعَ ما لا يَعقِلُ يجوز فيه ذلك، ومنه: «يا خيلَ الله ارْكَبي»[٦]، ومنه: ﴿مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨][٧]، وقد جاء ذلك في جَمْع ما يَعْقِلُ من المؤنَّث، قال الشاعر:

---

(١) النكت والعيون ٤/ ٤٣٥.

(٢) هو تميم بن أُبيّ بن مقبل، والبيت له في ذيل ديوانه ٣٦٠، وتفسير غريب القرآن ٣٥٣، والأنواء ١٤٠ كلاهما لابن قتيبة، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٤٠، والقرطبي ١٧/ ٢٦١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٧.
ونسبه صاحب منتهى الطلب ٦/ ٤٦ للراعي النميري، وهو في ديوانه ٣٩ من قصيدة عدتها (٤٦) بيتاً.

(٣) هو سلامة بن جندل، والبيت في ديوانه ٩٢، والمفضليات ١٢٠، ومجاز القرآن ٢/ ١٠ و١٤٢، وتفسير الطبري ١٩/ ٢١٩، والثعلبي ٤/ ٤٢٩، والماوردي ٤/ ٤٣٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٧، وزاد المسير ٦/ ٤٩٣، وتفسير القرطبي ١٧/ ١١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٦١.

(٥) مختصر في الشواذ ١٢١، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٩٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٧، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٦١.

(٦) سلف في تفسير الآية (٧٠) من سورة يوسف.

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٧.

تَـرَكْـنـا الـخَـيـلَ والـنَّـعَـمَ الـمُـفَـدَّى وقُـلْـنـا لـلـنِّـسـاءِ بـهـا أَقِـيـمـي[١]

لكن هذا قليل.

وقرأ الجمهور: «والطَّيرَ» بالنَّصْب عطفاً على موضع «يا جبالُ». قاله سيبويه[٢].

وقال أبو عمرو: بإضمار فعلٍ تقديرُهُ: وسَخَّرْنا له الطَّيرَ[٣].

وقال الكسائي: عطفاً على «فَضْلاً» أي: وتَسبيحَ الطَّيرِ.

وقال الزجاج: نَصَبه على أنه مفعولٌ معه[٤]. انتهى.

وهذا لا يجوز لأن قبلَه معه، ولا يقتضي الفعل اثنين من المفعول معه إلا على البَدَل أو العطف، فكما لا يجوز: جاء زيدٌ مع عمرو مع زينب إلا بالعطف، كذلك هذا.

وقرأ السُّلَمي وابن هُرْمُز وأبو يحيى وأبو نَوْفَل ويعقوب وابن أبي عَبْلَة وجماعةٌ من أهل المدينة وعاصم في رواية: «والطَّيرُ» بالرَّفع[٥] عطفاً على لفظ «يا جبال». وقيل: عطفاً على الضَّمير في «أَوِّبي» وسَوَّغ ذلك الفصلُ بالظَّرْف. وقيل: رفعاً بالابتداء والخبر محذوف، أي: والطَّيرُ تُؤَوِّبُ.

«وألَنَّا له الحديدَ» قال ابن عباس وقتادة: صار كالشَّمْع. وقال الحسن: كالعَجين، وكان يَعملُه من غير نار. وقال السُّدِّي: كالطِّين المَبْلول والعَجين والشَّمع؛ يُصَرِّفه كيف شاء من غير نارٍ ولا ضَرْبِ مِطْرَقة. وقيل: أُعطي قُوَّةً يُلَيِّن بها الحديدَ.

---

(١) سلف في تفسير الآية (٦٦) من سورة النحل.

(٢) نقل سيبويه ٢/ ١٨٦ هذا القول عن الخليل.

(٣) نقله عنه أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٤٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٤٣. وانظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٧، وزاد المسير ٦/ ٤٣٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٦٢.

(٥) الكتاب ٢/ ١٨٧، ومختصر في الشواذ ١٢١، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٤، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٤١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٧، وزاد المسير ٦/ ٤٣٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٦٢.

قال ابن الجزري في النشر ٢/ ٣٤٩: وانفرد ابن مهران عن هبة الله بن جعفر عن أصحابه عن روح برفع الراء من (والطير)، وهي رواية زيد عن يعقوب، ووردت عن عاصم وأبي عمرو.

وقال مقاتل: كان يَفْرَغ من الدِّرع في بعضِ يومٍ أو في بعض ليلٍ ثمنُها ألفُ درهم، وكان داود يَتَنكَّر فيَسألُ الناس عن حاله، فعَرضَ له مَلَكٌ في صورة إنسان، فسأله فقال: نِعْمَ العبدُ لولا خَلَّةٌ فيه، فقال: وما هي؟ قال: يَرْتَزق من بيت المال، ولو أكلَ من عَمَل يده تمّت فضائلُهُ، فدعا الله أنْ يُعَلِّمَه صَنعةً ويُسَهِّلها عليه، فعَلَّمه صَنعةَ الدُّروع، وألان له الحديد فأثرى، وكان يُنفِقُ ثُلُثَ المال في مصالح المسلمين[١].

وأن في «أن اعملْ» مصدريَّة، وهي على إسقاط حرف الجرّ، أي: ألَنَّاه لعَمَلِ سابغات.

وأجاز الحَوْفيُّ وغيره أن تكون مُفَسِّرة، ولا يَصحُّ لأن من شرطها أن يتقدَّمَها معنى القول، و«أَلَنَّا» ليس فيه معنى القول.

وقدَّر بعضهم قبلَها فعلاً محذوفاً حتى يصحَّ أنْ تكون مُفَسِّرة، وتقديره: وأمَرْناه أنِ اعمل، أي: اعمل، ولا ضَرورةَ تدعو إلى هذا المحذوف.

وقُرئ: «صابغات» بالصَّاد بدلاً من السِّين[٢]، وتقدَّم أنها لغةٌ في قوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ﴾ [لقمان: ٢٠].

«وقَدِّر في السَّرْد» قال ابن زيد: هو في قَدْر الحَلْقة، أي: لا تَعْمَلْها صغيرةً فتَضْعُف، فلا تَقْوى الدِّرْع على الدِّفاع، ولا كبيرةً فيُنالَ لابِسُها من خلالها[٣].

وقال ابن عباس: هو في المِسْمار لا يَرِقُّ فيَسْلَس، ولا يَغْلُظ فيَفْصِم، بالفاء وبالقاف[٤].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٤، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٤١، وعرائس المجالس ٢٨١، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٣٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٧-٤٠٨، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٦٢-٢٦٣.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٨٢.
(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٢٢٣-٢٢٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٨، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٦٤.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٨، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٦٤، وعلقه البخاري (فتح الباري ٦/ ٤٥٣) عن مجاهد، وأخرجه عن مجاهد الطبري ١٩/ ٢٢٥، ٢٢٦، وذكره عنه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٣٤، ومعاني القرآن ٥/ ٣٩٨، والماوردي في النكت والعيون ٤/ ٤٣٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٣٦.
=

وروى قتادة أن الدُّروعَ كانت قبلُ صَفائح فكانت ثِقالاً، وهو أوَّلُ مَن صَنَع الدِّرْعَ حَلَقاً[١].

والظّاهر أن الأمرَ في قوله: «اعملوا» لداود ولآل داود وإنْ لم يَجْرِ لهم ذِكر. ويجوز أنْ يكون أمراً لداود شَرَّفه الله بأنْ خاطبه خِطابَ الجَمْعِ.

«ولسليمانَ الرِّيحَ» قال الحسن: عَقَر سليمانُ الخيلَ أَسَفاً على ما فَوَّتَتْه[٢] من صَلاةِ العَصْر، فأبْدَلَه الله خيراً منها وأسْرَع الرِّيْحَ تجري بأمْرِهِ.

وقرأ الجمهور: «الرِّيْحَ» بالنَّصْب، أي: ولسليمانَ سَخَّرْنا الرِّيح. وأبو بكر بالرَّفع[٣] على الابتداء، والخبرُ في المجرور، ويكون «الريحُ» على حذف مُضاف، أي: تَسْخيرُ الرِّيح، أو على إضْمار الخبر، أي: الرِّيْحُ مُسَخَّرَةٌ.

وقرأ الحسن وأبو حَيْوَة وخالد بن إلياس: «الرِّياح» بالرفع جَمْعاً[٤].

قال قتادة: كانت تقطع به في الغُدُوِّ إلى قُرْب الزَّوال مَسيرةَ شهرٍ، وفي الرَّواح من بعد الزَّوال إلى الغُروب مَسيرةَ شهرٍ.

وقال الحسن: يَخْرج[٥] من مُسْتَقرِّه بالشام يريد تَدْمُر التي بَنَتْها الجنُّ بالصُّفَّاح والعَمَد، فيَقيل في إصْطَخْر، ويَروح منها فيَبيتُ في كابُل من أرض خُراسان.

والغُدُوُّ ليس الشَّهرَ، فهو على حذفِ مُضاف أي: جَرْيُ غُدُوِّها، أي: جَرْيُها

= قال ابن حجر: قوله: فيسلس: بفتح اللام، ومعناه فيخرج من الثقب برفق، أو يصير متحركاً فيلين عند الخروج، والفصم بالفاء: القطع من غير إبانة.

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٢٢٤، والماوردي ٤/ ٤٣٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٨، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٦٤.

(٢) في (ز٢): فوت، والمثبت من النسخ والمطبوع، وهو موافق لما في المحرر ٤/ ٤٠٨.

(٣) السبعة ٥٢٧، والتيسير ١٨٠، والنشر ٢/ ٣٤٩.

(٤) مختصر في الشواذ ١٢١ عن أبي حيوة، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٨ عن الحسن، ولم نقف على قراءة خالد بن إلياس، وقرأ بالجمع أيضاً أبو جعفر من العشرة فيما ذكر ابن الجزري في النشر ٢/ ٢٢٣، ٤٣٩.

(٥) في (أ ح د٢ ز٢ ع) والمطبوع: فخرج، والمثبت من (د٣ يه)، وقول الحسن وقتادة في المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٨ وفيه: كان يخرج. وأخرجهما الطبري ١٩/ ٢٢٧، ٢٢٨.

في الغدوِّ مَسيرةَ شَهرٍ، وجَرْيُ[١] رَواحِها، أي: جَرْيُها في الرَّواح مَسيرةَ شهرٍ.

وأخبر هنا عن الغُدُوِّ وعن الرَّواح بالزَّمان، وهو شهر، ويعني شهراً واحداً كاملاً، ونَصْبُ شهرٍ جائزٌ، ولكنه لم يُقرأ به فيما أعْلَم.

وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة: «غَدْوَتُها، ورَوْحَتُها» على وزن فَعْلَة وهي للمَرَّة الواحدة من غَدا وراح[٢].

وقال وَهْب: كان مُسْتَقَرُّ سليمان عليه السلام بتَدْمر، وكانت الجنُّ قد بَنَتْها له بالصُّفَّاح والعَمَد، والرُّخام الأبيض والأشقر[٣]، وفيه يقول النابغة:

إلا سليمانَ إذْ قال الإلهُ له ... قُمْ في البَرِيَّةِ فاحْدُدْها عن الفَنَدِ
وخَيِّس الجِنَّ إني قد أذِنْتُ لهم ... يَبنون تَدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ[٤]

ووجدتُ أبياتاً مَنْقورةً في صخرةٍ بأرض كَسْكَر أنشأهنَّ بعضُ[٥] أصحاب سليمان عليه السلام وهي:

ونحنُ ولا حَوْلٌ سوى حَوْلِ ربِّنا ... نَروحُ من الأوطانِ من أرضِ تَدْمُرِ
إذا نحنُ رُحْنا كان رَيْثُ رَواحِنا ... مَسيرةَ شَهْرٍ والغُدُوُّ لآخَرِ
أناسٌ أعزَّ الله طَوْعاً نُفوسَهم ... بنَصْرِ ابنِ داودَ النبيِّ المُطَهَّرِ
لهم في مَعالي الدِّينِ فَضْلٌ ورِفْعَةٌ ... وإنْ نُسِبوا يوماً فمن خيرِ مَعْشَرِ
متى تُرْكَبُ الرِّيحُ المُطيعةُ أسْرَعَتْ ... مُبادِرةً عن شهرها[٦] لم تُقَصِّرِ

---

(١) هنا ينتهي الخرم في نسخة (ت) المشار إليه في الآية (٥١) من سورة الأحزاب.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٩.

(٣) في عرائس المجالس ٣٠٤، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٤٢، والقرطبي ١٧/ ٢٦٧: والأصفر.

(٤) ديوان النابغة ١٣ (بشرح ابن السكيت)، وعرائس المجالس، وتفسير الثعلبي والقرطبي. وسلف الأول منهما في شرح مفردات الآية (٩٤) من سورة يوسف، وسلف الثاني في شرح مفردات الآية (٢) من سورة الرعد. قوله: واحددها: امنعها وردّ عنها، والفند: خطأ الرأي والصنيع، وخيس الجن: ذلّل، والصفاح: الحجارة العراض الرقاق.

(٥) في المطبوع: يشكر شاهدة لبعض. والقول والأبيات الآتية في عرائس المجالس ٣٠٥، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٤٣، والقرطبي ١٧/ ٢٦٨.

(٦) في المطبوع: وإن ركبوا. . . يسرها.

تُظِلُّهمُ طَيْرٌ صفوفٌ عليهمُ   متى رَفْرَفَتْ من فوقهم لم تُنَشَّرِ[(١)]

انتهى ما حكاه وَهْب.

«وأسَلْنا له عَيْنَ القِطْر» الظَّاهر أنه جعلَه في مَعْدِنه عَيْناً تسيلُ كعُيونِ الماء دِلالةً على نُبُوَّته، قال قتادة: يَسْتَعمِلُها فيما يُريد.

وعن ابن عباس ومجاهد والسدي: أُجْرِيت له ثلاثةَ أيامٍ بلَياليهنّ، وكانت بأرض اليمن.

قال مجاهد: سالت من صَنْعاء، ولم يَذُبِ النُّحاس فيما رُوي لأحدٍ قبلَه، وكان لا يَذوب.

وقالت فرقة: المعنى: أذَبْنَا له النُّحاس على نحوِ ما كان الحديدُ يَلين لداود عليه السلام، قالوا: وكانت الأعمالُ تتأتّى منه لسليمان، وهو باردٌ دون نار، و«عَيْنَ» بمعنى الذّات، وقالوا: لم يَلِنْ ولا ذابَ لأحدٍ قبله[(٢)].

وقال الزمخشري: أراد بها مَعْدِنَ النُّحاس[(٣)]، أساله كما ألانَ الحديدَ لداود، فنَبع كما يَنْبُع الماء من العين؛ فلذلك سمَّاه عَيْنَ القِطْر باسمِ ما آلَ إليه، كما قال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: ٣٦]. انتهى.

ويحتمل «مَنْ يَعْمَل» أنْ يكون في موضع نَصْب، أي: وسَخَّرْنا من الجنِّ مَنْ يَعمل، وأن يكون في موضع رَفْعٍ على الابتداء وخبره في الجار والمجرور قبله.

«بإذْن ربِّه» أي: بأمر ربّه؛ لقوله: «ومَنْ يَزِغْ منهم عن أمْرِنا».

وقرأ الجمهور: «ومَنْ يَزِغْ» مضارع زاغ، أي: ومَن يَعْدِل عن أمرِنا الذي أمَرْناه به من طاعةِ سُليمان.

---

(١) يعني لم تُفَرَّق، ووقع في المطبوع: تنشر، وفي عرائس المجالس: تفتر، وفي تفسير الثعلبي والقرطبي: تنفر.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٩، وانظر تفسير الطبري ١٩/ ٢٢٨-٢٢٩، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٩٨، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٣٧، والقرطبي ١٧/ ٢٦٨.

(٣) في الكشاف ٣/ ٢٨٢: فإن قلت: ماذا أراد بعين القطر؟ قلت: أراد بها معدن النحاس.

وقرئ: «يُزِغ» بضمِّ الياء من أزاغ، أي: ومَنْ يُمِل ويَصْرِف نفسَه عن أمرِنا[١].

و«عذابِ السَّعير» عذاب الآخرة. قاله ابن عباس.

وقال السُّدي: كان معه مَلَكٌ بيده سَوْطٌ من نار، كلما استَعْصَى عليه ضَرَبَه من حيث لا يراه الجِنّي[٢].

ولبعض الباطِنيَّة أو مَن يُشبههم تحريفٌ في هذه الجُمَل: أن تسبيحَ الجبال هو من نوع قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وأنَّ تسخير الرِّيح هو أنه راضَ الخَيْلَ وهي كالرِّيح، وأن «غُدُوُّها شَهْرٌ» يكون فَرْسَخاً؛ لأن مَن يخرج للتَّفَرُّج لا يسير في غالب الأمر أكثرَ من فَرْسَخ، وإلانةُ الحديد وإسالةُ القِطْر: هو استخراج ذَوْبِهما بالنَّار، واستعمالُ الآلاتِ منهما، «ومن الجنّ» هم ناسٌ من بني آدم أقوياء، شُبِّهوا بهم في قُواهم. وهذا تأويلٌ فاسد، وخروجٌ بالجملة عمَّا يقولُهُ أهلُ التفسير في الآية، وتَعجيزٌ للقُدْرة الإلهيَّة، نَعوذ بالله من ذلك.

والمَحاريب: قال مجاهد: المَساجد، سُمِّيت باسم بعضها تَجَوُّزاً. وقال عطية: القصور. وقال قتادة كليهما. وقال ابن زيد: مَساكن. وقيل: ما يُصْعَد إليه بالدَّرَج كالغُرَف[٣].

والتّماثيل: الصُّوَر، وكانت لغير الحيوان. وقال الضَّحاك: كانت تماثيلَ حَيوان، وكان عملُها جائزاً في ذلك الشَّرْع[٤].

وقال الزمخشري: هي صُورُ الملائكةِ والنَّبيِّين والصَّالحين، كانت تُعمل في المساجد من نُحاس وصُفْرٍ وزُجاجٍ ورُخام؛ ليراها النّاسُ فيَعْبدوا نحوَ عبادتهم،

(١) ذكرها ابن خالويه ١٢١، والزمخشري ٣/ ٢٨٢ دون نسبة.
(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ١٤٣، والماوردي ٤/ ٤٣٨، والقرطبي ١٧/ ٢٦٩، والكشاف ٣/ ٢٨٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٩، وزاد المسير ٦/ ٤٣٩.
(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٢٣٠، ٢٣١، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٩٨-٣٩٩، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٣٨، والكشاف ٣/ ٢٨٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٩، وزاد المسير ٦/ ٤٣٩.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٩.

وهذا مما يجوز أن تختلفَ فيه الشَّرائع لأنه ليس من مُقَبِّحات العقل، كالظُّلم والكذب. وعن أبي العالية: لم يكن اتِّخاذُ الصُّوَر إذْ ذاك مُحَرَّماً، أو تُصَوَّرُ[١] مَحْذُوفةَ الرؤوس[٢]. انتهى وفيه بعضُ حَذْفٍ.

وقيل: التماثيل: طِلَّسْمات، فيَعْمَلُ تمثالاً للتِّمساح أو للذُّباب أو للبَعوض، ويَأمُرُ أنْ لا يُتَجاوَز ذلك المُمَثَّل به ما دام ذلك التِّمثال[٣].

والتَّصويرُ حَرامٌ في شريعتنا، وقد ورد تَشْديد الوَعيد على المُصَوِّرين، ولبعض العلماء استثناءٌ في شيءٍ منها. وفي حديث سَهْل بن حُنَيْف: لَعَن المُصَوِّرين ولم يَسْتَثْنِ عليه الصَّلاة والسَّلام[٤].

وحكى مكّي في «الهداية» أن قوماً أجازوا التصوير. وحكاه النَّحاس عن قوم، واحتجُّوا بقوله: «وتماثيل»، قال ابن عطية: وما أحفظ من أئمّة العلم مَن يُجَوِّزُه[٥].

وقرئ «كالجَوابي» بياء وهو الأصل، وبحذفها اجتزاءً بالكسرة وإجراءً للألف[٦]

(١) في المطبوع: أو صوراً.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٨٢.
(٣) تفسير القرطبي ١٧/ ٢٧١.
(٤) كذا ورد هذا السياق في النسخ (أ ت ح د٢ د٣ ز٢ ع يه) والمطبوع، وصوابه ما في تفسير القرطبي ١٧/ ٢٧٤ فإنه بعد أن تكلم على حكم التصوير قال: واستثنى بعضهم ما كان رَقْماً في ثوب لحديث سهل بن حنيف. قلت [يعني القرطبي]: لعن رسول الله ﷺ المصورين ولم يستَثْنِ. اهـ.
قلت: وحديث سهل بن حنيف الذي أشار إليه القرطبي أخرجه أحمد (١٥٩٧٩)، والترمذي (١٧٥٠) ضمن قصة مع أبي طلحة الأنصاري وفيه: قال سهل: أو لم يقل: «إلا ما كان رَقْماً في ثوب»؟ قال: بلى، ولكنه أطيب لنفسي.
وقوله: لعن رسول الله ﷺ المصورين ولم يستثن، أخرج أحمد (١٨٧٥٦)، والبخاري (٥٣٤٧) من حديث أبي جحيفة قال: لعن النبي ﷺ الواشمة والمستوشمة... ولعن المصورين.
(٥) الهداية ٩/ ٥٨٩٧، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٧٢.
(٦) في المطبوع: وقرئ كالجواب بلا ياء وهو الأصل اجتزاء بالكسرة وإجراء الألف.

واللام مجرى ما عاقبها وهو التنوين، فكما يُحذف مع التّنوين يُحذف مع ما عاقَبَه وهو أل[١].

والرَّاسِيات: الثَّابتات على الأثافي فلا تُنْقَل ولا تُحْمَل لِعِظَمِها.

وقُدِّمت المَحاريبُ على التَّماثيل لأنَّ النُّقوشَ تكون في الأبنية، وقَدَّم الجِفانَ على القُدور مع أنَّ القدورَ آلةُ الطَّبخ، والجِفان آلةُ الأكل، والطَّبْخُ قبل الأكل؛ لما بين الأبنيةِ المَلَكيَّة، وأراد بيانَ عَظَمةِ السِّماط الذي يُمَدُّ في تلك الدُّور، وأشار إلى الجِفان لأنها تكون فيها، والقُدور لا تكون فيها ولا تُحْضَر هناك، ولهذا قال راسيات. ولمَّا بيَّن حالَ الجِفانِ سَرى الذِّهنُ إلى عَظَمَة ما يُطْبَخُ فيه، فذَكر القُدورَ للمُناسبة، وذكر في حقِّ داود اشتغالَه بآلة الحَرْب لاحتياجه إلى قتال الأعداء، وفي حقِّ سُليمان المَحاريب والتماثيل لأنه كان مَلِكاً ابنَ مَلِك، قد أطَّدَ له أبوه المُلْك، فكانت حاله حالة سلم، إذْ لم يكن أحدٌ يَقْدِرُ على مُحارَبَته، وقال عَقِب «أن اعْمَلْ سابِغات»: «واعملوا صالحاً» وعَقِب ما يَعْمَلُهُ الجنّ: «اعملوا آلَ داودَ شُكراً» إشارةً إلى أن الإنسان لا يَسْتَغْرِق في الدُّنيا، ولا يَلْتَفِتُ إلى زَخارفها، وأنه يجب أن يَعْملَ صالحاً[٢].

«اعملوا آل داود» أي: وقيل لهم: اعملوا، ومفعول «اعملوا» محذوف، أي: اعملوا الطَّاعات وواظِبوا عليها شُكراً لربِّكم على ما أنعم به عليكم.

فقيل: انتصب «شُكراً» على الحال، وقيل: مفعول من أجله، وقيل: مفعول به باعملوا، أي: اعملوا عملاً هو الشُّكر، كأن الصَّلاةَ والصِّيامَ والعبادات كلها في أنفُسِها هي الشُّكر إذْ سَدَّت مَسَدَّه. وقيل: على المَصْدر لتضمين اعملوا اشكروا بالعمل لله شُكراً.

ورُوي أن مُصَلَّى آلِ داود لم يَخْلُ قطُّ من قائمٍ يُصلِّي ليلاً ونهاراً، وكانوا يتناوبونه[٣].

(١) قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بغير ياء في الوصل والوقف، وقرأ ابن كثير بياء فيهما، وقرأ أبو عمرو وورش بغير ياء في الوقف وياء في الوصل. انظر السبعة ٥٢٧، والتيسير ١٨٢، والنشر ٢/ ٣٥١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٠.

(٢) التفسير الكبير ٢٥/ ٢٤٨-٢٤٩.

(٣) أخرجه الثعلبي ٥/ ١٤٨ من قول ثابت، وذكره الزمخشري ٣/ ٢٨٣، وابن عطية ٤/ ٤١٠.

وكان سُليمان عليه السلام يأكل الشَّعير، ويُطعم أهْلَه الخُشْكار[١]، والمساكين الدَّرْمَك[٢]، وما شَبع قط، وقيل له في ذلك فقال: أخاف إنْ شَبعتُ أنْ أنسى الجِياع.

و«الشَّكور» صِفَةُ مُبالَغة وأُريد به الجِنس. قال ابن عباس: الشَّكور: مَن يَشْكُر على أحواله كلِّها. وقال السُّدي: مَن يَشْكُر على الشُّكر. وقيل: مَن يَرى عَجْزَه عن الشُّكر[٣].

وهذه الجُملة تحتمل أنْ تكون خِطاباً لآل داود وهو الظَّاهر، وأنْ تكون خطاباً للرسول ﷺ، وفيها تنبيهٌ وتحريضٌ على الشُّكْر[٤].

«فلمَّا قَضَينا عليه الموتَ» أي: أنْفَذْنا عليه ما قضَينا عليه في الأَزَل من الموت، وأخرَجْناه إلى حَيِّز الوجود[٥].

وجواب لمَّا النَّفي الموجب، وهذا يدلُّ على أن لمَّا حرفٌ لا ظرف، خلافاً لمَنْ زعم ذلك؛ لأنه لو كان ظرفاً لكان الجوابُ هو العاملَ وما دخلت عليه وهي نافية، ولا يعمل ما بعدها فيما قبلها[٦]. وقد مضى لنا نظير هذا في «يوسف» في قوله: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [الآية ٦٨].

والضَّمير في «دَلَّهم» عائدٌ على الجنِّ الذين كانوا يَعملون له، وكان سليمان قد أمر الجنَّ ببناء صَرْحٍ له، فبَنَوه له، ودخله مُخْتَلياً ليَصْفُوَ له يومٌ من الدَّهر من الكَدَر، فدخل عليه شابٌّ، فقال له: كيف دخلتَ عليَّ من غير إذْن؟ فقال:

---

(١) في (أ ت ح د٢ ز٢ ع): الخشكنان، والمثبت من (د٣ يه) والمطبوع، وهو كذلك في المحرر الوجيز ٤/ ٤١٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٧٩، والخشكار: الخبز الأسمر غير النقي، فارسي، وأما الخشكنان فهو: خبزة تصنع من خالص دقيق الحنطة، وتملأ بالسكر واللوز أو الفستق وتقلى، فارسي. المعجم الوسيط.

(٢) الدرمك: الدقيق الأبيض. المعجم الوسيط.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٨٣.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤١٠.

(٥) ذكره الآلوسي ٢٢/ ٤٩ ثم قال: وفيه تكلُّف.

(٦) انظر ارتشاف الضرب ١٨٩٦-١٨٩٧، ومغني اللبيب ٣٦٩.

إنما دخلتُ بإذْن، قال: ومَن أذِن لك؟ قال: ربُّ هذا الصَّرْحِ، فعلم أنه مَلَك الموت أتى يَقْبِض رُوحَه، فقال: سُبحان الله! هذا اليوم الذي طلبتُ فيه الصَّفاء، فقال له: طلبتَ ما لم يُخْلَق، فاستوثَقَ من الاتِّكاء على عصاه، فقَبضَ روحَه، وبقيت الجنُّ تعمل على عادتها.

وكان سليمان قَصَدَ تَعْمِيةَ موته لأنه كان بَقِي من تَمام بناء المسجد عَملُ سَنَة، فسأل الله تمامَها على يد الإنْسِ والجنّ، وكان يَخْلو بنفسه الشَّهرَين والثلاثة، فكانوا يقولون: إنه يَتَحَنَّث.

وقيل: إن مَلَك الموت أعْلَمه أنه بَقي من حياته ساعة، فدعا الشياطين فبَنَوا له الصَّرْحَ، وقام يُصَلِّي مُتَّكئاً على عصاه، فقَبَضَ روحَه وهو مُتَّكئٌ عليها، وكانت الشياطين تجتمعُ حولَ مِحْرابه، فلا يَنظُر أحدٌ منهم إليه في صلاته إلا احترق، فمرَّ واحدٌ منهم فلم يَسْمع صوتَه، ثم رجع فلم يسمع، فنظر فإذا هو قد خَرَّ مَيْتاً.

وكان عُمره ثلاثاً وخمسين سنة، مَلَك بعد موت أبيه وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان أبوه قد أسَّس بُنيان المسجد موضعَ فُسْطاطِ موسى، فمات قبل أن يُتِمَّه، ووَصّى به إلى ابنه، فأمر الشَّياطين بإتمامه، ومات قبل تَمامه[(١)].

و«دابَّة الأرضِ» هي سُوسَةُ الخَشَب، وهي الأَرَضَة.

وقيل: ليست سُوسَةَ الخَشَب؛ لأن السُّوسَةَ ليست من دَوابِّ الأرض، بل هذه حَيَوان من الأرض شأنُه أنْ يأكُلَ الخَشَب، وذلك موجود.

وقالت فرقةٌ منها أبو حاتم: الأرض هنا مَصْدر أرَضَت الأبوابُ والخَشَبُ: أكَلَتها الأَرَضَة، فكأنه قال: دابَّةُ الأكلِ الذي هو بتلك الصُّورة[(٢)].

وإذا كان الأرض مَصْدراً كان فِعله: أَرَضَت الدَّابَّةُ الخَشَبَ تأرِضُه أرَضاً فأرِض بكسر الراء، نحو جَدَعْتُ أنفَه فَجَدِعَ.

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٩/ ٢٤٣، والثعلبي ٥/ ١٤٨-١٥٠، والقرطبي ١٧/ ٢٨٦، وعرائس المجالس ٣٢٩-٣٣٠، والكشاف ٣/ ٢٨٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١١.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤١١.

ويُقَوِّي[١] أنه مصدر لفَعَل المفتوح العين قراءةُ ابن عباس والعبَّاس بن الفَضْل: «الأرَض» بفتح الرَّاء[٢]؛ لأن مَصْدَر فَعِل المُطاوع لفَعَل يكون على فَعَل، نحو جَدِع أنْفُه جَدَعاً، وأكِلَت الأسنانُ أكَلاً، مُطاوع أكَلَت القَوادِحُ الأسنانَ أكْلاً[٣].

وقيل: الأرَض بفتح الرَّاء جمع أَرَضَة، وهو من إضافةِ العامِّ إلى الخاصِّ؛ لأن الدابَّةَ أعمُّ من الأَرَض.

وقراءة الجمهور بسكون الرَّاء، فالمُتَبادَر أنَّها الأرْض المعروفة. وتقدَّم أنَّه مصدرٌ لأرَضَت الدَّابَّةُ الخَشَب.

و«تأكُلُ» حال أي: آكلةً مِنْسَأَتَه، وهي حالٌ مُصاحِبة.

وتقدَّم أن المِنْسَأةَ هي العصا[٤]. وكانت فيما روَوْا من خَرُّوب، وذلك أنه كان يَتَعَبَّد في بيت المقدس، فتَنْبُت له في مِحْرابه كلَّ سنة شجرةٌ تُخبره بمنافعها، فيأمرُ فتُقْلَع وتُصْرَف في منافعها، وتُغْرَس لتَتَناسَل، فلمَّا قَرُبَ موتُه نَبَتَت شجرةٌ، وسألها فقالت: أنا الخَرُّوب خرجْتُ لخَراب مُلْكِكَ، فعَرَف أنه حَضَر أجَلُهُ فاستَعَدَّ، واتَّخذ منها عصا، واستَدْعى بزادِ سَنَة، والجنُّ تَتَوهَّم أنه يَتَغَذَّى بالليل.

ورُوي أن سليمان كان في قُبَّةٍ، وأوصى بعضَ أهله بكِتْمانِ مَوْته عن الإنس والجنِّ سَنةً ليَتِمَّ البناءُ الذي بُدئ به في زمن داود، فلمّا مضى لموته سنة خَرَّ عن العصا، ونُظِر إلى مقدارِ ما تأكُله الأرَضة يوماً، وقيس عليه، فعُلم أنها أكلت العصا منذ سَنة[٥].

(١) في المطبوع: ويقال، وفي (ت ح د٢ ع): ويقول، وفي (أ ز٢): وتقول، وكل ذلك تصحيف، والمثبت من (د٣ يه).

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤١١، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٤١ إلى أبي المتوكل وأبي الجوزاء وعاصم الجحدري، ونسبها ابن خالويه في مختصر في الشواذ ١٢١ إلى الواقدي، وهي بلا نسبة في النكت والعيون ٤/ ٤٤١، والكشاف ٣/ ٢٨٣، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٨٥.

(٣) قوله: القوادح الأسنان أكلاً؛ ليس في المطبوع، والقوادح جمع قادحة، سوسة تدب في الأسنان والشجر والخشب.

(٤) تقدم في مفردات هذه السورة.

(٥) انظر خبر شجرة الخروب في: تفسير الطبري ١٩/ ٢٤٠-٢٤٢، ومعاني القرآن للنحاس =

وقرأ نافع وأبو عمرو وجماعة «مِنْساتَه» بألف، وأصلُه: مِنْسَأَتَه، أُبدلت الهمزة ألفاً بدلاً غيرَ قياسيّ.

وقال أبو عمرو: أنا لا أهمزها لأنّي لا أعرف لها اشتقاقاً، فإنْ كانت مما لا تُهمز فقد احتَطْتُ، وإن كانت تُهْمَز فقد يجوز لي ترك الهمز فيما يُهْمَز[1].

وقرأ ابن ذَكْوان وجماعة منهم بكَّار والوليدان ابنُ عتبة وابنُ مسلم: «مِنْسَأْتَه» بهمزة ساكنة[2]، وهو من تسكين المُتحرِّك[3] تخفيفاً وليس بقياس، وضَعَّف النُّحاةُ هذه القراءة؛ لأنه يَلْزَمُ فيها أن يكون ما قبل تاء التأنيث ساكناً غير ألف، وقيل: قياسُها التَّخفيف بَيْنَ بين والرَّاوي لم يَضْبِط.

وأنشد هارون بن موسى الأخْفَش الدِّمشقي شاهداً على سكون هذه الهمزة[4] قول الراجز:

صَـرِيـعُ خَـمْـرٍ قـام مـن وَكَـأْتِـه كـقَـوْمَـةِ الـشَّـيـخِ إلـى مِـنْـسَـأْتِـهِ[5]

وقرأ باقي السَّبعة بالهمزة مفتوحة.

وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلباً وحَذْفاً، وعلى وزن مِفْعالَة «مِنْساءة»[6].

وقرأت فرقةٌ منهم عَمرو بن ثابت عن ابن جُبَيْر: «من» مفصولة حرف جر «سَأَتِه» بجرِّ التَّاء[7].

= ٥/ ٤٠٤، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٤٨، وعرائس المجالس ٣٢٨، والنكت والعيون ٤/ ٤٤٠-٤٤١، والكشاف ٣/ ٢٨٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١١، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٨١، ٢٨٢.

(١) السبعة ٥٢٧، والتيسير ١٨٠، والنشر ٢/ ٣٤٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١١.

(٢) التيسير ١٨٠، والنشر ٢/ ٣٥٠، وذكر ابن خالويه في مختصر في الشواذ ١٢١ أن ابن عامر قرأ بها في رواية عنه، ولم نقف على قراءة بكار والوليدين.

(٣) في النسخ والمطبوع خلا (يه د٣): التحريك، والمثبت منهما. وانظر المحرر الوجيز ٤/ ٤١٢.

(٤) في النسخ والمطبوع خلا (يه د٣): القراءة، والمثبت منهما، وانظر الدر المصون ٩/ ١٦٥، وروح المعاني ٢٢/ ٥٢.

(٥) التيسير ١٨٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٨٣، والنشر ٢/ ٣٥٠، ورواية صدره عند القرطبي: وقائم قد قام من تكأته.

(٦) الكشاف ٣/ ٢٨٣.

(٧) المحتسب ٢/ ١٨٦، ومختصر في الشواذ ١٢١، والمحرر ٤/ ٤١٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٨٤.

قيل: ومعناه: من عصاه، يُقال لها: سَأَةُ القَوْس وسِئَتُها معاً، وهي يَدُها العُليا والسُّفْلى، سُمِّيت العصاة بسَأةِ القَوْس على الاستعارة، ولا سيّما إنْ صحَّ النَّقْل أنه اتَّخذها من شَجَر الخَرُّوب قُبَيْل موته، فتكون حين اتَّكأ عليها[١] - وهي كما قُطعت من شجرة خَضراء ـ قد اعْوَجَّت حتى صارت كالقَوْس، ألا ترى أنك إذا اتَّكأْتَ على غُصنٍ أخْضَرَ كيف يَعْوَجُّ حتى يكاد يلتقي طَرَفاه، وفيها لغتان: سَأة وسِئة، كما يقال: قَحَة وقِحَة[٢]، والمحذوف من سَأة وسِئة [: لامُها][٣].

«فلمَّا خَرَّ» أي: سَقَط عن العصا مَيْتاً.

والظاهر أن الضَّمير في «خرَّ» عائدٌ على سليمان. وقيل: إنه لم يَمُت إلا في سَفَرٍ[٤] مُضطجعاً، ولكنه كان في بيتٍ مَبْنيٍّ عليه، وأكلت الأرَضَةُ عَتَبَةَ الباب، حتى خَرَّ الباب، فعُلِمَ مَوتُه[٥].

وقال ابن عباس: مات في مُتَعَبَّدِه على فراشه وقد أغلق البابَ على نفسه، فأكلت الأرَضَةُ المِنْسَأة، أي: عَتَبَةَ الباب، فلمَّا خَرَّ؛ أي: الباب[٦]. انتهى.

وهذا فيه ضَعْفٌ؛ لأنه لو كانت المِنْسَأةُ هي العَتَبة وعاد الضَّميرُ عليها لكان التركيب: فلما خَرَّت بتاء التأنيث، ولا يجيءُ حَذْفُ مثل هذه التاء إلا في ضرورة الشِّعر، ولا يكون من تذكير المعنى على معنى العُوْد لأنه قليل[٧].

وقرأ الجمهور: «تَبَيَّنَت» مَبنيًّا للفاعل. فاحتمل أن يكون من تَبَيَّن بمعنى بان، أي: ظهر وتَجلَّى، فالجنُّ[٨] فاعل، وأنْ وما بعدها بدلٌ من الجنّ، كما تقول: تَبَيَّن زيدٌ جَهْلُهُ، أي: ظهر جَهْلُ زيد، فالمعنى: ظهر للناس جَهْلُ الجنِّ علمَ الغيب، وأنَّ ما ادَّعَوه من ذلك ليس بصحيح.

(١) في النسخ: عليه، والمثبت من المطبوع.
(٢) في المطبوع: قحاة.
(٣) ما بين معكوفين من المحتسب ٢/ ١٨٧، والدر المصون ٩/ ١٦٦.
(٤) في المطبوع: لم يمت إلى أن وجد في سفر.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤١٢.
(٦) النكت والعيون ٤/ ٤٤٢.
(٧) قال الآلوسي ٢٢/ ٥٩ عقب إيراده: فالظاهر عدم صحة الرواية عن الحبر ـ يعني ابن عباس.
(٨) في المطبوع: ظهرت الجن والجن.

واحتمل أن يكون من تَبَيَّن بمعنى عَلِم وأدْرَكَ، والجنُّ هنا خَدَمُ الجنِّ وضَعَفَتُهم «أنْ لو كانوا» أي: لو كان رؤساؤهم وكبارُهم يعلمون. قاله قتادة[1].

وقال الزمخشري: أو عَلم المُدَّعون علمَ الغيب منهم عَجْزَهم، وأنهم لا يعلمون الغيبَ؛ وإن كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم، وإنما أُريد التَّهَكُّم بهم، كما يُتَهَكَّم بمُدَّعي الباطلِ إذا دَحَضَت حُجَّتُهُ، وظَهر إبْطالُهُ؛ كقولك: هل تَبَيَّنْتَ أنك مُبْطِل؛ وأنت تعلم أنه لم يزل كذلك مُتَبَيِّناً. انتهى[2].

ومجيء تَبَيَّن بمعنى بان وظَهر لازماً، وبمعنى عَلم متعدِّياً موجودٌ في كلام العرب، قال الشاعر:

تَبَيَّن لي أنَّ القَماءةَ ذِلَّةٌ وأنَّ أعِزَّاءَ الرِّجالِ طِيالُها[3]

وقال آخر:

أفاطِمُ إنّي مَيِّتٌ فَتَبَيَّني ولا تَجْزَعي كلُّ الأنامِ تَموتُ[4]

أي: فَتَبَيَّني ذلك، أي: اعْلَميه.

وقال ابن عطية: ذهب سيبويه إلى أن «أنْ» لا موضعَ لها من الإعراب؛ إنما هي مؤذِنَةٌ بجواب ما تَنَزَّل[5] منزلةَ القَسَم من الفعل الذي معناه التحقيق واليقين؛ لأن هذه الأفعال التي هي: تحقَّقْتُ وتيقَّنْتُ وعلمتُ ونحوها تحلُّ محلَّ القَسَم فـ «ما لَبِثوا» جوابُ القَسَم لا جواب لو، وعلى الأقوال الأُوَل جواب لو.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤١٢.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٨٣.
(٣) سلف في تفسير الآية (٢٤٧) من سورة البقرة.
(٤) البيت في الدر المصون ٩/ ١٦٨، وروح المعاني ٢٢/ ٥٤ كما ذكره أبو حيان.
ونسبه أبو زيد الأنصاري في النوادر ٣٨٥ لعبد قيس بن خفاف البرجمي، وهو بلا نسبة في معاني القرآن للفراء ١/ ١٨٥، والزاهر ١/ ١٢٩، وأمثال أبي عبيد ٣٣٥، وجمهرة الأمثال ٢/ ١٥٧، ومجمع الأمثال ٢/ ١٣٣، ونسبه الزمخشري في المستقصى ٢/ ٢٢٦ إلى امرئ القيس، وليس في ديوانه.
ورواية البيت عند جميعهم: أفاطم إني هالك... كل النساء يئيم.
(٥) في المطبوع: موزونة نحوان ما ينزل!؟

وفي كتاب النَّحَّاس إشارةٌ إلى أنه يُقرأ «تَبيَّنت الجنَّ» بنصب الجنّ، أي: تبيَّنَتِ الإنسُ الجنَّ، والمعنى: أن الجنَّ لو كانت تعلم الغيبَ ما خَفيَ عليها موتُ سليمان، وقد ظهر أنه خَفِي عليها بدوامها في الخِدمة والصَّنْعَةِ[(١)] وهو مَيِّت[(٢)].

وقرأ ابن عباس ـ فيما ذكر ابن خالويه ـ ويعقوب بخلافٍ عنه: «تُبيِّنَت» مَبنيًّا للمفعول[(٣)].

وعن ابن عباس وأُبيّ وابن مسعود وعليّ بن الحسين والضحَّاك قراءات في هذا الموضع مُخالِفةٌ لسَواد المُصحف ولما رُوي عنهم، ذكرها المفسِّرون، أضرَبْتُ عن ذكرها صَفْحاً على عادتنا في تَرْك نقلِ الشَّاذ الذي يُخالف السَّواد مخالفةً كثيرة[(٤)].

* * *

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾.

لـمَّا ذكر تعالى حالَ الشاكرين لنِعَمِه بذكر داود وسليمان، بَيَّن حالَ الكافرين بأنْعُمه بقصَّةِ سبأ، موعظةً لقريش، وتحذيراً وتنبيهاً على ما جرى لمَن كَفر أنْعُمَ[(٥)] الله.

---

(١) في (ت) والمطبوع: والضعة، وفي (أ): والصفة، والمثبت من (ح د٢ د٣ ز٢ ع يه)، وفي المحرر الوجيز: في الخدمة الصعبة.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤١٢، وكتاب سيبويه ٣/ ١٠٧-١٠٨، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٧.
(٣) مختصر في الشواذ ١٢١، والنشر ٢/ ٣٥٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٨٢ وهي رواية رويس عن يعقوب.
(٤) انظر هذه القراءات في المحتسب ٢/ ١٨٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٢.
(٥) في (يه): بأنعم.

وتقدَّم الكلامُ في سبأ في «النَّمل»[١].

ولـمَّا مَلَكت بلقيس اقتتل قومُها على ماء واديهم، فتركتْ مُلكها وسكنتْ قصْرَها، وراودوها على أنْ ترجعَ فأبتْ، فقالوا: لتَرْجِعِنَّ أو لنَقْتُلَنَّك، فقالت لهم: لا عُقولَ لكم ولا تطيعوني، فقالوا: نُطيعُك، فرجعت إلى واديهم، وكانوا إذا مُطروا أتاهم السَّيلُ من مَسيرة ثلاثة أيام، فأمَرت به، فسُدَّ ما بين الجبلَين بمُسَنَّاة بالصَّخر والقار، وحبَست الماءَ من وراء السَّدِّ، وجَعلت له أبواباً بعضُها فوق بعض، وبنَتْ من دونه بِرْكةً فيها اثنا عشَر مَخْرجاً على عِدَّة أنهارهم، فكان الماء يَخْرج لهم بالسَّويَّة[٢] إلى أنْ كان من شأنها مع سليمان عليه السَّلام ما سبق ذكرُهُ في سورة النَّمل.

وقيل: الذي بنى لهم السَّدَّ هو حِمْيَر أبو القبائل اليَمنيَّة[٣].

وعن الضحاك: كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم[٤].

وقيل: كان لهم رئيسٌ يُلَقَّب بالحمار، وكان في الفترة، فمات ولدُهُ، فرفع رأسَه إلى السماء فبَزَق وكَفَرَ؛ ولهذا يُقال في المَثَل: أكفرُ من حمار[٥]، ويُقال: تَرَكَه جَوْفَ حِمار، أي: كوادي حمار[٦] لمَّا سالَ بهم السَّيلُ.

وقرأ الجمهور: «في مَساكِنهم» جَمْعاً. والنَّخَعي وحمزة وحفص مُفرداً بفتح الكاف. والكسائي مُفرداً بكسرها، وهي قراءة الأعمش وعَلْقمة[٧].

---

(١) في تفسير الآية (٢٢) منها.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٢٥٠، والثعلبي ٥/ ١٥٢-١٥٣، وزاد المسير ٦/ ٤٤٣-٤٤٤.

(٣) في (د٣): اليمانية، وهما بمعنى. والقول في المحرر الوجيز ٤/ ٤١٣.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٨٥.

(٥) تفسير القرطبي ١٧/ ٢٩١. وانظر المثل في الدرة الفاخرة ٢/ ٣٦٧، وجمهرة الأمثال ٢/ ١٧٧، ومجمع الأمثال ٢/ ١٦٨، والمستقصى ١/ ٢٩٥.

(٦) قال المفضل بن سلمة في الفاخر ١٥: والوادي بلغة أهل اليمن يقال له الجوف، وانظر مجمع الأمثال ١/ ١٣٥.

(٧) السبعة ٥٢٨، والتيسير ١٨٠، والنشر ٢/ ٣٥٠، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٩، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٥٢، والقرطبي ١٧/ ٢٨٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٣.

قال أبو الحسن[١]: كسْرُ الكاف لغةٌ فاشِيَة، وهي لغةُ الناس اليوم، والفتح لغةُ الحجاز وهي اليوم قليلة. وقال الفرَّاء[٢]: هي لغةٌ يمانيَّةٌ فصيحة.

فمَن قرأ بالجمع فظاهر؛ لأن كلَّ أحدٍ له مَسْكِن، ومَن أفرد فينبغي أن يُحمَل على المصدر، أي: في سُكناهم حتى لا يكون مُفرداً يُراد به الجمع؛ لأن سيبويه يرى ذلك ضرورةً نحو:

كُلُوا في بعضِ بَطْنِكم تَعِفُّوا[٣]

يريد: بطونكم، وقوله:

قد عَضَّ أعناقَهم جِلْدُ الجَواميسِ[٤]

أي: جُلود.

«آية» أي: عَلامة دالَّة على الله، وعلى قُدرته وإحسانِهِ، ووجوب شُكره. أو جَعل قصَّتَهما لا أنفسهما آيةً؛ إذْ أعْرَضَ أهلُهما عن شكر الله عليهما، فخَرَّبَهما وأبدلهم عنهما الخَمْطَ والأَثْل عِبْرةً لهم[٥].

و«جَنَّتان» خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هي جنَّتان. قاله الزجَّاج. أو بدل، قال معناه الفرَّاء قال: رُفع لأنه تفسيرٌ لآية. وقاله مكّيّ وغيرُه، وضَعَّفه ابنُ عطيَّة، ولم يذكر جِهةَ تضعيفه.

وقال: «جنَّتان» ابتداء وخبره في قوله: «عن يمينٍ وشِمال»[٦]. انتهى.

---

(١) الأخفش، ونقل كلامه الفارسي في الحجة ٦/ ١٤.
(٢) في معاني القرآن ٢/ ٣٥٧.
(٣) الكتاب ١/ ٢١٠، وتمام البيت: فإن زمانكم زمنٌ خميصُ، وسلف في تفسير الآية العاشرة من سورة النساء.
(٤) صدره: الواردون وتَيْمٌ في ذُرى سبأ، وهو لجرير، وسلف في تفسير الآية (٢٢) من سورة النمل.
(٥) في المطبوع: جعل قصتهم لأنفسهم... أهلها... عليهم فخربهم وأبدلهم عنها... ثمرة لهم. وانظر الكشاف ٣/ ٢٨٤.
(٦) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٤٨، وللفراء ٢/ ٣٥٨، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٠٦، والهداية ٩/ ٥٩٠٦ كلاهما لمكي، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٣.

ولا يَظهر لأنه نكرةٌ لا مُسَوِّغ للابتداء بها؛ إلا إن اعتُقد أنَّ ثمَّ صفةٌ محذوفة، أي: جَنَّتان لهم، أو عظيمتان لهم عن يمينٍ وشِمال، وعلى تقدير ذلك يبقى الكلامُ مُفْلَتاً مما قبلَه.

وقرأ ابن أبي عَبْلَة: «جَنَّتَين» بالنَّصب[١] على أن «آية» اسم كان، وجَنَّتين الخبر.

قيل: ووَجْهُ كونِ الجنَّتَين آية نباتُ الخَمْطِ والأَثْل والسِّدْر مكانَ الأشجارِ المُثْمرة. قال قتادة: كانت بساتينُهم ذات أشجارٍ وثمارٍ تَسْتَتر الناسُ بظِلالها، ولم يُرِد جَنَّتَيْن ثِنْتَين، بل أراد من الجِهَتَين يمنةً ويَسْرةً. انتهى[٢].

وقال الزمخشري: وإنما أراد جماعتَين من البساتين؛ جماعةً عن يمين بلدتهم وأخرى عن شمالها، وكلُّ واحدةٍ من الجماعتَين في تقارُبِها وتضامِّها كأنها جنةٌ واحدة، كما تكون بلادُ الرِّيف العامرةِ وبساتينها. أو أراد بُستانَي كلِّ رجلٍ منهم عن يمين مَسْكِنه وشماله، كما قال: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾ [الكهف: ٣٢][٣]. انتهى.

قال ابن زيد: لا يوجد فيها بُرْغوثٌ ولا بَعوضٌ ولا عَقْرب، ولا تَقْمُل ثيابُهم، ولا تعيا دَوابُّهم[٤]. وكانت المرأة تمشي تحت الأشجار وعلى رأسِها المِكْتَل، فيمتلئ ثماراً من غير أن تتناولَ بيدها شيئاً[٥].

ورُوي نحو هذا عن عبد الرحمن بن عوف وابن عباس[٦].

«كُلوا من رِزْقِ ربِّكم» قولُ الله لهم على ألسنةِ الأنبياء المبعوثين إليهم. ورُوي

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤١٣.

(٢) نسب هذا القول القرطبي ١٧/ ٢٩٠-٢٩١ إلى القشيري.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٨٤.

(٤) أخرجه الطبري ١٩/ ٢٤٧، وذكره الثعلبي ٥/ ١٥٢، والماوردي ٤/ ٤٤٣-٤٤٤، والقرطبي ١٧/ ٢٩٠.

(٥) قوله: وكانت المرأة... هو من كلام قتادة أخرجه عنه عبد الرزاق ٢/ ١٣٠، والطبري ١٩/ ٢٤٧، وذكره عنه الماوردي ٤/ ٤٤٤، والقرطبي ١٧/ ٢٩٠.

(٦) ذكره عن ابن عوف ابن عطية في المحرر ٤/ ٤١٤، وعن ابن عباس الزمخشري ٣/ ٢٨٥.

ذلك مع الإيمان بالله[١]. أو قولُ لسانِ الحالِ لهم لمَّا رأوا نِعَماً كثيرة وأرزاقاً مَبْسوطة. وفيه إشارة إلى تكميل النِّعمة عليهم؛ حيث لم يمنعْهم من أكل ثمارها خوفٌ ولا مَرضٌ.

«واشْكُروا له» على ما أنعم به عليكم «بَلْدَةٌ طَيِّبة» أي: كريمةُ التُّربةِ، حَسَنةُ الهواء، رَغْدَةُ النِّعَم، سَليمةٌ من الهوامِّ والمَضارِّ «وربٌّ غفورٌ» لا عِقابَ على التمتُّعِ بنِعَمِه في الدنيا، ولا عذابَ في الآخرة، فهذه لَذَّةٌ كاملةٌ خاليةٌ عن المفاسِدِ العاجلةِ والمآليَّةِ.

وقرأ رُوَيْس بنصب الأربعة[٢].

قال أحمد بن يحيى: اسكنوا بلدةً طيِّبَةً، واعبدوا ربًّا غفوراً[٣]. وقال الزمخشري: منصوبٌ على المَدْح.

ولمَّا ذكر تعالى ما كان من جانبه من الإحسان إليهم ذَكر ما كان من جانبهم في مقابلته فقال: «فأعْرَضوا» أي: عما جاء به إليهم أنبياؤهم، وكانوا ثلاثة عشر نبيًّا، دعوهم إلى الله تعالى وذَكَّروهم نِعَمَه، فكذَّبوهم وقالوا: ما نعرف لله نعمةً، فبَيَّن كيفيَّةَ الانتقام منهم، كما قال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، فسَلَّط الله عليه الجُرَذ - فأراً أعمى توالَدَ فيه، ويُسَمَّى الخُلْد - وخَرَّقه شيئاً بعد شيء، وأرسل سيلاً في ذلك الوادي فحمل ذلك السَّدَّ.

فروي أنه كان من العِظَم وكثرةِ الماء بحيث ملأ ما بين الجبلَين، وحمل الجَنَّات وكثيراً من الناس ممَّن لم يُمكنْه الفِرار.

ورُوي أنه لما خَرَق السَّدَّ كان ذلك سببَ يُبْسِ الجَنَّات، فهَلَكت بهذا الوَجْه.

---

(١) في المحرر الوجيز ٤/ ٤١٤: وروي أن هذه المقالة من الأمر بالأكل والشرب والتوقيف على طيب البلدة وغفران الرب مع الإيمان به هو من قيل الأنبياء لهم.

(٢) مختصر في الشواذ ١٢١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٤.

(٣) نقل كلام أحمد بن يحيى ثعلب: ابنُ خالويه في مختصر في الشواذ ١٢١، والزمخشري ٣/ ٢٨٥، وما سيأتي من كلامه فيه.

وقال المُغيرة بن حَكيم وأبو مَيْسَرة: العَرِم في لغة اليمن جمع عَرْمَة، وهي كلُّ ما بُني أو سُنِّم ليُمْسِكَ الماء[١].

وقال ابن جُبَير: العَرِم: المُسَنَّاة بلسان الحَبَشة. وقال الأخفش: هو عربيّ[٢].

ويقال لذلك البناء بلُغة الحِجاز: المُسَنَّاة كأنها الجُسور والسِّداد، ومن هذا المعنى قول الأعشى:

وفي ذاك للمُؤْتَسي أُسْوَةٌ ومأرِبُ عَفَّى عليه العَرِمْ
رُخامٌ بَنَتْه لهم حِمْيَرٌ إذا جاشَ دُفَّاعُه لم يَرِمْ
فأروى الزُّروعَ وأشْجارَها على سَعَةٍ ماؤه إذْ قُسِمْ
فصاروا أياديَ لا يَقْدِرو نَ منه على شُرْبِ طِفْلٍ فُطِمْ[٣]

وقال آخر:

من سَبَأَ الحاضِرينَ مَأْرِبَ إذْ يَبْنُونَ من دون سَيْلِهِ العَرِما[٤]

وقال ابن عباس وقتادة والضحَّاك: العَرِم اسمُ وادي ذلك الماء بعينه الذي كان السدُّ بُني له[٥]. انتهى.

ويُمكن أن يُسمَّى الوادي بذلك البِناء لمُجاورَته له، فصار عَلَماً عليه.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤١٤، وانظر تفسير الطبري ١٩/ ٢٥٠.

(٢) قول ابن جبير والأخفش ليس في (د٣ يه).

(٣) ديوان الأعشى ١٨١-١٨٣ (تحقيق الرضواني)، والحور العين ٣٥٣، والأول والثاني في مجاز القرآن ٢/ ١٤٦، وتفسير الطبري ١٩/ ٢٤٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٤، وسمط اللآلي ١٩.

(٤) في المطبوع: من سبأ للحاضرين مارب إذا بنوا من دونه سيل العرم.
وهذا تصحيف شنيع للبيت. وقد اختلف في نسبته إلى النابغة الجعدي وأمية بن أبي الصلت، انظر ديوان النابغة ١٣٤، وديوان أمية ٤٩٠ (تحقيق السطلي) وتخريجه في ص٥٩٨، وطبقات فحول الشعراء ١٢٦، والبيت دون نسبة في الكتاب ٣/ ٢٥٣، ومجاز القرآن ٢/ ١٤٧، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٥٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٤.

(٥) في المطبوع: اسم وان... بني به، وانظر تفسير الطبري ١٩/ ٢٤٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٤.

وقال ابن عباس أيضاً: العَرِم: الشَّديد[١].

فاحتَمل أن يكون صفةً للسَّيل، أُضيف فيه الموصوفُ إلى صفته، والتقدير: السَّيلَ العَرِمَ، أو صفةً لموصوفٍ محذوف، أي: سَيْلَ المَطَرِ الشَّديد الذي كان عنه السَّيْلُ، أو سيلَ الجُرَذِ العَرِم، فالعَرِم صِفةٌ للجُرَذ.

وقيل: العَرِم اسمُ الجُرَذِ بنفسه[٢]، وأُضيف السَّيلُ إليه لكونه كان السَّببَ في خَراب السَّدِّ الذي حَملَه السَّيلُ، والإضافةُ تكون بأدنى مُلابَسَة.

وقرأ عُروة[٣] بن الوَرْد فيما حكى ابن خالويه: «العَرْم» بإسكان الراء تخفيفُ العَرِم، كقولهم في الكَبِد: الكَبْد.

ولمَّا غَرِق مَن غَرِق منهم ونَجا مَنْ نجا تفرَّقوا وتمزَّقوا، حتى ضَرَبت العربُ بهم المَثَل فقالوا: تفرَّقوا أيْدِي سَبا وأيادي سَبا. قيل: والأوسُ والخَزْرَج منهم[٤].

وعن ابن عباس: كان سَيْلُ ذلك الوادي يَصلُ إلى مكة ويُنْتَفَعُ به[٥]. وكان سَيْلُ العَرِمِ في مُلك ذي الأذْعار بن حسَّان في الفترة بين عيسى ونبيِّنا صلى الله عليهما وسلم. انتهى.

ودخلت الباء في «بجَنَّتَيْهم» على الزَّائل، وانتصب ما كان بدلاً وهو قوله: «جَنَّتين» على المَعْهود في لسان العرب، وإن كان كثيرٌ ممَّن[٦] ينتمي للعلم يَفْهَمُ العَكْس، حتى قال بعضهم: ولو أبدل ضاداً بظَاءٍ[٧] لم تصحَّ صلاتُهُ، وهو خطأ،

---

(١) أخرجه الطبري ١٩/ ٢٥٢.

(٢) قال ابن عطية ٤/ ٤١٤: وهذا ضعيف.

(٣) في (أ ت ح د٢ ز٢ ع) وأصل روح المعاني ومطبوعه: عزرة، والمثبت من (د٣ يه) وهو موافق لما في مختصر في الشواذ لابن خالويه ١٢١ وطبعة مؤسسة الرسالة من روح المعاني ٢٢/ ٦٥.

(٤) تفسير القرطبي ١٧/ ٢٩٢، والمثل في: مجمع الأمثال ١/ ٢٧٥، والمستقصى ٢/ ٨٨، والكشاف ٣/ ٢٨٦. وسلف في تفسير الآية (٢٢) من سورة النمل.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤١٤.

(٦) في المطبوع: كثيراً لمن.

(٧) يعني في آية الفاتحة: ولا الضالين.

ولسانُ العرب: ولو أبدل ظاءً بضاد. وقد تكلَّمنا على ذلك في «البقرة» في قوله: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الآية: ١٠٨].

وسُمِّي هذا المُعَوَّض جَنَّتَين على سبيل المقابَلَة؛ لأنَّ ما كان فيه خَمْطٌ وأَثْلٌ وسِدْرٌ لا يُسمَّى جَنَّة؛ لأنها أشجارٌ لا يكاد يُنْتَفَعُ بها.

وجاءت تثنيةُ ذاتٍ على الأفصح في رَدِّ عينها في التَّثنية فقال: «ذَواتَي أُكُلٍ» كما جاء: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨]، ويجوز أن لا تُرَدّ فتقول: ذاتا، كذا على لفظِ ذات.

وتقدَّم ذكرُ الخِلاف في ضمِّ كاف «أُكُلٍ» وسكونها[١].

وقرأ الجمهور: «أُكُلٍ» مُنَوَّناً.

والأُكُل: الثَّمر المأكول؛ فخَرَّجه الزمخشري على أنه على حذف مضاف، أي: أُكُلِ خَمْطٍ[٢]، قال: أو وُصِف الأُكُلُ بالخَمْط، كأنه قيل: ذَواتَي أُكُلٍ بَشِعٍ[٣]. انتهى.

والوصف بالأسماء لا يَطَّرِد، وإنْ كان قد جاء منه شيءٌ نحو قولهم: مررتُ بقاعٍ عَرْفَجٍ كُلِّه[٤].

وقال أبو علي: البَدَل في هذا لا يَحْسُن؛ لأن الخَمْطَ ليس بالأُكُلِ نفسه[٥]. انتهى.

وهو جائزٌ على ما قاله الزمخشري؛ لأن البدَلَ حقيقةً هو ذلك المحذوف، فلما حُذف أُعرب ما قام مقامَه بإعرابه.

قال أبو علي: والصِّفةُ أيضاً كذلك ـ يُريد: لا تَحْسُن ـ لأن الخَمْطَ اسمٌ

(١) في تفسير الآية (٢٦٥) من سورة البقرة.
(٢) في الكشاف ٣/ ٢٨٥: ذواتي أكلٍ أكلِ خمط، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.
(٣) في المطبوع: شبع.
(٤) القاع: الأرض المستوية المطمئنة عما يحيط بها من الجبال والآكام، تنصبُّ إليها مياه الأمطار فتمسكها، ثم تنبت العشب، والعرفج: نبات سهلي.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤١٥ وعنه نقل كلام أبي علي، وانظر الحجة ٦/ ١٥.

لا صفة، وأحسنُ ما فيه عطفُ البيان، كأنه بيَّن أن الأُكُل هذه الشَّجرة ومنها[١]. انتهى.

وهذا لا يجوز على مذهب البصريّين، إذْ شرطُ عطفِ البيان أنْ يكون معرفةً وما قبله معرفة، ولا يُجيز ذلك في النَّكرة من النكرة إلا الكوفيون، فأبو علي أخَذَ بقولهم في هذه المسألة[٢].

وقرأ أبو عمرو: «أُكُلِ خَمْطٍ» بالإضافة[٣]، أي: ثَمرِ خَمْطٍ.

وقرئ: «وأَثْلاً وشيئاً» بالنَّصب، حكاه الفضل بن إبراهيم عطفاً على «جَنَّتين»[٤].

و«قليلٍ» صفةٌ لـ «سِدْرٍ» وقَلَّله لأنه كان أحسَنَ أشجاره وأكرمَ ما بُدِّلوا. قاله الحسن[٥].

و«ذلك» إشارةٌ إلى ما أجراه عليهم من تخريب بِلادهم، وإغراقِ أكثرهم، وتمزيقهم في البلاد، وإبدالِهم بالأشجار الكثيرةِ الفواكهِ الطيِّبةِ المُسْتَلَذَّةِ الخَمْطَ والأثْلَ والسِّدْرَ.

ثمَّ ذكر سببَ ذلك وهو كُفرُهم بالله وإنكارُ نعمه «وهل يُجازى» أي: بذلك العقاب «إلا الكَفور» أي: المُبالِغ في الكُفر يُجازى بمثلِ فعله قَدْراً بقَدْر، وأما المؤمن فجزاؤه بتفضُّلٍ وتضعيف.

وقرأ الجمهور بضمِّ الياء وفتح الزاي «الكفورُ» رفعاً، وحمزة والكسائي بالنون وكسر الزاي «الكفورَ» نصباً[٦].

وقرأ مُسلم بن جُندب: «يُجزى» مُرَتَّباً[٧] للمفعول «الكفورُ» رفعاً.

---

(١) انظر الحاشية السابقة.
(٢) انظر ارتشاف الضرب ٤/ ١٩٤٣.
(٣) السبعة ٥٢٨، والتيسير ١٨٠، والنشر ٢/ ٣٥٠.
(٤) مختصر في الشواذ ١٢١، وذكرها الزمخشري ٣/ ٢٨٥ دون نسبة.
(٥) ذكره عنه الزمخشري في الكشاف ٣/ ٢٨٥.
(٦) وهي قراءة يعقوب وخلف وحفص، انظر السبعة ٥٢٨، والتيسير ١٨١، والنشر ٢/ ٣٥٠.
(٧) في (ح) والمطبوع: مبنياً، والمثبت من (أ ت د٣ د٢ ز٢ ع يه)، وقراءة مسلم في مختصر في الشواذ ١٢١، والمحتسب ٢/ ١٨٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٥.

وأكثرُ ما يُسْتَعمل الجزاءُ في الخَيْر والمُجازاة في الشرّ، لكنْ في تَقْييدِهما قد يقعُ كلٌّ واحدٍ منهما موقعَ الآخَر.

«وجَعَلْنا بينهم وبين القُرى التي باركنا فيها قُرًى ظاهرة» جاءت هذه الجملة بعد قوله: «وبَدَّلْناهم» وذلك أنه لمَّا ذَكر ما أنعمَ به عليهم من جَنَّتَيهم، وذكر تبديلَها بالخَمْطِ والأَثْلِ والسِّدْرِ ذكر ما كان أنعم به عليهم من اتِّصال قُراهم، وذكر تبديلَها بالمَفاوز والبَراري.

وقولُهُ: «وجَعَلْنا» وصفَ تعالى حالَهم قبلَ مجيءِ السَّيْل، وهي أنه مع ما كان مَنَحهم من الجنَّتَين والنِّعمة الخاصَّة بهم كان قد أصْلَحَ لهم البلادَ المُتَّصِلة بهم، وعَمَرها، وجَعلَهم أربابَها، وقَدَّرَ السَّيرَ بأنْ قَرَّب القُرى بعضَها من بعض. قال ابن عطية: حتى كان المُسافرُ من مَأرِبَ إلى الشَّام يَبيت في قريةٍ ويَقيلُ في أُخرى، ولا يحتاجُ إلى حَمْلِ زاد.

و«القُرى» المدن، ويقال للمُجْتَمع الصَّغير أيضاً قَرْية. والقُرى التي بُورك فيها هي بلاد الشام بإجماع من المُفسِّرين، والقُرى الظَّاهرة هي التي بين الشأم ومأرِب، وهي الصِّغار التي هي البَوادي[١]. انتهى.

وما ذكره من أن القُرى التي بُورك فيها هي قرى الشام بإجماع ليس كما ذكر، قال مجاهد: هي السَّرَوات[٢]. وقال وَهْب: قُرى صَنْعاء. وقال ابن جُبير: قُرى مأرب. وقال ابن عباس: قُرى بيتِ المقدس، وبَرَكَتُها كَثْرةُ أشجارها أو ثمارها.

ووصف قُرى بـ «ظاهرة» قال قتادة: مُتَّصلة على الطريق، يَغْدون فيَقيلون في قرية، ويَروحون فيَبيتون في قرية. قيل: كان على كل ميلٍ قريةٌ بسوق، وهو سببُ أمْنِ الطَّريق.

وقال المبرد: «ظاهرة» مُرتفعة، أي: في الآكام والظِّراب وهي أشرف القُرى.

وقيل: «ظاهرة» إذا خرجْتَ من هذه ظَهرَتْ لك الأخرى.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤١٥.

(٢) في (أ): السراوية، وفي (ز٢): السرا، وفي المطبوع: السراوى، والمثبت من (د٣ يه).

وقيل: «ظاهرة» معروفة، يقال: هذا أمرٌ ظاهر، أي: معروف. وقيل: ظاهرة: عامِرَة[١].

وقال ابن عطية: والذي يَظهر لي أنَّ معنى «ظاهِرة» خارجة عن المُدن، فهي عبارةٌ عن القُرى الصِّغار التي هي في ظَواهر المدن، فكأنه فَصل بِهذه الصِّفة بين القُرى الصِّغار وبين القُرى المُطْلَقة التي هي المُدن، وظَواهر المُدن ما خرج عنها في الفَيافي والفُحوص، ومنه قولُهم: نزَلْنا بظاهرِ فُلانة، أي: خارِجاً عنها. وقوله: «ظاهرة» نَظيرُ تَسْمِيةِ الناس إياها بالبادية والضَّاحية، ومن هذا قول الشاعر:

فلو شَهِدَتْني من قُريشٍ عِصابةٌ قريشِ البِطاحِ لا قريشِ الظَّواهِرِ[٢]

يعني الخارجينَ من بَطْحاءِ مكَّة. وفي الحديث: وجاء أهل الضَّواحي يَشْكون الغَرَق[٣].

«وقَدَّرنا فيها السَّيْرَ» قد ذُكر أن الغادي يَقيل في قرية والرَّائح في أخرى إلى أنْ يصلَ إلى مَقصودِهِ آمناً من عدوٍّ وجوعٍ وعَطَشٍ وآفاتِ المُسافر. قال الضحاك: مَقاديرَ المَراحل، كانت القُرى على مَقاديرها. وقال الكلبي: مَقاديرَ المَقيل والمَبيت. وقال القُتَبي: بين كلِّ قريةٍ وقرية مِقدارٌ واحدٌ معلوم. وقيل: بين كلِّ قريتَين نصفُ يوم. وهذه أقوال متقاربة[٤].

---

(١) انظر الأقوال السالفة في: تفسير الطبري ١٩/ ٢٦١-٢٦٢، ومعاني القرآن ٥/ ٤١٠، وإعراب القرآن ٣/ ٣٤١ كلاهما للنحاس، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٥٤، والماوردي ٤/ ٤٤٤ و٤٤٥، والقرطبي ١٧/ ٢٩٨-٢٩٩، وزاد المسير ٦/ ٤٤٨.

(٢) البيت لذكوان مولى عمر بن الخطاب في قصة له مع الضحاك بن قيس، انظر طبقات ابن سعد ١/ ٥٣، ومروج الذهب ١/ ١٠٦، وأنساب الأشراف ٩/ ٣٠٦، ومعجم البلدان (بطاح) ١/ ٤٤٤، وتاريخ دمشق ٧/ ٣٢٢، والوافي بالوفيات ١٤/ ٤١.

وهو بلا نسبة في مقاييس اللغة ١/ ٢٦١ و٣/ ٤٧٢، وجمهرة اللغة ١/ ٢٢٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٦، واللسان، والتاج (بطح).

(٣) في المطبوع: يسكنون الغرف (؟!)، وانظر المحرر الوجيز ٤/ ٤١٦، وقوله: وجاء أهل الضواحي يشكون الغرق؛ قطعة من حديث الاستسقاء، ذكره بهذا اللفظ ابن هشام في سيرته ١/ ٢٨٠.

(٤) انظر غريب القرآن لابن قتيبة ٣٥٦، والنكت والعيون ٤/ ٤٤٥.

والظَّاهر أن قوله: «سيروا» أمرٌ حقيقةً على لسان أنبيائهم، وقال الزمخشري: ولا قولَ ثَمَّ، ولكنهم لمَّا مُكِّنوا من السَّير، وسُوِّيَت لهم أسبابُه؛ فكأنهم أُمروا بذلك، وأُذِن لهم فيه[١]. انتهى.

ودخول الفاء في قوله: فكأنهم لا يجوز، والصَّواب: كأنهم؛ لأنه خبر لكنهم.

وقال قتادة: كانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أمان، ولو وجد الرجلُ قاتلَ أبيْه لم يُهِجْه، وكان المُسافرُ لا يأخذ زاداً ولا سِقاءً ممَّا بَسَط الله لهم من النِّعَم[٢].

وقال الزمخشري: سيروا فيها إنْ شئتُم باللَّيل، وإنْ شئتُم بالنَّهار، فإن الأمنَ فيها لا يَختلف باختلاف الأوقات. أو سيروا فيها آمِنينَ لا تخافون وإنْ تطاوَلَت مُدَّةُ أسفارِكم فيها، وامتدَّت أياماً وليالِيَ. أو سيروا فيها لياليَكم وأيَّامَكم مُدَّةَ أعمارِكم، فإنكم في كلِّ حينٍ وزمان لا تَلْقَون فيها إلا الأمْنَ[٣]. انتهى.

وقدَّم الليالي لأنَّها مَظِنَّةُ الخوفِ من مُغتال[٤]، ومَنَّ عليهم بالأمن حتى ساوى الليلُ النهارَ في ذلك.

ولمَّا طالت بهم مدَّةُ النِّعمة بَطِروا، ومَلُّوا العافية، وطلبوا استبدالَ الذي هو أدنى بالذي هو خير كما فعلت بنو إسرائيل، وقالوا: لو كان جَنْيُ ثمرِنا أبعدَ كان أشهى وأغلى قيمةً، فتمنَّوا أن يجعلَ الله بينهم وبين الشام مَفاوِزَ ليَركبوا الرَّواحلَ فيها، ويَتَزوَّدوا الأزوادَ، فقالوا: «ربَّنا باعِد بين أسْفارِنا».

وقرأ جمهور السَّبعة: «ربَّنا» بالنَّصب على النِّداء «باعِد» طَلَب. وابن كثير وأبو عمرو وهشام كذلك إلا أنهم شدَّدوا العين[٥].

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٨٦.
(٢) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٣٠، والطبري ١٩/ ٢٦٣-٢٦٤.
(٣) في المطبوع: إلا آمنين، والمثبت من النسخ، والكلام في الكشاف ٣/ ٢٨٦.
(٤) في المطبوع: لمن قال، بدل: من مغتال.
(٥) السبعة ٥٢٩، والتيسير ١٨١، والنشر ٢/ ٣٥٠.

وقرأ ابن عباس وابن الحنفيَّة وعمرو بن فائد وابن يَعْمر: «ربُّنا» رفعاً «بَعَّد» فعلاً ماضياً مُشَدَّد العين(١).

وابن عباس أيضاً وابن الحنفية أيضاً وأبو رَجاء والحسن ويعقوب وأبو حاتم وزيد بن عليّ وابن يَعْمَر أيضاً وأبو صالح وابن أبي ليلى والكلبي ومحمد بن علي وسلّام وأبو حَيْوة كذلك إلا أنه بألف بين الباء والعين(٢).

وسعيد بن أبي الحسن أخو الحسن وابن الحنفية أيضاً وسفيان بن حسين وابن السَّمَيْفَع: «ربَّنا» بالنَّصب «بَعُدَ» بضمّ العين فعلاً ماضياً «بينَ» بالنَّصب، إلا سعيداً منهم فضمَّ نون «بينُ» جعله فاعلاً(٣)، ومَن نَصب فالفاعل ضميرٌ يعود على السَّيْر، أي: بَعُدَ السَّيْرُ بينَ أسفارنا.

فمَن نصب «ربَّنا» جعله نداءً، فإنْ جاء بعده طَلَبٌ كان ذلك أَشَراً منهم وبَطَراً، وإن جاء بعده فعلٌ ماضٍ(٤) كان ذلك شكوى مما حَلَّ بهم من بُعْدِ الأسفار التي طلبوها أولاً.

ومَنْ رفع «ربُّنا» فلا يكون الفعل إلا ماضياً، وهي جملةٌ خَبريَّةٌ فيها شكوى بعضِهم إلى بعض مما حلَّ بهم من بُعْدِ الأسفار.

ومن قرأ «باعِد» أو «بَعّد» بالألف أو التشديد فـ «بينَ» مفعول به لأنهما فعلان مُتعدِّيان، وليس «بين» ظرفاً، ألا ترى إلى قراءة مَن رفعه كيف جعله اسماً فكذلك إذا نصَب(٥).

---

(١) المحتسب ٢/ ١٨٩، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٠١.
(٢) النشر ٢/ ٣٥٠، والمحتسب ٢/ ١٨٩، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٢، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٥٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٦، وزاد المسير ٦/ ٤٤٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٠٠.
(٣) مختصر في الشواذ ١٢١، والمحتسب ٢/ ١٨٩، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٦، وزاد المسير ٦/ ٤٤٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٠١.
(٤) في المطبوع: جاء بعد فعلاً ماضياً. وهذا خطأ.
(٥) قال السمين في الدر المصون ٩/ ١٧٦: إقراره على ظرفيته أولى ويكون المفعول محذوفاً...

وقُرِئ: «بُوعِد» مبنيًّا للمفعول(١).

وقرأ ابن يَعْمَر: «بين سَفَرِنا» مُفرداً(٢)، والجمهور بالجمع.

«وظَلموا أنفُسَهم» عطفٌ على «فقالوا». وقال الكلبي: هو حال، أي: وقد ظلموا أنفُسَهم بتكذيب الرُّسُل.

«فَجَعَلْناهم أحاديثَ» أي: عِظاتٍ وعِبَراً يُتَحَدَّث بهم ويُتَمَثَّل. وقيل: لم يَبْقَ منهم إلا الحَديثُ، ولو بقي منهم طائفةٌ لم يكونوا أحاديث.

«ومَزَّقناهم كلَّ مُمَزَّق» أي: تفريقاً اتَّخذه الناسُ مَثَلاً مَضروباً، قال كُثَيِّر:

أيادي سَبا يا عَزَّ ما كنتُ بَعدَكم   فلم يَحْلَ للعَينين بعدَكِ مَنْظَرُ(٣)

وقال قتادة: مَزَّقْناهم بالتَّباعُد. وقال ابن سَلام: جَعَلْناهم تُراباً تَذْرُوه الرِّياح(٤).

وقال الزمخشري: لحق غسَّان بالشام، وأنْمار بيَثْرِب، وجُذَام بتِهامَة، والأزْد بعُمان(٥).

وفي «التحرير»: وقع منهم قُضاعَةُ بمكة، وأسد بالبحرين، وخُزاعة بتِهامة.

وفي الحديث: إن سَبأ أبو عَشَرة قبائل، فلما جاء السَّيل على مأرِب ـ وهو

---

(١) في المطبوع: وقرئ بعد مبنياً للمفعول. وهذا خطأ وتصحيف، وذكر ابن خالويه في مختصر في الشواذ ١٢١ أن أبا معاذ حكى هذه القراءة وأجازها، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٤٤٩ إلى عاصم الجحدري وأبي عمران الجوني.

(٢) مختصر في الشواذ ١٢١.

(٣) البيت في ديوان كثير ٣٢٨ (تحقيق عباس)، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٥١، والمقصور والممدود للقالي ٢٧٤، والكشاف ٣/ ٢٨٦، والمغني ٢٨٥، وشرح أبياته للبغدادي ٥/ ١٥٩.

(٤) النكت والعيون ٤/ ٤٤٦.

(٥) الكشاف ٣/ ٢٨٦، وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٣٠، والطبري ١٩/ ٢٦٦-٢٦٧ من قول الشعبي ولفظه: أما غسان فقد لحقوا بالشام، وأما الأنصار فلحقوا بيثرب، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة، وأما الأزد فلحقوا بعمان. وهو كذلك في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٣، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٥٤، والماوردي ٤/ ٤٤٦، والقرطبي ١٧/ ٣٠١-٣٠٢.

اسم بلدهم ـ تيامن منها ستَّةُ قبائل؛ أي: تبدَّدَت في بلاد اليمن: كِنْدة والأَزْد وأشْعَر[١] ومَذْحِج وأنْمار التي منها بَجيلة وخَثْعَم، وطائفة قيل لها: حِمْيَر، بقي عليها اسمُ الأب الأول، وتشاءمت أربعة: لَخْم وجُذام وغَسَّان وخُزاعَة نزلت تِهامة، ومن هذه المتشائمة أولادُ قَيْلَة وهم الأوس والخَزْرَج، ومنها عامِلَة وغير ذلك[٢].

«إن في ذلك لآية» أي: في قَصَص هؤلاء «لَآية» أي: عَلامة «لكلِّ صَبَّارٍ» عن المعاصي وعلى الطاعات «شَكور» للنِّعَم.

والظاهر أن الضَّمير في «عليهم» عائدٌ على مَن قبلَه من أهل سَبأ، وقيل: هو لبني آدم[٣].

وقرأ ابن عباس وقتادة وطلحة والأعمش وزيد بن عليّ والكوفيُّون: «صَدَّق» بتشديد الدَّال[٤].

وانتصب «ظَنَّه» على أنه مفعول به بصَدَّق، والمعنى: وَجَد ظَنَّه صادقاً، أي: ظنَّ شيئاً فوقع ما ظَنَّ.

وقرأ باقي السَّبعة بالتخفيف. فانتصب «ظَنَّه» على المصدر، أي: يظنُّ ظَنًّا، أو على إسقاط الحرف، أي: في ظنِّه، أو على المفعول به نحو قولهم: أخطأتُ ظَنِّي وأصبتُ ظنِّي، وظنُّه هذا كان حين قال: لَأُضِلَّنَّهم ولَأُغْوِيَنَّهم[٥]، وهذا إنما قاله ظَنًّا منه فصَدَقَ هذا الظَّنُّ.

وقرأ زيد بن علي والزهري وجعفر بن محمد وأبو الجَهْجاه الأعرابيّ من

---

(١) في المطبوع: والسفر، تحريف.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤١٦، وأخرجه أحمد (٢٤٠٠٩/ ٨٧)، والترمذي (٣٥٠١)، والطبري ١٩/ ٢٤٥، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٣٧٩) من حديث فروة بن مُسيك الغطيفي.

(٣) تفسير الثعلبي ٥/ ١٥٥، والقرطبي ١٧/ ٣٠٣، وزاد المسير ٦/ ٤٥٠.

(٤) السبعة ٥٢٩، والتيسير ١٨١، والنشر ٢/ ٣٥٠، وتفسير الطبري ١٩/ ٢٧٠، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٣، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٥٥، والقرطبي ١٧/ ٣٠٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٧.

(٥) إشارة إلى الآيتين (٣٩) من سورة الحجر، و(١١٩) من سورة النساء.

فصحاء العرب وبلال بن أبي بُرْدة[١] بنصب «إبليسَ» ورفع «ظَنُّه»[٢] أسند الفعلَ إلى «ظَنّه» لأنه ظنَّ ظنًّا فصار ظنُّه في الناس صادقاً، كأنه صَدَّقه ظَنُّه ولم يُكَذِّبْه.

وقرأ عبد الوارث عن أبي عمرو: «إبليسُ ظَنُّه» برفعهما[٣]، فظنُّه بدلٌ من إبليس بدل اشتمال.

«فاتَّبعوه» أي: في الكُفر «إلا فريقاً» هم المؤمنون، و«من» لبيان الجنس، ولا يمكن أن تكون للتَّبعيض لاقتضاء ذلك أنَّ فريقاً من المؤمنين اتَّبعوا إبليس، وفي قوله: «إلا فريقاً» تقليلٌ لأن المؤمنين بالإضافة إلى الكُفَّار قليل، كما قال: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

«وما كان له» أي: لإبليسَ «عليهم من سُلطان» أي: من تَسَلُّطٍ واستيلاء بالوَسْوَسة والاسْتِغْواء[٤]، ولا حُجَّة إلا لحِكْمةٍ بَيِّنة؛ وهي تميُّز المؤمن بالآخرة من الشَّاكِّ فيها، وعَلَّل التَّسليطَ بالعلم والمُراد ما تعلَّق به العلم. قاله الزمخشري.

وقال ابن عطية[٥]: «إلا لنَعلَم» موجوداً؛ لأن العلم به مُتَقَدِّمٌ أوَّلاً. انتهى.

وقال معناه ابن قتيبة قال: لنَعلَمَ حادثاً كما عَلِمناه[٦] قبلَ حُدوثه.

وقال قتادة: ليَعلمَ الله به المؤمنَ من الكافر علماً ظاهراً يَستحقُّ به العقابَ والثَّواب.

وقيل: ليَعْلَم أولياؤنا وحِزْبُنا.

(١) في (أ ح د٢ ز٢ ع) والمطبوع: برزة، وفي (د٣): سعيد بدل برزة، والمثبت من (ت يه)، وهو موافق لما في المحرر الوجيز.
(٢) مختصر في الشواذ ١٢١، وإعراب القرآن ٣/ ٣٤٣، ومعاني القرآن ٥/ ٤١٣ كلاهما للنحاس، والمحتسب ٢/ ١٩١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٧، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٠٣ وعند جميعهم: وأبو الهجهاج.
(٣) مختصر في الشواذ ١٢١.
(٤) في المطبوع: والاستواء، وانظر الكلام في الكشاف ٣/ ٢٨٦.
(٥) في المحرر الوجيز ٤/ ٤١٧.
(٦) في (يه): علمنا به. وانظر تأويل مشكل القرآن ٢٤٠.

وقال الحسن: والله ما كان له سَوْطٌ ولا سَيفٌ، ولكنه اسْتَمالهم فمالوا بتَزْيينه[١]. انتهى. كما قال تعالى عنه: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقرأ الزُّهري «إلا لِيُعْلَم» بضمِّ الياء وفتح اللام مبنيًّا للمفعول[٢].

وقال ابن خالويه: «إلا ليَعلَم مَن يؤمن» بالياء: الزُّهريّ[٣].

«وربُّك على كل شيء حَفيظ» إمَّا للمُبالَغة عَدل إليها عن حافِظ، وإمَّا بمعنى مُحافِظ، كجَليس وخليط. والحِفْظُ يتضمَّنُ العلمَ والقُدرة؛ لأن مَن جَهِل الشيءَ وعَجَز لا يُمكنه حِفْظُ.

❁ ❁ ❁

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى
ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ
أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾
۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ
كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل
لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ
بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ
إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ
ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ

---

(١) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٩/ ٢٧١، والثعلبي ٥/ ١٥٥، والقرطبي ١٧/ ٣٠٤، ٣٠٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٧، وزاد المسير ٦/ ٤٥٠.

(٢) المحتسب ٢/ ١٩١، وزاد المسير ٦/ ٤٥٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٠٦.

(٣) مختصر في الشواذ ١٢٢. وكلمة: الزهري، ليست في المطبوع.

﴿٣٣ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٣٣﴾.

لمَّا بَيَّن حالَ الشَّاكرين وحالَ الكافرين، وذَكَّر قريشاً ومَن لم يؤمن بمَن مضى؛ عاد إلى خطابهم فقال: «قُلْ» يا محمد للمشركين الذين ضُرب لهم المَثَلُ بقصَّة سَبأ المعروفةِ عندهم بالنقل في أخبارهم وأشعارهم: «ادْعُوا الذين زَعَمْتُم» وهم مَعْبوداتهم من الملائكة والأصنام، وهو أمرٌ بدُعاءٍ هو تعجيزٌ وإقامةُ حُجّة.

ورُوي أن ذلك نزل عند الجوع الذي أصاب قريشاً[1]، أي: ادْعُوهم ليَكشِفوا عنكم ما حلَّ بكم، والتجؤوا إليهم فيما يَعِنُّ لكم.

وزعم من الأفعال التي تتعدَّى إلى اثنين إذا كانت اعتقاديَّة، والمفعول الأول هو الضمير المحذوف العائد على «الذين»، والثاني محذوف أيضاً لدلالة المعنى، ونابت صفتُهُ مَنابَه، التقدير: الذين زعمتموهم آلهةً من دونه، وحَسَّنَ حذفَ الثاني قيامُ صفته مقامَه، ولولا ذلك ما حَسُن؛ إذ في حذف أحد مفعولَي ظنَّ وأخواتها اختصاراً خلافٌ، منع ذلك ابن مَلَكون، وأجازه الجمهور[2]، وهو مع ذلك قليل. ولا يجوز أن يكون الثاني «من دونه»؛ لأنه لا يَستقلُّ كلاماً، لو قلت: هم من دونه لم يصحّ، ولا الجملة من قوله: «لا يَملكون مثقالَ ذَرَّةٍ» لأنه لو كانت هذه النِّسبةُ مَزْعومةً لهم لكانوا مُعترِفين بالحقّ قائلين له، وكان ذلك توحيداً منهم، وأن آلهتَهم ومَعبوداتهم لا يَملكون شيئاً باعترافهم.

ثم أخبر عن آلهتهم أنهم «لا يَملكون مثقالَ ذَرَّةٍ» وهو أحْقَرُ الأشياء، وإذا انتفى مُلكُ الأحقرِ عنهم فمُلكُ الأعظم أولى.

ثم ذكر مَقرَّ ذلك المثقال وهو السَّماوات والأرض، ثم أخبر أنهم ما لهم في السَّماوات ولا في الأرض من شِركة، فنفى نَوْعَي الملك الاستبداد والشِّركة.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤١٧.

(٢) انظر التذييل والتكميل ٦/ ١٤، وارتشاف الضرب ٤/ ٢٠٩٨.

ثم نفى الإعانةَ منهم له تعالى في شيءٍ ممّا أنشأ بقوله: «وما له منهم من ظَهيْر» فبيَّن عَجْزَ مَعْبوداتهم من جميع الجهات.

ولمّا كان من العرب مَن يعبدُ الملائكة لتشفَعَ له نفى أنَّ شفاعتهم تنفع، والنَّفيُ مُنْسحِبٌ على الشفاعة، أي: لا شفاعةَ لهم فتَنْفعُ، وليس المعنى أنهم يَشفعون ولا تنفع شفاعتُهم، إذْ لا تقع من معبوداتهم شفاعةٌ أصلاً، لأن عابديهم كُفَّار، فإنْ كان المعبودون أصناماً أو كفَّاراً كفرعون فسَلْبُ الشَّفاعةِ عنهم ظاهر، وإنْ كانوا ملائكةً أو غيرَهم ممَّن عُبِد كعيسى عليه السلام فشفاعتُهم إذا وُجِدت تكون لمؤمن.

و«إلا لمَن أُذِن له» استثناء مُفَرَّغ، فالمُستثنى منه محذوف تقديره: ولا تَنفع الشفاعةُ لأحدٍ إلا لمَن أُذِن له.

واحتمل قوله: لأحدٍ أن يكون مَشْفوعاً له وهو الظَّاهر، فيكون قولُهُ: «إلا لمَن أُذن له» أي: إلا المَشْفوع أُذِن لأجله أن يُشْفَع فيه، والشَّافع ليس بمذكور، إنما دلَّ عليه المعنى.

واحتمل أن يكون شافعاً، فيكون قوله: «إلا لمَن أُذِن له» بمعنى إلا لشافع أُذِن له أنْ يَشفعَ، والمشفوع ليس بمذكور، إنما دلَّ عليه المعنى، وعلى هذا الاحتمال تكون اللام في «أذن له» لام التَّبليغ لا لام العِلَّة.

وقال الزمخشري: تقول: الشَّفاعةُ لزيد، على معنى أنه الشَّافع، كما تقول: الكَرَمُ لزيد، وعلى معنى أنه المَشْفوع له، كما تقول: القيامُ لزيد. فاحتمل قولُهُ: «ولا تَنفعُ الشَّفاعةُ عنده إلا لمَن أُذِن له» أن يكون على أحدِ هذين الوجهين؛ أي: لا تَنفعُ الشَّفاعةُ إلا كائنةً لمَن أُذِن له من الشَّافعين ومُطلقةً له، أو: لا تنفع الشَّفاعةُ إلا كائنةً لمَنْ أُذِن له، أي: لشفيعه. أو هي اللَّامُ الثانية في قولك: أُذِن لزيد لعمرو، أي: لأجله، فكأنه قيل: إلا لمَن وقع الإذنُ للشَّفيع لأجله، وهذا وَجهٌ لطيف وهو الوَجْه، وهذا تكذيبٌ لقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨][1]. انتهى.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٨٧.

فجعَل «إلا لمَن أُذن له» استثناءً مُفَرَّغاً من الأحوال؛ ولذلك قدَّره: إلا كائنةً، وعلى ما قرَّرناه استثناءٌ من الذَّوات.

وقال أبو عبد الله الرَّازي: المَذاهبُ المُفْضِيةُ إلى الشِّرك أربعة: قائل: إن الله خلقَ السَّماوات، وجعل الأرضَ والأرضيَّات في حُكمها، ونحن من جُملة الأرضيَّات فنعبدُ الكواكبَ والملائكةَ السَّماوية، وهم إلهنا[١] والله إلهُهم، فأبطل بقوله: «لا يَملكون» في السَّماوات كما اعتَرَفْتُم، ولا في الأرض خلافَ ما زَعمتُم.

وقائل: السَّماوات من الله استبداداً، والأرضيَّات منه بواسطة الكواكب؛ فإنه تعالى خلق العَنَاصرَ والتَّركيبات التي فيها باتِّصالات وحركات وطَوالع، فجعلوا مع الله شُركاءَ في الأرض، والأوَّلون جعلوا الأرضَ لغيره، فأبطل بقوله: «وما لهم فيهما من شِرْك» أي: الأرضُ كالسَّماء لله لا لغيره، ولا لغيره فيهما نَصيبٌ.

وقائل: التَّركيباتُ والحوادثُ من الله، لكن فَوَّض ذلك إلى الكواكب، وفعلُ المأذون يُنْسَب إلى الآذِن ويُسْلَب عن المأذون له فيه، جَعلوا السَّماوات مُعِينةً لله، فأبطل بقوله: «وما له منهم من ظَهير».

وقائل: نَعبدُ الأصنامَ التي هي صُوَر الملائكة ليَشْفعوا لنا، فأبطل بقوله: «ولا تنفعُ الشَّفاعةُ» الجملة.

و«أل» في «الشَّفاعةُ» الظَّاهرُ أنها للعموم، أي: شفاعةُ جميعِ الخلق، وقيل: للعَهْد، أي: شفاعةُ الملائكة التي زَعموها شُركاء وشُفعاء. انتهى وفيه بعضُ تلخيص[٢].

وقال أبو البقاء: اللام في: «لمَن أُذن له» يجوز أنْ تتعلَّق بالشَّفاعة؛ لأنك تقول: شَفَعتُ له، وأنْ تَتَعلَّق[٣] بـ«تنفع». انتهى. وهذا فيه قِلَّة؛ لأن المفعولَ متأخِّر، فدُخول اللام عليه قليلٌ.

---

(١) في (د٣ يه): الأنبياء، تحريف، وفي التفسير الكبير ٢٥/ ٢٥٤: آلهتنا.

(٢) التفسير الكبير ٢٥/ ٢٥٤-٢٥٥، وقوله: وأل في الشفاعة.. إلى آخر النص لم أقف عليه في تفسيره.

(٣) في المطبوع: تقول: أشفعت له وأنت تعلق، وانظر إملاء ما منّ به الرحمن ١/ ١٩٧.

وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: «أُذِن» بضمِّ الهمزة، وباقي السبعة بفتحها[١]، أي: أَذِن الله له.

والظاهر أن الضمير في قوله: «عن قلوبهم» عائدٌ على ما عادت عليه الضمائر التي للغَيبة في قوله: «لا يملكون» وفي «ومالهم، وماله منهم» وهم الملائكة الذين دَعَوْهم آلهةً[٢] وشُفعاء، ويكون التقدير: إلا لمَن أُذِن له منهم.

و«حتى» تدلُّ على الغاية، وليس في الكلام ما يدلُّ[٣] على أن حتى غايةٌ له؛ فقال ابن عطية: في الكلام حذفٌ يدلُّ عليه الظاهر، كأنه قال: ولا هم شُفَعاء كما تُحِبُّون أنتم، بل هم عَبَدةٌ أو مُسْلِمون[٤] أبداً يعني: مُنْقادون حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم.

قال: وتظاهرت الأحاديثُ عن رسول الله ﷺ أن قولَه: «حتى إذا فُزِّع عن قُلوبهم» إنما هي في الملائكة إذا سَمعت الوحيَ إلى جبريل، وبالأمر يأمرُ الله به، سَمعتْ كجرِّ سِلسلةِ الحديد على الصَّفْوان، فتَفْزَعُ عند ذلك تعظيماً وهيبةً، وقيل: خوفَ أنْ تقومَ السَّاعة، فإذا فُزِّع ذلك عن قلوبهم، أي: أُطِير الفَزَعُ عنها وكُشِف، يقول بعضُهم لبعض ولجبريل: ماذا قال ربُّكم؟ فيقول المسؤولون: قال الحقَّ وهو العليُّ الكبير[٥].

وبهذا المعنى من ذِكْر الملائكة في صدر الآيات تتَّسق هذه الآية على الأُولى. ومَن لم يَشْعر أن الملائكةَ مُشارٌ إليهم من أوَّل قوله: «الذين زَعَمْتُم» لم تتَّصل له هذه الآية بما قبلَها، فلذلك اضطربَ المفسِّرون في تفسيرها، حتى قال بعضهم: في

---

(١) السبعة ٥٢٩، والتيسير ١٨١، والنشر ٢/ ٣٥٠ وهي قراءة خلف من العشرة.
(٢) في (يه): آلهتهم.
(٣) في المطبوع: الكلام غاية.
(٤) في المحرر الوجيز ٤/ ٤١٨: كما تحسبون... مستسلمون.
(٥) انظر ما أخرج البخاري (٤٧٠١) و(٤٨٠٠)، والترمذي (٣٢٢٣)، وابن ماجه (١٩٤) من حديث أبي هريرة ﷺ، وأبو داود (٤٧٣٨) من حديث ابن مسعود ﷺ، وابن أبي عاصم في السنة (٥١٥)، وابن خزيمة في التوحيد ١٤٤، والطبري ١٩/ ٢٨٧، والثعلبي ٥/ ١٥٦ من حديث النواس بن سمعان ﷺ.

الكُفَّار بعد حُلولِ الموت، ففُزِّع عن قلوبهم بفقْدِ الحياة، فرَأَوا الحقيقةَ، وزالَ فزَعُهم مما يُقال لهم في حياتهم، فيُقال لهم حينئذٍ: ماذا قال ربُّكم؟ فيقولون: قال الحقَّ، يُقِرُّون حين لا يَنْفَعهم الإقْرار. وقالت فرقة: الآية في جميع العالَم، وقوله: «حتى إذا» يريد في الآخرة[1].

والتأويل الأولُ في الملائكة هو الصَّحيح، وهو الذي تظاهرت به الأحاديثُ، وهذان بعيدان[2]. انتهى.

وإذا كان الضَّمير في «عن قلوبهم» لا يعودُ على «الذين زَعَمْتم» كان عائداً على مَن عاد عليه الضَّمير في قوله: «ولقد صَدَّق عليهم إبليسُ ظَنَّه فاتَّبعوه»، ويكون الضمير في «عليهم» عائداً على جميع الكُفَّار، ويكون «حتى» غاية لقوله: «فاتَّبعوه» ويكون التَّفْزِيعُ حالةَ مُفارقةِ الحياة، أو يُجْعَل اتِّباعُهم إياه مُسْتَصْحباً لهم إلى يوم القيامة مَجازاً، والجملةُ بعدُ من قوله: «قُل ادْعوا» اعتراضيَّة بين المُغَيَّا والغاية.

قال ابن زيد: أقَرُّوا بالله حين لم يَنْفَعْهم الإقرار[3]. فالمعنى: فَزَّع الشَّيطانُ عن قلوبهم، وفارقَهم ما كان يُضلُّهم[4] به «قالوا: ماذا قال ربُّكم».

وقال الحسن: وإنما يُقال للمشركين: «ماذا قال ربُّكم» أي: على لسان الأنبياء، فأقرُّوا حين لا يَنْفَع[5].

وقيل: «حتى» غاية مُتعلِّقة بقوله: «زعمتم» أي: زَعَمتُم الكفرَ إلى غاية التَّفْزيع، ثم تركتُم ما زعمتُم وقلتم: قال الحقَّ. انتهى. فيكون في الكلام التفاتٌ من خِطابٍ في «زعمتم» إلى غَيبة في «فُزِّع عن قلوبهم».

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري ١٩/ ٢٨١، والثعلبي ٥/ ١٥٧، والماوردي ٤/ ٤٤٨، والقرطبي ١٧/ ٣١١، وزاد المسير ٦/ ٤٥٣-٤٥٤.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤١٨.
(٣) أخرجه الطبري ١٩/ ٢٨١.
(٤) في المطبوع: يطلبهم.
(٥) لم نقف عليه.

وعن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فإذا أُذِن لمَن أُذِن أنْ يَشْفَع فَزَّعَتْه الشَّفاعةُ»[١].

فعلى هذا يكون التقدير: إلا لمَن أُذِن له، فإذا أُذِن فَزِع ودام فَزَعُه[٢]، حتى إذا أُزيل التَّفْزيع عن قلوبهم قال بعضُ الشَّافعين من الملائكة لبعض الملائكة: ماذا قال ربُّكم في قَبول شَفاعتنا؟ فيُجيب بعضهم لبعض: «قال» أي: الله «الحقَّ» أي: القولَ الحقَّ وهو قَبولُ شفاعتهم؛ إذْ كان تعالى أَذِن لهم في ذلك ولا يأذن إلا وهو مُريدٌ لقَبول الشَّفاعة.

وقال الزمخشري: فإن قلت: بمَ اتَّصل قولُهُ: «حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم» ولأيِّ شيءٍ وقعتْ حتى غايةً؟ قلت: بما فُهِم من هذا الكلام من أنَّ ثَمَّ انتظاراً للإذن وتوقُّفاً وتمهُّلاً وفَزَعاً من الرَّاجين للشَّفاعة والشُّفَعاء، هل يؤذن لهم أو لا يؤذن، وأنه لا يُطلَق الإذنُ إلا بعد مَليٍّ من الزمان وطُولٍ من التَّرَبُّص، ومثل هذه الحال دلَّ عليه قوله عز من قائل: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝٣٧ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٧-٣٨]، كأنه قيل: يَتَربَّصون ويتوقَّفون مليًّا فَزِعين وَهِلين، «حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم» أي: كُشِف الفَزَعُ من قلوب الشَّافعين والمشفوعِ لهم بكلمةٍ يتكلَّم بها ربُّ العزَّةِ في إطلاق الإذن؛ تباشروا بذلك، وسأل بعضُهم بعضاً «ماذا قال ربكم قالوا»: قال الحقَّ، أي: القولَ الحقَّ وهو الإذنُ بالشَّفاعة لمَن ارتضى[٣]. انتهى.

وتلخَّص من هذا أن حتى غائية إما لمَنْطوق وهو «زَعَمْتُم» ويكون الضمير في «عن قلوبهم» التفاتاً وهو للكفار، أو هو «فاتَّبَعوه» وفيه تناسُقُ الضَّمائر لغائب، والفصلُ بالاعتراض، والضَّمير أيضاً للكفار، والضمير في «قالوا» للملائكة، وضمير الخطاب في «ربُّكم» والغائب في «قالوا» الثانية للكُفَّار، وإمَّا لمحذوف.

فما قَدَّره ابن عطية لا يصحُّ أن يُغَيَّا؛ لأن ما بعد الغاية مخالفٌ لما قبلَها، وهم عَبَدَةٌ منقادون دائماً، لا يَنفكُّون عن ذلك لا إذا فُزِّع عن قلوبهم، ولا إذا لم يُفَزَّع،

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٨٨، قال ابن حجر في تخريجه: لم أجده.
(٢) في المطبوع: وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: فإذا أذن فزع ودام فزعه.
(٣) الكشاف ٣/ ٢٨٧-٢٨٨.

وحَمْلُ ذلك على الملائكةِ حالَ الوحي لا يُناسب الآية، وكونُ النبيِّ ﷺ في قصَّة الوحي قال: «فإذا جاءهم جبريل فُزِّع عن قلوبهم» لا يدلُّ على أن هذه الآية في الملائكة حالةَ تكَلُّمِ الله بالوحي، والحديث رواه ابن مسعود عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا تكلَّم الله عز وجل بالوَحْي سمع أهلُ السماء صَلْصَلَةً كجَرِّ السِّلسلة على الصَّفا، فيُصْعَقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريلُ عليه السلام، فإذا جاءهم جبريل فُزِّع عن قلوبهم، فيقولون: يا جبريل، ماذا قال ربُّك؟ قال: فيقول: الحقَّ، فيُنادون: الحقَّ الحقَّ»[١].

وما قدَّره الزمخشري يَحتمل، إلا أن فيه تخصيصَ «الذين زَعَمْتُم من دونه» بالملائكة، والذين عَبَدوهم ملائكة[٢] وغيرهم، وتخصيصَ مَن أَذِن له بالملائكة أيضاً، والمأذون لهم في الشفاعة الملائكة وغيرهم، ألا ترى إلى ما حَكى رسول الله ﷺ في الشفاعة في قوله عزَّ وجلّ؟[٣]

وقرأ الجمهور: «فُزِّع» مُشدَّداً من الفَزَع مبنيًّا للمفعول، أي: أُطير الفَزَعُ عن قلوبهم، وفَعَّل تأتي لمعانٍ منها الإزالة وهذا منه، نحو: قَرَّدْتُ البعيرَ؛ أزلتُ القُرَادَ عنه.

وقرأ ابن مسعود وابن عباس وطلحة وأبو المُتَوكِّل النَّاجي وابن السَّمَيفع وابن عامر: «فَزَّع» مبنيًّا للفاعل من الفَزَع أيضاً[٤]، والضَّمير الفاعل في فَزَّع إنْ كان الضَّميرُ في «عن قلوبهم» للملائكة فهو الله، وإنْ كان للكفَّار فالضمير لمُغْوِيهم.

وقرأ الحسن «فُزِع» من الفَزَع بتخفيف الزَّاي مبنيًّا للمفعول[٥]، و«عن قلوبهم» في موضع رفعٍ به، كقولك: انْطُلِق بزيد.

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٨).

(٢) في (د٣): بالملائكة، وهما بمعنى.

(٣) بعدها في النسخ بياض قدر سطر، غير (يه).

(٤) السبعة ٥٣٠، والتيسير ١٨١، والنشر ٢/ ٣٥١ وهي قراءة يعقوب من العشرة، ومعاني القرآن ٥/ ٤١٥، وإعراب القرآن ٣/ ٣٤٥ كلاهما للنحاس، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٨، وزاد المسير ٦/ ٤٥٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣١١.

(٥) المحتسب ٢/ ١٩١، والكشاف ٣/ ٢٨٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٨، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣١١.

وقرأ الحسن أيضاً وأبو المتوكّل أيضاً وقتادة ومجاهد: «فَرَّغ» مشدَّداً مبنيًّا للفاعل من الفَراغ[١].

وقرأ الحسن أيضاً كذلك إلا أنَّه خفَّف الرَّاء[٢].

وقرأ عبد الله بن عمر والحسن أيضاً وأيُّوب السّختيانيّ وقتادة أيضاً وأبو مِجْلَز: «فُرِّغَ» من الفَراغِ، مُشدَّد الرَّاء مبنيًّا للمفعول[٣].

وقرأ ابن مسعود وعيسى: «افْرُنْقِعَ عن قلوبهم»[٤] بمعنى: انكَشَف عنها، وقيل: تَفَرَّق.

وقال الزمخشري: والكلمةُ مُرَكَّبةٌ من حروف المُفارَقة مع زيادة العين، كما رُكِّب اقْمَطَرَّ من حروف القَمْطِ مع زيادة الرَّاء[٥]. انتهى.

فإنْ عَنى الزمخشري أن العين من حروف الزّيادة وكذلك الراء ـ وهو ظاهرُ كلامه ـ فليس بصحيح؛ لأن العين والرَّاء ليستا من حروف الزيادة، وإنْ عَنى أن الكلمة فيها حروف ما ذكروا زائداً إلى ذلك العين والراء، والمادَّةُ فَرْقَع وقَمْطَر؛ فهو صحيح، ولولا إيْهام ما قاله الزمخشري في هذه الكلمة لم أذكر هذه القراءة لمُخالفتها سَوادَ المصحف.

وقالوا أيضاً في قوله تعالى: «حتى إذا فُزِّع» أقوالاً غير ما سبق؛ قال كعب: إذا تكلَّم الله عز وجل بلا كيف ضَربت الملائكةُ بأجنحتها وخَرَّتْ فَزَعاً، قالوا فيما بينهم: ماذا قال ربُّكم؟ قالوا: الحقَّ، أي: مَقولةَ الحقِّ.

---

(١) المحتسب ٢/ ١٩١، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣١٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤١٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣١٢.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦١، وتفسير الطبري ١٩/ ٢٨٢، ومختصر في الشواذ ١٢٢، وإعراب القرآن ٣/ ٣٤٥، ومعاني القرآن ٥/ ٤١٦ كلاهما للنحاس، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٥٣، والمحتسب ٢/ ١٩٢، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٥٥، والقرطبي ١٧/ ٣١٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٨-٤١٩، وزاد المسير ٦/ ٤٥٢.

(٤) مختصر في الشواذ ١٢٢، والمحتسب ٢/ ١٩٢، والكشاف ٣/ ٢٨٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٩.

(٥) الكشاف ٣/ ٢٨٨.

وقيل: إذا دعاهم إسرافيلُ من قُبورهم قالوا مُجيبين: «ماذا» وهو من الفَزَع الذي هو الدُّعاء والاستصراخ، كما قال زهير:

إذا فَزِعوا طاروا إلى مُسْتَغيثِهم طِوالَ الرِّماحِ لا ضِعافٌ ولا عُزْلُ(١)

وقيل: هو فَزَعُ ملائكة أدنى السَّماوات عند نزول المُدَبِّرات إلى الأرض.

وقيل: لمَّا كانت الفترةُ بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلَّم، وبعث الله محمداً، أنزل الله جبريلَ بالوَحْي، فظَنَّت الملائكةُ أنه قد نزل شيءٌ من أمر السَّاعة، فصَعِقوا لذلك، فجعل جبريلُ يمرُّ بكلِّ سماءٍ، ويَكشف عنهم الفَزَعَ، ويُخبرهم أنه الوَحْي. قاله قتادة ومقاتل وابن السائب.

وقيل: الملائكة المُعَقِّبات الذين يَختلفون إلى أهل الأرض ويكتبون أعمالَهم، إذا أرسلَهم الله فانحدروا سُمِع لهم صوتٌ شديدٌ، فيَحْسَب الذين هم أسفلَ منهم من الملائكة أنه من أمر الساعة، فيَخِرُّون سُجَّداً يُصْعَقون. رواه الضحاك عن ابن مسعود(٢).

وهذه الأقوال والتي قبلها لا تكاد تُلائم ألفاظَ القرآن، فالله أسألُ أنْ يَرْزُقنا فَهْمَ كتابه.

وأقرَبُها عندي أن يكون الضَّمير في «قلوبهم» عائداً على مَن عاد عليه «اتَّبعوه، وعليهم، وممَّن هو منها في شكّ» وتكون الجملة بعد ذلك اعتراضاً، وقوله: «قالوا» أي: الملائكة لأولئك المتَّبعين الشَّاكِّين يسألونهم سؤالَ توبيخ: «ماذا قال ربُّكم» على لسان مَن بُعث إليكم بعد أن كُشِف الغِطاءُ عن قلوبهم؟ فيُقِرُّون إذْ ذاك أنَّ الذي قاله وجاءت به أنبياؤه هو الحقّ، لا الباطل الذي كنَّا فيه من اتِّباع إبليسَ وشَكِّنا في البعث.

و«ماذا» يحتمل أن تكون منصوبةً بـ «قال» أي: أيُّ شيء قال ربُّكم؟ وأنْ تكون في موضع رفع على أن ذا موصولة، أي: ما الذي قال ربكم، وذا خبره، ومعمول «قال» ضميرٌ محذوف عائدٌ على الموصول.

---

(١) ديوان زهير ١٠٢ (بشرح ثعلب)، وتفسير الماوردي ٤/٤٤٨.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٩/٢٨١، والثعلبي ٥/١٥٧، والقرطبي ١٧/٣١٠، وزاد المسير ٦/٤٥٣.

وقرأ ابن أبي عَبْلَة: «قالوا الحقُّ» برفع الحق خبر مبتدأ[١]، أي: مَقُولُه الحقّ.

«وهو العَليُّ الكبير» تنزيهٌ منهم له تعالى وتمجيدٌ.

ثم رَجع إلى خطاب الكفَّار فسألهم عمَّن يَرْزُقهم، مُحتجًّا عليهم بأن رازقَهم هو الله؛ إذْ لا يُمكن أن يقولوا إن آلهتَهم ترزُقهم وتسألهم[٢] أنهم لا يَملكون مثقالَ ذَرَّةٍ في السَّماوات ولا في الأرض، وأمره بأنْ يتولَّى الإجابةَ والإقرارَ عنهم بقوله: «قل الله» لأنهم قد لا يُجيبون حبًّا في العِناد، وإيثاراً للشِّرك. ومعلومٌ أنه لا جوابَ لهم ولا لأحدٍ إلا بأنْ يقول: هو الله.

«وإنَّا» أي: الموحِّدين الرَّازق العابديه «أو إيَّاكم» المشركين العابدين الأصنامَ والجَمادات «لَعلَى هُدًى» أي: طريقةٍ مُستقيمة «أو في» حَيرةٍ واضحةٍ بَيِّنةٍ. والمعنى أن أحدَ الفريقَين منَّا ومنكم لعلى أحد الأمرين من الهُدى والضَّلال.

أخرج الكلامَ مَخرجَ الشكِّ والاحتمال، ومعلومٌ أن مَنْ عبد الله ووحَّدَه هو على الهُدى، وأن مَن عبد غيرَه من جَمادٍ أو غيرِه في ضَلال.

وهذه الجملة تضمَّنت الإنصافَ واللُّطفَ في الدَّعوة إلى الله، وقد عَلم مَن سَمعها أنها جُملةُ إنصاف، والرَّدُّ بالتَّوريةِ والتَّعريض أبلغُ من الرَّدِّ بالتَّصريح، ونحوَه قولُ العرب: أخزى الله الكاذبَ منِّي ومنك، يقول ذاك مَن تَيَقَّن أن صاحبَه هو الكاذب، ونظيرُهُ قول الشاعر:

فأيِّي ما وأيُّك كان شرًّا فسِيقَ إلى المَقادَةِ في هَوانِ

وقال حسان:

أتَهجوه ولستَ له بكُفْءٍ فشَرُّكُما لخيرِكما الفِداءُ[٣]

وهذا النوع يُسمَّى في علم البيان استدراجَ المخاطَب، يَذْكُر له أمراً يُسَلِّمه وإنْ كان بخلاف ما يُذكر حتى يُصغي إلى ما يلقيه إليه، إذْ لو بدأ به بما يَكره لم يُصْغِ،

(١) ذكرها دون نسبة الفراء ٢/ ٣٦٢، والزجاج ٤/ ٢٥٣، والنحاس ٣/ ٣٤٦، والزمخشري ٣/ ٢٨٨.
(٢) كذا في المطبوع، وفي (أ، ح): ويتسالهم، وفي (د٢ ز٢ يه ع د٣): ويتسالهم، وهي غير واضحة في (ت)، ولم أتبين معناها.
(٣) سلف البيتان في تفسير الآية (١٣٥) من سورة الأنعام.

ولا يزال يَنْقُله من حالٍ إلى حال حتى يَتبيَّن له الحقُّ ويَقبَلُه. وهُنا لما سَمعوا التَّردادَ بينه وبينهم ظَهر لهم أنه غيرُ جازمٍ أن الحقَّ معه، فقال لهم بطريق الاستدلال: آلهتُكم لا تملك مثقالَ ذَرَّة، ولا تنفع ولا تَضُرُّ لأنها جماد، وهم يعلمون ذلك، فتَحقَّقوا أنَّ الرَّازقَ لهم والنَّافعَ والضَّارَّ هو الله سبحانه.

وقيل: معنى الجملة استِنْقاصُ المشركين والاستهزاءُ بهم، وقد تَبَيَّنوا أن آلهتَهم لا ترزقهم شيئاً، ولا تنفعُ ولا تضرُّ، فأراد الله من نبيِّه وأمره أن يُوَبِّخهم ويَسْتَنْقِصَهم، ويُكَذِّبَهم بقولٍ غير مكشوف؛ إذْ كان ذلك أبلغ في استنقاصهم، كقولك: إن أحدَنا لَكاذبٌ، وقد علمتَ أن مَن خاطبْتَ هو الكاذب، ولكنك وَبَّخْتَه بلفظٍ غيرِ مكشوف.

و«أو» هنا على مَوضوعها لكونها لأحد الشَّيئين أو الأشياء، وخبر «إنا أو إيَّاكم» هو «لعلى هُدى أو في ضلالٍ مُبين» ولا يحتاج إلى تقدير حذف إذ المعنى إنَّ أحدَنا لفي أحد هذين، كقولك: زيد أو عمرو في القصر أو في المسجد؛ لا يحتاج هذا إلى تقدير حذف إذْ معناه: أحد هذين في أحد هذين.

وقيل: الخبر محذوف، فقيل: خبر الأول، والتقدير: وإنَّا لعلى هُدى أو في ضَلالٍ مُبين، فحذف لدلالة خبر ما بعده عليه، فـ «لعلى هُدى أو في ضلال مُبين» المثبت خبر عن «أو إيَّاكم» إذْ هو على تقدير: إنَّ، ولكنها لما حُذفت انفصل الضَّمير. وقيل: خبر الثاني، والتَّقدير: أو إياكم لعلى هُدى أو في ضلالٍ مُبين، وحُذف لدلالة خبر الأوَّل عليه، وهو هذا المُثْبَت «لعلى هُدى أو في ضلال مبين» ولا حاجةَ لهذا التَّقدير من الحَذْف، لو كان ما بعد أو غير معطوفٍ بها نحو: زيد أو عمرو قائمٌ كان يحتاج إلى هذا التقدير، وأمَّا مع ما يَصْلُح أنْ يكون خبراً لأنَّ؛ لأنَّ اسمَها عُطف عليه بأو والخبر معطوف بأو فلا يحتاج إليه.

وذهب أبو عُبيدة إلى أنَّ «أو» بمعنى الواو[1]، فيكون من باب اللفّ والنَّشر، والتقدير: وإنا لعلى هُدى وإيَّاكم في ضلالٍ مُبين، فأخبر عن كلٍّ بما ناسَبه. ولا حاجةَ إلى إخراج «أو» عن موضوعها.

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٤٨.

وجاء في الهُدى بـ «على» لأنَّ صاحبه ذو استعلاء وتمَكُّنٍ مما هو عليه، يتصرَّف حيث شاء، وجاء في الضَّلال بـ «في» لأنه مُنْغَمِسٌ في حيرة مُرْتَبِكٌ فيها، لا يَدري أينَ يَتوجَّه.

«قلْ لا تُسألون عمَّا أجْرَمْنا» هذا أدْخَلُ في الإنصاف، وأبْلَغُ من الأوَّل، وأكثر تَلَطُّفاً واستدراجاً؛ حيث سَمَّى فعلَه جُرْماً كما يزعمون مع أنه مُثابٌ مَشْكور، وسَمَّى فعلَهم عَملاً مع أنه مَزْجورٌ عنه مَحْظُور.

وقد يُراد بـ «أجْرَمْنا» نسبة ذلك إلى المؤمنين دون الرسول؛ وذلك ما لا يكاد يَخْلو المؤمنُ منه من الصَّغائر، والذي تَعْمَلون هو الكفر، وما دونه من المعاصي الكبائر.

قيل: وهذه الآية مَنْسُوخةٌ بآية السَّيف[١].

«قلْ يَجْمع بيننا ربُّنا» أي: يومَ القيامة «ثم يَفْتَح» أي: يَحْكُم «بالحقِّ» بالعَدْل فيُدخِلُ المؤمنين الجنَّة، والكفَّارَ النَّار.

«وهو الفَتَّاح» الحاكم الفاصِلُ «العَليم» بأعمال العِباد، والفَتَّاح والعَليم صِفَتا مُبالغة، وهذا فيه تهديدٌ وتوبيخ؛ تقول لمَن نَصَحْتَه وخَوَّفتَه فلم يَقبل: سترى سوء عاقبةِ الأمرِ.

وقرأ عيسى: «الفاتحُ» اسم فاعل[٢]، والجمهور «الفَتَّاح».

«قلْ أَروني الذين أَلْحَقْتُم به شُركاء» الظَّاهر أن أرى هنا بمعنى أعْلَم، فيتعدَّى إلى ثلاثة: الضمير للمُتكلِّم هو الأول، و«الذين» الثاني، و«شُرَكاء» الثالث، أي: أروني بالحُجَّة والدَّليل كيف وَجْهُ الشَّرِكة، وهل يَمْلِكون مِثْقالَ ذَرَّة أو يَرْزُقونكم؟.

وقيل: هي رؤية بَصَر، و«شُرَكاء» نصب على الحال من الضَّمير المحذوف في «ألحقتم» إذْ تقديرُهُ: ألحقتموهم به في حال كونهم[٣] شُركاءَ له.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤١٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣١٤، وردّ ذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٥٥.

(٢) مختصر في الشواذ ١٢٢.

(٣) في النسخ والمطبوع خلا (يه د٣): توهمه، والمثبت منهما، وانظر الدر المصون ٩/ ١٨٤.

قال ابن عطية: وهذا ضعيف لأن استدعاءَ رؤيةِ العين في هذا لا غَناءَ له[(١)]. انتهى.

وقال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى قوله: «أروني» وكان يراهم ويعرفهم؟

قلت: أراد بذلك أن يُرِيَهم الخطأ العظيم في إلحاقِ الشُّرَكاء بالله، وأنْ يُقايسَ على أعينهم بينه وبين أصنامهم؛ ليُطلِعَهم على إحالةِ القياس إليه والإشراكِ به، و«كلَّا» رَدْعٌ لهم عن مذهبهم بعد ما كَسَره بإبطالِ المُقايسة؛ كما قال إبراهيم: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٦٧] بعدما حَجَّهم، وقد نَبَّه على تفاحُشِ غَلَطهم، وأنْ لم يَقْدُروا الله حَقَّ قَدْرِه بقوله: «هو الله العزيزُ الحكيم» كأنه قال: أين الذين ألحقتُم به شُرَكاء من هذه الصفات؟! وهو راجع إلى الله وحده، أو هو ضمير الشَّأن كما في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]. انتهى[(٢)].

وقول ابن عطية: لأن استدعاء رؤية العين في هذا لا غَناء له، أي: لا نَفْعَ له؛ ليس بجيِّد، بل في ذلك تَبْكيتٌ لهم وتوبيخ، ولا يريد حقيقةَ الأمر، بل المعنى: إن الذين هم شُرَكاءُ لله على زَعْمكم هم ممَّن إن أَرَيْتموهم افتَضَحْتُم؛ لأنهم خَشَبٌ وحَجَر وغير ذلك من الجَماد، كما تقول للرجل الخَسيسِ الأصلِ: اذْكُر لي أباك الذي قايَسْتَ به فلاناً الشَّريفَ، ولا تُريد حقيقةَ الذِّكر، وإنما أردْتَ تَبْكيتَه، وأنه إنْ ذكر أباه افتَضَح.

و«كافّة» اسم فاعل من كَفَّ، وقيل: مصدر كالعاقِبَة والعافِية، فيكون على حذف مُضاف، أي: إلا ذا كافّة، أي: ذا كَفٍّ للناس، أي: مَنْعٍ لهم من الكفر، أو ذا مَنْعٍ من أن يَشُذُّوا عن تَبْليغِك.

وإذا كان اسم فاعل فقال الزجَّاج وغيرُهُ: هو حالٌ من الكاف في «أرْسَلْناك» والمعنى: إلا جامعاً للناس في الإبلاغ[(٣)]، والكافَّة بمعنى الجامع، والهاء فيه للمُبالغة كهي في عَلَّامة وراوية.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٠.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٨٩-٢٩٠.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٥٤، وعنه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٤٧، والزمخشري ٣/ ٢٩٠، والقرطبي ١٧/ ٣١٥.

وقال الزمخشري: إلا إرْسَالةً عامَّةً لهم مُحيطةً بهم؛ لأنها إذا شَمِلَتْهم فقد كَفَّتْهم أن يَخرُجَ منها أحدٌ منهم.

قال: ومَن جعله حالاً من المجرور مُتقدِّماً عليه فقد أخطأ؛ لأن تقدُّمَ حالِ المجرور عليه في الإحالَة بمنزلة تقدُّم المجرور على الجار، وكم ترى ممَّن يَرتكب هذا الخطأ ثم لا يَقْنَع به حتَّى يَضُمَّ إليه أن يجعلَ اللام بمعنى إلى؛ لأنه لا يستوي له الخطأُ الأوَّل إلا بالخطأ الثاني فلا بُدَّ له من ارتكاب الخطأين[1]. انتهى.

أمَّا «كافَّة» بمعنى عامَّة فالمنقول عن النّحويّين أنها لا تكون إلا حالاً، ولم يُتَصَرَّف فيها بغير ذلك، فجَعْلُها صفةً لمصدرٍ محذوف خروجٌ عما نَقَلوا، ولا يُحفظ أيضاً استعمالُها صفةً لموصوفٍ محذوف.

وأما قول الزجَّاج إن «كافَّةً» بمعنى جامعاً والهاء فيه للمبالغة؛ فإن اللغة لا تُساعِدُ على ذلك؛ لأن كفَّ ليس بمحفوظ أن معناه جَمَع.

وأمَّا قولُ الزمخشري: ومَن جَعَله حالاً... إلى آخره؛ فذلك مُخْتَلَفٌ فيه، ذهب الأكثرون إلى أنَّ ذلك لا يجوز، وذهب أبو علي وابن كَيْسان وابن بَرْهان، ومن مُعاصِرينا ابنُ مالك إلى أنه يجوز، وهو الصَّحيح[2]، ومن أمثلة أبي علي: زيدٌ خيرَ ما تكون خيرٌ منك، التقدير: زيدٌ خيرٌ منك خيرَ ما تكون، فجعل خيرَ ما تكون حالاً من الكاف في منك، وقدَّمها عليه، وقال الشاعر:

إذا المرءُ أعْيَتْه المروءةُ ناشئاً ... فمَطْلَبُها كَهْلاً عليه شديدُ[3]

أي: فمَطْلَبُها عليه كَهْلاً شديدُ. وقال آخر:

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٩٠.

(٢) انظر أمالي ابن الشجري ٣/ ١٥-١٦، وشرح الكافية للرضي ٢/ ٦٧ (المكتبة التوفيقية)، وشرح التسهيل ٢/ ٣٣٧، وشرح الكافية الشافية ٢/ ٧٤٤، وشرح اللمع لابن برهان ١/ ١٣٧، وشرح ابن عقيل ١/ ٦٤١، وارتشاف الضرب ١٥٧٩.

(٣) نسب البيت إلى رجل من بني قُرَيْع، وللمَعْلوط بن بُدَيْل القُرَيْعي، وللمُخَبَّل السَّعدي، ولسُوَيد بن خَذّاق، ولعبد الرحمن بن حسان، انظر حماسة أبي تمام ١١٤٨ (بشرح المرزوقي)، و٣/ ٨٨ (بشرح التبريزي)، وعيون الأخبار ١/ ٢٤٦-٢٤٧، والحماسة البصرية ٩٣٨، والمنتخب المنسوب إلى الثعالبي ١/ ٢٥٣، وشرح الشافية الكافية ٢/ ٧٤٦، وخزانة الأدب ٣/ ٢١٩.

تَسَلَّيْتُ طُرًّا عنكمُ بعدَ بَيْنِكم ... بذِكْراكُمُ حتى كأنَّكمُ عندي

أي: تَسَلَّيْتُ عنكم طُرّاً، أي: جميعاً.

وقد جاء تقديمُ الحالِ على صاحبها المجرور، وعلى ما يتعلَّق به، ومن ذلك قولُ الشاعر:

مَشْغوفَةً بك قد شُغِفْت وإنما ... حُتِمَ الفِراقُ فما إليك سَبيلُ[1]

وقال آخر:

غافِلاً تَعْرِضُ المنيَّةُ للمَرْ ... ءِ فيُدْعَى ولاتَ حينَ إباءِ[2]

أي: شُغِفَت بك مَشْغوفةً، وتعرِضُ المَنيَّةُ للمرء غافِلاً.

وإذا جاز تقديمُها على المجرور والعامل فتقديمُها عليه دون العامل أجْوَز.

وعلى أن «كافَّة» حالٌ من الناس حَمَله ابن عطية وقال: قُدِّمَت للاهتمام[3]. والمنقول عن ابن عباس قولُهُ: أي: إلى العَرَب والعَجَم وسائر الأُمم، وتقديره: إلى الناس كافَّة. انتهى[4].

وقول الزمخشري: وكم تَرى ممَّن يرتكبُ هذا الخطأ... إلى آخر كلامه تَشْنيعٌ، لأن قائلَ ذلك لا يحتاجُ إلى أنْ يتأوَّلَ اللام بمعنى إلى، لأن أرسل يَتعدَّى بإلى ويتعدَّى باللام، كقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩]. ولو تأوَّل اللام بمعنى إلى لم يكن ذلك خطأ؛ لأن اللامَ قد جاءت بمعنى إلى، وإلى قد جاءت بمعنى اللام، وأرسل مما جاء مُتعدِّياً بهما إلى المجرور.

ثمَّ حكى تعالى مقالَتَهم في الاستهزاء بالبَعْث، واستعجالِهم على سبيل التَّكذيب، ولم يُجابوا بتَعْيين الزَّمان إذْ ذاك مما انْفَرد تعالى بعلمه، بل أُجيبوا بأنَّ

---

(١) البيت والذي قبله في شرح التسهيل لابن مالك ٢/٣٣٨، ٣٣٩.

(٢) شرح التسهيل ٢/٣٣٨، وشرح الكافية الشافية ٢/٧٤٦، وشرح عمدة الحافظ ١/٣١٤ جميعها لابن مالك.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٠.

(٤) من قوله: والمنقول عن ابن عباس... إلى هنا لم نقف عليه في مطبوع المحرر الوجيز.

ما وُعدوا به لا بُدَّ من وقوعه؛ وهو ميعادُ يوم القيامة. وتقدَّم الكلامُ على مثل هذه الجملة[١].

ويجوز أنْ يكونَ سؤالُهم عما وُعدوا به من العذابِ في الدُّنيا، واستَعْجَلوا به استهزاءً منهم.

وقال أبو عُبيدة: الوَعْدُ والوعيد والميعادُ بمعنى[٢].

وقال الجمهور: الوَعْدُ في الخير والوَعيد في الشرِّ، والمِيعاد يقعُ لهذا ولهذا[٣].

والظاهر أن الميعاد اسمٌ على وزن مِفْعال استُعمل بمعنى المَصْدر، أي: قل: لكم وُقوعُ وَعْدِ يومٍ ونَجْزُه.

وقال الزمخشري: الميعادُ ظَرْفُ الوَعْدِ من مكانٍ أو زمان، وهو هاهُنا الزمان، والدَّليل عليه قراءةُ مَن قرأ: «ميعادٌ يومٌ» فأبدل منه اليوم[٤]. انتهى.

ولا يتعيَّن ما قال؛ إذْ يكون بَدَلاً على تقدير محذوف، أي: قل لكم ميعادٌ ميعادُ يومٍ، فلمَّا حُذف أُعرب ما قام مقامه بإعرابه.

وقرأ الجمهور: «ميعادُ يومٍ» بالإضافة.

ولما جعل الزمخشري الميعادَ ظَرْفَ زمانٍ قال: أما الإضافة فإضافةُ تبيين، كما تقول: سَحْقُ ثوبٍ وبَعيرُ سانيةٍ[٥].

وقرأ ابن أبي عَبْلَة واليزيدي: «ميعادٌ يوماً» بتنوينهما[٦].

قال الزمخشري: وأمَّا نصبُ اليوم فعلى التَّعظيم بإضمار فعلٍ تقديرُهُ: لكم

(١) في تفسير الآية (١٨٧) من سورة الأعراف.
(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٤٩.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٠.
(٤) الكشاف ٣/ ٢٩٠، وذكر القراءة الفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٦٢ دون نسبة.
(٥) السحق: الثوب البالي، وإضافته للبيان، والسانية: البعير الذي يسقى عليه الماء.
(٦) مختصر في الشواذ ١٢٢، وذكرها الفراء ٢/ ٣٦٢، والزمخشري ٣/ ٢٩٠، وانظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٨.

ميعادٌ، أعني يوماً، وأريد يوماً من صِفته كيتَ وكيت، ويجوز أن يكون الرَّفعُ على هذا، أعني: التعظيم[١]. انتهى.

لما جَعَل الميعادَ ظرفَ زمانٍ خرج النَّصب والرَّفع على ذلك.

ويجوز أن يكون انتصابُهُ على الظَّرف على حذف مُضاف، أي: إنجازُ وعدٍ يوماً من صفته كيتَ وكيتَ.

وقرأ عيسى: «ميعادٌ» مُنَوَّناً «يومَ» بالنصب من غير تنوين مضافاً إلى الجملة[٢]. فاحتمل تخريجُ الزمخشري على التعظيم، واحتمل تخريجُنا على الظَّرف على حذف مضاف، أي: إنجازُ وَعْدٍ يومَ كذا.

وجاء هذا الجوابُ على طريق التَّهديد مُطابقاً لمجيْءِ السؤالِ على سبيل الإنكارِ والتَّعَنُّت، وأنهم مُرْصَدون بيومٍ يُفاجئهم فلا يستطيعون تأخُّراً عنه ولا تقدُّماً عليه.

واليوم: يومُ القيامة، وهو السَّابق إلى الذِّهن، أو يوم مَجيْءِ أجَلِهم عند حُضور مَنِيَّتهم، أو يوم بدر. أقوال[٣].

و«لن نؤمن بهذا القرآن» يعني الذي تضمَّن التَّوحيدَ والرسالةَ والبعثَ المتقدِّم ذكرُها فيه.

«ولا بالذي بين يديه» هو ما نُزِّل من كُتُب الله المبشِّرة برسول الله، يُروى أن كُفَّارَ مكَة سألوا أهلَ الكتاب، فأخبروهم أنهم يَجدون صفةَ رسول الله ﷺ في كتبهم، فأغضَبهم ذلك، وقَرَنوا إلى القرآن ما تَقَدَّمَه من كتب الله في الكُفْر[٤]. ويكون الذين كفروا مُشْركي قريش ومَن جَرى مَجْراهم.

والمشهور أن «الذي بين يديه» التوراةُ والإنجيل، وما تقدَّم من الكُتب، وهو مرويٌّ عن ابن جُرَيج. وقالت فرقةٌ: «الذي بين يديه» هي القيامة. قال ابن عطية:

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٩٠، وفي المطبوع: ويجوز أن يكون انتصابه على حذف مضاف ويجوز أن يكون الرفع على هذا للتعظيم.
(٢) مختصر في الشواذ ١٢٢ (وفيه تصحيف)، وانظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٨.
(٣) تفسير الماوردي ٤/ ٤٥١، وزاد المسير ٦/ ٤٥٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣١٥.
(٤) الكشاف ٣/ ٢٩٠.

وهذا خطأٌ، قائلُه لم يفهم أمرَ بينِ اليَدِ في اللغة، وأنه المُتقدِّمُ في الزَّمان، وقد بَيَّنَّاه فيما تقدَّم[١]. انتهى.

«ولو ترى إذِ الظَّالمون» أخْبَرَ عن حالهم في صِيغة[٢] التَّعَجُّب منها. وترى في معنى رأيتَ لإعمالها في الظَّرف الماضي، ومفعول ترى محذوف، أي: حالَ الظَّالمين إذْ هم مَوقوفون.

وجواب لو محذوف، أي: لرأيتَ لهم حالاً[٣] مُنْكَرَةً من ذُلِّهم وتَخاذُلِهم وتَحاوُرِهم؛ حيث لا يَنْفعُهم شيءٌ من ذلك.

ثم فَسَّر ذلك الرُّجوع والجَدَل بأنَّ الأتباع - وهم «الذين استُضْعِفوا»- قالوا لرؤسائهم على جهةِ التَّذْنيب والتوبيخ ورَدِّ اللَّائِمةِ عليهم: «لولا أنتم لكنَّا مؤمنين» أي: أنتم أغويْتُمونا وأمرْتمونا بالكُفر.

وأتى الضميرُ بعد «لولا» ضميرَ رفعٍ على الأفصح. وحكى الأئمة سيبويه والخليل وغيرُهما مَجيئه بضميرِ الجرِّ نحوَ: لولاكم، وإنكار المبرِّد ذلك لا يُلْتَفَتُ إليه[٤].

ولمَّا كان مَقاماً استوى فيه المَرْؤوس والرَّئيس بدأ الأتباعُ بتوبيخ مُضِلِّيهم إذْ زالت عنهم رئاستُهم، ولم يُمكنْهم أن يُنكروا أنهم[٥] ما جاءهم رسولٌ، بل هم مُقِرُّون، ألا ترى إلى قول المَتْبوعين: «بعد إذْ جاءكم»؟ فالجميع مُقِرُّون بأنَّ الذِّكرَ قد جاءهم.

فقال لهم رؤساؤهم: «أنحن صَدَدْناكم؟» فأتَوا بالاسم بعد أداة الاستفهام إنكاراً لأنْ يكونوا هم الذين صَدُّوهم، بل صَدَدْتُم من قِبَل أنفسكم وباختياركم،

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢١، وانظر تفسير الطبري ١٩/ ٢٨٩، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٨، والنكت والعيون ٤/ ٤٥١، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣١٦، والكشاف ٣/ ٢٩٠.

(٢) في المطبوع: صفة.

(٣) في (د٣ يه): حالة، وهما بمعنى.

(٤) انظر الكتاب ٢/ ٣٧٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ١١٨، وأمالي ابن الشجري ١/ ٢٧٦، ٢/ ٥١٢، والإنصاف ٥٤٨ (الخانجي)، والكامل ١٢٧٧، والمقتضب ٣/ ٧٣.

(٥) في (د٣ يه): أنه.

كأنهم قالوا: أنحن أجْبَرناكم وحُلْنا بينكم وبين الذِّكر بعد أنْ صَمَّمْتُم على الدُّخول في الإيمان؟! بل أنتم منعتُم أنفُسَكم حظَّها، وآثَرْتُم الضَّلالَ[1] على الهُدى، فكنتم مُجرِمين كافرين باختياركم، لا لِقولنا وتَسْويلنا.

ولما أنكر رؤساؤهم أنهم السَّببُ في كُفْرهم، وأثبتوا بقولهم: «بل كنتم مُجرمين» أنَّ كُفْرَهم هو من قِبَل أنفُسهم؛ قابلوا إضْراباً بإضراب، فقال الأتباع: «بلْ مَكْرُ اللَّيلِ والنَّهار» أي: ما كان إجْرامُنا من جِهتِنا، بل مَكْرُكم لنا دائماً، ومُخادَعَتُكم لنا ليلاً ونهاراً «إذْ تأمُروننا» ونحن أتْباعٌ لا نَقْدِرُ على مُخالَفتِكم، مُطيعون لكم لاستيلائكم[2] علينا بالكُفر بالله، واتِّخاذِ الأنْداد.

وأُضيف المَكْرُ إلى الليل والنهار؛ اتّسع في الظَّرفَين، فهما في مَوْضعِ نصْبٍ على المفعول به على السَّعَةِ، أو في موضع رفعٍ على الإسناد المَجازيّ، كما قالوا: ليلٌ نائم.

والأوْلى عندي أن يرتفع «مَكْرُ» على الفاعليَّة، أي: بلْ صَدَّنا مَكرُكم بالليل والنَّهار، ونظيرُهُ قولُ القائل: أنا ضربتُ زيداً، بل ضربه عمرو، بل ضربه غُلامُك، والأحسن[3] في التَّقدير أن يكون المعنى: بل ضَربه غُلامُك.

وقيل: يجوز أن يكون مبتدأً وخبراً، أي: سببُ كُفْرِنا مَكْرُكم، أو مَكْرُكم سببُ كُفْرِنا.

وقرأ قتادة ويحيى بن يَعْمَر: «بل مَكْرٌ» بالتنوين «الليلَ والنَّهارَ» نصبٌ على الظَّرف[4].

وقرأ سعيد بن جُبير وجعفر بن محمد وأبو رَزين وابن يَعْمر أيضاً بفتح الكاف

---

(١) في المطبوع: وباختياركم بعد أداة الاستفهام كأنهم قالوا... بعد أن هممتم على الدخول.. وآثرتم الضلالة. وانظر الكشاف ٣/ ٢٩٠-٢٩١.

(٢) في (د٣ يه): بالاستيلاء بكم، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) في (د٣ يه): فالأحسن، وهما سواء.

(٤) مختصر في الشواذ ١٢٢، والمحتسب ٢/١٩٣، والمحرر الوجيز ٤/٤٢١، وزاد المسير ٦/٤٥٨، وتفسير القرطبي ١٧/٣١٨.

وشدِّ الراء مرفوعة مضافة[1]، ومعناه: كُرورُ الليل والنهار واختلافُهما، ومعناها الإحالةُ على طول الأمَل، والاغترارُ بالأيام مع أمر هؤلاء الرؤساء بالكفر بالله.

وقرأ ابن جُبير أيضاً وطلحة وراشد القارئ ـ وراشد هذا من التَّابعين ممَّن صَحَّح المصاحفَ بأمر الحجَّاج ـ كذلك، إلا أنهم نَصبوا الرَّاء على الظَّرف[2]، وناصبُه فعلٌ مُضْمَر، أي: صَدَدْتمونا مَكَرَّ الليل والنَّهار، أي: في مَكَرِّهما، ومعناه دائماً.

وقال صاحب «اللَّوامح» يجوز أن ينتصب بـ «إذْ تأمروننا» أي: إذْ تأمروننا مَكَرَّ الليلِ والنهار. انتهى.

وهذا وَهْم، لأن ما بعد «إذْ» لا يعمل فيما قبلها.

وقال الزمخشري: بل يكون الإغواءُ مَكَرَّاً دائباً لا يَفترون عنه[3]. انتهى.

وجاء «قال الذين استكبروا» بغير واو لأنه جوابٌ لكلام المُسْتَضعَفين فاستؤنف، وعطف «وقال الذين استُضعِفوا» على ما سبق من كلامهم. والضَّمير في «وأسَرُّوا» للجميع المُسْتكبِرين والمُسْتضعَفين، وهم الظَّالمون المَوْقوفون.

وتقدَّم الكلامُ في «وأسَرُّوا النَّدامَةَ لمَّا رَأَوُا العذاب» في سورة يونس[4].

والنَّدامة من المعاني القلبيَّة فلا تَظْهَر، إنما يَظْهر ما يدلُّ عليها، وما يدلُّ عليها غيرُها. وقيل: هو من الأضداد[5].

---

(١) مختصر في الشواذ ١٢٢، ومعاني القرآن ٥/ ٤١٩، وإعراب القرآن ٣٤٩ كلاهما للنحاس، والمحتسب ٢/ ١٩٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢١، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣١٨.

(٢) مختصر في الشواذ ١٢٢، ومعاني القرآن ٥/ ٤١٩، وإعرابه ٣/ ٣٤٩، والمحتسب ٢/ ١٩٣، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣١٩، وزاد ابن الجوزي ٦/ ٤٥٨ نسبتها إلى أبي الجوزاء وعاصم الجحدري.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٩١ وفيه: تكرون الإغواء... تفترون عنه.

(٤) في الآية (٥٤) منها.

(٥) يعني فعل أسروا بمعنى أظهروا، انظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥٠، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٦٠، والكشاف ٣/ ٢٩١، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣١٩، والأضداد لابن الأنباري ٤٥، ولأبي الطيب اللغوي ٢٢٨.

وقال ابن عطية هنا: لم يَثْبُت قطُّ في لغة أنَّ أسرَّ من الأضداد[1].

ونَدامةُ الذين استكبروا على ضَلالهم في أنفسهم وإضلالِهم غيرَهم، ونَدامةُ الذين استُضعِفوا على ضَلالهم واتّباعهم المُضِلّين.

«وجَعَلْنا الأغلالَ في أعناق الذين كفروا» الظَّاهر عموم الذين كفروا، فيَدخل فيه المستكبِرون والمُسْتَضعَفون؛ لأن من الكفار مَن لا يكون له أتباع تُراجعُهُ القولَ في الآخرة، ولا يكون أيضاً تابعاً لرئيسٍ له كافر، كالغلام الذي قتلَه الخَضِر.

وقيل: «الذين كفروا» هم الذين سَبقت منهم المُحاوَرَة، وجعلُ الأغلالِ إشارةٌ إلى كيفيَّةِ العذاب، قَطَعوا بأنهم واقعون فيه فتركوا التَّنَدُّم.

«هل يُجْزَون» معناه النَّفي، ولذلك دخلت إلا بعد النَّفْي.

❁ ❁ ❁

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟
نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ
ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ
يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا
مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ
إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾.

«وما أرسلنا» الآية، هذه تَسْليةٌ لرسول الله ﷺ مما مُني به من قومه قُريش من

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢١.

الكُفْر، والافتخار بالأموال والأولاد، وأنَّ ما ذكروا من ذلك هو عادةُ المُتْرَفِين مع أنبيائهم، فلا يَهُمَّنَّك أمرُهم.

و«من نذير» عامٌّ، أي: تُنذرهم بعذاب الله إن لم يُوَحِّدوه.

و«قال مُتْرَفوها» جملةٌ حاليَّة. ونصَّ على المُتْرَفين لأنهم أولُ المكذِّبين للرُّسُل؛ لما شُغلوا به من زخرفة الدُّنيا، وما غَلب على عقولهم منها، فقلوبُهم أبداً مَشْغولةٌ مُنْهَمِكة، بخلاف الفُقراء فإنهم خالون من مُسْتَلَذَّات الدُّنيا، فقلوبُهم أَقْبَلُ للخير، ولذلك هم أتباعُ الأنبياء كما جاء في حديث هِرَقْل[1].

و«بما» مُتعلِّق بـ «كافرون» و«به» متعلّق بـ «أُرْسِلْتم» و«ما» عامَّةٌ في ما جاءت به النُّذُر من طَلَب الإيمان بالله، وإفرادِه بالعبادة، والإخبارِ بأنهم رُسُله إليهم، والبعث والجزاء على الأعمال.

والظاهر أن الضَّمير في «وقالوا» عائدٌ على المُتْرَفين. وقيل: عائدٌ على قريش، ويدلُّ عليه ما بعدَه من الخطاب في قوله: «قل» لأن مَن تَقَدَّم من المُتْرَفين الهالِكين لا يُخاطَبون، فلا يقول إلا الموجودون، وقوله: «وما أموالُكم ولا أولادُكم».

واحتجُّوا على رِضى الله عنهم بإحسانه تعالى إليهم، فلو لم نَكْرُم عليه ما وسَّع علينا، وأما أنتم فلِهَوانِكم عليه حَرَمكم أيها التَّابعون للرُّسل.

ثم نَفَوا أن يُعَذَّبوا نفياً عامًّا؛ لأنَّ الأنبياء قد يُنذِرون بعذابٍ عاجلٍ في الدُّنيا، وآجِلٍ في الآخرة، فنَفَوا هم جميعَ ذلك، فإمَّا أن يكونوا مُنْكِرين للآخرة فقد نَفَوا تعذيبهم فيها، لأنها إذا لم تكن فلا يكون فيها عذاب، وإمَّا أن يكونوا مُقِرِّين بها حقيقةً أو على سبيل الفَرْض، فيقولون: كما أنعم علينا في الدُّنيا يُنعم علينا في الآخرة، قاسوا حالةَ الآخرة على حالةِ الدُّنيا قياساً فاسداً، فأبطل الله ذلك بأنَّ الرزقَ فَضْلٌ منه يَقسمُه كما يشاء لمَن يشاء، فقد يُوَسّع على العاصي ويُضَيِّق على

---

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس ﷺ، وفيه أن هرقل سأل أبا سفيان عن النبي ﷺ، ثم قال: وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل.

الطَّائع، وقد يُوسِّع على الطائع ويُضَيِّق على العاصي، وقد يُوَسِّع عليهما، وقد يُضيِّق عليهما، والوجود شاهدٌ بذلك، فلا تُقاس التَّوسِعَةُ في الآخرة على التَّوسِعَةِ في الدنيا لأن ذلك في الآخرة إنما هو على الأعمال الصَّالحة.

وقرأ الأعمش: «ويُقَدِّر»[1] في الموضعين مُشَدَّداً، والجمهور مُخفَّفاً. ومعناه: ويُضَيِّق مقابل يَبْسُط.

«ولكنَّ أكثرَ الناسِ» مثلَ هؤلاء الكَفَرة؛ لا يعلمون أن الرِّزقَ مَعْذوقٌ بالمشيئة، وليس دليلاً على الرِّضى.

ثمّ أخبر تعالى أن أموالَهم وأولادَهم التي افتخروا بها ليست بمُقَرِّبةٍ من الله، وإنّما يُقَرِّب الإيمانُ والعملُ الصَّالح.

وقرأ الجمهور: «بالتي» وجَمْعُ التكسير من العُقلاء وغيرهم يجوز أن يُعامَلَ معاملةَ الواحدة المؤنَّثة.

وقال الزمخشري: ويجوز أن تكون «التي» هي التَّقوى، وهي المُقَرِّبة عند الله زُلْفى وحدَها، أي: ليست أموالكم بتلك الموضوعة للتقريب[2]. انتهى.

فجعل «التي» نَعتاً لموصوفٍ محذوف وهي التَّقوى، ولا حاجةَ إلى تقدير هذا الموصوف[3].

والظاهر أن التي راجعٌ إلى الأموال والأولاد. قاله الفرَّاء[4].

وقال أيضاً هو والزجَّاج: حُذف من الأوّل لدلالة الثاني عليه، والتقدير: وما أموالُكم بالتي تُقَرِّبُكم عندنا زُلْفى، ولا أولادُكم بالتي تُقَرِّبُكم عندنا زُلْفى[5]. انتهى.

---

(١) ذكرها دون نسبة الزمخشري ٣/ ٢٩٢، وابن عطية ٤/ ٤٢٢.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٩٢.

(٣) قال السمين في الدر المصون ٩/ ١٩٣ بعد أن ذكره: والحاجة إليه بالنسبة إلى المعنى الذي ذكره داعية.

(٤) في معاني القرآن ٢/ ٣٦٢.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٣، وللزجاج ٤/ ٢٥٥.

ولا حاجةَ لتقدير هذا المحذوف؛ إذْ يَصحُّ أن يكون التي لمجموع الأموال والأولاد.

وقرأ الحسن: «باللاتي» جمعاً[(١)]، وهو أيضاً راجعٌ للأموال[(٢)] والأولاد.

وقُرِئ «بالذي» أي: بالشيء الذي[(٣)].

و«زُلْفى» مَصدر كالقُرْبى، وانتصابُه على المَصدريَّة من المعنى، أي: يُقَرِّبكم قُرْبى.

وقرأ الضحّاك: «زُلَفاً» بفتح اللام وتنوين الفاء جمع زُلْفَة، وهي القُرْبَة[(٤)].

«إلا مَن آمَن» الظَّاهر أنه استثناءٌ مُنقطِع، وهو منصوبٌ على الاستثناء، أي: لكنْ مَن آمَن وعَمل صالحاً فإيمانُه وعملُه يقَرِّبانه.

وقال الزَّجَّاج: هو بدلٌ من الكاف والميم في «تُقَرِّبُكم».

وقال النحَّاس: وهذا غَلَط؛ لأن الكاف والميم للمُخاطَب، فلا يجوز البدَل، ولو جاز هذا لجاز: رأيتُك زيداً، وقولُ أبي إسحاق هذا هو قولُ الفرَّاء[(٥)]. انتهى.

ومذهب الأخفش والكوفيين أنه يجوز أن يُبْدَل من ضمير المخاطَب والمتكلِّم[(٦)]، لكن البَدَلُ في الآية لا يَصحّ، ألا ترى أنه لا يصحُّ تفريغُ الفعل الواقع صلةً لما بعد إلا؛ لو قلت: ما زيدٌ بالذي يضرب إلا خالداً، لم يصحّ. وتَخَيَّل الزجاج أنَّ الصِّلة وإنْ كانت من حيث المعنى منفيَّة أنه يجوز البَدَل، وليس بجائزٍ إلا فيما يصحُّ التَّفريغُ له.

---

(١) مختصر في الشواذ ١٢٢ (وفيه تصحيف)، والكشاف ٣/ ٢٩٢، وزاد المسير ٦/ ٤٦٠ وزاد نسبتها إلى أبي بن كعب وأبي الجوزاء.

(٢) في (ز٢): إلى الأموال.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٩٢.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٢.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٥٥، وللفراء ٢/ ٣٦٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٢٢.

(٦) انظر ارتشاف الضرب ص١٩٦٥.

وقد اتَّبعه الزمخشري فقال: «إلا مَن آمن» استثناءٌ من كم في «تُقَرِّبُكم» والمعنى: أن الأموالَ لا تُقَرِّب أحداً إلا المؤمنَ الصَّالح الذي يُنْفِقُها في سبيل الله، والأولادُ لا تُقَرِّب أحداً إلا مَن عَلَّمهم الخير، وفَقَّهَهُم في الدِّين، ورَشَّحهم للصَّلاح والطَّاعة[١]. انتهى.

وهو لا يجوز كما ذكرْنا، لا يجوز: ما زيدٌ بالذي يخرج إلا أخوه، ولا: ما زيدٌ بالذي يَضرب إلا عَمْراً، ولا: ما زيدٌ بالذي يَمرُّ إلا ببَكْر، والتركيب الذي ركَّبه الزمخشري من قوله: لا تُقَرِّب أحداً إلا المؤمن؛ غيرُ موافق للتَّركيب القرآني، ففي الذي ركَّبه يجوز ما قال، وفي لفظ القرآن لا يجوز[٢].

وأجاز الفَرَّاء أن تكون «مَن» في موضع رَفْع، وتقديرُ الكلام عنده: ما هو المقرِّب إلا مَن آمن[٣]. انتهى.

وقولهُ كلامٌ لا يتحصَّل منه معنى، كأنه كان نائماً حين قال ذلك.

وقرأ الجمهور: «جزاءُ الضِّعْفِ» على الإضافة، أُضيف فيه المَصْدر إلى المفعول.

وقَدَّره الزمخشري مبنيًّا للمفعول الذي لم يُسمَّ فاعلُه فقال: أنْ يُجازَوا الضِّعفَ[٤].

والمصدر في كونه يُبْنى للمفعول الذي لم يسمَّ فاعلُه فيه خِلاف، والصَّحيحُ المنعُ، ويُقدَّر هنا: أن يُجازيهم الله الضِّعفَ، أي: يُضاعف لهم حَسناتهم؛ الحسنةُ بعشرِ أمثالها وبأكثر إلى سبع مئة لمَن يشاء.

وقرأ قتادة: «جزاءٌ الضِّعفُ» برفعهما[٥]، فالضِّعف بدل. ويعقوب في

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٩٢.
(٢) انظر رد السمين عليه في الدر المصون ٩/ ١٩٤.
(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٣، قال النحاس ٣/ ٣٥٢: ولست أحصّل معناه.
(٤) الكشاف ٣/ ٢٩٢.
(٥) مختصر في الشواذ ١٢٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٢، وزاد المسير ٦/ ٤٦١ وزاد نسبتها إلى أبي الجوزاء وأبي عمران الجوني.

رواية بنصب «جَزاءً» ورفع «الضِّعفُ». وحكى هذه القراءة الدَّاني عن قتادة[١]، وانتصب جزاءً على الحال، كقولك: في الدار قائماً زيد.

وقرأ الجمهور: «في الغُرُفات» جمعاً مَضمومَ الرَّاء.

والحسن وعاصم بخلاف عنه والأعمش ومحمد بن كعب بإسكانها[٢]. وبعض القُرَّاء بفتحها[٣].

وابن وَثَّاب والأعمش أيضاً وطلحة وحمزة وخَلَف في اختياره: «في الغُرْفَة» على التَّوحيد ساكنة الرَّاء[٤]. وابن وثَّاب أيضاً بضمِّها[٥] على التَّوحيد.

ولمَّا ذَكر جَزاءَ مَن آمن ذكر عقابَ مَن كفر ليُظْهر تباينَ الجزاءين. وتقدَّم تفسيرُ نَظيرِ هذه الكَلِم[٦].

ولمَّا كان افتخارُهم بكثرةِ الأموال والأولاد وأُخبروا أن ذلك جارٍ على ما شاء الله كَرَّر ذلك المعنى تأكيداً أن ذلك جارٍ على ما شاء الله، لا أن ذلك على حسب الاستحقاق ولا التَّكرِمة ولا الهوان.

ومعنى «فهو يُخْلِفُه» أي: يأتي بالخَلَف والعِوَض منه، وكأن لفظ «من عباده»

---

(١) هي رواية رويس عن يعقوب كما في النشر ٢/ ٣٥١، وقرأ بها أيضاً سعيد بن جبير، والزهري، ونصر بن عاصم، وأبو المتوكل، انظر مختصر في الشواذ ١٢٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٢ ـ وذكر حكاية الداني ـ وزاد المسير ٦/ ٤٦١، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٢٣، والثعلبي ٥/ ١٦١.

(٢) قراءة عاصم المشهورة عنه كقراءة الجمهور، وانظر مختصر في الشواذ ١٢٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٢، وزاد المسير ٦/ ٤٦١ وزاد نسبتها إلى أبي المتوكل.

(٣) قرأ بفتحها أبو الجوزاء وابن يعمر فيما ذكر ابن الجوزي ٦/ ٤٦١.

(٤) السبعة ٥٣٠، والتيسير ١٨١، والنشر ٢/ ٣٥١، ومختصر في الشواذ ١٢٢، وإعراب القرآن ٣/ ٣٥٣، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٦١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٢، وزاد المسير ٦/ ٤٦١، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٢٣، وقراءة خلف المشهورة عنه كقراءة الجمهور.

(٥) في المطبوع: وحمزة وأطلق في اختياره... بفتحها (؟!). وذكر قراءة ابن وثاب هذه السمين في الدر ٩/ ١٩٦، والآلوسي ٢٢/ ١٢٠.

(٦) في تفسير الآية (٥١) من سورة الحج.

مُشْعرةٌ بالمؤمنين، وكذلك الخطاب في «وما أنفقتم» يقصد[١] هنا رزق المؤمنين، فليس مَساق: «قل إن ربِّي يَبْسُط الرِّزْق» مَساقَ ما قيل للكُفَّار، بل مساق الوَعْظ والتَّزهيد في الدنيا، والحضّ على النَّفَقة في طاعة الله، وإخلاف ما أنفق إما مُنَجَّزاً في الدنيا، وإما مُؤجَّلاً في الآخرة، وهو مَشْروط بقَصْد وجه الله.

وقال مجاهد: مَن كان عنده من هذا المال ما يُقيمه فلْيَقْتَصِد فإن الرِّزق مَقْسوم، ولعلَّ ما قُسم له قليلٌ، وهو يُنفق نفقةَ المُوَسَّع عليه، فيُنفقُ جميعَ ما في يده، ثم يبقى طولَ عُمره في فقرٍ، ولا يتأوَّلَنَّ «وما أنفقتُم من شيءٍ فهو يُخْلِفُهُ» هذا في الآخرة[٢]. ومعنى الآية: ما كان من خَلَفٍ فهو منه.

وجاء «الرَّازقين» جمعاً وإنْ كان الرَّازق حقيقةً هو الله وحده؛ لأنهُ يُقال: فلانٌ[٣] يَرْزُق عِيالَه، والأميرُ جُندَه، والسَّيِّد عبدَه، فالرَّازقون جمعٌ بهذا الاعتبار، لكنْ أولئك يَرْزقون مما رَزقهم الله ومَلَّكهم فيه التَّصَرُّف، والله تعالى يَرزق من خزائنَ لا تَفْنى، ومن إخراجٍ من عَدَمٍ إلى وجود.

«ويومَ نَحْشُرهم جميعاً» أي: المُكَذِّبين مَن تَقَدَّم ومَن تأَخَّر.

وقرأ الجمهور: «نَحشُرهم، ثم نقول» بالنون فيهما، وحَفْص بالياء[٤]، وتقدَّمت في «الأنعام»[٥].

وخطابُ الملائكة تَقْريعٌ للكُفَّار، وقد علم تعالى أن الملائكةَ مُنَزَّهون بُرآء مما وُجِّه عليهم[٦] من السُّؤال، وإنما ذلك على طريق توقيفِ الكفار على سوء[٧] ما ارتكبوه من عبادة غيرِ الله، وأن مَن عَبدوه مُتبرِّئٌ منهم.

---

(١) في (يه): فقصد.
(٢) ذكره الثعلبي ٥/ ١٦١، والزمخشري ٣/ ٢٩٢.
(٣) في (أ ز٢) والمطبوع: الرجل، بدل: فلان، وهما سواء.
(٤) السبعة ٥٣٠، والتيسير ١٠٧، والنشر ٢/ ٢٥٧ وهي قراءة يعقوب من العشرة، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٣.
(٥) في تفسير الآية (٢٢) منها.
(٦) في (يه): إليهم، وانظر الكشاف ٣/ ٢٩٣.
(٧) في المطبوع: الكفار وقد علم سوء.

و«هؤلاء» مبتدأ وخبره «كانوا يعبدون» و«إيَّاكم» مفعول يعبدون، لمَّا تقدَّم انفصل، وإنما قُدِّم لأنه أبْلَغُ في الخطاب ولكون «يعبدون» فاصلة، فلو أتى بالضمير متَّصلاً[1] كان التركيب: يعبدونكم، ولم تكن فاصلة.

واستُدِلَّ بتقديم هذا المعمول على جواز تقديم خبر كان عليها إذا كان جملةً، وهي مسألةُ خِلاف، أجاز ذلك ابن السَّرَّاج، ومَنع ذلك قومٌ من النحويين، وكذلك منعوا توسُّطَه إذا كان جُملةً. وقال ابن السرَّاج: القياسُ جوازُ ذلك ولم يُسْمَع[2].

ووجهُ الدَّلالة من الآية أن تقديمَ المعمولِ مُؤذِنٌ بتقديم العامل، فكما جاز تقديمُ «إياكم» جاز تقديم «يعبدون»، وهذه القاعدة ليست مُطَّرِدَة، والأولى منعُ ذلك إلى أن يَدُلَّ على جَوازه سماعٌ من العرب.

ولمَّا أجابوا الله بدؤوا بتَنْزيهه وبراءته من كلِّ سُوء؛ كما قال عيسى عليه السلام: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ [المائدة: ١١٦]. ثم انتسبوا إلى موالاته دون أولئك الكَفَرة، أي: أنت وَليُّنا إذْ لا مُوالاةَ بيننا وبينهم.

وفي قولهم: «بل كانوا يعبدون الجنَّ» إشْعارٌ أنهم ما عبدوهم[3] وإنْ لم يُصَرَّح به، لكن الإضرابُ ببلْ يدلُّ عليه، وذلك لأن المَعْبودَ إذا لم يكن راضياً بعبادة عابده، مُريداً لها؛ لم يكن ذلك العابدُ عابداً له حقيقةً، فلذلك قالوا: «بل كانوا يعبدون الجنَّ» لأن أفعالَهم القبيحةَ هي من وَسْوَسة الشَّياطين وإغوائهم ومُراداتهم، فهم عابدون[4] لهم حقيقةً؛ إذ الشياطين[5] راضون تلك الأفعال.

---

(١) في النسخ والمطبوع خلا (يه د٣): منفصلاً، وهو خطأ، والمثبت منهما.
(٢) انظر الأصول في النحو لابن السراج ١/ ٨٨، ٨٩، وارتشاف الضرب ١١٧٢، وشرح التسهيل لابن مالك ١/ ٣٥٥. قال السمين في الدر المصون ٩/ ١٩٧ عقبه: قد تقدَّم في قوله: ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ﴾ [الأعراف: ١٣٧] ونحوه أنه يجوز أن يكون من تقديم الخبر وأن لا يكون.
(٣) في المطبوع: إشعار لهم بما عبدوه.
(٤) في (ت): ومراده أيهم لهم.
(٥) في (ت): لأن الشياطين، ووقع قبلها في المطبوع: فلذلك قالوا بل كانوا يعبدون الجن، وهو تكرار للسطر قبله.

وقيل: صوَّرت لهم الشَّياطينُ صُوَر قومٍ من الجنّ وقالوا: هذه صُوَرُ الملائكة فاعبُدوها.

وقيل: كانوا يَدْخلون في أجْوافِ الأصنام إذا عُبِدت، فيُعْبَدون بعبادتها[١].

وقال ابن عطية: لم تَنْفِ الملائكةُ عبادةَ البشَر إيَّاها، وإنما قَرَّرت أنها لم يكن لها في ذلك مُشاركة، وعبادةُ البشرِ الجنَّ هي فيما نعرفه[٢] بطاعتهم إيَّاهم، وسماعهم من وَسْوَستهم وإغوائهم، فهذا نوعٌ من العبادة، وقد يجوز أن يكون في الأُمم الكافرة مَن عَبد الجنَّ، وفي القُرآن آياتٌ يَظهر منها أن الجنَّ عُبدت في سورة الأنعام وغيرِها[٣]. انتهى.

وإذا كانوا[٤] قد عَبدوا الجنَّ فما وَجْهُ قولهم: «أكثرُهم بهم مؤمنون» ولم يقولوا: جميعُهم وقد أخبروا أنهم كانوا يَعبدون الجنَّ؟ والجواب أنهم لم يَدَّعوا الإحاطةَ؛ إذ قد يكون في الكفَّار مَن لم يُطْلِع الله الملائكةَ عليهم، أو أنهم حَكَموا على الأكثر بإيمانهم بالجنّ، لأن الإيمانَ من عملِ القلب، فلم يذكروا الاطِّلاعَ على جميع أعمالِ قلوبهم؛ لأن ذلك لله تعالى[٥].

ومعنى «مؤمنون»: مُصَدِّقون أنهم مَعْبودوهم. وقيل: مُصَدِّقون أنهم بناتُ الله وأنهم ملائكة ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨][٦].

وأمَّا مَن قال بأن الأكثر بمعنى الجَميع فلا يَرِد عليه شيء، لكنه ليس موضوع اللغة.

«فاليومَ» هو يومُ القيامة، والخطاب في «بعضكم» قيل: للملائكة لأنهم المخاطَبون في قوله: «أهؤلاء إيَّاكم» ويكون ذلك تَبْكيتاً للكفَّار حيث[٧] بَيَّن لهم أنَّ مَن

---

(١) ذكرهما الزمخشري ٣/ ٢٩٣.
(٢) في المطبوع: يقرون، وفي (ت): نعرفهم.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٣-٤٢٤، وآية سورة الأنعام التي أشار إليها هي: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [١٠٠].
(٤) في (أ ز٢) والمطبوع: هم، والمثبت من (ت د٣ يه).
(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥/ ٢٦٥.
(٦) انظر تفسير القرطبي ١٧/ ٣٢٦.
(٧) في (أ ز٢) والمطبوع: حين، وفي (د٣): بحيث، والمثبت من (ت يه).

عَبدوه لا يَنفع ولا يَضُرُّ، ويؤيِّده: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ولأن بعده: «ونقولُ للذين ظَلَموا»، ولو كان الخطابُ للكُفَّار لكان التَّركيب: فذوقوا.

وقيل: الخطاب للكُفَّار لأن ذكرَ اليوم يدلُّ على حُضُورهم، ويكون قوله: «ونقول» تأكيداً لبيان حالهم في الظُّلم.

وقيل: هو خطابٌ من الله لمَن عَبد ولمن عُبِد.

وقوله: «نَفْعاً» قيل: بالشَّفاعة «ولا ضَرًّا» بالتَّعذيب(١).

وقيل هنا: «التي كنتم بها تُكذِّبون» وفي «السّجدة»: ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الآية: ٢٠]، مع أنهم يُكَذِّبون بكلٍّ منهما، أي: من العذاب ومن النار؛ لأنهم هنا لم يكونوا مُلْتَبِسين بالعذاب، بل ذلك أوَّلَ ما رأوا النار إذْ جاء عَقيب الحَشْر، فوُصِفت لهم النَّار بأنها هي التي كنتم تُكذِّبون بها. وأمَّا الذي في «السجدة» فهم مُلابِسو العذاب، مُتَرَدِّدون فيه لقوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الآية: ٢٠] فوَصف لهم العذابَ الذي هم مُباشِروه، وهو العذابُ المؤبَّد الذي أنكروه(٢).

والإشارةُ بقوله: «ما هذا إلا رجلٌ» إلى تالي الآيات المفهوم(٣) من قوله: «وإذا تُتْلى» وهو رسول الله ﷺ.

وحكى تعالى مَطاعنَهم عند تلاوةِ القرآن عليهم، فبدؤوا أوَّلاً بالطَّعن في التالي بأنه يَقْدَحُ في مَعْبودات آلهتكم، ثمَّ ثانياً فيما جاء به الرَّسول من القرآن بأنه كَذِبٌ مُخْتَلَقٌ من عنده، وليس من عند الله، وثالثاً بأنَّ ما جاء به سِحْرٌ واضحٌ لِما اشتملَ على ما يوجب الاستمالةَ وتأثيرَ النُّفوس له وإجابتَه، فطعنوا في الرسول، وفيما جاء به، وفي وَصْفه.

واحتمل أن يكون ذلك صَدَر من مجموعهم، واحتمل أن تكون كلُّ جملةٍ منها قالها(٤) قومٌ غير مَن قال الجملةَ الأُخرى.

---

(١) تفسير الثعلبي ٥/ ١٦٣، وزاد المسير ٦/ ٤٦٣، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٢٧.
(٢) من قوله: والخطاب في بعضكم... إلى هنا مختصر من تفسير الرازي ٢٥/ ٢٦٥-٢٦٦.
(٣) في (يه): المفهومة.
(٤) في (د٣ يه): قاله.

وفي قوله: «لمَّا جاءهم» دليلٌ على أنه حين جاءهم لم يُفكِّروا فيه، بل بادَهوه[(١)] بالإنكار ونسبتهِ إلى السِّحر، ولم يَكتفوا بقولهم: إنه سِحْر حتى وَصفوه بأنه واضحٌ لمَن يتأمَّله.

وقيل: إنكارُ القرآن والمُعْجزةِ كان مُتَّفقاً عليه من المشركين وأهلِ الكتاب، فقال تعالى: «وقال الذين كفروا للحقِّ» على وجه العُموم[(٢)].

❁ ❁ ❁

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾.

«وما آتيناهم» أهلَ مكَّة «من كُتبٍ» قال السُّدي: من عندنا فيَعلموا بدراستها بُطلانَ ما جئتَ به.

وقال ابن زيد: فيَقضوا أن الشِّرك جائز، وهو كقوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٥].

وقال قتادة: ما أنزل الله على العرب كتاباً قبل القرآن، ولا بعث إليهم نبيّاً قبل محمد ﷺ[(٣)].

---

(١) في (أ ت) والمطبوع: بادروه، وهما بمعنى.
(٢) التفسير الكبير ٢٥/ ٢٦٧.
(٣) انظر تفسير الطبري ١٩/ ٣٠٢، والماوردي ٤/ ٤٥٥، وزاد المسير ٦/ ٤٦٣-٤٦٤.

والمعنى: من أين كَذَّبوا ولم يأتهم كتابٌ ولا نذيرٌ بذلك؟

وقيل: وَصَفهم بأنهم قومٌ أُمِيُّون أهلُ جاهليَّة، لا مِلَّةَ لهم، وليس لهم عَهْدٌ بإنزال كتاب، ولا بعثةِ رسول، كما قال: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الزخرف: ٢١] فليس لتكذيبهم وَجْهُ مُتَثَبّت، ولا شُبْهةُ مُتَعَلَّق كما يقول أهلُ الكتاب ـ وإنْ كانوا مُبْطلين: نحن أهلُ كُتب[١] وشَرائع، ومُستندون إلى رُسلٌ من رُسُلِ الله[٢].

وقيل: المعنى أنهم يقولون بآرائهم في كتاب الله؛ يقول بعضُهم: سِحر، وبعضهم: افتراء، ولا يَستندون فيه إلى أثارَةٍ من علم، ولا إلى خَبرِ مَن يُقْبَلُ خَبَرُه، فإنَّا ما آتيناهم كُتباً يَدْرسونها، ولا أرْسَلنا إليهم نذيراً فيُمكنهم أن يدَّعوا أن أقوالَهم تستندُ[٣] إلى أمره.

وقرأ الجمهور: «يَدْرُسونها» مضارع دَرَس مُخَفَّفاً.

وأبو حَيْوة بفتح الدَّال وشَدِّها وكسر الرَّاء[٤]، مضارع ادَّرس افْتَعل من الدَّرْس، ومعناه: تَتَدارَسونها.

وعن أبي حَيْوة أيضاً «يُدَرِّسونها» من التَّدريس[٥]، وهو تكرير الدَّرْس، أو من دَرَس الكتابَ مُخفَّفاً، ودَرَّس الكتابَ مُشَدَّداً، التَّضعيف باعتبار الجَمْع.

ومعنى «قبلَك» قال ابن عطية: أي: وما أرْسَلْنا من نذيرٍ يُشافِهُهم بشيء، ولا يُباشرُ أهلَ عصرهم ولا مَن قَرُب من آبائهم، وقد كانت النِّذارةُ في العالَم وفي العرب مع شُعيب وصالح وهود، ودعوةُ الله وتوحيدُه قائمٌ لم تَخْلُ الأرض من داعٍ إليه، وإنما المعنى: من نذيرٍ يختصُّ بهؤلاء الذين بعثناك[٦] إليهم، وقد كان عند

(١) في (أ ت ز٢): كتاب، وفي المطبوع: الكتاب، والمثبت من (د٣ يا).
(٢) الكشاف ٣/ ٢٦٣-٢٦٤، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٢٧-٣٢٨.
(٣) في (ت ز٤): مستندة، والكلام من المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٤.
(٤) مختصر في الشواذ ١٢٢، والمحتسب ٢/ ١٩٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٤.
(٥) ذكرها دون نسبة الزمخشري ٣/ ٢٩٤، وانظر الدر المصون ٩/ ١٩٧، وروح المعاني ٢٢/ ١٢٨.
(٦) في المطبوع: بقيت.

العرب كثيرٌ من نِذارة إسماعيل، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]، ولكنْ لم يتجرَّد للنِّذارة وقاتل عليها إلا محمد ﷺ[1]. انتهى.

«وكذّب الذين من قبلهم» توعُّدٌ لهم بمَن تقدَّمهم من الأُمم، وما آل إليه أمرُهم، وتسليةٌ لرسوله بأن عادتَهم في التكذيب عادةُ الأمم السابقة، وسيحلُّ بهم ما حلَّ بأولئك.

والظَّاهر أن الضَّميرَين في «بلغوا» وفي «آتيناهم» عائدان على الذين من قبلهم ليتناسَقا مع قوله: «فكذَّبوا» أي: ما بلغوا في شُكْر النِّعمة وجزاءِ المِنَّة مِعْشارَ ما آتيناهم من النِّعَم والإحسان إليهم.

وقال ابن عباس وقتادة وابن زيد: الضَّمير في «بَلَغوا» لقريش، وفي «آتيناهم» للأمم الذين من قبلهم، والمعنى: وما بلغ هؤلاء بعضَ ما آتينا أولئك من طول الأعمار، وقُوَّةِ الأجسام، وكثرة الأموال، وحين كَذَّبوا رُسُلي جاءهم إنكاري بالتَّدمير والاستئصال، ولم يُغْنِ عنهم ما كانوا فيه من القوَّة، فكيف يكون حالُ هؤلاء إذا جاءهم العذابُ والهلاك؟

وقيل: الضَّمير في «بلغوا» عائدٌ على «الذين من قبلهم» وفي «آتيناهم» على قريش، وما بلغ الأممُ المتقدِّمةُ مِعْشارَ ما آتينا قُريشاً من الآيات والبيِّنات والنُّور الذي جئتَهم به.

وأورد ابن عطية هذه الأقوال احتمالات، والزمخشري ذكر الثاني، وأبو عبد الله الرّازي اختار الثالث قال: أي الذين من قبلهم ما بلغوا مِعْشارَ ما آتينا قومَ محمَّدٍ من البُرْهان، وذلك لأن كتابَ محمَّدٍ عليه السلام أكملُ من سائر الكُتُب وأوضحُ، ومحمدٌ عليه السلام أفضلُ من جميع الرُّسُل وأفْصَح، وبُرهانُه أوفى، وبيانهُ أشفى، ويؤيِّد ما ذكرنا: «وما آتيناهم من كُتُبٍ يَدْرُسونها» يعني غير القرآن، فلما كان المؤتى في الآية الأولى هو الكتاب حُمل الإيتاء في الآية الثانية على إيتاء الكتاب، فكان أَوْلى[2]. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٤.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٤، والكشاف ٣/ ٢٩٤، والتفسير الكبير ٢٥/ ٢٦٧، وانظر تفسير =

وعن ابن عباس فليس أُمَّةٌ أعلمَ من أُمَّته، ولا كتابٌ أبينَ من كتابه.

والمِعْشار: مِفْعال من العُشْر، ولم يُبْنَ على هذا الوزن من ألفاظ العدد غيره وغير المِرْباع، ومعناهما العُشْر والرُّبْع.

وقال قوم: المِعْشار: عُشْر العُشْر. قال ابن عطية: وهذا ليس بشيء[1]. انتهى.

وقيل: والعُشْر في هذا القول عُشْر العَشَرات[2]، فيكون جُزءاً من ألف جُزء. قال الماورديّ: وهو الأظْهر؛ لأن المرادَ به المبالَغة في التَّقليل[3].

وقال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى «فكذَّبوا رُسُلي» وهو مُستغنيً عنه بقوله: «وكَذَّب الذين من قبلهم»؟ قلت: لمَّا كان معنى قوله: «وكذب الذين من قبلهم» وفَعل الذين من قبلهم التَّكذيبَ وأقدموا عليه؛ جُعِل تكذيبُ الرُّسُل مُسَبَّباً عنه، ونَظيرهُ أن يقول القائل: أقْدَمَ فلانٌ على الكُفْر فكَفَر بمحمد ﷺ، ويجوز أن يَنْعَطِف على قوله: «ما بلغوا» كقولك: ما بلغ زيدٌ مِعْشارَ فضلِ عمرو فيُفَضَّل عليه. «فكيف كان نَكير» للمُكَذِّبين الأوَّلين، فلْيَحْذَروا من مثله[4]. انتهى.

و«فكيف» تعظيمٌ للأمر وليست استفهاماً مُجَرَّداً، وفيه تهديدٌ لقريش، أي: أنهم مُعرَّضون لنَكيرٍ مثلِهِ[5].

والنَّكير: مصدرٌ كالإنكار، وهو من المصادر التي جاءت على وزن فَعيل، والفعل على وزن أفعل، كالنَّذير والعَذير من أنْذَر وأعْذَر، وحُذِفت الياء[6] من

= الطبري ١٩/ ٣٠٣، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٢٢، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٥٥، وزاد المسير ٦/ ٤٦٤.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٤.

(٢) في (أ) والمطبوع: المعشرات (؟!).

(٣) النكت والعيون ٤/ ٤٥٥، وانظر تفسير القرطبي ١٧/ ٣٢٨.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٩٤.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٥.

(٦) في المطبوع: إلى، وهو تحريف.

«نكير»[١] تخفيفاً لأنها آخر آية[٢].

«قل إنَّما أعِظُكم بواحدةٍ» قال مجاهد: هي طاعةُ الله وتوحيدُه، وقال السُّدّي: هي لا إله إلا الله. وقال قتادة: هي أنْ تقوموا[٣].

قال أبو علي: «أنْ تقوموا» في موضعِ خَفْضٍ على البدَل من واحدة[٤].

وقال الزمخشري: «بواحدة» بخَصْلَةٍ واحدة، وهو فَسَّرها بقوله: «أنْ تقوموا» على أنه عطفُ بيانٍ لها[٥]. انتهى.

وهذا لا يجوز لأن «بواحدةٍ» نكرة «وأنْ تقوموا» معرفة لتقديره: قيامِكم لله، وعطفُ البيان فيه مذهبان: أحدُهما: أنه يُشْترَط فيه أن يكون معرفةً من معرفة، وهو مذهب البصريين، والثاني: أنه يَتبع ما قبله في التعريف والتنكير، وهو مذهب الكوفيّين. وأما التَّخالُفُ فلم يذهب إليه ذاهب، إنما هو وَهْمٌ من قائله، وقد ردَّ النحويُّون على الزمخشري في قوله إن ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ عطفُ بيانٍ من قوله: ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وذلك لأجل التَّخالُف، فكذلك هذا[٦].

والظاهر أن القيامَ هنا هو الانتصابُ في الأمر، والنُّهوضُ فيه بالهمَّة، لا القيام الذي يُراد به المُثولُ على القَدَمين[٧]، ويَبْعد أن يُراد به ما جَوَّزه الزمخشري من القيام عن مجلس رسول الله ﷺ وتفرُّقِهم عن مجتمعهم عنده. والمعنى: إنما أَعِظُكم بواحدةٍ منها إصابتُكم الحقَّ وخلاصُكم، وهي أن تقوموا لوجه الله مُتَفَرِّقين اثنين

---

(١) في (أ ت ز٢): نكيري.
(٢) في المطبوع: أجزأته، وهو تحريف. وانظر معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٥٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٥، وزاد المسير ٦/ ٤٦٤.
(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٣٠٤، ومعاني القرآن ٥/ ٤٢٢-٤٢٣، وإعراب القرآن ٣/ ٣٥٤ كلاهما للنحاس، والنكت والعيون ٤/ ٤٥٥، وزاد المسير ٦/ ٤٦٤-٤٦٥، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٢٨-٣٢٩.
(٤) ذكره السمين في الدر ٩/ ١٩٩ عن أبي علي الفارسي، وهو قول النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٥٤، ومعاني القرآن ٥/ ٤٢٢، وذكره ابن عطية ٤/ ٤٢٥ دون نسبة.
(٥) الكشاف ٣/ ٢٩٤.
(٦) انظر شرح التسهيل ٣/ ٣٢٦، وشرح الكافية الشافية ٣/ ١١٩٤، وارتشاف الضرب ١٩٤٣. وقوله: البصريين. . . إلى مذهب الكوفيين، ليس في المطبوع.
(٧) في المطبوع: المقول على القولين (؟!).

اثنين، وواحداً واحداً «ثمَّ تَتَفكَّروا» في أمر محمدٍ وما جاء به[١].

وإنما قال: «مَثْنَى وفُرادى» لأن الجماعةَ يكون مع اجتماعهم تشويشُ الخاطر، والمنعُ من الفِكْر، وتخليطُ الكلام، والتعصُّبُ للمذاهب[٢]، وقِلَّةُ الإنصاف؛ كما هو مُشاهَدٌ في الدروس التي يجتمع فيها الجماعةُ فلا يوقف فيها[٣] على تحقيق.

وأمّا الاثنان إذا نظَرا نظرَ إنصافٍ، وعَرَض كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه ما ظَهر له فلا يكادُ الحقُّ أن يَعْدُوهما.

وأمَّا الواحد إذا كان جيِّدَ الفكرِ، صحيحَ النَّظَرِ، عارياً عن التَّعَصُّب[٤]، طالباً للحقِّ؛ فبعيدٌ أن يَعْدُوَه.

وانتصب «مَثْنى وفُرادى» على الحال، وقُدِّم «مَثْنى» لأن طلبَ الحقائق من مُتعاضِدَين في النَّظَر أجْدى من فكرةِ واحدٍ، فإذا انْقَدَح الحقُّ بين الاثنين فَكَّر كلُّ واحدٍ منهما بعد ذلك، فيزيدُ بَصيرةً، وقال الشاعر:

إذا اجتمعوا جاؤوا بكلِّ غَريبةٍ فيَزْدادُ بعضُ القوم من بعضهم عِلْما[٥]

«ثم تَتَفكَّروا» عطفٌ على أنْ «تقوموا»، والفكرة هنا في حالِ رسول الله ﷺ وفيما نسبوه إليه، فإن الفكرةَ تَهدي غالباً إلى الصواب إذا عَرِي صاحبُها عمَّا يُشَوِّشُ النَّظَر.

والوقف عند أبي حاتم عند قوله: «ثمَّ تتفكَّروا» و«ما بصاحبكم من جِنَّة» نفيٌ مستأنَف[٦].

قال ابن عطية: وهو عند سيبويه جوابُ ما يُنَزَّل منزلةَ القَسَم، لأن تفكَّر من

(١) الكشاف ٣/ ٢٩٤.
(٢) من هنا وقع سقط في (ت).
(٣) في (د٣ ز٢): منها. وهما سواء.
(٤) في (د٣ يه): من التعصب، وكلاهما صحيح.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٥.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٥، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٣٠.

الأفعال التي تعطي التحقيق[1] كتَبَيَّن، وتكون الفكرة[2] على هذا في آياتِ الله والإيمانِ به. انتهى.

واحتمل أن يكون «تتفكَّروا» مُعلَّقاً، والجملةُ المنفيَّةُ في موضع نصب، وهو مَحطُّ التفكُّرِ، أي: ثم تَتفكَّروا في انتفاءِ الجِنَّة عن محمد ﷺ، فإن إثباتَ ذلك لا يصحُّ أن يتَّصفَ به مَن كان أرْجَحَ قريشٍ عقلاً، وأثْقَبَهم[3] ذهناً، وأصْدَقَهم قولاً، وأنْزَهَهم نفْساً، ومَن ظهر على يديه هذا القرآنُ المُعْجِز، فيعلمون بالفكرة أن نسبتَه للجنون لا يمكن، ولا يذهب إلى ذلك عاقل، وأن مَن نَسبه إلى ذلك فهو مُفْتَرٍ كاذِب.

والظَّاهر أن ما للنَّفي كما شرحنا، وقيل: ما استفهام، وهو استفهام لا يُرادُ به حقيقته، بل يؤول معناه إلى النفي، التقدير: أيُّ شيءٍ بصاحبكم من الجُنون؟ أي: ليس به شيءٌ من ذلك.

ولمَّا نفى تعالى عنه الجِنَّة أثبتَ أنه نذيرٌ بين يديْ عذابٍ شديد، أي: هو مُتقدِّمٌ في الزَّمان على العَذاب الذي تُوُعِّدوا به، و«بين يديْ» يُشْعِر بقُرب العَذاب.

«قلْ ما سألتُكم من أجْرٍ» الآية، فيه التبرُّؤ من طلبِ الدُّنيا، وطلبِ الأجر على النّور الذي أتى به، والتوكُّلُ على الله في الأجر[4].

واحتملت «ما» أنْ تكون موصولةً مبتدأ، والعائد من الصِّلة محذوف تقديره: سألتُكموه، و«فهو لكم» الخبر، ودخلت الفاءُ لتَضَمُّن المبتدأ معنى الشَّرط.

واحتملت أن تكون شَرْطيَّة مفعولة بـ: «سألتكم» و«فهو لكم» جملة هي جواب الشَّرط.

---

(١) في النسخ والمطبوع خلا (يه د٣): التمييز، والمثبت منهما، وهو موافق لما في المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٥، وانظر الدر المصون ٩/ ٢٠٠، وروح المعاني ٢٢/ ١٣٢، وكتاب سيبويه ٣/ ٥٠٤.

(٢) في المطبوع: التفكّر.

(٣) في النسخ والمطبوع خلا (يه د٣): وأثبتهم، والمثبت منهما، وانظر الكشاف ٣/ ٢٩٤.

(٤) في المطبوع: في التبري... على الله فيه، وانظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٥.

وقوله: «ما سألتُكم من أجْرٍ فهو لكم» على معنيين: أحدهما: نفيُ مسألة الأجْر، كما يقول الرجل لصاحبه: إن أعطيتني شيئاً فخُذْه، وهو يعلم أنه لم يُعْطِه شيئاً، ولكنه أراد البَتَّ لتعليقه الأخْذَ بما لم يكن، ويؤيِّده: «إنْ أجْريَ إلا على الله»، والثاني أن يريد بالأجر ما في قوله: ﴿قُلْ مَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٥٧]، وفي قوله: ﴿لَّآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]؛ لأن اتِّخاذَ السَّبيل إلى الله نصيبُهم وما فيه نَفْعُهم، وكذلك المودَّة في القَرابة؛ لأن القرابةَ قد انتظَمَتْهُ وإيَّاهم. قاله الزمخشري(١) وفيه بعضُ زيادة.

وقال ابن عباس: الأجْرُ: المَودَّةُ في القُرْبى. وقال قتادة: «فهو لكم» أي: ثَمَرَتُه وثَوابُه؛ لأني سألتُكم صِلَةَ الرَّحِمِ. وقال مقاتل: تَرَكْتُهُ لكم(٢).

«وهو على كلِّ شيء شَهيدٌ» مُطَّلعٌ حافظٌ؛ يعلم أني لا أطلبُ أجراً على نُصْحِكم ودُعائكم إليه إلا منه، ولا أَطْمَعُ منكم في شيء.

والقَذْفُ: الرَّمْيُ بدَفْعٍ واعتماد، ويُستعارُ لمعنى الإلقاء كقوله: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ [طه: ٣٩]، ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأحزاب: ٢٦](٣).

قال قتادة: يَقْذِف بالوَحْي، وعنه أيضاً: الحقّ القرآن. وقيل: يُلقي الحقَّ إلى أنبيائه. وقيل(٤): «يَقْذِفُ بالحقّ» يُبيّن الحُجّة ويُظْهِرُها.

وقال ابن القُشيري: يُبيِّن الحُجّة بحيث لا اعتراضَ عليها؛ لأنه عَلَّامُ الغيوب، فأنا مُسْتَمسكٌ بما يَقذف إليَّ من الحق.

وأصل القَذْفِ: الرَّمْيُ بالسَّهم والحصى والكلام. وقال ابن عباس: يَقذف الباطلَ بالحقّ(٥).

---

(١) في الكشاف ٣/ ٢٩٥.
(٢) انظر النكت والعيون ٤/ ٤٥٦.
(٣) الكشاف ٣/ ٢٩٥.
(٤) من قوله: يقذف بالوحي... إلى هنا، ليس في المطبوع.
(٥) انظر تفسير الطبري ١٩/ ٣٠٧، والماوردي ٤/ ٤٥٧، والقرطبي ١٧/ ٣٣١، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٢٤، وزاد المسير ٦/ ٤٦٦.

والظاهر أن «بالحقّ» هو المفعول، فالحقّ هو المَقْذوف، ويحتمل أن يكون المَقْذوف محذوفاً، أي: يَقذف، أي: يُلقي ما يُلقي إلى أنبيائه من الوَحْي والشَّرْع بالحقِّ لا بالباطل، فتكون الباء إمَّا للمُصاحَبة، وإمَّا للسَّبب، ويؤيِّدُ هذا الاحتمال كونُ قَذَف مُتعدِّياً بنفسه، فإذا جعلتَ «بالحقّ» هو المفعول كانت الباءُ زائدةً في مَوْضعٍ لا تَطَّردُ زيادَتُها.

وقرأ الجمهور: «عَلَّامُ» بالرَّفْع، فالظَّاهر أنه خبرٌ ثانٍ، وهو ظاهرُ قولِ الزجَّاج، قال: هو رفعٌ لأن تأويلَه: قلْ: ربِّي علامُ الغُيوب[١].

وقال الزمخشري: رفعٌ محمولٌ على محلِّ إن واسمها، أو على المُسْتَكنِّ في «يقذف» أو هو خبرُ مبتدأ محذوف[٢]. انتهى.

أمَّا الحَمْلُ على محلِّ إن واسمها فهو غيرُ مذهبِ سيبويه، وليس بصحيح عند أصحابنا على ما قرَّرناه في كتب النّحو[٣]. وأمّا قوله: على المُسْتَكنِّ في «يقذف» فلم يُبيِّن وجهَ حَمْلِهِ؛ وكأنه يُريد أنه بدلٌ من ضمير «يقذف».

وقال الكسائي: هو نعتٌ لذلك الضَّمير؛ لأن من مذهبه جوازَ نعتِ المُضْمَر الغائب[٤].

وقرأ عيسى وابن أبي إسحاق وزيد بن عليّ وابن أبي عَبْلة وأبو حَيْوَة وحَرْب عن طلحة: «عَلَّامَ» بالنصب[٥]، فقال الزمخشري: صفة لربّي. وقال أبو الفضل

(١) الذي في معاني القرآن للزجاج ٤/٢٥٧: ومن رفع «علام الغيوب» فعلى وجهين؛ أحدهما أن يكون صفة على موضع «إن ربي» لأن تأويله: قل ربي علام الغيوب يقذف بالحق، وإن مؤكدة، ويجوز الرفع على البدل مما في يقذف. ونقله عن الزجاج النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٥٤، والقرطبي ١٧/ ٣٣١.
قال النحاس: وفي الرفع وجهان آخران: يكون خبراً بعد خبر، ويكون على إضمار مبتدأ.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٩٥.

(٣) انظر ارتشاف الضرب ١٢٨٩، والتذييل والتكميل ٥/١٨٩ فما قبلها.

(٤) انظر الارتشاف ١٩٣١.

(٥) مختصر في الشواذ ١٢٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٥، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٣١، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٦٦ إلى أبي رجاء.

الرَّازي وابن عطية: بدل، وقال الحَوْفي: بدل أو صفة، وقيل: نصب على المَدْح[١].

وقُرئ «الغيوب» بالحركات الثلاث[٢]، أمَّا الضَّمُّ فجمع غَيْب، وأمَّا الكسر فكذلك استَثْقلوا ضَمَّتين والواو، فكسروا لتَناسُب[٣] الكَسْرِ مع الياء، والضَّمَّةِ التي على الياء مع الواو. وأمَّا الفتح ففَعُول[٤] للمبالغة كالصَّبور، وهو الشيءُ الذي غاب وخَفِيَ جدًّا[٥].

ولما ذكر تعالى أنه «يَقذِفُ بالحقِّ» بصيغة المضارع أخبر أنَّ الحقَّ قد جاء - وهو القرآن والوحْيُ - وبطلَ ما سواه من الأديان، فلم يبقَ لغير الإسلام ثباتٌ لا في بَدْءٍ ولا في عاقِبة، فلا يُخاف على الإسلام ما يُبْطِلُهُ كما قال: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقال قتادة: الباطل: الشيطان، لا يَخْلُق شيئاً ولا يَبْعَثُه. وقال الضحاك: الأصنام لا تفعل ذلك.

وقال أبو سليمان: لا يبتدئ الصَّنمُ من عنده كلاماً فيُجاب، ولا يَرُدُّ ما جاء من الحقِّ بحُجَّة. وقيل: الباطل الذي يُضادُّ الحقَّ.

فالمعنى ذهب الباطلُ بمجيءِ الحقِّ فلم يبقَ منه بقيَّة؛ وذلك أن الحيَّ[٦] إذا هَلَك لم يبقَ له إبداءٌ ولا إعادة، فصار قولُهم: لا يُبدِئ ولا يُعيد مَثَلاً في الهلاك، ومنه قول الشاعر:

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٩٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٥.
(٢) في المطبوع: الغيوب بالجر (؟!). ومراده بالحركات الثلاث أي: في الغين، انظر الدر المصون ٩/ ٢٠٢، وروح المعاني ٢٢/ ١٣٥.
(٣) في (أ د٣): ليتناسب.
(٤) في النسخ والمطبوع خلا (د٣): فمفعول، وهو تحريف، والمثبت منها.
(٥) انظر الكشاف ٣/ ٢٩٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٥، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٣٢، والنشر ٢/ ٢٢٦.
(٦) في (ز٢) والمطبوع: الجائي، وهو تحريف.

أقْــفَــرَ مِــن أهــلِــهِ[١] عَــبِــيــدُ فــالــيــوم لا يُــبــدي ولا يُــعــيــدُ[٢]

والظاهر أن «ما» نفيٌ، وقيل استفهام ومآلُهُ إلى النَّفي، كأنه قيل: أيُّ شيءٍ يُبدئ الباطلُ ـ أي: إبليس ـ ويُعيدُه. قاله الزجَّاج وفرقةٌ معه.

وعن الحسن: لا يُبدئ ـ أي: إبليس ـ لأهله خيراً ولا يُعيده، أي: لا يَنْفَعُهم في الدُّنيا والآخرة.

وقيل للشيطان الباطل لأنه صاحبُ الباطل ولأنه هالك، كما قيل له الشيطان من شاط إذا هَلَك.

وقيل: الحقُّ: السَّيف[٣].

وعن ابن مسعود: دخل رسولُ الله ﷺ مكَّةَ وحول الكعبة ثلاث مئة وستُّون صَنماً، فجعل يَطْعَنها بعودِ نَبْعَةٍ[٤] ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[٥].

وقرأ الجمهور: «قلْ إنْ ضَلَلْتُ» بفتح اللام «فإنما أضِلُّ» بكسر الضَّاد.

وقرأ الحسن وابن وَثَّاب وعبد الرحمن المُقرئ بكسر اللام وفتح الضَّاد، وهي لغة تميم، وكسر عبد الرحمن همزة أضِلُّ[٦].

---

(١) في النسخ والمطبوع خلا (د٣ يه): أهيله، والمثبت منهما، وهو موافق لما في المصادر، وإن كان ما فيها يصح أيضاً وزناً.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٩٥، والبيت لعبيد بن الأبرص، انظر ديوانه ٤٥، والأغاني ٢٢/ ٨٨، والجليس الصالح الكافي ٤/ ١٤٧، وجمهرة الأمثال ١/ ٣٥٩، وثمار القلوب ١/ ٣٥٠، والعمدة لابن رشيق ١/ ٣١٢، وفصل المقال للبكري ٤٤٥، والحور العين ١٢٨، وخزانة الأدب ٢/ ٢١٨.

(٣) انظر الأقوال ـ من قول قتادة إلى هنا ـ في تفسير الطبري ١٩/ ٣٠٧، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٥٨، وللنحاس ٥/ ٤٢٥، وإعراب القرآن ٣/ ٣٥٥، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٦٣-١٦٤، والماوردي ٤/ ٤٥٧، والكشاف ٣/ ٢٩٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٦، وزاد المسير ٦/ ٤٦٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٣٢.

(٤) في (أ) والمطبوع: نبقة. والنبع: شجر تتخذ منه القسي. النهاية (نبع).

(٥) الكشاف ٣/ ٢٩٥، وأخرجه الثعلبي ٥/ ١٦٤ وفيه: بعودٍ معه، وهو الأشبه. والحديث أخرجه أحمد (٣٥٨٤)، والبخاري (٢٤٧٨)، ومسلم (١٧٨١) رحمهم الله.

(٦) مختصر في الشواذ ١٢٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٣٢.

وقال الزمخشري: لغتان نحو: ظَلَلْتُ أَظِلُّ وظَلِلْتُ أَظَلُّ[١].

«وإن اهتديتُ فبما يُوحي» أي: فاهتدائي بما يُوحي.

و«ما» يحتمل أنْ تكون بمعنى الذي، أي: فبالذي يوحيه إليَّ ربي، وأنْ تكون مصدريَّة[٢]، أي: فبوَحْي ربي. والتَّقابلُ اللَّفظي: وإن اهتديتُ فإنما أهتدي لها، كما قال[٣]: ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ مقابل: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٦] ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ مقابل ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [الزمر: ٤١]، أو يقال: فإنما أضِلُّ بنفسي، وأما في الآية فالتقابل معنوي لأن النفس كلُّ ما عليها فهو بها، أي: كلُّ وَبالٍ عليها فهو بسببها إن النَّفْسَ لأمَّارةٌ بالسُّوء، وما لها مما يَنْفَعُها فبهداية ربِّها وتوفيقه، وهذا حكمٌ عامٌّ لكلِّ مُكَلَّف، وأَمرَ رسولَه أن يُسنده إلى نفسه لأنه إذا دخل تحته مع جَلالة مَحَلِّه وسَداد طريقته كان غيرُهُ أولى به. انتهى، وهو من كلام الزمخشري[٤].

«إنه سَميعٌ قريبٌ» يُدرِك قولَ كلِّ ضالٍّ ومُهْتدٍ وفعلَه.

والظاهر أن قولَه: «ولو ترى إذْ فزِعوا» أنه وقتُ البَعْثِ وقيامِ السَّاعة. وكثيراً جاء ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ [السجدة: ١٢]، وكلُّ ذلك في يوم القيامة، وعبَّر بـ: «فَزِعوا، وأُخِذوا، وقالوا، وحِيل» بلفظ الماضي لتَحَقُّق وقوعِه بالخبر الصادق[٥].

وقال ابن عباس والضحاك: هذا في عَذابِ الدُّنيا. وقال الحسن: في الكُفَّار عند خروجهم من القبور.

وقال مجاهد: يوم القيامة. وقال ابن زيد والسدِّي: في أهل بدرٍ حين ضُرِبت أعناقُهم، فلم يستطيعوا فراراً من العَذاب، ولا رُجوعاً إلى التوبة.

(١) الكشاف ٣/ ٢٩٥.
(٢) من قوله: فاهتدائي... إلى هنا، ليس في المطبوع.
(٣) هنا ينتهي السقط المشار إليه في (ت) قبل صفحات.
(٤) في الكشاف ٣/ ٢٩٥-٢٩٦.
(٥) انظر الكشاف ٣/ ٢٩٦.

وقال ابن جُبير وابن أبي أبْزَى[١]: في جيشٍ يغزو الكعبة، فيُخْسَف بهم في بَيْداءَ من الأرض، ولا ينجو إلا رجلٌ من جُهَيْنَة، فيُخْبِرُ الناسَ بما نالَ الجيشَ. قالوا: وله قيل: وعند جُهَيْنَةَ الخبرُ اليَقينُ[٢].

وروي في هذا المعنى حديثٌ مُطوَّل عن حُذيفة، وذكر الطبري أنَّه ضعيف السَّنَد، مَكْذوبٌ فيه على رَوَّاد بن الجَرَّاح[٣].

وقال الزمخشري: وعن ابن عباس: نزلت في خَسْف البَيْداء؛ وذلك أن ثمانين ألفاً يَغْزون الكعبةَ ليُخْرِبوها، فإذا دخلوا البَيْداء خُسِف بهم[٤].

وذكر في حديث حذيفة أنه تكون فِتنةٌ بين أهلِ المَشْرِق والمَغْرب، فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السُّفياني من الوادي اليابس في فَوْره ذلك حتى ينزلَ دمشق، فيبعث جيشاً إلى المدينة، فيَنْتَهبونها ثلاثةَ أيام، ثمَّ يخرجون إلى مكَّة، فيأتيهم جبريلُ عليه السلام فيَضْربُها ـ أي الأرض ـ برجله ضَرْبةً، فيَخْسف الله بهم

---

(١) كذا في النسخ والمطبوع: ابن أبي أبزى، وفي تفسير الثعلبي والمحرر الوجيز: ابن أبزى.

(٢) انظر الأقوال في: تفسير عبد الرزاق ٢/ ١٣٢، والطبري ١٩/ ٣٠٩-٣١٣، والثعلبي ٥/ ١٦٤، ١٦٥، والماوردي ٤/ ٤٥٨، والقرطبي ١٧/ ٣٣٣-٣٣٤، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٢٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٦، وزاد المسير ٦/ ٤٦٧.
والمثل: عند جهينة الخبر اليقين؛ في أمثال أبي عبيد ٢٠١، والفاخر ١٢٦، وجمهرة الأمثال ٢/ ٤٤، وفصل المقال للبكري ٢٩٥، ومجمع الأمثال ٢/ ٣١٩، والمستقصى ٢/ ١٦٩، وله خبر غير ما ذكر هنا.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٦، وأخرجه الطبري ١٩/ ٣١٠-٣١١، ومن طريقه الثعلبي ٥/ ١٦٤-١٦٥، عن عصام بن روَّاد بن الجرّاح، عن أبيه، عن سفيان بن سعيد، عن منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة بن اليمان، عن رسول الله ﷺ.
قال الطبري: حدثنا محمد بن خلف العسقلاني قال: سألت رواد بن الجراح عن الحديث الذي حدث به عنه، عن سفيان الثوري... فقلت له: أخبرني عن هذا الحديث، سمعتَه من سفيان الثوري؟ قال: لا، قلت له: فقرأته عليه؟ قال: لا، قلت له: فقرئ عليه وأنت حاضر؟ قال: لا، قلت له: فما قصته، فما خبره؟ قال: جاءني قوم فقالوا: معنا حديث عجيب ـ أو كلام هذا معناه ـ تقرؤه وتسمعه، قلت لهم: هاتوه، فقرؤوه علي، ثم ذهبوا به فحدثوا به عني، أو كلام هذا معناه.
قلت: وذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية أن الحديث موضوع.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٩٦.

الأرض، فذلك قوله: «فلا فوتَ» ولا يَنْفَلتُ منهم إلا رَجُلان من جُهَيْنَة ـ ولذلك جرى المثل: وعند جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليقينُ ـ اسمُ أحدِهما بشير يُبَشِّر أهلَ مكة، والآخر نذير ينقلبُ بخَبر السُّفْياني. وقيل لا ينقلب منهم إلا رجلٌ واحد يُسمَّى ناجية من جُهَينة، ينقلبُ وجهُهُ إلى قفاه.

ومفعول «ترى» محذوف، أي: ولو ترى الكفَّار «إذ فَزِعوا فلا فَوتَ» أي: لا يفوتون الله، ولا مَهْرَبَ لهم عمَّا يُريد بهم.

وقال الحسن: فلا فوتَ من صَيْحة النُّشور، وأُخذوا من بطن الأرض إلى ظهرها. انتهى.

أو من المَوْقف إلى النار إذا بُعثوا. أو من ظَهْر الأرض إلى بَطْنها إذا ماتوا. أو من صَحْراء بدرٍ إلى القَليب. أو من تحت أقدامهم إذا خُسف بهم.

وهذه أقوالٌ مَبنيَّةٌ على تلك الأقوال السابقة في عَوْد الضَّمير في «فَزِعوا».

ووُصِف المكانُ بالقُرب من حيثُ قُدْرةُ الله عليهم، فحيث ما كانوا هو قريب.

وقرأ الجمهور: «فلا فَوتَ» مَبنيًّا على الفتح «وأُخِذوا» فعلاً ماضياً، والظاهر عطفهُ على «فَزِعوا» وقيل: على «فلا فَوتَ» لأن معناه: فلم يفوتوا وأُخِذوا.

وقرأ عبد الرحمن مولى بني هاشم عن أبيه وطلحة: «فلا فوتٌ وأَخْذٌ» مصدَرَيْن مُنَوَّنين[(١)].

وقرأ أُبيّ: «فلا فَوتَ» مَبْنِيًّا «وأَخْذٌ» مصدراً مُنوَّناً[(٢)].

ومَن رفع «وأَخْذٌ» فخبرُ مبتدأ، أي: وحالُهـ أَخْذٌ، أو مبتدأ، أي: وهناك أَخْذٌ.

وقال الزمخشري: وقُرئ: «وأَخْذٌ» وهو معطوفٌ على محلِّ «لا فَوتَ» ومعناه: فلا فوتَ هناك وهناك أَخْذٌ[(٣)] انتهى.

---

(١) مختصر في الشواذ ١٢٢، والمحتسب ٢/١٩٦.

(٢) ذكرها السمين في الدر ٩/٢٠٣، والآلوسي في روح المعاني ٢٢/١٣٩، ونسبها ابن خالويه ١٢٢، وابن عطية ٤/٤٢٦ إلى طلحة بن مصرف.

(٣) الكشاف ٣/٢٩٦.

كأنه يقول: لا فوتَ مجموعٌ، لا والمَبْنِيُّ معها في موضع مبتدأ، وخبره هناك، فكذلك «وأخْذٌ» مبتدأ، وخبره هناك، فهو من عطف الجُمل، وإنْ كانت إحداهما تضمَّنت النَّفيَ، والأخرى تضمَّنت الإيجاب.

والضَّمير في «به» عائدٌ على الله. قاله مجاهد. أي: يقولون ذلك عندما يَروْن العَذاب. وقال الحسن: على البعث. وقال مقاتل: على القرآن. وقيل: على العَذاب.

وقال الزمخشري وغيره: على الرسول لمُرور ذِكرِهِ في قوله: «ما بصاحبكم من جِنَّة»(١).

«وأنَّى لهم التَّناوُشُ» قال ابن عباس: التَّناوُش: الرُّجوع إلى الدُّنيا، وأنشد ابن الأنباريّ:

تمنَّى أنْ تؤوبَ إليَّ مَيٌّ وليس إلى تناوُشِها سَبيلُ(٢)

أي: تتمنَّى. وهذا تمثيلٌ لطَلَبهم ما لا يكون، وهو أنْ يَنْفَعَهم إيمانُهم في ذلك الوقت كما ينفعُ المؤمنين إيمانهم في الدنيا، مَثَّل حالَهم بحال مَن يُريدُ أنْ يتناولَ الشَّيء من بُعْد؛ كما يتناولُهُ الآخرُ من قُرْب(٣).

وقرأ الجمهور: «التَّناوشُ» بالواو. وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وأبو بكر بالهمز(٤).

ويجوز أنْ يكونا مادَّتين: إحداهما النون والواو والشين، والأخرى النون والهمزة والشين، وتقدَّم شَرْحُهما في المفردات.

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٩/ ٣١٤، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٢٧، والنكت والعيون ٤/ ٤٥٩، والكشاف ٣/ ٢٩٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٦، وزاد المسير ٦/ ٤٦٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٣٥-٣٣٦.

(٢) الزاهر لابن الأنباري ١/ ٣٥١، والنكت والعيون ٤/ ٤٥٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٧، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٣٦.

(٣) انظر الكشاف ٣/ ٢٩٦.

(٤) السبعة ٥٣٠، والتيسير ١٨١، والنشر ٢/ ٣٥١، وهي قراءة خلف من العشرة.

ويجوز أن يكون أصلُ الهمزة الواو على ما قاله الزجَّاج، وتبعه الزمخشري وابن عطية والحَوْفي وأبو البقاء.

قال الزجَّاج: كلُّ واوٍ مضمومة ضمةً لازمة فأنت فيها بالخيار إنْ شئتَ هَمَزْتَها[1]، وإنْ شئتَ تركْتَ هَمْزها[2]، تقول: ثلاث أدْوُر بلا همز وأدْؤُر بالهمز، قال: والمعنى: من أين[3] لهم تناولُ ما طلَبوه من التوبة بعد فواتِ وقتِها؛ لأنها إنما تُقْبَل في الدُّنيا، وقد ذهبت الدنيا فصارت على بُعدٍ من الآخرة، وذلك قوله تعالى: «من مكانٍ بعيد»[4].

وقال الزمخشري: هُمزت الواوُ المضمومةُ كما هُمزت في أُجوه وأَدْؤُر[5].

وقال ابن عطية: وأمَّا التَّناؤش بالهَمْز فيحتمل أن يكون من التَّناوُش، وهُمزت الواو لما كانت مضمومةً ضَمَّة لازمة، كما قالوا: أُقِّتَت[6].

وقال الحَوْفي: ومَن هَمز احتمل وجهان؛ أحدهما: أنْ يكون من النَّأْشِ، وهو الحركةُ في إبْطاء، ويحتمل[7] أن يكون من ناش يَنوش، هُمزت الواو لانضمامها، كما هُمزت أُقِّتَت وأَدْؤُر.

وقال أبو البقاء: ويُقرأ بالهمز من أجل ضمَّة الواو، وقيل: هي أصل من نَأَشَه[8]. انتهى.

وما ذكروه من أن الواو إذا كانت مَضمومةً ضمَّة لازمة يجوز أن تُبدل همزة ليس

---

(١) في (أ ز٢) والمطبوع: إن شئت تثبت همزتها.
(٢) في النسخ والمطبوع خلا (د٣): همزتها، والمثبت منها.
(٣) في المطبوع: أنى.
(٤) بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٥٩، وانظر الكشف والبيان للثعلبي ٥/ ١٦٥، وزاد المسير ٦/ ٤٦٩-٤٧٠.
(٥) الكشاف ٣/ ٢٩٦.
(٦) في المطبوع: أفتيت، هنا وفيما يأتي، وهو تصحيف، وانظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٦-٤٢٧.
(٧) في النسخ والمطبوع خلا (يه) ويجوز، والمثبت منها، وهما سواء.
(٨) إملاء ما منّ به الرحمن ٢/ ١٩٩.

على إطلاقه، بل لا يجوز ذلك في المتوسطة إذا كانت مُدْغماً فيها؛ نحو تَعَوُّد وتَعَوُّذ مصدرَين، ولا إذا صَحَّت في الفعل نحو: تَرَهْوَكَ تَرَهْوُكاً وتعاونَ تعاوُناً، ولم يُسمع همزتين من ذلك فلا يجوز، والتَّناوُش مثل التَّعاون، فلا يجوز همزُه لأن واوَه قد صحَّت في الفعل إذ تقول: تناوَشَ[1].

«وقد كفروا به» الضَّمير في «به» عائدٌ على ما عاد عليه «آمنَّا به» على الأقوال، والجملة حاليَّة، و«من قَبْل» أي: من قبل نُزول العَذاب.

وقرأ الجمهور: «وَيقْذِفون» مبنيّاً للفاعل، حكاية حالٍ مُتقدِّمة.

قال الحسن: قولهم: لا جَنَّة ولا نار، وزاد قتادة: ولا بَعْث.

وقال ابن زيد: طاعِنين في القرآن بقولهم: أساطيرُ الأوَّلين.

وقال مجاهد: في الرسول ﷺ بقولهم: شاعِرٌ وساحِرٌ وكاهِنٌ[2].

«من مكانٍ بعيدٍ» أي: من جهة بعيدة؛ لأن نسبتَه إلى شيءٍ من ذلك من أبعدِ الأشياء.

قال الزمخشري: وهذا تكلُّمٌ بالغيب والأمرِ الخفي؛ لأنهم لم يُشاهدوا منه سحراً ولا شعراً ولا كذباً، وقد أتَوا بهذا الغيب من جهةٍ بعيدةٍ من حاله؛ لأن أبعدَ شيءٍ مما جاء به الشِّعرُ والسِّحرُ، وأبعدَ شيءٍ من عادته التي عُرِفت بينهم وجُرِّبت الكذِبُ والزُّور[3]. انتهى.

وقيل: هو مستأنَف، أي: يتلَفَّظون بكلمة الإيمان حين لا ينفعُ نَفْساً إيمانُها، فمُثِّلَت حالُهم في طلبهم تحصيلَ ما عَطَّلوه من الإيمان في الدنيا بقولهم: آمنَّا في الآخرة ـ وذلك مَطْلَبٌ مُسْتَبْعَد ـ بمَن يَقذِفُ شيئاً من مكانٍ بعيدٍ لا مجال للظَّنِّ[4]

(١) نقله عن أبي حيان: السمين في الدر ٩/ ٢٠٤، والآلوسي في روح المعاني ٢٢/ ١٤١.
(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٢٢٠، والثعلبي ٥/ ١٦٥، والماوردي ٤/ ٤٦٠، والقرطبي ١٧/ ٣٣٨-٣٣٩، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٣٠-٤٣١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٧، وزاد المسير ٦/ ٤٧٠.
(٣) الكشاف ٣/ ٢٩٦
(٤) في النسخ والمطبوع خلا (د٣): للنظر، والمثبت منها، وهو موافق لما في الكشاف مخطوطاً ومطبوعاً، والمصنف ينقل عنه، وروح المعاني ٢٢/ ١٤٣.

في لُحوقه حيث يُريد أن يَقعَ فيه لكونه غائباً عنه بعيداً، والغيبُ الشيءُ الغائب.

وقرأ مجاهد وأبو حَيْوَة ومَحْبوب عن أبي عمرو: «ويُقْذَفون» مبنيًّا للمفعول(١).

قال مجاهد: ويَرْجُمهم الوحيُ بما يَكرهون من السَّماء(٢).

وقال أبو الفضل الرَّازي: يُرمَون بالغيب من حيث لا يعلمون، ومعناه: يُجازَون بسُوءِ أعمالهم، ولا عِلمَ لهم بمأتاه، إمَّا في حالِ تعَذُّر التوبةِ عند مُعاينة الموت، وإمَّا في الآخرة.

وقال الزمخشري: أي: يأتيهم به - يعني بالغَيْب - شياطينُهم، ويُلَقِّنونهم إياه(٣).

وقيل: يُرْمَون في النَّار. وقيل: هو مَثَل؛ لأنَّ مَن يُنادى من مكانٍ بعيد لا يَسمع، أي: هم لا يَعْقِلون ولا يَسْمعون.

«وحِيلَ بينهم» قال الحَوْفي: قام الظَّرْف مقامَ اسم ما لم يُسمَّ فاعلُهُ(٤). انتهى.

ولو كان على ما ذَكر لكان مرفوعاً «بينهم» كقراءة مَن قرأ «لقد تَقَطَّع بَيْنُكم» [الأنعام: ٩٤](٥) في أحد المعنيَين، لا يُقال لما أُضيف إلى مبنيّ وهو الضَّمير: بُني، فهو في موضع رَفعٍ وإنْ كان مبنيًّا، كما قال بعضهم في قوله:

وإذْ ما مِثْلَهم بَشَرُ(٦)

أنه في موضع(٧) رفع لإضافته إلى الضَّمير وإن كان مفتوحاً لأنه قولٌ فاسد يجوز أن تقول: مَرَرْتُ بغُلامَكَ وقام غُلامَك بالفتح، وهذا لا يقوله أحدٌ، والبناء لأجل

---

(١) مختصر في الشواذ ١٢٢، والمحتسب ٢/ ١٩٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٧، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٣٩ عن مجاهد فحسب.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٧.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٩٦.

(٤) نقله عنه السمين ٩/ ٢٠٧، والآلوسي ٢٢/ ١٤٤.

(٥) سلف ذكر من قرأ بالرفع، وانظر النشر ٢/ ٢٦٠.

(٦) وتمامه: فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم * إذ هم قريش، وهو للفرزدق، ديوانه ٢٢٣.

(٧) في المطبوع: مثلهم يشير إلى أنه في موضع (؟!).

الإضافة إلى المَبْنيّ ليس مُطلقاً، بل له مواضعُ أُحْكِمَت في النّحو.

وما يقول قائلٌ ذلك في قول الشاعر:

وقد حِيلَ بين العَيْرِ والنَّزَوانِ[1]

فإنه نَصَبَ بين وهي مُضافة إلى مُعرب، وإنما يُخَرَّج ما وَرد من نحو هذا على أن القائمَ مقامَ الفاعلِ هو ضميرُ المصدر الدَّالّ عليه حِيل، كأنه قيل: حِيل هو، أي: الحول، ولكونه أُضمِر لم يكن مصدراً مؤكّداً، فجاز أن يُقام مقامَ الفاعل، وعلى ذلك يُخَرَّج قول الشاعر:

وقالت متى يُبْخَلْ عليك ويُعْتَلَلْ يَسُؤْكَ[2] وإنْ يُكْشَف غَرامُكَ تَدْرَبِ

أي: ويُعْتَلَل هو، أي: الاعتلال.

والذي يَشْتهون: الرُّجوع إلى الدُّنيا. قاله ابن عباس. أو الأهل والمال والولد. قاله مجاهد. أو الإيمان. قاله الحسن. أو طاعة الله. قاله قتادة. أو التوبة. قاله السّديّ. أو بين الجيش وتَخْريب الكعبة. أو بين المؤمنين. أو بين النَّجاة من العذاب. أو بين نَعيم الدنيا ولَذّتها، قاله مجاهد أيضاً[3].

«كما فُعِل بأشْياعِهم» أي: بأشباهِهم من كَفَرَةِ الأُمم، أي: حِيل بينهم وبين مُشْتَهياتهم.

و«من قَبْل» يَصِحُّ أنْ يكونُ مُتعلّقاً بأشياعهم، أي: مَن اتَّصف بصِفتهم من قبلُ، أي: في الزّمان الأوّل، ويترجَّح بأن ما يُفعَل بجميعهم إنما هو في وقتٍ واحد.

---

(١) صدره: أهم بأمر الحزم لو أستطيعه، وهو لصخر بن عمرو بن الشريد أخو الخنساء، والبيت من قصيدة في الأصمعيات ١٤٦.

(٢) في المطبوع: بسوء (تحريف)، والبيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ١/ ٣٦٨ (بشرح السكري).

(٣) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٩/ ٣٢١-٣٢٣، ومعاني القرآن ٥/ ٤٣١، وإعراب القرآن ٣/ ٣٥٧ كلاهما للنحاس، والنكت والعيون ٤/ ٤٦٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٧، وزاد المسير ٦/ ٤٧٠-٤٧١، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٣٩. ومن قوله: قاله مجاهد... إلى: أو التوبة، ليس في المطبوع.

ويصحُّ أنْ يكون مُتعلّقاً بـ «فُعِلَ» إذا كانت الحَيْلُولةُ في الدُّنيا[١].

وقال الضَّحّاك: أشْياعُهم: أصحاب الفيل[٢]، يعني أشياع قريش، وكأنه أخرجه مخرج التمثيل. وأما التَّخصيص فلا دليلَ عليه.

«إنهم كانوا في شَكٍّ مُريب» يعني: في الدنيا، و«مُريب» اسم فاعل من أرابَ الرجلُ: أتى برِيْبَةٍ ودخل فيها، وأرَبْتُ الرَّجلَ: أوقعتُه في رِيبة.

ونسبة الإرابة إلى الشَّكِّ مَجازٌ. قال الزمخشري: إلا أن بينهما فَرْقاً؛ وهو أن المُريب من المتعدّي منقولٌ ممَّن يصحُّ أن يكون مُريباً من الأعيان إلى المعنى، ومن اللازم منقولٌ من صاحب الشَّكِّ إلى الشك، كما تقول: شِعرٌ شاعر[٣]. انتهى، وفيه بعض تبيين.

قيل: ويجوز أنْ يكون أرْدَفَه على الشكِّ، وهما بمعنى، لتَناسُقِ آخرِ الآية بالتي قبلها «من مكانٍ قريب» كما تقول: عَجَبٌ عَجيب، وشتاءٌ شاتٍ، وليلةٌ لَيْلاء.

وقال ابن عطية: الشكُّ المُريب أقوى ما يكون من الشكِّ وأشَدّه إظلاماً[٤].

❁ ❁ ❁

تمَّ الجزء السابع عشر من البحر المحيط،

ويتلوه الجزء الثامن عشر

وأوَّله تفسير قوله تعالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ. . .﴾،

من أول سورة فاطر

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٧.

(٢) النكت والعيون ٤/ ٤٦٠، وزاد المسير ٦/ ٤٧١.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٩٧.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٧.

فهرس الآيات

سورة القصص ....

• **مفردات سورة القصص** ٥

تفسير قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ (١) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (٢) نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ (٦)﴾ ٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٧) فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ (٨) وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩)﴾ ١١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٤)﴾ ١٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ

عَلَيْهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي
فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا
لِّلْمُجْرِمِينَ (١٧) فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ
مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ (١٨) فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن
تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ
ٱلْمُصْلِحِينَ (١٩) وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ
فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ (٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢١)﴾ ٢٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (٢٢)
وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ
تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ
لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا
تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ
عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ
إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ
أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ
سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ
فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨) فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ
مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ
مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩)﴾ ٢٩

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ
ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ (٣١) ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي
جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن
رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا
فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (٣٣) وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ
أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ
إِلَيْكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ (٣٥)﴾ ٤٠

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٣٦) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣)﴾ ٤٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤) وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥) وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦) وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (٤٨) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)﴾ ٥١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥) إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦) وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)﴾ ٦٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن
مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ
أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ
أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن
وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ
ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ ٦٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ
عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا
يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟
يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ
لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾
وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى
ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا
إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ
ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ
فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن
فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ ٦٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا
مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ
لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ
ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ
إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ
عِندِىٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا
وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ
وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا

بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾
وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ
وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ ٧٥

تفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ
وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟
ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ
أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ
إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ
أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ
إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ ٨٩

سورة العنكبوت

تفسير قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾
وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾
وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ
مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ
ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ
إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ ٩٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا
فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً
لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنتُم
بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ ١١٠

تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ
مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ
بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم
بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ
رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ
وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ
لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ
لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي
عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ
الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا
لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا
سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ
كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا
كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ١١٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ
الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي
دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ

وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾
فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ
خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ
وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا
يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ
ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ١٢٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ
وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ
وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ
بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا
يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا
ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى
وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ
أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم
بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ
ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ ١٣٦

تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ
ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن
مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا

هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ
يَعۡلَمُونَ (٦٤) فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ
يُشۡرِكُونَ (٦٥) لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ (٦٦) أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا
ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ (٦٧) وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ
ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ (٦٨) وَٱلَّذِينَ
جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٦٩)﴾ ١٤٢

سورة الروم ....

تفسير قوله تعالى: ﴿الٓمٓ (١) غُلِبَتِ ٱلرُّومُ (٢) فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ
سَيَغۡلِبُونَ (٣) فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ
ٱلۡمُؤۡمِنُونَ (٤) بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٥) وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ
ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ (٦) يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ
هُمۡ غَٰفِلُونَ (٧) أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ
وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ (٨) أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ
كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ
مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ
يَظۡلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا
يَسۡتَهۡزِءُونَ (١٠) ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ (١١) وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ
ٱلۡمُجۡرِمُونَ (١٢) وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ (١٣) وَيَوۡمَ
تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ
يُحۡبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ
مُحۡضَرُونَ (١٦)﴾ ١٥٢

تفسير قوله تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ (١٧) وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ (١٨) يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ
بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ (١٩) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ
تَنتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ
بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ (٢٢) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم

بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ (٢٣) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ
يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ (٢٤) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ
دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ (٢٥)﴾ ١٦٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ (٢٦) وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ
ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡحَكِيمُ (٢٧) ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا
رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ
يَعۡقِلُونَ (٢٨) بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم
مِّن نَّٰصِرِينَ (٢٩) فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ
ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ
وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ (٣١) مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ
شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ (٣٢)﴾ ١٧٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا
فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ (٣٣) لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ (٣٤) أَمۡ أَنزَلۡنَا
عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ (٣٥) وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن
تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ (٣٦) أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (٣٧) فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ
خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (٣٨) وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ
ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡمُضۡعِفُونَ (٣٩)﴾ ١٨٥

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (٤٠) ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ
وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ (٤١) قُلۡ سِيرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ (٤٢) فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ
ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ (٤٣) مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ
عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ (٤٤) لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلۡكَٰفِرِينَ (٤٥)﴾ ١٨٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩) فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠) وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥١) فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٥٣)﴾ ١٩٥

تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦) فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٥٧) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٨) كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)﴾ ٢٠٢

سورة لقمان ....

• مفردات سورة لقمان ٢٠٨

تفسير قوله تعالى: ﴿الم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٍ كَرِيمٍ (١٠) هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ
ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (١١)﴾ ٢٠٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ
لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ (١٢) وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ
بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ (١٣) وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ
وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي
مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ
إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (١٥) يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ
فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ (١٦) يَٰبُنَيَّ
أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ
ٱلۡأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ
فَخُورٖ (١٨) وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ (١٩)﴾ ٢١٧

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ
ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ (٢٠) وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ
إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ (٢١) وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ
وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ (٢٢) وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ
ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٢٣) نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ (٢٤) وَلَئِن سَأَلۡتَهُم
مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ (٢٥) لِلَّهِ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ (٢٦) وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ
يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ (٢٧) مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا
بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ (٢٨)﴾ ٢٢٨

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ
ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ (٢٩) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ (٣٠) أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي
فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ (٣١) وَإِذَا
غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا
يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ (٣٢) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي

وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ
ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا
فِى ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ ٢٣٧

سورة السجدة . . . .

تفسير قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ
ٱفْتَرَىٰهُۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ مَا لَكُم
مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ
إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن
سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ
رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ
تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا
مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ ٢٤٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ
جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا
نَسِينَٰكُمْۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا
ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ
ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم
مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟
فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى
كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ
مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ ٢٥٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ ٢٦٦

سورة الأحزاب ....

• **مفردات سورة الأحزاب** ٢٧١

تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَـٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ ٢٧٣

تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ

عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠)﴾ ٢٨٤

تفسير قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)﴾ ٣٠١

تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ

وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ
كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)﴾ ٣١١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ
مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا (٣٦) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ
وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ
فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ
فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا (٣٨) الَّذِينَ
يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا
أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ
لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ
وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ
بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤٨)﴾ ٣٢٦

تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن
تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩) يَا أَيُّهَا
النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ
وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن
وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا
مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ
اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٠) تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١) لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن
تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
رَّقِيبًا (٥٢)﴾ ٣٤١

تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥) إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨)﴾ ٣٥٧

تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٩) لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢) يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٣)﴾ ٣٦٧

سورة سبأ ....

• **مفردات سورة سبأ** ٣٨٣

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ (١) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ (٢) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٣) لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ (٥) وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ (٦) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ (٨) أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٩)﴾ ٣٨٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ (١٠) أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ (١٣) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ (١٤)﴾ ٣٩٩

تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ (١٨) فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ (٢١)﴾ ٤١٧

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ
ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ
وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ
لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾
قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم
بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا
وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ
عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ
أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ
إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا
ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ٤٣٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ
كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ
عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ
ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى
يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ
سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا
يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا
تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾ ٤٥٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾
وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ قُلْ
إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ
هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا
عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا
يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ
رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟
ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ
بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ فِى شَكٍّۭ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾ ٤٦٤